رسائل جامعية (١٦)

الشيخ عبد الرحمن بن ناصر السعدي

مفسرًا

إعداد

عبد الله بن سالح بن صالح الطيار

دار ابن الجوزي

هذا الكتاب في الأصل رسالة جامعية حصل بها المؤلف على درجة الماجستير من قسم القرآن الكريم بكلية أصول الدين جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية عام ١٤٠٧هـ

الشيخ

عبد الرحمن بن ناصر السعدي

مفسرًا

© دار ابن الجوزي للنشر والتوزيع، ١٤٢٠هـ
فهرسة مكتبة الملك فهد الوطنية أثناء النشر
الطيار، عبد الله سابح صالح
الشيخ عبد الرحمن بن ناصر السعدي مفسراً. - الدمام.
٤٣٢ص، ١٧×٢٤سم
ردمك: ٥ - ١٧ - ٧٦٧ - ٩٩٦٠
١ - السعدي، عبد الرحمن بن ناصر، ت١٣٧٦هـ أ - العنوان
ديوي ٩٢٢، ١١٧ ٢٠/٣٥٣٢
رقم الإيداع: ٢٠/٣٥٣٢
ردمك: ٥ - ١٧ - ٧٦٧ - ٩٩٦٠

الطبعة الأولى - ١٤٢١هـ

حقوق الطبع محفوظة ©١٤٢١هـ لا يسمح بإعادة نشر هذا الكتاب أو أي جزء منه بأي شكل من الأشكال أو حفظه ونسخه في أي نظام ميكانيكي أو إلكتروني يمكن من استرجاع الكتاب أو ترجمته إلى أي لغة أخرى دون الحصول على إذن خطي مسبق من الناشر

دار ابن الجوزي للنشر والتوزيع

المملكة العربية السعودية - الدمام - شارع ابن خلدون - ت ٨٤٢٨١٤٦ - ٨٤٦٧٥٨٩ - ٨٤٦٧٥٩٣
ص.ب: ٢٩٨٢ - الرمز البريدي: ٣١٤٦١ - فاكس: ٨٤٣١٠٠٠ - الإحساء - الهفوف - شارع الجامعة - ت ٥٨٨٣١٢٢
جدة - ت ٦٥١٦٥٤٩ - الرياض - ت: ٤٢٦٦٣٣٩

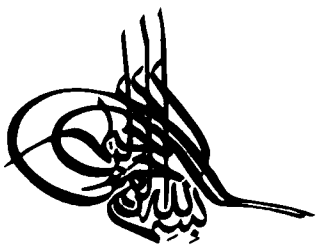

الحمد لله وحده والصلاة والسلام على من لا نبي بعده

وبعد؛

شكر وتقدير

فقد ورد في الحديث الصحيح من حديث أبي هريرة وأبي سعيد الخدري رضي الله عنهما عن رسول الله ﷺ أنه قال: (لا يشكر الله من لا يشكر الناس)[1].

فأقدم خالص شكري وتقديري لكل من مدّ إلي يد العون والمساعدة في تذليل العقبات التي اعترضتني في طريق هذا البحث المتواضع، وأخص بالذكر المشرف عليه فضيلة الدكتور محمود محمد شبكة، الذي كان لتوجيهاته وآرائه التي كان يسديها إليَّ أكبر الأثر في إخراج هذا البحث إلى حيز الوجود، فقد وجدت في علمه وتواضعه ورحابة صدره خير باعث لي على المضي في هذا العمل والفراغ منه في أقرب فرصة، مع النصح الجميل والتوجيه طيلة مراحل الدراسة وما فتئ يحثني على الجد والاجتهاد، ويمدني بالتوجيه والإرشاد، والله حسبي ونعم الوكيل.

الباحث
عبد الله السابح الطيار

---

(١) الحديث أخرجه أحمد في مسنده من حديث أبي هريرة تحت رقم ٧٤٩٥، ٧٩٢٦، ٨٠٠٦، بتحقيق أحمد محمد شاكر جـ: ١٥، ٨٣، ١٧٢، وأبو داود في سننه في كتاب الأدب، باب شكر المعروف جـ: ٢، ٢٩، والترمذي في جامعه في أبواب البر، باب ما جاء في الشكر لمن أحسن إليك جـ: ٦، ٨٧، ٨٨، تحفة الأحوذي من حديث أبي هريرة وأبي سعيد.

أولاً: المقدمة، وتتضمن أهمية الموضوع وسبب اختياره:

مقدمة بين يدي البحث

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على من بعثه الله رحمة للعالمين، نبينا محمد ﷺ وعلى آله وأصحابه أجمعين والتابعين لهم بإحسان إلى يوم الدين، وبعد...

فإن القرآن كلام الله الذي لا تنقضي عجائبه، ولا يخلق عن كثرة الرد، ولا يشبع منه العلماء والدارسون مهما تناولوا منه وأطالوا الجلوس حوله، بل كلّما تناولوا واقتطفوا من ثماره تفتحت شهيتهم وتجددت عندهم الرغبة في الاستزادة.

ومن هنا كثرت الدراسات حول كتاب الله، وتشعبت على مر العصور فظهر من العلماء من تناول إعرابه، ومن تناول أحكامه، ومن تناول أسباب نزوله، ومن تناول ناسخه ومنسوخه، ومن تناول إعجازه، ومن تناول تفسيره.

ولا غرو في ذلك، فإن أكرم ما تمتد إليه أعناق الهمم، وأعظم ما تتنافس فيه الأمم العلم الذي هو حياة القلوب، وأعز أنواعه وأكرمها وأرفعها وأنفعها هي العلوم الشرعية، إذ بها انتظام صلاح العباد، وعلم التفسير أعلاها شأناً وأقواها برهاناً وأوثقها بنيانا، وأوضحها تبياناً، فإنه أساسها، لأن موضوعه كتاب الله المنزل منه، الذي ﴿لَّا يَأْتِيهِ ٱلْبَٰطِلُ مِنۢ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِۦ ۖ تَنزِيلٌ مِّنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ ﴿٤٢﴾﴾[1]، وفيه هداية البشرية جميعها ﴿إِنَّ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ يَهْدِى لِلَّتِى هِىَ أَقْوَمُ﴾[2].

---

(١) سورة فصلت: الآية ٤٢.

(٢) سورة الإسراء: الآية ٩.

ومن عمل به وتمسك به وقاه من الضلال والانزلاق في متاهات الكفر والشرك، أخرج مسلم في صحيحه عن زيد بن أرقم ـ رضي الله عنه ـ أنه قال: إن رسول الله ﷺ قام فينا خطيباً بماء يدعى خمّاً[1] بين مكة والمدينة، فحمد الله وأثنى عليه ووعظ وذكر، ثم قال: (أما بعد، ألا أيها الناس فإنما أنا بشر يوشك أن يأتي رسول ربي فأجيب، وأنا تارك فيكم ثقلين: أولهما كتاب الله فيه الهدى والنور فخذوا بكتاب الله، واستمسكوا به، فحث على كتاب الله، ورغب فيه، ثم قال وأهل بيتي أذكركم الله في أهل بيتي أذكركم الله في أهل بيتي أذكركم الله في أهل بيتي)[2].

وظلَّ الصحابة رضوان الله عليهم يفهمون القرآن على حقيقته، فكانوا يعتمدون في تفسير كتاب الله على طرق أربعة:

الطريق الأول:

تفسير القرآن بالقرآن، فما أجمل في مكان، فقد بين في موضع آخر، وما اختصر في مكان فقد بسط في مكان آخر، مثال ذلك قوله تعالى في سورة البقرة: ﴿فَتَلَقَّىٰٓ ءَادَمُ مِن رَّبِّهِۦ كَلِمَٰتٍ فَتَابَ عَلَيْهِۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٣٧﴾﴾[3] فسرتها آية الأعراف وهي قوله تعالى: ﴿قَالَا رَبَّنَا ظَلَمْنَآ أَنفُسَنَا وَإِن لَّمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴿٢٣﴾﴾[4] فهذه هي الكلمات التي تلقاها آدم من ربه، ومثل

---

(١) خم: اسم رجل صباغ أضيف إليه الغدير الذي هو بين مكة والمدينة، بينه وبين الجحفة ثلاثة أميال، وقال الحازمي: «خم: واد بين مكة والمدينة عند الجحفة به غدير، عنده خطب رسول الله ﷺ، وهذا الوادي موصوف بكثرة الوخامة» اهـ. من معجم البلدان لياقوت الحموي، جـ٢، ٣٨٩، ووقت خطبة رسول الله في هذا الغدير في الثامن عشر من ذي الحجة منصرفة من حجة الوداع كما ذكر ذلك الحاكم في مستدركه، جـ: ٣، ١١٠.

(٢) الحديث أخرجه مسلم في صحيحه من كتاب فضائل الصحابة، باب فضل علي بن أبي طالب جـ: ٧، ١٢٢ ط مكتبة المعرفة للطباعة بيروت، والإمام أحمد في مسنده، جـ: ٢، ١٤، ١٧، ٢٦، ٥١.

(٣) سورة البقرة: الآية ٣٧.

(٤) سورة الأعراف: الآية ٢٣.

قوله تعالى في سورة المعارج: ﴿۞ إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ خُلِقَ هَلُوعًا ﴿١٩﴾﴾[1] فسرتها الآية بعدها وهي قوله تعالى: ﴿إِذَا مَسَّهُ ٱلشَّرُّ جَزُوعًا ﴿٢٠﴾ وَإِذَا مَسَّهُ ٱلْخَيْرُ مَنُوعًا ﴿٢١﴾﴾[2].

ومثل قوله تعالى في سورة الحاقة: ﴿ٱلْحَآقَّةُ ﴿١﴾ مَا ٱلْحَآقَّةُ ﴿٢﴾ وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا ٱلْحَآقَّةُ ﴿٣﴾﴾[3] فسرتها الآيات بعدها، وهي قوله تعالى: ﴿فَإِذَا نُفِخَ فِى ٱلصُّورِ نَفْخَةٌ وَٰحِدَةٌ ﴿١٣﴾ وَحُمِلَتِ ٱلْأَرْضُ وَٱلْجِبَالُ فَدُكَّتَا دَكَّةً وَٰحِدَةً ﴿١٤﴾ فَيَوْمَئِذٍ وَقَعَتِ ٱلْوَاقِعَةُ ﴿١٥﴾﴾[4].

ومثل قوله تعالى في سورة القارعة: ﴿ٱلْقَارِعَةُ ﴿١﴾ مَا ٱلْقَارِعَةُ ﴿٢﴾ وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا ٱلْقَارِعَةُ ﴿٣﴾﴾[5] فسرتها الآية بعدها وهي قوله تعالى: ﴿يَوْمَ يَكُونُ ٱلنَّاسُ كَٱلْفَرَاشِ ٱلْمَبْثُوثِ ﴿٤﴾﴾[6].

ومثل قوله تعالى في سورة المائدة: ﴿أُحِلَّتْ لَكُم بَهِيمَةُ ٱلْأَنْعَٰمِ إِلَّا مَا يُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ﴾[7] بين الله لنا ما يتلى علينا في السورة نفسها وهي قوله تعالى: ﴿حُرِّمَتْ عَلَيْكُمُ ٱلْمَيْتَةُ وَٱلدَّمُ وَلَحْمُ ٱلْخِنزِيرِ وَمَآ أُهِلَّ لِغَيْرِ ٱللَّهِ بِهِۦ وَٱلْمُنْخَنِقَةُ وَٱلْمَوْقُوذَةُ وَٱلْمُتَرَدِّيَةُ وَٱلنَّطِيحَةُ وَمَآ أَكَلَ ٱلسَّبُعُ إِلَّا مَا ذَكَّيْتُمْ وَمَا ذُبِحَ عَلَى ٱلنُّصُبِ وَأَن تَسْتَقْسِمُوا۟ بِٱلْأَزْلَٰمِ﴾ الآية[8].

وأمثال ذلك كثير، وهو ما كان الصحابة يرجعون إليه في تفسير بعض معاني القرآن، وهو أمر ليس بالهين، فهو يقوم على كثير من التعقل والتدبر والفهم لكتاب الله، فحمل المطلق على المقيد، والعام على الخاص، أو المجمل على المبين من الأمور الشاقة التي لا يتمكن منها إلاَّ الراسخون في العلم.

---

(١) سورة المعارج: الآية ١٩.
(٢) سورة المعارج: الآية ٢١.
(٣) سورة الحاقة: الآيات ١ ـ ٢ ـ ٣.
(٤) سورة الحاقة: الآيات ١٣ ـ ١٤ ـ ١٥.
(٥) سورة القارعة: الآيات ١ ـ ٣.
(٦) سورة القارعة: الآية ٤.
(٧) سورة المائدة: الآية ١.
(٨) سورة المائدة: الآية ٣.

الطريق الثاني:

من الطرق التي كان الصحابة يعتمدون عليها في تفسير كتاب الله، هو رسول الله ﷺ فكان الواحد منهم إذا أشكل عليه شيء من كتاب الله رجع إلى رسول الله ﷺ ليوضحه له، فكان عليه الصلاة والسلام يبين ما خفي عليهم، لأن وظيفته البيان، كما قال تعالى في سورة النحل: ﴿وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ﴾[1].

وأخرج أبو داود والترمذي وابن ماجه عن المقدام بن معد يكرب عن رسول الله ﷺ أنه قال: (ألا إني أوتيت الكتاب ومثله معه، لا يوشك رجل شبعان على أريكته يقول عليكم بهذا القرآن، فما وجدتم فيه من حلال فأحلّوه، وما وجدتم فيه من حرام فحرموه)[2].

وبالرجوع لكتب السنّة نجد أنها أفردت أبواباً للتفسير، من ذلك ما رواه البخاري ومسلم عن ابن مسعود قال: «لما نزلت ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَلَمْ يَلْبِسُوٓا۟ إِيمَٰنَهُم بِظُلْمٍ أُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمُ ٱلْأَمْنُ وَهُم مُّهْتَدُونَ ﴿٨٢﴾﴾[3] شقّ ذلك على أصحاب رسول الله ﷺ وقالوا: «أينا لا يظلم نفسه»، فقال رسول الله ﷺ: (ليس هو كما تظنون، إنما هو كما قال لقمان لابنه: ﴿يَٰبُنَىَّ لَا تُشْرِكْ بِٱللَّهِ إِنَّ ٱلشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ﴾[4].

وسيأتي مزيد إيضاح لتفسير القرآن بالسنة أثناء الكلام عن منهج الشيخ في تفسيره.

---

(١) سورة النحل: الآية ٤٤.

(٢) أخرجه أبو داود في كتاب السنن، باب لزوم السنة، جـ: ٤، ص٢٠٠ ط دار إحياء التراث العربي بيروت لبنان، والترمذي في جامعه، أبواب العلم (باب ما نهي عنه أن يقال عند حديث رسول الله ﷺ، جـ: ٧، ٤٢٤، تحفة الأحوذي، وابن ماجه.

(٣) سورة الأنعام: جزء من آية الآية ٨٢.

(٤) سورة لقمان: الآية ١٣، والحديث في صحيح مسلم، جـ: ١، ٨٠، والبخاري، جـ: ٦، ٣٨٩، فتح الباري، وجـ: ٨، ٢٩٤ وجـ: ١٢، ٢٦٤، وجـ: ١، ٨٧.

الطريق الثالث:

من الطرق التي كان الصحابة يعتمدون عليها في تفسير كلام الله، الاجتهاد والاستنباط، وهم مختلفون في ذلك، فكانوا ـ رضي الله عنهم ـ متفاوتين في معرفتهم بتفسير القرآن، وقد برز منهم عبد الله بن عباس بسبب دعوة الرسول ﷺ له أن يفقهه الله في الدين ويعلمه التأويل، فكان ـ رضي الله عنه ـ آية من آيات الله في قوة الفهم وحسن الاستنباط من كتاب الله تعالى، ولهذا صح أن عمر ـ رضي الله عنه ـ كان يدخله مع كبار الصحابة في مجلسه، وذلك لعلمه وفهمه، وكان يقول: «إن له لساناً سؤولاً، وقلبا عقولاً».

واشتهر منهم ـ رضي الله عنهم ـ الخلفاء الراشدون الأربعة، وعبد الله بن مسعود، حكى ذلك شيخ الإسلام ابن تيمية في كتابه (مقدمة في أصول التفسير)[1].

الطريق الرابع:

من طرق تفسير الصحابة للقرآن لغة العرب التي نزل القرآن الكريم بها، فإذا لم يجدوا تفسيراً لكتاب الله من كتاب الله، ولا من سنّة رسول الله ﷺ، ولا من اجتهاد الصحابة وفهمهم، رجعوا إلى لغتهم، فقد كان ابن عباس يفسر كثيراً من القرآن بلغة العرب، وكان ـ رضي الله عنه ـ يقول: «ما كنت أعلم ما معنى فطر حتى جاء أعرابيان يتنازعان في بئر، فقال أحدهما: هي بئري، أنا فطرتها[2]، فعرفت حينئذ معنى فطر».

وهذا الطريق لا يختص به الصحابة ولا التابعون، بل كل من عرف أسرار العربية وتجرد عن الهوى، وكان ثقة في نفسه، وتجنب شواذ اللغة، وغرائب التفسير والتأويل المذموم، فإنه يجوز له تفسير كتاب الله بلغة العرب

---

(١) مقدمة في أصول التفسير، ٩٥، ٩٦.

(٢) ذكر ذلك عنه الطبري بسنده، انظر: ج: ٧، ١٥٩ تفسير الطبري، تفسير قوله تعالى: ﴿فاطر السماوات والأرض، وهو يطعم ولا يطعم، قل إني أمرت أن أكون أول من أسلم﴾ آية (١٤) من سورة الأنعام.

إذا لم يجد من كتاب الله ولا من السنة، ولا من أقوال الصحابة والتابعين لهم بإحسان.

الأسباب التي دعت لاختياري هذا الموضوع للبحث:

أولاً: قصدت من هذا البحث المزيد من التعرّف والاطلاع على جوانب مهمّة من المكتبة الإسلامية الزاخرة بنوادر الكتب، وبخاصة كتب الشيخ عبد الرحمٰن بن ناصر السعدي (موضع البحث)، وإبراز ما لهذا العالم الجليل من أثر في خدمة كتاب الله سبحانه وتعالى.

ثانياً دراسة شخصية مرموقة وداعية من دعاة الحق، ذلك هو الشيخ عبد الرحمٰن بن ناصر السعدي، ودراسة مؤلفاته في التفسير، وعلومه.

ثالثاً: دراسة تفسيره (تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان) دراسة علمية لمعرفة مدى ما أفرغ فيه مؤلّفه من جهد، وما أودع فيه من بيان لأسرار حكمة التشريع.

رابعاً: وضع لبنة صالحة في صرح المكتبات الإسلامية بتقديم هذا البحث المتواضع لتنتفع به الأجيال القادمة.

خامساً: اخترت الشيخ لأني أعجبت به منذ كنت طالباً في المرحلة الثانوية فقد أعجبني فيه أنه إذا طرق بحثاً أو عقد مناقشة أجاد في ذلك وأعجبني فيه أن طريقته في التفسير لا يخرج بها إلى حدّ الاستطراد، بل ينير الطريق لمن يريد فهم معاني القرآن بأسلوب سهل وممتع.

ومما قوى عزمي على ذلك أني وجدت الموضوع بكراً، لم يتناوله أحد ولم يكتب عنه باحث.

وأخيراً فإن هذا العالم الجليل وما له من آثار في خدمة كتاب الله يجهله الكثير من علماء المسلمين، لذا رغبت في دراسة آثاره لكتاب الله ونشر آرائه خدمة للعلم وطلابه، ورجاء المثوبة من الله سبحانه وتعالى.

خطة البحث

وبعد:

فلقد صحبت أبا عبد الله عبد الرحمٰن بن ناصر السعدي أكثر من سنتين حاولت خلالها أن أتعرّف على حياته ونشأته، والبيئة التي أحاطت به، كما حاولت الكشف عن منهجه في التفسير من خلال دراسة كتبه في التفسير، وعلومه، وكان من نتيجة هذه المصاحبة، وهذه الدراسة كتابة هذا البحث المتواضع الذي جاء في:

مقدمة، وبابين، وخاتمة.

* **فالمقدمة**: جاءت بثلاثة فصول:

الفصل الأول: عن حياة الشيخ الشخصية.

الفصل الثاني: خصصته لشيوخه وتلاميذه.

الفصل الثالث: آثاره ومؤلفاته.

* **أما الباب الأول**: فعن تفسيره ومنهجه فيه: وجاء بفصلين:

الفصل الأول: التعريف بتفسيره، وفيه مبحثان.

المبحث الأول: اسم تفسيره وطريقته فيه ومقصوده من التفسير.

المبحث الثاني: دراسة مقارنة لما رجحه من آراء.

أما الفصل الثاني: فقد كان عن منهجه في التفسير، وفي هذا الفصل خمسة مباحث:

المبحث الأول: المنهج العام.

المبحث الثاني: تفسيره للقرآن بالقرآن.

المبحث الثالث: تفسيره للقرآن بالسنة.

المبحث الرابع: منهجه في تفسير آيات الصفات.

المبحث الخامس: علوم القرآن في تفسيره.

* **والباب الثاني:** وهو الأخير، فقد خصصته للحديث عن كتب أخرى في التفسير وعلومه ألفها الشيخ ابن سعدي، وقد جاء في أربعة فصول:

الفصل الأول: دراسة لكتابه «القواعد الحسان لتفسير القرآن».

الفصل الثاني: دراسة لكتابه «تيسير اللطيف المنان في خلاصة تفسير القرآن».

الفصل الثالث: دراسة كتابه «المواهب الربانية من الآيات القرآنية».

الفصل الرابع: دراسة كتابه «فوائد مستنبطة من قصة يوسف عليه السلام».

* **أما الخاتمة:** فقد تضمنت ملخصاً للبحث، وأبرز النتائج التي تم التوصل إليها.

ثانياً: تمهيد:

ويشتمل على حياة الشيخ، وفيه ثلاثة فصول:

الفصل الأول
حياته الشخصية

متضمنة ما يلي:

أ ـ اسمه ـ نسبه كنيته:

١ ـ اسمه:

عبد الرحمٰن بن ناصر بن سعدي.

٢ ـ نسبه:

يتصل نسبه إلى بني عمرو أحد البطون الكبار من قبيلة بني تميم الشهيرة، ومساكن بعض بني عمرو بن تميم في بلدة قفار، إحدى القرى المجاورة لمدينة حائل عاصمة المقاطعة الشماليّة من بلدان نجد.

قدمت أسرة الشيخ عبد الرحمٰن بن ناصر بن عبد الله بن ناصر بن حمد آل سعدي من بلدة المستجدة، إحدى البلدان المجاورة لمدينة حائل إلى عنيزة حوالي عام ١١٢٠ هـ[1].

٣ ـ كنيته:

يكنى بأبي عبد الله، وعبد الله الذي يكنى به هو أكبر أولاده.

---

(١) علماء نجد خلال ستة قرون، للشيخ عبد الله بن عبد الرحمن بن صالح البسام، ج: ٢، ص: ٤٢٢.

ب ـ مولده، عائلته:

١ ـ مولده:

ولد الشيخ عبد الرحمٰن بن ناصر آل سعدي في عنيزة في اليوم الثاني عشر من شهر محرم عام ألف وثلاثمائة وسبع من الهجرة النبوية[١].

على أنه لم يختلف في عام ميلاده أحد ممن ترجم له، أما يوم ولادته فلم يشر إليه إلاَّ كتاب (سيرة العلامة الشيخ عبد الرحمٰن بن ناصر السعدي)، وتوفيت والدته وله من العمر أربع سنوات، كما توفي والده وله من العمر سبع سنوات.

٢ ـ عائلته:

١ـ **أبوه**: ناصر بن عبد الله بن ناصر بن حمد آل سعدي من نواصر بني تميم من بني عمرو، المنتمية إلى تميم، ولد في حدود سنة ١٢٤٣هـ في عنيزة، ونشأ صالحاً عابداً حافظاً للقرآن، محباً للعلم وأهله، وإن لم يبلغ درجة كبارهم، فصار هو قارئ الوعظ المعتاد بعد صلاة العصر وقبل صلاة العشاء على جماعة الجامع الكبير حين إمامة الشيخ علي آل محمد قاضي البلد، وصار الشيخ علي ينيبه في الإمامة وصلاة الجمعة والخطبة إذا طرأ له عذر، وبقي على هذه الحال مدة طويلة، وفي آخر حياته تولى إمامة مسجد المسوكف في عنيزة حتى توفي آخر عام ١٣١٣هـ[٢]، وقيل توفي في جمادى الآخرة سنة ١٣١٤هـ[٣].

٢ ـ **أمه**: أما أمه فهي من آل عثيمين، وآل عثيمين من آل مقبل من آل زاخر، البطن الثاني من الوهبة، نسبة إلى محمد بن علوي بن وهيب، ومحمد هذا هو الجد الجامع لبطون الوهبة جميعاً، وآل عثيمين كانوا في بلدة أشيقر الموطن الأول لجميع الوهبة، ونزحوا منها إلى شقراء، فجاء جد آل عثيمين الموجودين حالياً في عنيزة من شقراء إلى عنيزة، فطاب له سكناها وهو سليمان آل عثيمين، وهو جد المترجم له لأمه[٤].

---

(١) سيرة العلامة الشيخ عبد الرحمن بن ناصر بن سعدي، ص: ٩.

(٢) روضة الناظرين عن مآثر علماء نجد وحوادث السنين، ص: ٣٣٨، ط أولى، مطبعة الحلبي، سنة ١٤٠٠هـ.

(٣) علماء نجد خلال ستة قرون، جـ: ٢، ص: ٤٢٣.

(٤) المرجع السابق، جـ: ٢، ص: ٤٢٢.

٣ ـ **إخوته**: كان للشيخ عبد الرحمٰن بن ناصر السعدي أخوان هما:

١ ـ حمد: كان أكبر إخوانه، وكان هو الوصي على أخيه عبد الرحمٰن بعد وفاة والده، فقام برعايته خير قيام، وكان حمد رجلاً صالحاً، ومن حملة القرآن، ومن المتجردين للعبادة، يعمل بالتجارة في بلدة عنيزة[١]، توفي سنة ١٣٨٨هـ[٢].

٢ ـ سليمان: وهو أصغر أولاد ناصر بن سعدي، اشتغل بالتجارة في مدينة الخبر من المنطقة الشرقية، وتوفي عام ١٣٧٥هـ[٣]، وقد سكن الجبيل، ثم الدمام[٤].

جـ ـ الحالة السياسية لهذه الفترة:

إذا رجعنا إلى الوراء مائة عام تقريباً، نجد أنفسنا في العصر الذي ولد فيه فضيلة الشيخ عبد الرحمٰن بن ناصر السعدي، فإذا ما بحثنا في الحياة السياسية لذلك العصر بالذات، نجد أنه عصر يضطرم بنيران الاضطرابات والقلاقل والفتن، وتمزق شمل الجزيرة العربية، وانتشار الخوف والهلع في شتى الجهات. ففي عام ١٣٠٨هـ، والشيخ عبد الرحمٰن بن سعدي لم يتجاوز الثانية من عمره، نجد أن محمد بن رشيد[٥] حشد قواته من الحاضرة ومن بادية شمر وعرب حرب وبني عبد الله وغيرهم، فزحف بهم لقتال أهل القصيم، وأهل القصيم قد استعدوا لملاقاته فالتقى الفريقان في موضع يسمى بالمليداء[٦]،

---

(١) روضة الناظرين عن مآثر علماء نجد وحوادث السنين، جـ: ١، ص: ٢١٩.

(٢) علماء نجد خلال ستة قرون، جـ: ٢، ص: ٤٢٣.

(٣) روضة الناظرين، المرجع السابق، جـ: ٢، ص: ٣٣٨.

(٤) المرجع السابق، في نفس الجزء والصفحة.

(٥) أحد أمراء آل رشيد وعاصمة إمارتهم مدينة حائل وبادية شمر هم العرب المتنقلون في الصحراء من قبيلة شمر.

(٦) بفتح الميم وفتح اللام وإسكان المثناة التحتية فدال مهملة مفتوحة فألف ممدودة موضعة حدث فيها معركة بين محمد بن رشيد وبين أهل القصيم حيث قتل كثير منهم فكانت من المعارك التي يؤرخ بها وذلك في جمادى الآخرة سنة ١٣٠٨ والمليداء هي موقع مطار القصيم الآن. ا.هـ من المعجم الجغرافي للبلاد العربية السعودية القسم الثالث ص ١٤٢١ ط مطابع الأوفست الأهلية بالرياض.

فاقتتلوا قتالاً شديداً فكانت الهزيمة أولاً على ابن رشيد، حيث تظاهر أمامهم بالهزيمة والانكسار، حتى خرج أهل القصيم من مكامنهم ومعاقلهم، وتبعوا أثر المنهزمين، ولكن ابن رشيد أعاد الكرة عليهم، فانهزموا شر هزيمة، وقتل ابن رشيد معظمهم، واستولى على جميع أسلحتهم، وممن قتله ابن رشيد زامل العبد الله السليم أمير عنيزة وابنه عبد العزيز وأخوه علي، وأسر أمير بريدة حسن آل مهنا فمات في أسره في سجن حائل.

كان الإمام عبد الرحمٰن بن فيصل آل سعود قد خرج من الرياض لنجدة أهل القصيم، فلما علم بهزيمتهم قبل وصوله رجع إلى بادية العجمان، وأقام عندهم، فلما علم محمد بن رشيد أن عبد الرحمٰن بن فيصل قد أخلى الرياض وغادرها إلى بادية العجمان، أرسل حامية من قبله إلى الرياض فاحتلها، وأمر عليها محمد بن فيصل، فجمع عبد الرحمٰن جنداً من بادية العجمان وعاد بهم إلى الرياض، ولكن محمد بن فيصل صده عن دخولها، فذهب إلى حريملا بعدما انضم إليه نفر من أهل الرياض، وكان محمد بن رشيد لا يزال في القصيم، فحشد جنده، وسار بهم مسرعاً إلى حريملا حيث يعسكر عبد الرحمٰن بن فيصل، فهجم بغتة على عبد الرحمٰن ومن معه من العجمان وأهل الرياض، وقتل معظم رجاله، ففر عبد الرحمٰن منهزماً بمن سلم من جنده، ودخل الرياض ليلاً، وأخذ حرمه وعوائله، وذهب إلى جهة الأحساء عند البادية.

وكان في الإحساء المتصرف عاكف باشا، فأوعزت إليه الحكومة العثمانية أن يفاوض الأمير السعودي ـ عبد الرحمٰن بن فيصل ـ فبعث عاكف باشا الدكتور زخور عازار اللبناني الجنسية للمفاوضة، فكان أول اجتماع لهما على عين النجا قرب المبرز، ومما عرض الدكتور على الإمام عبد الرحمٰن ما يأتي:

١ ـ أن يكون الأمير على الرياض.

٢ ـ أن يكون تحت ولاية الحكومة العثمانية وحمايتها.

٣ ـ لا يتولى الإمارة إلا بعد اعترافه بسيادة الباب العالي.

٤ ـ إذا اعترف بسيادة الباب العالي، وجب عليه أن يدفع ستة آلاف ريال سنوياً إعلانا للخضوع والاعتراف.

٥ ـ تتعهد الدولة العثمانية بحمايته وإعطائه المال والسلاح، أو يكون الإمام عبد الرحمٰن قائم مقام لها في الأحساء.

ولكنه رفض هذه الشروط بإباء وشمم، إذ رأى من الهون الخضوع لتركيا، وأن يقبل المساعدة التي تقيده وتقيد بلاده فغادر الأحساء إلى الكويت، لكن حاكمها محمد الصباح لم يأذن له بالدخول، فتوجه إلى قطر، فسكنها شهرين، ثم إن أمير الكويت سمح له أن يقيم فيها، فأقام في الكويت أحد عشر عاماً ضيفاً عزيزاً معه عائلته، ومنهم ابنه عبد العزيز، وانتهى آل سعود من الحكم الذي خسروه، وصاروا مطاردين، تتقاذفهم الفلوات أو لاجئين في بلد غير بلدهم ينتظرون يوم العودة إلى الوطن، واستعادة الحكم، وإذا كانوا اختفوا من مسرح الحكم، فإنهم لم يختفوا من مسرح السياسة، لأن سمعتهم وذكرهم ومكانتهم تأبى إلاّ أن تجعلهم بارزين[1].

وفي عام ١٣١٥هـ توفي محمد بن رشيد الحاكم المطلق في نجد، وخلفه في الحكم ابن أخيه عبد العزيز بن متعب بن رشيد، وكان جباراً عتياً ظالماً مستبداً، لا يعرف غير إراقة الدماء، ومصادرة الأموال، والتدمير والبطش، ونكث العهود، فقد أرهق أهل نجد بالقتل والجور، وابتزاز الأموال وهتك الأعراض، فسئموا حكمه، وخضعوا له كرهاً لا حباً.

ففي عام ١٣١٨هـ بعد وقعة الصريف المشهورة التي حدثت بينه وبين ابن الصباح أمير الكويت، دخل بريدة، وصادر أموالاً من أهلها، ونقل أميره في الرياض وجعله في بريدة، وعين في الرياض عجلان بن محمد، وجعل فهيد السبهان أميراً على عنيزة.

أما هو: فقد ذهب لجهة العراق، ونزل الحفر، وشرع يفاوض الأتراك من أولياء الأمر في العراق، علّه يحصل على مساعدتهم في الاستيلاء على الكويت، فرأى عبد العزيز بن عبد الرحمٰن آل سعود أن الفرصة سنحت له لاحتلال الرياض، عاصمة آبائه وأجداده، لكون ابن رشيد بعيداً عنها، كما أن

---

(١) صقر الجزيرة، تأليف أحمد عبد الغفور عطار، جـ: ١، ص: ٢٠٩.

الشيخ مبارك الصباح أمير الكويت أراد أن يشغل عدوه عبد العزيز بن متعب بن رشيد عن مفاوضة الأتراك، فشرع يشجع عبد العزيز، ويبذل له المساعدة في سبيل هذا الغرض، فخرج عبد العزيز من الكويت، ومعه أربعون رجلاً لا غير، فقصد جهة الأحساء، فالتف حوله كثير من العجمان، وآل مرة، وسبيع، والسهول، فسار بهم إلى نجد، وشن الغارة على عرب قحطان الموالين لابن رشيد، واستمر يشن الغارة تلو الأخرى.

فلما رأى ابن رشيد وهو على الحفر انتصارات عبد العزيز على التابعين له، أرسل إلى شيخ قطر قاسم بن ثاني يستنهضه على هذا العدو الجديد وكتب إلى والي بغداد ومتصرف البصرة يطلب منهما أن يوعز لحكومة الأحساء بطرده من تلك الجهة، فلما علمت البادية التي كانت مع عبد العزيز بما عمله ابن رشيد، تفرقوا عنه وتركوه، ولم يبق معه غير الأربعين، الذين خرجوا معه من الكويت، فكتب له والده عبد الرحمن، والشيخ مبارك الصباح يأمرانه بالرجوع إلى الكويت، فأبى، وأصر على البقاء واسترداد ملك آبائه وأجداده، أو يموت دون ذلك، وعندما اشتد عليه ضغط حكومة الأحساء، نزح من تلك الجهة، وقصد يبرين، وصام فيها رمضان عام ١٣١٩هـ، وفي اليوم الخامس من شهر شوال وصل مدينة الرياض، ومعه الأربعون رجلاً الذين خرج بهم من الكويت، واستعاد عاصمة ملك آبائه وأجداده (الرياض) من عامل عبد العزيز بن متعب بن رشيد، بعد معركة داخل القصر، قتل فيها الأمير عجلان بن محمد، وبعد انتهاء المعركة بانتصار عبد العزيز خرج أهل الرياض من بيوتهم يرحبون بعبد العزيز ويتطوعون تحت لوائه، ويبذلون كل ما في وسعهم لمساعدته.

وبعد أن تم لعبد العزيز بن سعود الاستيلاء على الرياض، شرع في بناء سور المدينة المحيط بها، فقد سبق أن هدمه محمد بن رشيد سنة ١٣٠٨هـ، ثم بعد ذلك دارت بين ابن سعود وابن رشيد مناوشات في الجنوب والشمال، كان النصر فيها حليف ابن سعود، إذ دخلت أغلب مدن الجنوب، (الخرج ـ الدلم ـ الأفلاج ـ وادي الدواسر) في طاعة عبد العزيز بن سعود، ورتب في كل بلدة حامية، ثم اتجه إلى الوشم وسدير والمحمل، فدخلت أغلب مدنه في طاعة عبد العزيز بن سعود بعد مناوشات بينه وبين ابن رشيد.

ثم إن عبد العزيز بن سعود أراد أن يسترد القصيم، فكتب وهو على جلاجل (إحدى مدن سدير) إلى الشيخ مبارك الصباح يطلب منه أن يرسل إليه من كان عنده من أهل القصيم، وهم آل مهنا أمراء بريدة، وآل سليم أمراء عنيزة ومن تبعهم، ممن نزحوا عن القصيم حينما استولى عليها ابن رشيد، وطغى عليهم بالظلم والجور، فأرسلهم مبارك ومعهم مائتا مقاتل فأمر عبد العزيز آل سليم الذين معه في الهجوم على عنيزة، ليشغلوا عامل ابن رشيد فهيد السبهان، فهجموا وقتلوا فهيداً، ثم أمدهم عبد العزيز بسرية يقودها عبد الله بن جلوى، فلما علم جنود ابن رشيد بقدوم ابن جلوى سلمت المدينة في الحال لآل سليم.

وبعد استرداد عنيزة رحل عبد العزيز منها، بعد أن ثبت في أمارتها عبد العزيز العبد الله السليم، وقصد بريدة، فدخلها بدون مقاومة من أهلها أما حامية ابن رشيد فقد تحصنت في قصر بريدة، وظلت الحامية تقاوم عبد العزيز مدة ثلاثة أشهر، حتى نفذ ما لديهم من الزاد، فاضطروا إلى المفاوضة والتسليم، فأمنهم عبد العزيز على أرواحهم وسلاحهم، ثم رحلهم على رواحل من عنده، وكان ذلك عام ١٣٢١هـ.

أما ابن رشيد فقد جهز جنده، ونفرت قبائل شمر لنجدته، فزحف بهم قاصداً القصيم، وعند وصوله إلى بلدة قصيباء قابلته حاميته التي أخرجها عبد العزيز من بريدة، فأخبروه أن عبد العزيز استولى على بريدة، فتوقف في زحفه.

أما الحكومة التركية في العراق فقد أدركها الخوف من ابن سعود وامتداد نفوذه، خصوصاً بعد استرداده للقصيم، فأمدت ابن رشيد بأحد عشر طابوراً، وأحد عشر مدفعاً، وشيئاً كثيراً من المال والذخيرة والأسلحة، فالتقى جيش ابن رشيد المؤلف من العساكر التركية وبادية شمر، وحاضرة حائل، مع جيش عبد العزيز بن سعود في البكيرية، فكانت خسارة ابن رشيد كبيرة، إذ قتل كثير من عساكر الترك، منهم كثير من الضباط، وكان ذلك عام ١٣٢٢هـ، ورغم الخسائر التي لحقت بابن رشيد، فإنه ظل في مركزه ثابتاً في البكيرية.

في هذه الأثناء حصلت مناوشات بين جيش ابن رشيد وجيش ابن سعود في نهايتها، استعاد الملك عبد العزيز البكيرية.

فأقام ابن رشيد بجنوده في الشنانة، وعبد العزيز بن سعود في الرس، وبعد معارك كثيرة، ومناوشات آخرها معركة قصر بن عقيل، انهزم فيها ابن رشيد مع عساكر الترك وكان ذلك في نهاية شهر رجب عام ١٣٢٢هـ.

ثم إن ابن رشيد بعد هذه المعارك أرسل يستنجد الترك في العراق مرة ثانية، فأرسلوا خمسة طوابير وثمانية أطواب من العراق والمدينة بقيادة المشير أحمد فيضي، والفريق صدقي باشا، وعسكروا في الشيحية من أرض القصيم.

لم تكن الدولة العثمانية هذه المرة تريد الحرب مع عبد العزيز، ولكنها رغبت المفاوضة من أجل السلم، وأرسلت هذه القوة لتعزيز جانبها، فأرسلت إلى عبد العزيز ترغب المفاوضة، وتطلب مقابلة والده عبد الرحمٰن بن فيصل مع والي البصرة، وحددت المكان في بلد الزبير، فأجاب عبد العزيز الطلب وسافر عبد الرحمٰن من الرياض إلى الزبير، وبعد مقابلة والي البصرة، طلب الوالي من عبد الرحمٰن ما يلي:

١ ـ أن تكون منطقة القصيم على الحياد، أي منطقة مستقلة حاجزة بين ابن سعود وابن رشيد.

٢ ـ يكون للدولة العثمانية فيها مركزان عسكريان، أحدهما في بريدة، والثاني في عنيزة.

٣ ـ يكون في كل مركز مستشار من قبل الأتراك.

فلم يقبل عبد الرحمٰن هذا الطلب، ولكنه وعد بعرضه على أهل نجد، وعندما بلغ عبد العزيز رفضه رفضاً باتاً، ورفضه أهل القصيم أيضاً.

وصمم أهل القصيم على مقاومة الأتراك، فلما علم الأتراك بذلك، أرسلوا لعبد العزيز وطلبوا منه أن يرسل أباه عبد الرحمٰن للمفاوضة، ويوافيهم في عنيزة، فأجاب عبد العزيز، وجاء عبد الرحمٰن من الرياض، وقصد عنيزة، وجاء المشير أحمد فيضي، ودخل عنيزة، واجتمع بعبد الرحمن، وبعد المقابلة

طلب المشير أن يكون للدولة مركزان عسكريان أحدهما في بريدة، والثاني في عنيزة، وذلك بصفة مؤقتة، حتى تتم مفاوضات الصلح بين ابن رشيد وابن سعود، ولكن أهل القصيم بالإجماع رفضوا هذا الطلب إلاَّ صالح بن حسن المهنا وأتباعه من بني عمومته وهم أمراء بريدة.

وفي أثناء هذه المفاوضات التي جرت في عنيزة، سارت في أهل القصيم روح الفوضى والشقاق، لأن فريقاً يطلبون الاستقلال وحماية الدولة العثمانية لهم، وهم آل مهنا وأتباعهم وغالب أهل القصيم، ومنهم الرؤساء والأعيان مع ابن سعود والأقلية منهم مع ابن رشيد.

ثم حصلت مناوشات بين جيش ابن رشيد، وجيش ابن سعود، انتهت في معركة حامية بمكان يسمى روضة مهنا، انهزم فيها جيش ابن رشيد، وقتل فيها عبد العزيز بن رشيد، وكان ذلك في شهر صفر عام ١٣٢٤هـ.

وكانت الدولة العثمانية غير راضية عن صدقي باشا وعساكر الترك، حيث قام بمحاولة استمالة بعض البوادي، وبذل لهم المال، فأرسلت قائداً من جيشها يقال له سامي باشا الفاروقي، فأمرته بالتوجه من المدينة إلى حائل، فجاء هذا، واجتمع بأمير حائل متعب بن عبد العزيز الذي تولى الإمارة بعد مقتل أبيه، واتفق معه على أن تكون القصيم في حوزة الدولة، ثم جاء سامي إلى القصيم ليفاوض ابن سعود، فعزل هذا صدقي عن قيادة الجيش، وتولاها بنفسه، ثم أرسل لابن سعود يطلب مقابلته في البكيرية، فقبل عبد العزيز وتوجّه إلى البكيرية، وعند المقابلة قال سامي لابن سعود: «إن أهل القصيم يريدون أن تكون السيادة في بلادهم للدولة العليّة»، فقال عبد العزيز: «ليس لأهل القصيم رأي في الأمر، فهم من أتباعي»، فقال سامي: «التبعيّة تقتضي الحماية، وأنت لا تستطيع أن تحميهم، ولا ابن رشيد»، فاحتدم عبد العزيز بن سعود غيظاً، ثمّ تكلّم أحد زعماء أهل القصيم فقال: نحن أهل القصيم لا نرضى بابن سعود بديلاً[1].

(١) تاريخ ملوك آل سعود، تأليف سعود بن هذلول، ص: ٨١.

ثم دارت مفاوضات بين عبد العزيز وبين سامي، كان آخرها الاتفاق على ما يلي:

يقوم عبد العزيز بترحيل الجيش التركي المرسل من العراق إلى العراق، والمرسل من المدينة إلى المدينة، على أن يرسل جيش المدينة إلى المدينة، ويبقى جيش العراق عند ابن سعود حتى يصل جيش المدينة إليها، ثم بعد ذلك يقوم عبد العزيز بترحيل جيش العراق إلى العراق.

وبذلك استردّ عبد العزيز القصيم إلى ولايته.

هذا مجمل لأهم الأحداث السياسية في منطقة القصيم، عايشها الشيخ عبد الرحمٰن بن سعدي، في عصر طفولته، وبعضاً من عصر شبابه، وهي كما ترى حوادث مفزعة.

نشأة الشيخ عبد الرحمٰن بن سعدي:

في هذا العصر الذي حدثت فيه تلك المعارك المذهلة، نشأ الشيخ عبد الرحمٰن بن سعدي، ومن المعلوم أن عصرا هذه صفته لا يشجع على خوض معركة الدراسة، إنه عصر يبحث فيه كل إنسان عن أمنه وعن لقمته.

وإذا أدركنا هذه الحقيقة المرة، ندرك أية عبقرية كانت كامنة في جوانح الشيخ عبد الرحمٰن بن سعدي.

فلقد أجمع أمره، وعقد عزيمته على أن يقف حياته على طلب العلم وأن يعطي نفسه أمناً وطمأنينة وسكينة خاصة تصل برباطها الوثيق بينه وبين المهمة التي أزمع أن يقف حياته عليها.

فتراه إذ ذاك في واد، وأغلب ناشئة عصره من زملائه وأترابه في واد آخر.

إنه ارتضى العلم والمعرفة خدينا، ولم يرق في نظره - من رجال زمنه - سوى طبقة العلماء فلازمهم ملازمة الظل، وأكب على الاغتراف من معين

علمهم وفضلهم وأخلاقهم، فتغذى أطيب غذاء، وروي أكرم ري[1].

فقد ولد الشيخ كما سبق عام ١٣٠٧هـ، وتوفيت والدته وهو صغير له أربع سنين، وتوفي والده وله من العمر سبع سنوات، وهكذا أراد الله أن ينشأ يتيماً من الأب والأم.

وإذا كان الطفل الناشئ يتيماً ذا نفسية طموح، وعزيمة صادقة، ووفق الله له من فضله بيئة نبيلة مستقيمة الخلق، كريمة الآداب، فإن اليتم يصهره، ويجعل الله به منه رجلاً ألمعياً وعبقرياً مرموقاً، فما يتجه إليه من علم أم مال أو جاه يكون حينئذ منه على طرف التمام بمشيئة الله تعالى وقدرته.

وهكذا كانت حالة الشيخ عبد الرحمٰن.

نشأ يتيماً طموحاً إلى مراقي العلم في عصر يسوده الاضطراب والفوضى وانشغال الأذهان عن تحصيل الكمالات، فمضى في طريقه إلى الأمام[2].

بعد وفاة والدته كفلته زوجة أبيه وأحبته أكثر من أولادها، فصار عندها موضع الرعاية والعناية، فلما شب صار في بيت أخيه الأكبر حمد بن ناصر السعدي، فنشأ نشأة صالحة كريمة، وعرف من حداثته بالصلاح والتقى[3]، محافظاً على الصلوات الخمس مع الجماعة، حتى لقد حدث عنه عثمان بن صالح بن عثمان القاضي أنه خرج لصلاة الفجر صباح سطوة آل سليم، وله من العمر خمس عشرة سنة، والقصر فيه الرماة، والناس كلهم متحصنون في منازلهم خوفاً على أنفسهم، فقابله بعض الناس، فقال: إلى أين تريد؟ فقال: لصلاة الفجر، فضربه حتى ألجأه إلى الرجوع إلى منزله[4]، وأقبل على طلب العلم بجد ونشاط وهمة وعزيمة، فحفظ القرآن الكريم عن ظهر قلب، قبل أن

---

(١) سيرة العلامة الشيخ عبد الرحمن بن ناصر السعدي، ص: ٧، مطبعة السنة المحمدية، سنة ١٣٧٦هـ.

(٢) سيرة العلامة الشيخ عبد الرحمن بن ناصر السعدي، ص: ٩.

(٣) علماء نجد خلال ستة قرون، ج: ٢، ص: ٤٢٣.

(٤) روضة الناظرين، ج: ١، ص: ٢١٩.

يتجاوز الثانية عشرة من عمره، واشتغل بالعلم على علماء بلده، ومن يرد إلى بلده من العلماء، وانقطع للعلم وجعل كل أوقاته مشغولة في تحصيله حفظاً وفهماً ودراسة ومراجعة واستذكاراً، حتى أدرك في صباه ما لا يدركه غيره في زمن طويل[1].

توليه المناصب:

لقد عرض على الشيخ عام ١٣٦٠هـ قضاء بلدة عنيزة، ولكن لزهده وورعه أبى قيود هذه الوظيفة، ليبقى عزيز النفس، كريماً، ومع زهده في الوظائف الرسمية، فقد كان محباً للخير، مخالطاً للناس، وله مشاركة فعالة في نشر الثقافة في بلدة عنيزة، علاوة على مجالسه العلمية، وله أعمال خيرية.

أعماله الخيرية:

أولاً: قام بتأسيس المكتبة الوطنية بعنيزة، وذلك عام ١٣٥٩هـ، أو عام ١٣٦٠هـ، على نفقة الوزير عبد الله السليمان الحمدان، تحت إشراف الشيخ، فجد الشيخ واجتهد في تأسيسها وتأمين المراجع العلمية لها، حيث جلب لها آلاف الكتب في شتى الفنون من مطبوع ومخطوط، فأصبحت هذه المكتبة بمثابة ناد ثقافي، وخصص الشيخ فيها مجلساً، يقرأ عليه الطلبة فيها، وتعتبر هذه المكتبة من طلائع المكتبات في العهد السعودي، لا سيما في نجد.

ثانياً: في عام ١٣٦١هـ في شهر رمضان، عينه قاضي عنيزة آنذاك (عبد الرحمٰن بن علي بن عودان) إماماً وخطيباً لجامع عنيزة الكبير، وقد حمد الأهالي هذه الخطوة من القاضي، وعدوها حسنة من حسناته، أحبه الناس عليها، وحفظوها له، فقد كان هذا المسجد بمثابة ناد من أندية العلم، تشد إليه الرحال من كل صوب، فمكث الشيخ إماماً لهذا المسجد حتى توفاه الله.

ثالثاً: في عام ١٣٦٣هـ قام رحمه الله بدعوة للمحسنين لجمع التبرعات لعمارة مقدم الجامع الكبير بعنيزة، فلبى المحسنون، وأهل الخير دعوته،

---

(١) علماء نجد خلال ستة قرون، جـ: ٢، ص: ٤٢٣.

وجمع مبلغاً من المال مكنه من عمارة مقدم المسجد، فأتم ذلك ببناء محكم مع توسعة المسجد.

رابعاً: وفي عام ١٣٧٣هـ جدد رحمه الله الدعوة مرة ثانية لإكمال المسجد وذلك ببناء مؤخرته، فانهالت عليه التبرعات من محبي الخير، حتى أتم بناء مؤخرة المسجد على خير ما يرام، كل ذلك بمساعيه الحميدة.

أخلاقه ومناقبه:

عاش الشيخ عبد الرحمٰن بن سعدي حياة الزهد والورع والتواضع والأمانة، ومن أمانته أنه كان جريئاً في قول الحق، لا يخشى في الله لومة لائم، لا يضيق بنصح ناصح، ولا يبخل بتعليم جاهل، وقد حباه الله تعالى سرعة في البديهة، وشدة في الحفظ، وتوقداً في الذكاء، فمن شدة حفظه «أنه كان يحفظ كثيراً من المتون العلمية، وإذا استشهد بها رأيته يهذها هذا»[١].

كما وهبه الله ملكة فريدة في الإلقاء، جذبت إليه الناس من كل مكان، إذ كانوا يتوافدون إليه، «فقد كان له ـ رحمه الله ـ صوت حسن رخيم، حتى أن سامعه[٢] يود أن لا يسكت لفصاحته وجزالة لفظه، وتوسعه في سياق الأدلة والقصص[٣]، أضف إلى هذا كله أنه كان وثيق الصلة حسن المعاشرة مع إخوانه في الله، مشايخاً وأقراناً وطلاباً، وسوف أفصل ما أجملته على النحو التالي:

أولاً: زهده:

يقول ـ رحمه الله ـ في وصف منازل السائرين إلى الله، وذلك في منظومته التي نظمها في السير إلى الله والدار الآخرة:

عزفوا القلوب عن الشواغل كلها قد فرغوها من سوى الرحمٰن

---

(١) روضة الناظرين عن مآثر علماء نجد وحوادث السنين، ج: ١، ص: ٢٢٠.
(٢) المصدر السابق، نفس الجزء والصفحة.
(٣) سيرة العلامة الشيخ عبد الرحمن الناصر السعدي، ص: ٢١.

حركاتهم وهمومهم وعزومهم لله لا للخلق والشيطان[1]

ثم يوضح معنى هذين البيتين بقوله: «أي فرغوا قلوبهم عن جميع ما يشغلهم عن الله ويبعد عن رضاه.

وهذا حقيقة الزهد، ولا يكفي هذا التفريغ حتى يمتلئ القلب من الأفكار النافعة، والعزوم الصادقة، فتكون أفكار العبد في كل ما يقرب إلى الرحمن من: تصور علم وتدبر قرآن وذكر الله بحضور قلب، وتفكر في عبادة وإحسان، وخوفاً من زلة وعصيان، أو تأمل لصفات الرحمن، وتنزيهه عن جميع العيوب والنقصان، أو تفكر في القبر وأحواله، أو يوم القيامة وأهواله، أو في الجنة ونعيمها، والنار وجحيمها، فأفكارهم حائمة حول هذه الأمور، متنزهة عن دنيات الأمور، والتفكر بما لا يجدي على صاحبه إلاَّ الهم والوبال وتضييع الوقت، وتشتيت البال، غير نافع للعبد في الحال والمال[2].

ويقول عنه الشيخ محمد بن عثمان بن صالح القاضي (فكانت الكتابة سهلة عليه في قلم أو عود عصفر أو غيرهما، مما جعل شيخه محمد الشنقيطي يقول ما وصفته في مخطوطاته إلاَّ على الزهاد في الدنيا، يأخذ ما عفي له بدون تكلف[3].

ويقول عنه مؤلف سيرة العلامة عبد الرحمٰن الناصر السعدي (ومن الجدير بالذكر أنه كان زاهداً معرضاً عن مفاتن الدنيا، ومباهج الحياة وزخارفها، وكان منقطعاً للعبادة والعلم، لا يشارك الناس فيما يهتمون به من المناصب والجاه والنفوذ، وناهيك أنه عرض عليه القضاء مراراً عديدة، فأبى أن يدخل الميدان، ومع هذا فكان الناس يرضونه حكماً، ويتقبلون فتاواه، ويطمئنون إلى ما يقوم به من إصلاح ذات البين عن طيب خاطر)[4].

---

(١) مجموع تأليف عبد الرحمن بن سعدي، نشر المؤسسة السعيدية بالرياض، ص: ١٤٦، مطابع الدجوى.

(٢) المصدر السابق، نفس الصفحة.

(٣) روضة الناظرين عن مآثر علماء نجد وحوادث السنين، ص: ٢٢٤، ج: ١ ط الحلبي، عام ١٤٠٠هـ.

(٤) سيرة العلامة الشيخ عبد الرحمن الناصر السعدي، ص: ١٢، مطبعة السنة المحمدية.

ويقول عنه الشيخ عبد الرحمٰن بن حمد الفوزان (وكان مثال الورع والزهد الصحيح، فقد أتته الدنيا تطلب وده، ضاحكة مبتسمة، لكنه رفضها وأباها، وكم من مرة عرضت عليه المناصب الرفيعة والأعمال الغالية، فأصبحت محاولاتها عبثاً ولم يرض أن تفرض له المرتبات، ولا أن يجري عليه المخصصات، بل كان قانعاً بما عنده من كفاف، حتى أن مخصص الجامع الكبير الذي تولى الصلاة فيه سنين عديدة كان ينفقها في المصالح الخيرية، وعلى الفقراء والمعوزين)[1].

تدل هذه النصوص التي سقتها على مدى تقشف الشيخ عبد الرحمٰن بن سعدى، وزهده في الدنيا رغم كثرة تلاميذه، وعلو مكانته، وإقبال الناس عليه، وعرض المناصب عليه مراراً، ومع ذلك فقد آثر الكفاف.

عبد الرحمٰن بن ناصر السعدي الذي أصبح مرجعاً للتدريس، ومرجعاً للفتوى في بلده، وما حولها، من القرى، منذ عام ١٣٥١هـ حتى توفاه الله ـ رحمه الله ـ رفض الدنيا وأباها، فقد ترفع عن كل عطاء، ومفهوم الزهد عنده ـ رحمه الله ـ يختلف عن مفهوم كثير من الناس، حيث قال ـ رحمه الله ـ فيما تقدم من توضيحه للبيتين اللذين بدئ بهما الحديث عن زهده (أي فرغوا قلوبهم عن جميع ما يشغل عن الله ويبعد عن رضاه، وهذا حقيقة الزهد».

ثانياً: ورعه:

قال ـ رحمه الله ـ عند شرحه لحديث الرسول ﷺ: (ولا ورع كالكف)[2] فهذا حد جامع للورع بيَّن به رسول الله ﷺ، أن الورع الحقيقي هو الذي يكف نفسه وقلبه ولسانه وجميع جوارحه عن الأمور المحرمة الضارة، فكل ما قاله أهل العلم في تفسير الورع، فإنه يرجع إلى هذا التفسير الواضح الجامع، فمن حفظ قلبه عن الشكوك والشبهات وعن الشهوات المحرمة والغل والحقد، وعن

---

(١) سيرة العلامة عبد الرحمن السعدي، المرجع السابق، ص: ١٢.

(٢) هذه قطعة من حديث أخرجه البيهقي في شعب الإيمان عن أبي ذر الغفاري ـ رضي الله عنه ـ.

سائر مساوئ الأخلاق وحفظ لسانه عن الغيبة والنميمة والكذب والشتم، وعن كل إثم وأذى وكلام محرم، وحفظ فرجه وبصره عن الحرام، وحفظ بطنه عن أكل الحرام وجوارحه عن كسب الآثام، فهذا هو الورع حقيقة[1].

ويوضح النص السابق أن الشيخ عبد الرحمٰن بن سعدي ـ رحمه الله ـ يرى أن الورع هو كف النفس والقلب واللسان وجميع الجوارح عن كل شيء محرم سواء كان قولاً أم فعلاً أم اعتقاداً أم سلوكاً، كما تشير النصوص التي وردت في زهده أنه عرض عليه القضاء مراراً إلاَّ أنه رفض، وهذه خلة الصالحين ودأبهم، فقد كان الصالحون ومنهم ابن سعدي يتهربون منه تورعاً وخشية الوقوع في خطأ لا يسلمون منه يوم القيامة، ويقول ـ رحمه الله ـ (واعلم أن القناعة باليسير والاقتصاد في أمر المعيشة مطلوب من كل أحد، لا سيما المشتغلون بالعلم، فإنه كالمتعين عليهم، لأن العلم وظيفة العمر كله، أو معظمه، فمتى زاحمته الأشغال الدنيوية والضروريات حصل النقص بحسب ذلك، والاقتصاد والقناعة من أكبر العوامل لحصر الأشغال الدنيوية، وإقبال المتعلم على ما هو بصدده)[2]، فهذا النص عن الشيخ يوضح رأيه في طالب العلم، حيث يقول: إن القناعة باليسير، والاقتصاد في أمر المعيشة مطلوب ومتعين على طالب العلم، ولذلك شهد له تلاميذه بالورع.

يقول عنه الشيخ صالح بن عبد العزيز العثيمين: «لقد كان الفقيد الشيخ عبد الرحمٰن بن ناصر السعدي ـ ذا عبادة وزهد وورع»[3]، ويقول الشيخ عبد الرحمٰن بن حمد الفوزان: «وكان مثال الورع والزهد الصحيح»[4].

---

(١) بهجة قلوب الأبرار، وقرة عيون الأخيار في شرح جوامع الأخبار، للشيخ عبد الرحمن بن سعدي، ص: ١٧٦، الطبعة الأولى، سنة ١٣٧٢هـ، مطبعة السنة المحمدية.

(٢) الفتاوى السعدية، جـ: ١، مطبعة دار الحياة، دمشق، عام ١٣٨٨، طبعة أولى، ص: ٦٣٢.

(٣) سيرة علامة القصيم عبد الرحمن بن ناصر السعدي، ص: ٢٨.

(٤) المرجع السابق، ص: ٣٠.

ثالثاً: تواضعه:

لقد اشتهر الشيخ عبد الرحمٰن بن سعدي ـ رحمه الله ـ بتواضعه الكبير فرغم علو منزلته، وتصدره التدريس والإفتاء في بلده قرابة الخمسين عاماً فإنه كان متواضعاً دأب الصالحين الذين لا يزيدهم علمهم إلاَّ تواضعاً لله ولعباده، (فكان جم التواضع للصغير والكبير، وللغني والفقير على السواء، ويكثر الاجتماع مع العامة والخاصة في أنديتهم، وفي مجتمعاتهم وإذا اجتمع بهؤلاء أو أولئك انقلب المجلس إلى ناد علمي، فمع طلبة العلم يبحث في شؤون العلم، ومع العامة يرشدهم إلى ما فيه نفعهم في دينهم ودنياهم، وقد تستوقفه الأرملة والعجوز، والطفل الصغير، فيقضي لهم حاجتهم، ولهذه الميزة التي تدل على تفتح الوعي، واستنارة البصيرة، وسعة الأفق، تجد كل من يحضر مجالسه يستفيد منها علماً جماً، وفوائد جزيلة، وكان يتكلم مع كل إنسان بما يصلح له، ويصلحه ويبحث معه في الموضوعات التي تهمه)[1].

ومفهوم التكبر عند الشيخ عبد الرحمٰن بن سعدي أن يرى المرء في نفسه خيراً أكثر مما في غيره، وأن لا يرجع إلى قول الحق إذا صدر ممن هو أدنى منه وهذا المعنى دقيق غاب عن كثير من الناس الذين يخلطون بين العزة والتكبر، والذلة والتواضع، فالعزة لله مطلوبة، والتكبر مرفوض، كما أن التواضع والرجوع للحق مطلوب، والذل لغير الله مرفوض، وبينهما معنى دقيق لا يدركه إلا المتبصرون الصالحون.

وقد أدرك هذا المعنى ابن سعدي، إذ قال: (فعلى المعلم إذا أخطأ أن يرجع إلى الحق، ولا يمنعه قول قاله، ثم رأى الصواب في خلافه من مراجعة الحق والرجوع إليه، فإن هذا علامة الإنصاف والتواضع للحق فالواجب اتباع الصواب، سواء جاء على يد الصغير أو الكبير، ومن نعمة الله على المعلم أن يجد من تلاميذه من ينبهه على خطئه ويرشده إلى الصواب، ليزول استمراره على جهله، فهذا يحتاج إلى شكر لله تعالى ثم إلى شكر من أجرى الله الهدى على يديه متعلماً كان أو غيره)[2].

---

(١) سيرة علامة القصيم عبد الرحمن بن ناصر السعدي، ص: ١١.

(٢) الفتاوي السعدي، ص: ٦٢٨، ج: ١، ط دار الحياة، دمشق، عام ١٣٨٨هـ.

رابعاً: جرأته في الحق:

سيرة الصالحين من السلف أنهم كانوا لا يضنون بنصيحة للمسلمين، ولا يترددون للسلطان على حسابهم، بل كانوا في أغلب الأحيان أقوياء في الحق مع الأمراء وذوي الجاه والسلطان، يشتدون عليهم في النصح لتأثيرهم على المسلمين بحكم سلطتهم.

فمن جرأة ابن سعدي وأمانته أنه كان لا يحابي أهل البدع والأهواء وذوي الأفكار المنحرفة، فقد ألف كتاباً أسماه الأدلة القواطع والبراهين في إبطال أصول الملحدين حيث نازل ـ رحمه الله ـ في هذا الكتاب جميع طوائف الملحدين وتحداهم وأبطل أصولهم، كما ألف كتاباً في الرد على عبد الله القصيمي في أغلاله أسماه تنزيه الدين وحملته ورجاله مما افتراه القصيمي في أغلاله فبين في هذا الكتاب ما ذهب إليه هذا الرجل من اعتقاد فاسد، ومدح لأعداء الله، وسب لهذا الدين وحملته.

ويتحدث عن جرأته الشيخ محمد حامد الفقي رئيس أنصار السنة المحمدية فيقول: (عرفت أخي الشيخ عبد الرحمٰن أسبغ الله عليه سوابغ مغفرته ورحمته أنه اكتسب عزة النفس وكرامتها التي سمت به أن يأكل لقمة العيش من الدين وباسم الدين، وإنما كان يأكلها من كده وكسبه الطيب، بالكدح لها من أسبابها الأخرى، عرفت أنه اكتسب هذه العزة والكرامة من يوم أن حطم أغلال التقاليد، واستنار قلبه بنور العلم الصحيح من كتاب الله وهدى رسوله ﷺ، ومن ثم عاف الوظائف وأبى قيودها، ليبقى عزيز النفس كريماً يصدع بكلمة الحق، ويقولها للناس ابتغاء وجه ربه، فهي أنجح وأربح، وهي أقوى وأسعد، وهي كذلك الحياة الطيبة التي اختارها الله تعالى لرسله، ولمن اصطفى من أتباعهم الذين يحرصون على سلوك سبيلهم على بصيرة وهدى من الله)[1].

خامساً: حدة ذكائه وحفظه:

من الثابت أن عبد الرحمٰن بن سعدي ـ رحمه الله ـ قد قرأ القرآن في

---

(١) سيرة العلامة الشيخ عبد الرحمن الناصر السعدي، ص: ٤.

صغره، إذ قرأه بعد وفاة والده مباشرة، وحفظه عن ظهر قلب، وأتقنه وعمره إحدى عشر سنة، وكان شديد الحفظ، يقول عنه مؤلف روضة الناظرين عن مآثر علماء نجد وحوادث السنين: (وكان يحفظ كثيراً من المتون العلمية وإذا استشهد بها رأيته يهذها هذا، لأنه كان يتعاهدها دائماً)[1].

ويقول عنه في موضع آخر: (وعنده قوة ذاكرة وحفظ وجواب حاضر يندهش منه سامعه)[2].

من هذين النصين يتبين أن الشيخ عبد الرحمٰن بن سعدي كان يتمتع بشدة الحفظ والذكاء وهما صفتان مهمتان في الطالب للعلم، وهكذا كان السلف الصالح.

سادساً: سمو أخلاقه ولين جانبه وإنصافه لمخالفيه:

من سمو أخلاقه صحبته للآخرين، مع اختلاف منازلهم فقد كان باراً بالجميع، هيناً ليناً هاشاً، ولم يمنعه خلافه مع البعض أن يحسن إليهم ويدعوهم بالحكمة والموعظة الحسنة إلى الحق، كما أنه كان يعطيهم حقهم، ويعترف بفضلهم.

يقول ـ رحمه الله ـ في كتابه (تنزيه الدين وحملته ورجاله مما افتراه القصيمي في أغلاله) ونحن لا ننكر ما في كلامه وكتابه من المعاني الصحيحة المطروقة التي لم يزل أهل العلم يقولونها، ويبدونها من الحث على تعلم العلوم وفنون الصنائع النافعة، وما فيه من ذم الجهل وآثاره الضارة، وما فيه من تأخر المسلمين في الفنون العصرية، وما فيه من وصف تفوق غيرهم في فنون المادة)[3].

ويقول ـ رحمه الله ـ في المصدر السابق: (وكان هذا الرجل ـ يعني عبد الله بن علي القصيمي ـ قبل كتابته وإظهاره لهذا الكتاب معروفاً بالعلم

---

(١) روضة الناظرين عن مآثر علماء نجد وحوادث السنين، ص: ٢٢٠.

(٢) المصدر السابق، ص: ٢٢٤.

(٣) تنزيه الدين وحملته، ص: ٤ و٥، مطبعة دار إحياء الكتب العربية، عام ١٣٦٦هـ.

والانحياز لمذهب السلف الصالح، وكانت تصانيفه السابقة مشحونة بنصر الحق، والرد على المبتدعين والملحدين، فصار له بذلك عند الناس مقام وسمعة حسنة)[1].

ومما يدل على لين جانبه ـ رحمه الله ـ ما أورده الشيخ محمد بن عثمان بن صالح بن عثمان القاضي في كتابه «روضة الناظرين عن مآثر علماء نجد وحوادث السنين» قال: (وكان رحمه الله ذا دعابة يتحبب إلى الخلق بحسن خلقه، مرحاً للجليس، لا يرى الغضب في وجهه، طلق الوجه، كرم المحيا، وكان داعية خير ورشد، يحب أهل الخير، ويتودد إلى الخلق، ويزجي الضعيف، ويحرص على إصلاح ذات البين)[2].

ومن حسن خلقه أنه كان باراً بأقرانه لا ينافسهم على الجاه والسمعة ولا يزاحمهم ولا يذكرهم إلاَّ بخير، وهذه خلة لا يلقاها إلاَّ الذين صبروا وما يلقاها إلاَّ ذو حظ عظيم.

فلعل هذه السيرة الحميدة جعلته موضع احترام الجميع، ولم يذكر أن كان له عدو أو خصم، أو منافس، وهذا فضل الله يؤتيه من يشاء.

سابعاً: حسن منطقه:

من مناقب الشيخ عبد الرحمٰن بن سعدي أن الله سبحانه وتعالى وهبه صوتاً حسناً رخيماً، لا يملّه سامعه، كما وهبه الله ملكة في الأداء جذبت إليه الناس، وقد وفقه الله لحسن المنطق في الكلام، مما جعل الناس يتأثرون بما يسمعون، ولا يسأمون من حضور حلقاته العلمية، ينساب حديثه العذب إلى النفوس فيجذبها إليه جذباً قوياً، فكان دائماً يقرأ للتلاميذ في القرآن الكريم، ويفسره ارتجالاً، ويستطرد ويبين من معاني القرآن وفوائده، فيستنبط منه الفوائد البديعة والمعاني الجليلة حتى أن سامعه يود أن لا يسكت لفصاحته وجزالة لفظه وتوسعه في سياق الأدلة والقصص.

---

(١) المرجع السابق، ص: ٣.

(٢) روضة الناظرين، ص: ٢٢٣ ـ ٢٢٤، ج: ١، مطبعة الحلبي، سنة ١٤٠٠هـ.

ولئن قررت النظريات التربوية أن المعلم الناجح هو الذي يتفاعل بدرسه عند إلقائه، حيث يظهر أثر ذلك عليه، ليكون سبباً من أسباب إقبال الطلاب عليه والتأثير عليهم، فهكذا كان شأن ابن سعدي في حلقات العلم، إذ يتفاعل ـ رحمه الله ـ عند الأداء بحيث لا يخرج به عن الوقار المطلوب، ولا يذهب بقدسية المعنى.

ثامناً: ثروته ومورد رزقه:

نشأ الشيخ عبد الرحمٰن بن ناصر بن سعدي أول ما نشأ في أسرة فقيرة إذ كان والده فقيراً، وبعد وفاة والده وذلك بعد بلوغ الشيخ السابعة من عمره، كان والده قد أوصى بكفالته لأخيه الأكبر حمد بن ناصر السعدي فقام برعايته وتربيته خير قيام، وكان يتعامل بالتجارة، فكان يكفي أخيه مؤونة العيش، ويدفعه إلى حلقات العلم، إذ كان حمد هذا رجلاً صالحاً، ومن حفاظ كتاب الله، إلاَّ أن علامات الزهد والتقشف بدت في حياة الشيخ عبد الرحمٰن بن ناصر السعدي، بمجرد انتظامه في حلقات العلم، إذ لم يفكر في عرض من أعراض الدنيا، ومن المعروف قديماً وحديثاً أن الميسورين من أهل الفضل كانوا ينفقون على طلبة العلم، ويرصدون بعض الجوائز في المناسبات تشجيعاً لهم على العلم، لا سيما وشيخنا كان له أخ لأمه صاحب ثروة، سكن الهند للتجارة، ثم انتقل إلى الكويت، ذلكم هو حمد ابن عبد الله القاضي، وكان يرسل لأخيه الشيخ عبد الرحمٰن الأموال لتوزيعها على الفقراء وطلبة العلم، فلعله كان يخص أخاه الشيخ بشيء من ذلك ثم لما كبر أولاده لا سيما ابنه الأكبر عبد الله، اشتغل بالتجارة، فأغناه الله، فكان يغدق على أبيه مما هيأ للشيخ جواً صالحاً للعلم والتعليم، مع ذلك كان الشيخ ـ رحمه الله ـ يميل في طعامه ولباسه إلى التقشف زاهداً معرضاً عن مفاتن الدنيا، متفرغاً للعلم، طلباً وتدريساً، حتى أن المخصصات التي كان يتقاضاها لقاء قيامه بإمامة الجامع يرصدها جوائز لطلابه.

تاسعاً: مرضه ووفاته:

أصيب الشيخ عبد الرحمٰن بن سعدي ـ رحمه الله ـ في آخر حياته بمرض

(ضغط الدم) من كثرة أعماله وفكره وقريحته في العلوم، من كتابة وتدريس وتصنيف ونحو ذلك، فقد ظل الفقيد حليف علم وتعليم وعبادة وإصلاح واهتمام بأمور المسلمين طيلة حياته، ومن كان في مثل اهتمامه بأمور المسلمين وانصرافه عن الاهتمام بأمور نفسه وصحته لا بد أن تناله عاديات الأمراض، فإن قوى الجسم محدودة، بينما قوى الروح ممدودة غير محدودة الطاقة الجسمانية التي تؤول بعد عصر الكهولة إلى ضعف عام.

فكان من آثار انهماكه في العلم والتدريس أن أصيب قبل وفاته بخمس سنوات تقريباً بمرض مفاجئ ببلدة عنيزة، ذلك المرض هو (ضغط الدم) فأمر جلالة الملك سعود ـ رحمه الله ـ بإسعافه، وأرسل له طائرة خاصة نقلته إلى بيروت، فعولج بها، وبقي هناك قرابة الشهرين حتى شفاه الله، وكان ذلك عام ١٣٧٣هـ، وبعد رجوعه لعنيزة استأنف أعماله فيها من فتوى وتصنيف وتدريس وخطابة وغيرها، رغم نهي الأطباء له عن ذلك وتقريرهم أنه مما يحرك عليه هذا المرض، وكانت نوبة ضغط الدم تعاوده كل سنة، فلما كان في شهر جمادى الآخرة سنة ١٣٧٦هـ أحس بالنوبة، وكان معها مثل البرد والضعف.

وفي ليلة الأربعاء من الشهر المذكور بعد أن فرغ من صلاة العشاء إماماً في مسجد الجامع في عنيزة، وبعد إملائه الدرس المعتاد على جماعة المسجد أحس بثقل وضعف حركة، فأشار إلى أحد تلاميذه بأن يمسك يده ويذهب به إلى بيته، ففعل، فلم يصل البيت إلاَّ وقد أغمي عليه، وبعد ذلك أفاق وحمد الله وأثنى عليه، وتكلم مع أهله، ومن حضرهم بكلام حسن طيب به قلوبهم، وقال لهم: إني طيب فلا تنزعجوا من أجلي، ثم سكت وعاد إليه الإغماء، فلم يتكلم بعدها حتى توفاه الله.

وفي صباح الأربعاء ٢٢ من الشهر نفسه دعوا له الطبيب فقرر أن فيه نزيفاً في المخ خطراً إن لم يتدارك، فأبرقوا لسمو ولي العهد فيصل بن عبد العزيز، فأصدر أمره مستعجلاً بإسعافه بكل ما يلزم، فأقلعت الطائرة من مطار الرياض إلى عنيزة، وفيها طبيب خاص بالمخ لإسعافه بما يحتاجه، ولكن القضاء قد سبق وحم القدر، إذ كان الجو ملبداً بالسحب والغيوم، وفيه مطر

كثير قد تتابع على أغلب بلدان نجد استمر قرابة أربعين يوماً، لم تر فيه الشمس، فلم يساعد الجو على هبوط الطائرة، فرجعت من حيث أتت ثم رجعت من الغد صباح الخميس لمحاولة الهبوط فتلقت المكالمة وهي في الجو بوفاته، فرجعت، فكانت وفاته ـ رحمه الله ـ قبيل فجر يوم الخميس الموافق ٢٣ من جمادى الآخرة عام ١٣٧٦هـ عن تسع وستين سنة، قضاها في العلم تعلماً وتعليماً وإفتاءً وتأليفاً، وقد أخرت الصلاة عليه إلى صلاة الظهر لعل أحد أبنائه يدركه، فلم يتمكن منهم أحد نظراً لبعد المسافة بين مواطنهم وبين عنيزة، لا سيما في تلك الأيام التي استمر فيها المطر مدة طويلة، وصلى عليه خليفته عبد العزيز بن محمد البسام في الجامع الكبير في حشد عظيم، لم تشهد عنيزة له مثيلاً من قبل، حيث اجتمع أهلها قاطبة مع أهل القرى والمدن المجاورة للصلاة عليه، وشيع جثمانه إلى مقابر الشهوانية شمالي عنيزة، ودفن هناك، وصلى عليه صلاة الغائب في جوامع نجد.

وبموت الشيخ عبد الرحمٰن الناصر السعدي، فقد المسلمون علماً من أعلام الإسلام، وأحس أهل عنيزة بفراغ واسع بفقده، وحتى الآن، وذكره على الألسن، ومحبته في القلوب، وأحاديثه وإرشاداته وفتاويه هي حديث المجالس وأنس المحافل، وتناقل أهل العلم بوفاته التعازي والمراثي، من هذه المراثي قصيدة للدكتور عبد الله الصالح العثيمين المدرس بجامعة الملك سعود، نختار منها هذه الأبيات:

مهج تذوب وأنفس تتحسر ... ولظى على كل القلوب تسعر
الحزن أضرم في الجوانح والأسى ... يصلى المشاعر باللهيب ويصهر
ماذا أقول عن المصاب ومهجتي ... ألما تغص وعبرتي تتكسر
ماذا أقول عن المصاب وأنني ... عما أحاول عاجز ومقصر
كيف التحدث عن مصاب فادح ... أكبادنا من هوله تتفطر
كل امرئ فينا يذوب تعاسة ... والبؤس في دمه يفور ويزفر
الشيخ يندب بائساً متحسراً ... والطفل يبكي نائماً يتعبر
لم لا وقد فقدوا أبا ومهذبا ... ورعا بأنواع المفاخر يذكر
لما بدا للحاضرين كيانه ... والنعش يزهو بالفقيد ويفخر

هلعت لمنظره النفوس كآبة وبدا على كل الوجوه تحسر[1]

وهي طويلة تبلغ قرابة ثلاثين بيتاً اخترنا منها هذه الأبيات.

وممن رثاه الشيخ صالح بن عبد العزيز العثيمين الموظف سابقاً بوزارة الحج والأوقاف والمشرف على عمارة الحرم، وقد أحيل على التقاعد، ومطلع مرثيته:

رزء عظيم أثار الحزن والأسفا فالدمع فيه على الخدين قد وكفا
رزء أصيب به الإسلام قاطبة كادت تفتت أكباد ما اكتنفا
في كل وقت ترى الأخيار قد ذهبت لا خير في العيش لي حتى وإن عطفا
حبر فحبر نظم سلكه قطعت إذا تبين بدر قيل قد كسفا[2]

وهي تبلغ العشرين بيتاً، انتقينا منها هذه الأبيات.

---

(١) هذه الأبيات منقولة من كتاب علماء نجد خلال ستة قرون، جـ: ٢، ص: ٤٣٠، الطبعة الأولى، سنة ١٣٩٨هـ.

(٢) روضة الناظرين عن مآثر علماء نجد وحوادث السنين، جـ: ١، ص: ٢٢ مطبعة الحلبي، سنة ١٤٠٠هـ.

الفصل الثاني
حياته العلميّة

١ ـ حفظه للقرآن الكريم:

طلب الشيخ عبد الرحمٰن بن ناصر السعدي العلم وهو صغير فقد قرأ القرآن بعد وفاة والده رحمه الله، قرأه على سليمان بن دامغ في مدرسته بأم خمار، ثم حفظه عن ظهر قلب وأتقنه وهو يافع لم يتجاوز الثانية عشرة من عمره.

٢ ـ بداية تلقيه العلم:

لما أتم الشيخ عبد الرحمٰن بن سعدي حفظه للقرآن الكريم عن ظهر قلب، كان الله قد هيأ له من فضله بيئة نبيلة مستقيمة الخلق، كريمة الآداب، هذه البيئة هي بيت أخيه الأكبر حمد، فقد وجهه لطلب العلم، والحرص على تحصيله، وكان الشيخ قد استرعى الأنظار منذ حداثة سنه، بفطنته وذكائه ورغبته الشديدة في تحصيل العلوم، فجد واجتهد في طلب العلم منذ صغره، وسهر الليالي، وواصل الأيام ومضى في طريقه قدماً لا يلوي على شيء غير العلم، ولا يريد شيئاً غير تحصيل العلم، حتى نال الحظ الأوفر من كل علم من العلوم الشرعية والعلوم التي تخدمها، وأصبح من أئمة العلم والدين.

ولا شك أن ما وصل إليه ابن سعدي بفضل الله، ثم بكثرة الملازمة وبالجدية في التلقي، وبالاجتهاد في طلب العلم، يتلقاه ليل نهار.

ذكر الشيخ محمد بن عثمان بن صالح القاضي قال: (كان مشايخه ـ يعني

الشيخ ابن سعدي ـ كلهم معجبين بفرط ذكائه ونبله واستقامته وكان يحضر هو وأبي عثمان ومحمد العبد الله المانع فيراجعون دروسهم على مشايخهم في كل مساء وفي كل ليلة، حتى يذهب معظم الليل ويقول والدي إن فائدتنا فيما بيننا من المناقشة والبحث، تعادل أو تقارب الفائدة على مشايخنا، ويقول شيخنا عبد الرحمٰن بن سعدي: زاملت والدكم أربعين سنة ليلي ونهاري، فكان نعم الزميل لزميله)[1].

٣ ـ أول جلوسه للتدريس:

سبق وأن ألمحنا في نشأة الشيخ أنه انقطع للعلم، وجعل كل أوقاته مشغولاً في تحصيله حفظاً وفهماً ودارسة ومراجعة واستذكاراً حتى أدرك في صغره ما لا يدركه غيره في زمن طويل.

فلما رأى زملاؤه في الدراسة تفوقه عليهم ونبوغه، تتلمذوا عليه وصاروا يأخذون عنه العلم وهو في سن البلوغ، فصار في هذا الشباب المبكر متعلماً ومعلماً (ولما بلغ الثالثة والعشرين من عمره جلس في حلقة التدريس ليعطي الدروس للطلاب، وقد مضى وهو في هذا السن في طريقين متوازيين، فهو يدرس العلوم ويتلقاها من العلماء، وهو في الوقت نفسه يدرس العلوم لطلابها الناشئة والشباب، إنه يتلقى نوراً ويلقى أنوار في بلده من النور الذي يتلقاه.

وقد بلغ الذروة في علوم الحديث والفقه والتفسير، حتى إنه منذ أن بلغ الثالثة والأربعين من عمره، أي في عام ١٣٥٠هـ صار مرجع التدريس والإفتاء في بلده، وما حولها، وذلك بعد وفاة شيخه صالح بن عثمان القاضي)[2].

بل نستطيع القول بأنه (صار مرجع بلاده وعمدتهم في جميع أحوالهم وشؤونهم، فهو مُدرس الطلاب وواعظ العامة، وإمام الجامع وخطيبه، ومفتي

---

(١) روضة الناظرين عن مآثر علماء نجد وحوادث السنين، جـ: ١، ص: ٢٢ مطبعة الحلبي، سنة ١٤٤٠ط أولى.

(٢) سيرة العلامة الشيخ عبد الرحمن الناصر السعدي، ص: ١٠.

البلاد، وكاتب الوثائق، ومحرر الأوقاف والوصايا وعاقد الأنكحة، ومستشارهم في كل ما يهمهم)[1].

٤ ـ طريقته في التعليم:

(كان رحمه الله حسن التعليم، فكانت طريقته مثلى، يجمع الطلبة كلهم على كتابين، وبعد انتهاء القراءة والشرح يطلب من ثلاثة من الطلبة إعادة ما يستحضرونه من التقرير، ليختبر قوة حفظهم وفهمهم، ويمنح الجوائز على حفظ المتون وقوة الفهم، والجواب على أسئلته التي يطرحها عليهم، ويناقشهم بعد مضي يوم عما سبق شرحه، فهذه الطريقة تدفع الطلبة على الاهتمام بما يلقيه شيوخهم عليهم، وكان رحمه الله يتعمد أحياناً حين طرحه الأسئلة على طلبته تغليط نفسه أمام الحلقة، ليرى من هو حاضر الذهن، لتقريره ممن هو شارد الذهن، ولمعرفة الطالب النجيب الفطن من ضده)[2].

(ويعقد المناظرات بين طلابه المحصلين لشحذ أفكارهم وصقل أذهانهم، وتدريب ألسنتهم، وتعويدهم إقامة الحجة والبرهان ويتشاور معهم في اختيار الأنفع من كتب الدراسة، ويرجح ما تختاره الأكثرية منهم، أما إذا تساووا فيكون هو الحكم)[3].

٥ ـ نظرته للعلم:

أسهب الشيخ عبد الرحمٰن بن ناصر السعدي في الحديث عن العلم وفضله، وأثره على النفس والمجتمع، وما يجب أن يكون عليه حامله من ورع وتقى، نقل ذلك في كثير من كتبه المتداولة، يقول ـ رحمه الله ـ عن آثار العلم: (لولا العلم لكان الناس كالبهائم في ظلمات الجهالة، ولولا العلم لما عرفت المقاصد والوسائل، ولولا العلم ما عرفت البراهين على المطالب كلها ولا الدلائل، العلم هو النور في الظلمات، وهو الدليل في المتاهات

---

(١) علماء نجد خلال ستة قرون، جـ: ٢، ص: ٤٢٤.

(٢) روضة الناظرين عن مآثر علماء نجد وحوادث السنين، جـ: ١، ص: ٢٢٤.

(٣) سيرة العلامة الشيخ عبد الرحمن بن ناصر السعدي، ص: ١٢.

والشبهات، وهو المميز بين الحقائق، وهو الهادي لأكمل الطرائق، بالعلم يرفع الله العبد درجات، وبالجهل يهوي إلى أسفل الدركات)[1].

ويقول رحمه الله: (قد تواترت النصوص من الكتاب والسنة على فضل العلم وشرفه، وفضل أهله، وأن كل شيء يفتقر إليه، وأن الناس كلهم في الظلمات إلا من استنار بنور العلم، وجعل الله طريق الجنة والصراط المستقيم مركباً من العلوم النافعة، ومن الأعمال الصالحة، العلم خير من المال، العلم يحرسك وأنت تحرس المال، العلم يصحبك في دُوْرِكَ الثلاث في الدنيا وفي البرزخ ويوم يقوم الأشهاد)[2].

نظرته إلى العلماء:

يقول: ـ رحمه الله ـ عن احترام العالم من قبل المتعلم (فهو الولد الحقيقي للعلم الوارث له، قال تعالى: ﴿فَهَبْ لِي مِن لَّدُنكَ وَلِيًّا يَرِثُنِي وَيَرِثُ مِنْ ءَالِ يَعْقُوبَ﴾[3]، والمراد وراثة العلم والحكمة، فالمعلم مأجور على نفس تعليمه، سواء أفهم المتعلم أو لم يفهم، فإذا فهم ما علمه وانتفع به لنفسه ونفع غيره كان أجراً جارياً للمعلم، ما دام ذلك النفع متسلسلاً متصلاً.

وهذه تجارة بمثلها يتنافس المتنافسون، فعلى المعلم أن يسعى سعياً شديداً في إيجاد هذه التجارة وتنميتها، فهي من عمله)[4].

ويقول عن واجب المعلمين: (ومن أعظم ما يجب على المعلمين أن يقولو 'ما لا يعلمونه الله أعلم، وليس هذا بناقص لأقدارهم بل هذا مما يزيد قدرهم، ويستدل به على كمال دينهم، وتحريهم للصواب)[5].

---

(١) الرياض الناضرة والحدائق النيرة الزاهرة، ص: ٧٣، الطبعة الثالثة مكتبة المعارف بالرياض، ١٤٠٠هـ.
(٢) الرياض الناضرة والحدائق النيرة الزاهرة، ص ٩٦.
(٣) سورة مريم: الآية ٦.
(٤) الفتاوى السعدية، ص: ٦٢٩، طبعة أولى، مطبعة دار الحياة، دمشق، عام ١٣٨٨هـ.
(٥) الفتاوى السعدية، ص: ٦٢٨.

ويقول محذراً التعصب للآراء والمذاهب: (فالحذر الحذر من التعصب للأقوال والقائلين، وهو أن يجعل التصد من المناظرة والمباحثة نصر القول الذي قاله أو قاله من يعظمه، فإن التعصب مذهب للإخلاص مزيل لبهجة العلم، معم للحقائق، فاتح باب الحقد والخصام الضار، كما أن الإنصاف هو زينة العلم، وعنوان الإخلاص والنصح والفلاح)[1].

ويقول محذراً من طلب العلم للأغراض الفاسدة (ثم الحذر الحذر من طلب العلم للأغراض الفاسدة، والمقاصد السيئة من المباهاة والمماراة والرياء والسمعة، وأن يجعله وسيلة للأمور الدنيوية والرياسة، فليست هذه حال أهل العلم الذين هم أهله في الحقيقة ومن طلب العلم أو استعمله في أغراضه السيئة فليس له في الآخرة من خلاق)[2].

ويقول ـ رحمه الله ـ عن القناعة في طلب الدنيا من العالم: (واعلم أن القناعة باليسير والاقتصاد في أمر المعيشة مطلوب من كل أحد، لا سيما المشتغلون بالعلم، فإنه كالمتعين عليهم لأن العلم وظيفة العمر كله أو معظمه، فمتى زاحمته الأشغال الدنيوية والضروريات، حصل النقص بحسب ذلك، والاقتصاد والقناعة من أكبر العوامل لحصر الأشغال الدنيوية، وإقبال المتعلم على ما هو بصدده)[3].

٧ ـ مذهبه في الفقه:

كان الشيخ عبد الرحمٰن بن سعدي ذا معرفة تامة في الفقه أصولاً وفروعاً، وفي أول أمره كان متمسكاً بمذهب الإمام أحمد ـ رحمه الله ـ، وكان له الاطلاع الواسع على مؤلفات شيوخ الفقه الحنبلي، وكان ذا إدراك باهر واطلاع واسع المدى على كتب الخلاف في هذا المذهب، وقد حفظ بعض المتون فيه، وله مؤلف قديم في الفقه نظمه على تفعيلة بحر الرجز، يقع في

---

(١) الفتاوى السعدية، ص: ٦٢٩.
(٢) المصدر السابق، ص: ٦٢٩.
(٣) المصدر السابق، ص: ٦٣٢.

نحو أربعمائة بيت، ولكنه لم يظهره لأنه خالفه في بعض المواضع فيما بعد)[1].

وما إن تقدمت به الدراسة شوطاً، حتى تفتحت أمامه آفاق العلم، فخرج عن مألوف بلده من الاهتمام بالفقه الحنبلي إلى الاطلاع على كتب التفسير والحديث والتوحيد، التي فتقت ذهنه، ووسعت مداركه، فخرج من طور التقليد إلى طور الاجتهاد المقيد، فصار يرجح من الأقوال ما رجحه الدليل، وصدقه التعليل[2].

فقد ألف كتاب المختارات الجلية من المسائل الفقهية، ذكر فيه بعضاً من مسائل الفقه التي توافق الدليل، وإن خالفت مذهب الحنابلة،رتب هذه المختارات على أبواب الفقه، وذكر في كل باب المسائل التي يختارها موافقة للدليل من أمثلة ذلك، قوله ـ رحمه الله ـ في باب الآنية والاستنجاء والسواك (والصحيح أنه لا يكره استقبال النيرين وقت قضاء الحاجة، والتعليل الذي ذكروه وهو: لما فيهما من نور الله تعالى منقوض بسائر الكواكب، وعلة غير معتبرة، وقول النبي ﷺ «إذا أتيتم الغائط فلا تستقبلوا القبلة بغائط ولا بول، ولكن شرقوا أو غربوا»)[3].

صريح في عدم الكراهة، لأنه نهاهم عن استقبال القبلة واستدبارها، ولم ينههم عن استقبال غيرها من الجهات، ولأن قوله (شرقوا أو غربوا) عام في كل وقت، وإذا شرق وقت طلوعهما استقبلهما وإذا غرب عند ميلانهما للغروب استقبلهما، فدل ذلك على أنه لا بأس بذلك، والله أعلم)[4].

بعد هذه المرحلة، كاتب الشيخ علماء الأمصار ومفكري الآفاق في جديد المسائل وعويصات الأمور، حتى صار لديه جرأة وجسارة على محاولة تطبيق

---

(١) سيرة العلامة الشيخ عبد الرحمن الناصر السعدي، ص: ١٠ بتصرف.

(٢) تراجم علماء نجد خلال ستة قرون: جـ: ٢، ص: ٤٢٤.

(٣) الحديث متفق عليه من رواية أبي أيوب الأنصاري، صحيح البخاري، جـ: ١، ص: ٦٦، ومسلم، جـ: ١، ص: ٢٢٤.

(٤) المختارات الجلية، ص: ١١، مطابع الدجوي، من منشورات المؤسسة السعيدية.

بعض النصوص الكريمة على بعض مخترعات هذا العصر وحوادثه[1].

يقول ـ رحمه الله ـ (المسألة التاسعة والعشرون في الكهرباء ونتائجها): قال الله تعالى: ﴿سَنُرِيهِمْ ءَايَٰتِنَا فِى ٱلْءَافَاقِ وَفِىٓ أَنفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ ٱلْحَقُّ﴾ [فصلت: ٥٣]، وقال تعالى: ﴿عَلَّمَ ٱلْإِنسَٰنَ مَا لَمْ يَعْلَمْ ۝٥﴾ [العلق: ٥].

لم تزل حقيقة الكهرباء ونتائجها الباهرة وأعمالها العجيبة في طي الخفاء والكتمان، ولم يصل إليها في غابر الأزمان علم أي إنسان حتى ترقّت معارف الناس وعلومهم الطبيعية، فوصلوا إلى هذا الأمر العظيم، والكنز الثمين، وهو استخراج الكهرباء من المواد الأرضية والمائية والنارية وغيرها من المواد المتنوعة، فحققوا علمها، وفرعوا نتائجها، واخترعوا فروعها بعدما أتقنوا أصولها، فأوجدوا بها المخترعات الباهرة والصنائع الفائقة، وأوصلوا بها الأنوار والأصوات من المحال المتباعدة، والأقطار الشاسعة في أسرع من لمح البصر وكم ولدوا بها من أمور تبهر عقول العالمين، وما زالوا ولا يزالون في ترقية مخترعاتها وتفريعها.

أفليس الذي علم الإنسان الذي كان ناقصاً في علمه، ناقصاً في إرادته وقدرته وعمله، أليس الذي علمه هذه الأمور التي لم تخطر ببال أحد من البشر بقادر على أن يحيي الموتى، وأن يجمع الخلائق كلهم بنفخة واحدة؟ ﴿مَّا خَلْقُكُمْ وَلَا بَعْثُكُمْ إِلَّا كَنَفْسٍ وَٰحِدَةٍ﴾[2].

لم تزل كتب الله المنزلة على رسله، ولم تزل الرسل الكرام تقرر أمور الغيب والمعاد بأنواع البراهين والأدلة التي تجعلها من الأمور التي لا تقبل الشك، وأعداؤهم المكذبون برسالاتهم ليس عندهم ما يرد هذه الأمور العظيمة، إلاَّ مجرد استبعادات استبعدوها بعقولهم القاصرة وآرائهم الكاسدة، يقولون: كما أن هذه الأمور متعذرة على قدر المخلوقين فكذلك هي متعذرة على الخالق، هذا حاصل ما ردوا به ما جاءت به الرسل، ولم تزل هذه

---

(١) علماء نجد خلال ستة قرون، ص: ٤٢٤، جـ: ٢.

(٢) سورة لقمان: الآية ٦٨.

الطائفة الخبيثة في نمو وازدياد حتى طمّ بحرهم في هذه الأوقات الأخيرة، وانسلخوا عن أديان الرسل من جميع أمور الغيب بهذه الشبهة الباطلة، إلى أن قال: أليس الذي أقدر الآدمي على هذه الأمور الباهرة مع أن قدرتهم وقدرة سائر الخلق ليس لها نسبة أصلاً، إلى قدرة الخلاق العليم، بقادر على أن يحيي الموتى، وبجمع قاصيهم ودانيهم ويلمّ ما تفرق من أجزائهم وما تلاشى من أوصالهم في أسرع من لمح البصر.

وذلك دليل على أن الله بكل شيء عليم، وعلى كل شيء قدير، أليس التنادي الذي ذكره القرآن بين أهل الجنة وأهل النار مع البعد العظيم، كان في ذلك الوقت يراه المنكرون محالاً ممتنعاً فجاءهم ما لا قبل لهم بدفعه.

أليس إخبار النبي ﷺ بإسرائه إلى بيت المقدس ومعراجه ما فوق السموات، صار محل فتنة واستبعاد للمنكرين من أن آيات الرسل قد تقرر عند الخلق خرقها للعوائد، فهؤلاء ورثة أولئك، فلينكروا نقل الأصوات والأنوار وغيرها من الأقطار الشاسعة.

فلو أخبرهم الرسول ﷺ في ذاك الوقت أن الناس سيطيرون في الهواء، ويتخاطبون في مشارق الأرض ومغاربها وغيرها، مما ظهر وسيظهر، فهل تظنهم ألا يزدادوا له تكذيباً وبه سخرية.

ولهذا من حكمة الله أن الله لم يصرح بذكر هذه الأمور، لأن الناس مولعون بعدم التصديق بما لم يروه، أو يروا نظيره، فلم يصرح بذكره رحمة بالعباد، ولكنه ذكر في غير آية من كتابه ما يدل على ذلك، بحيث إذا وقعت هذه الأمور فهم الناس دلالته عليها، كالمؤمن يستفيد غاية الفائدة إذا نظر للمخترعات الحاضرة بنور إيمانه، ودلالتها على المطالب العالية، ولا شك أن فائدة المؤمن من معرفتها أعظم من فائدة من اخترعوها، فلم ينتفعوا بها في أمر دينهم، ولا في أمر دنياهم، وإنما كانت وبالاً عليهم، فنسأل الله أن لا يزيغ قلوبنا، وأن يهدينا إلى الصراط المستقيم، وصلى الله على محمد وسلم[1].

---

(١) الفتاوى السعدية، ص: ٨٢ ـ ٨٦، ط مطبعة دار الحياة، دمشق، عام ١٣٨٨هـ، وانظر المختارات الجلية، ص: ٢١٠.

٨ ـ رده على مخالفيه:

لما بلغ الشيخ ـ رحمه الله ـ أشده، ونضج علمه، ورسخ قدمه، شرع في التأليف، ورد على الملاحدة والزنادقة والمخالفين، وبين محاسن الإسلام، كل ذلك في كتب ورسائل، ففي عام ست وستين وثلاثمائة وألف، ألّف رسالة أسماها (تنزيه الدين وحملته ورجاله مما افتراه القصيمي في أغلاله، طبعت في مطبعة دار إحياء الكتب العربية، على نفقة وجيه الحجاز الشيخ محمد أفندي نصيف عام ١٣٦٦هـ ألف هذه الرسالة في الرد على كتاب صنفه عبد الله بن علي القصيمي سماه هذه هي الأغلال).

قال الشيخ ـ رحمه الله ـ في رسالته بعد الديباجة: (أما بعد... فإني قد وقفت على كتاب صنفه عبد الله بن علي القصيمي سماه هذه هي الأغلال، فإذا هو محتو على نبذ الدين والدعاية إلى نبذه والانحلال عنه، من كل وجه، وكان هذا الرجل قبل كتابته وإظهاره لهذا الكتاب معروفاً بالعلم والانحياز لمذهب السلف الصالح، وكانت تصانيفه السابقة مشحونة بنصر الحق، والرد على المبتدعين والملحدين، فصار له بذلك عند الناس مقام وسمعة حسنة، فلم يلبث الناس في هذا العام حتى فاجأهم بما في هذا الكتاب الذي نسخ به وأبطل جميع ما كتبه عن الدين سابقاً، وبعدما كان في كتبه السابقة معدوداً من أنصار الحق، انقلب في كتابه هذا من أعظم المنابذين له، فاستغرب الناس منه هذه المفاجأة الغريبة، لسوابقه، ولسنا بصدد التعرض للأسباب التي دعته لكتابة هذا الكتاب، وكثير من الناس يظنون به الظنون التي تدل عليها القرائن، وليست بعيدة عن الصواب، لظن بعضهم أنه ارتشى من بعض جهات الدعاية الأجنبية اللا دينية، ولكن لما كتب هذا الكتاب وطبعه ونشره بين الناس، وجعله دعاية بليغة لنبذ دين الإسلام، بله غيرة من الديانات والمبادئ الخلقية، فكان هذا أكبر عداء ومهاجمة للدين، وجب على كل من عنده علم أن يبين ما يحتوي عليه كتابه من العظائم خشية اغترار من ليس له بصيرة بكلامه، حين كان معروفاً قبل ذلك من علماء المسلمين، ولم يدر ما طرأ عليه من الانقلاب)[1].

---

(١) ص: ٣ ـ ٤ من رسالته تنزيه الدين وحملته، ط دار إحياء الكتب العربية عام ١٣٦٦هـ.

وفي عام ألف وثلاثمائة واثنتين وسبعين للهجرة (١٣٧٢هـ) ألف كتاباً آخر اسمه (الأدلة القواطع والبراهين في إبطال أصول الملحدين) نازل فيه جميع طوائف الملحدين، وتحداهم، وأبطل أصولهم، وفند مآخذهم، وهدم قواعدهم، وزلزل بنيانهم، وبين مخالفتهم للعقل والفطرة والحكمة، كما خالفوا جميع الأديان الصحيحة وتكلم معهم بكل طريقة، فتارة يصور مقالاتهم تصوراً واضحاً واقعياً، يعرف به كل عاقل بطلان أقوالهم، بمجرد تصويرها على وجهها، وتارة يبطل الأصول التي بنوا عليها إلحادهم بالبراهين اليقينية ويبين أنها أصول في غاية الضعف والانهيار، وتارة يذكر ما يقابلها من الحق وأصوله، وبراهين الصدق واليقين التي يعرف بها أن ما سواها باطل وضلال، وتارة يذكر تمويهات الملحدين وما زخرفوه من الألفاظ الخادعة لنصر باطلهم وترويجه بين ضعفاء البصائر أتباع كل ناعق، وتارة يشير إلى المسالك التي سلكها من خادع أو انخدع من المنافقين والملبسين)[1].

٩ ـ مصادر علمه:

لمعرفة مصادر العلوم التي نهل منها ابن سعدي، لا بد من الوقوف أولاً على طريقة التعليم المتبعة في عهده.

كان التعليم وقتئذ يخضع لنظام الحلقات، وهو أن يجلس الشيخ المقصود للتعليم في المسجد أو البيت، ويتحلق حوله الطلاب وبعد أن يتم الطالب حفظ القرآن الكريم على الأغلب، يلتحق بهذه الحلقات على اختلاف موادها حسب رغبته، لكل مادة، فهناك حلقات لتعليم الفقه، وأخرى للأصول، وثالثة للتفسير، ورابعة القراءات، وخامسة لعلوم القرآن، وسادسة للحديث رواية، وسابعة للحديث الشريف دراية، وثامنة للنحو، وتاسعة للبلاغة، وعاشرة للفرائض، وهلم جرا.

ومن المعروف في كل متصدر للعلم أن يكون على الغالب التحق بكل هذه الحلقات، ليكون ضليعاً في شتى الفنون، خاصة وأنها بمجموعها تعتبر وحدة موضوعية ألا وهي العلوم الإسلامية.

---

(١) الأدلة القواطع والبراهين في إبطال أصول الملحدين، ص: ٨٧.

فالشيخ عبد الرحمٰن بن سعدي كان قد التحق بهذه الحلقات التي تعتبر مصدر علمه، وتتلمذ على عدد من المشايخ، كما سيأتي ذكرهم، وتفوق في كثير من العلوم، وعلى الأخص في علم التفسير، وجالس أهل العلم، وأخذ عنهم مختلف الفنون، حتى أصبح موسوعة علمية لمختلف المعارف الإسلامية.

١٠ ـ شيوخه:

أخذ الشيخ عبد الرحمٰن بن سعدي العلم عن جملة من أفاضل علماء عصره، وخصوصاً علماء بلده ومن وفد إليها من علماء الأمصار، وحيث إن الشيخ لم يقدر له مغادرة بلده التي ولد ومات فيها، فإن شيوخه الذين أخذ عنهم العلم منحصرون في علماء بلده ومن وفد إليها.

ومن أشهر شيوخه:

١ ـ الشيخ إبراهيم بن حمد بن جاسر: وكان هذا الشيخ الجليل أول من قرأ عليه الشيخ بن سعدي، وكان ابن سعدي يصف شيخه بالحفظ العظيم للحديث النبوي الشريف، ويتحدث كثيراً عما وهبه الله من الورع والصلاح والتقوى والحدب على الفقراء، ومواساة البؤساء، فكثيراً ما كان يقصده الفقير البائس في اليوم الشاتي، فيخلع عليه أحد ثوبيه، هذا مع شدة حاجته إليه وقلة ذات يده.

قرأ عليه الشيخ ابن سعدي في علم الحديث والمصطلح والأصول والفروع والتفسير.

تولى الشيخ إبراهيم بن جاسر قضاء عنيزة من عام ١٣١٨هـ إلى عام ١٣٢٣هـ، ثم قضاء بريدة من عام ١٣٢٤هـ إلى عام ١٣٢٦هـ ثم سافر للعراق، فجلس في الزبير حتى خرج إلى نجد عام ١٣٢٩هـ برفقة بعض أعيان آل بسام، وجلس في بريدة للتدريس، فأصيب بمرض، فسافر للعلاج، فأدركته منيته في الكويت عام ١٣٣٨هـ[1].

---

(١) استقيت هذه الترجمة من علماء نجد خلال ستة قرون، جـ: ١، ص١٠٢.

٢ ـ الشيخ صالح بن عثمان القاضي: قاضي عنيزة في وقته، درس عليه التوحيد، والتفسير والفقه أصولاً وفروعاً، وعلوم العربية من نحو وصرف ومعان وبيان وبديع، وكان هذا الشيخ أكثر من قرأ عليه من مشايخه وأشهرهم وأطولهم ملازمة له وقد اشتهر هذا الشيخ بالنباهة والمقدرة على تحليل سلوك الناس إلى جانب الجرأة في قول الحق والحكم به مما أثر في حياة تلميذه، فقد لازمه ملازمة تامة، حتى توفاه الله ـ رحمه الله ـ عام ١٣٥١هـ[١].

٣ ـ الشيخ محمد بن عبد الكريم الشبل: درس عليه الفقه، وعلوم العربية وغيرها، واستفاد منه كثيراً، ولد هذا الشيخ في عنيزة عام ١٢٥٧هـ، وتعلم فيها مبادئ القراءة والكتابة، ثم سافر إلى مكة المكرمة وأخذ على علمائها كما سافر إلى مصر والشام والعراق والكويت، والحرمين الشريفين، واجتمع بعلماء هذه الأمصار، وأخذ عنهم، وأجازوه وأثنوا عليه، وتوفي في عنيزة عام ١٣٤٣هـ[٢].

٤ ـ الشيخ عبد الله بن عائض: وهو من أول مشايخ عبد الرحمٰن بن سعدي الذين تلقى عنهم العلم، فقد درس عليه علوم العربية، ولد الشيخ عبد الله بن عائض في مدينة عنيزة عام ١٢٤٩هـ فتعلم مبادئ القراءة والكتابة في بلده، ثم رحل إلى مكة المكرمة لطلب العلم، فقرأ على علمائها مع اشتغاله بنسخ الكتب العلمية للكسب، فأجاد القرآن الكريم والعلوم العربية، كما أتقن الخط إتقاناً جيداً، وضبطاً فائقاً، ورحل إلى جُدّة لطلب العلم، ثم رحل إلى مصر وأخذ عن بعض علمائها، ثم عاد لوطنه، فشرع في قراءة الفقه والعلوم الشرعية على علماء وطنه، وعين قاضياً في عنيزة في عام ١٣٠٨هـ حتى عام ١٣١٧هـ، وتوفي رحمه الله في عنيزة يوم الجمعة الثاني والعشرين من شهر شوال عام ١٣٢٢هـ[٣].

٥ ـ ومن مشايخه الشيخ صعب بن عبد الله التويجري: قرأ عليه الشيخ عبد الرحمٰن بن سعدي علم الحديث والمصطلح والأصول والفروع والتفسير. ولد الشيخ صعب في بريدة عام ١٢٥٣هـ، ونشأ نشأة حسنة، ورباه والده، فأحسن تربيته، وقرأ القرآن وجوده، ثم حفظه عن ظهر قلب، وشرع في طلب

---

(١) استقيت هذه الترجمة من علماء نجد خلال ستة قرون، جـ: ١، ص٣٦٧.

(٢)(٣) المصدر السابق، ص: ٥٦١، وص٨٤٣.

العلم بهمة عالية ونشاط ومثابرة، فقرأ على علماء بريدة ومن أبرز مشايخه: سليمان بن علي بن مقبل قاضي بريدة، ومحمد بن عمر بن سليم، وعبد الله بن عبد الرحمن أبابطين قاضي عنيزة، ثم رحل إلى الرياض، فقرأ على علمائها، ومن أبرز مشايخه في الرياض: عبد اللطيف بن عبد الرحمٰن بن حسن، وحمد بن عتيق وعبد الله بن جلعود، لازمهم زمناً طويلاً، ثم عاد إلى القصيم يحمل مشعل العلم والمعرفة، فجلس للطلبة في بريدة، ثم رحل إلى عنيزة وطاب له المناخ فسكنها وأحبه أهلها، فكان ذلك منذ عام ١٣٣١هـ وقد عينه الإمام عبد الله الفيصل قضاء الأفلاج، فكان مسدداً في أقضيته.

كان كثير التلاوة لكتاب الله ومن حفاظه، توالت عليه الأمراض بعد أن أرهقته الشيخوخة، وافاه أجله المحتوم في بريدة في محرم عام ١٣٣٩هـ[١]،

وفي بعض المراجع أنه عرض عليه القضاء في بريدة مراراً فرفض، وآثر العافية والسلامة.

٦ ـ ومن مشايخه الشيخ علي بن محمد السناني: قرأ عليه الشيخ أصول الدين، وولد هذا الشيخ في مدينة عنيزة عام ١٢٦٣هـ فنشأ فيها، وكان والده عالماً، إلاَّ أنه توفي والمترجم له في دور الطفولة فنشأ ابنه محباً للعلم راغباً فيه، فقرأ على علماء عنيزة ومن يفد إليها من العلماء، فمن مشايخه الشيخ علي آل محمد قاضي عنيزة، والشيخ عبد العزيز بن محمد بن مانع أحد قضاة عنيزة، وقرأ على الشيخ محمد بن عبد الله آل سليم حينما كان مقيماً في عنيزة حتى نضح علمه، وصار من كبار الفقهاء، وكان يؤثر العزلة وعدم الظهور، ولذا فإن قضاء عنيزة عرض عليه مرتين فلم يقبل، وعرض عليه حينما توفي شيخه عبد العزيز بن مانع عام ١٣٠٧هـ، كما عرض عليه حينما ترك قضاءها الشيخ إبراهيم بن جاسر عام ١٣٢٣هـ، فامتنع إيثاراً للعافية والسلامة، وصار إماماً وواعظاً في أحد مساجدها الكبار حتى توفي في عنيزة في العشرين من شوال عام ١٣٣٩هـ[٢].

---

(١) استقيت هذه الترجمة من روضة الناظرين، جـ: ١، ص: ١٥٠.

(٢) علماء نجد خلال ستة قرون، جـ: ٣، ص: ٧٣٣.

٧ ـ ومن مشايخه الذين تلقى عنهم علم الحديث وأخذ عنه الصحاح الستة وأجازه فيها وفي غيرها من المسانيد الشيخ علي بن ناصر أبو وادي، ولد في عنيزة عام ١٢٧٣هـ، ونشأ بها، وقرأ على علمائها، وهم في عهد شبابه كثيرون، كما قرأ على علماء بريدة، ومن أشهرهم الشيخ سليمان بن مقبل والشيخ محمد بن عمر بن سليم، والشيخ محمد بن عبد الله بن سليم، ثم سافر إلى الرياض، فقرأ على العلامة الشيخ عبد اللطيف بن عبد الرحمٰن بن حسن آل الشيخ وغيره من علماء الرياض، ثم سافر للهند، وشرع في قراءة الحديث على علمائها، ومنهم العلامة المحدث الشيخ نذير حسن في دلهي عاصمة الهند، فأخذ عنه سند كتب الأمهات الست، وكذلك أخذ عنه سند المسانيد، كمسند الإمام أحمد، ومسند الطبراني، وغيرهما، ثم رحل من عاصمة الهند إلى بلدة بهوبال للأخذ عن علامتها السلفي الشيخ صديق حسن، ثم عاد إلى بلدة عنيزة، فعين إماماً وواعظاً ومدرساً في مسجد الجديدة، أحد أحياء مدينة عنيزة، فجلس في مسجده لتدريس الحديث، فأقبل عليه طلاب العلم الكبار، وأخذوا عنه ما أخذه في البلاد الهندية، ليصلوا إجازتهم بعلماء الحديث، وبقي إماماً في مسجده ستين سنة، عاش بالقناعة والكفاف والعفاف، ومحبة العلم، وقد طال عمره، فعجز عن الذهاب إلى مسجده آخر عمره، وقد توفي في شهر شعبان عام ١٣٦١هـ رحمه الله رحمة واسعة[1].

٨ ـ ومن مشايخه الذين تلقى عليهم علوم العربية وغيرها من العلوم الشيخ محمد بن عبد العزيز بن مانع، ولد هذا الشيخ بمدينة عنيزة عام ١٣٠٠هـ فلما بلغ السابعة من عمره أدخله والده (كتابا) ليتعلم القرآن وكان والده مريضاً إذ ذاك، وهو قاضي عنيزة، وبعد أيام توفي والده، فقرأ القرآن كله، وحفظ بعضه، ثم اشتغل بطلب العلم، فقرأ مختصرات العلوم الشرعية والعربية، مثل كتاب: التوحيد ودليل الطالب، وبلوغ المرام، والشنشورية والأجرومية، على علماء عنيزة وبريدة فلما ناهز البلوغ سافر إلى بغداد للاستزادة من العلوم، فقرأ على علماء بغداد والبصرة النحو والصرف والفقه

(١) علماء نجد خلال ستة قرون، جـ: ٣، ص: ٧٣٨.

والفرائض والحساب والمنطق، ومن أشهر مشايخه في العراق: محمود شكري الألوسي، والسيد علي نعمان الألوسي، وعبد الوهاب أفندي، وعبد الرزاق الأعظمي، والسيد يحيى بن قاسم الأثري، والشيخ محمد بن عوجان، ثم توجه إلى مصر، فأقام بالأزهر، فقرأ فقه الحنابلة، والنحو، وغيرهما، ثم سافر إلى دمشق، واتصل بعلمائها، وقرأ عليهم في الحديث والتفسير.

ومن أشهرهم الشيخ: جمال الدين القاسمي، والشيخ عبد الرزاق البيطار، والشيخ بدر الدين، ثم عاد إلى العراق، ولازم مشايخه السابقين، فتزود منهم في علوم العربية بأنواعها، وقرأ عليهم مختلف أنواع العلم وفنونه، وقد تولى عدة مناصب في حكومة قطر، وفي عام ١٣٥٨هـ طلبه جلالة الملك المغفور له عبد العزيز آل سعود، فأسند إليه التدريس بالمسجد الحرام والمدارس الحكومية ثم عينه رئيساً لثلاث هيئات: هي: هيئة تمييز الأحكام الشرعية، وهيئة الأمر بالمعروف، وهيئة الوعظ والإرشاد، وفي عام ١٣٦٥هـ صدر مرسوم ملكي بتعيينه مديراً عاماً للمعارف، ثم أسند إليه رئاسة دار التوحيد، وما زل بها حتى شكلت وزارة المعارف، وأسندت إلى الأمير فهد بن عبد العزيز (ملك المملكة العربية السعودية حالياً) وفي عام ١٣٧٤هـ طلبه حاكم قطر سابقاً الشيخ علي بن ثاني من حكومة المملكة، فرحل إلى قطر، وصار مشرفاً على سير التعليم فيها، وإصلاح مناهجه، ومستشاراً لحكومتها في الأمور الدينية، حتى توفاه الله في اليوم السابع عشر من رجب عام ١٣٨٥هـ من جراء عملية جراحية أجريت له بإحدى مستشفيات بيروت[1].

٩ ـ وممن أخذ عنهم الشيخ عبد الرحمٰن بن سعدي علم التفسير وعلم الحديث ومصطلحه، وعلوم العربية من نحو وصرف وغيرها: الرحالة السلفي الشيخ محمد الأمين الشنقيطي، فقد وفد الشنقيطي على عنيزة، ومكث بها أربع سنوات، فاغتنم الشيخ عبد الرحمٰن بن سعدي فرصة وجوده في عنيزة، فطلب عليه العلم، وجالسه، فقد طلب الأمير علي باشا السعدون أحد أمراء العراق من الشيخ علي بن عبد الله البسام أن يجيء إليه من المدينة المنورة بعالم مالكي

(١) علماء نجد خلال ستة قرون، جـ: ٣، ص: ٨٢٧ وما بعدها.

المذهب، ليكون إماماً وخطيباً ومدرساً للجامع الذي أنشأه في بلدة الزبير، فاختار الشيخ الشنقيطي لذلك، وعرض عليه فوافق، فسافر من المدينة إلى عنيزة، فأقام فيها نحواً من أربع سنوات، اتصل بالشيخ عبد الرحمٰن السعدي فأخذ عنه[1]. ثم إن الشيخ الشنقيطي بعد مقامه بعنيزة أربع سنوات سافر إلى الزبير فتولى إمامة المسجد الذي أنشأه الأمير علي باشا السعدون كما تولى التدريس في المسجد.

١٠ ـ وممن تلقى عنهم عبد الرحمٰن بن سعدي العلم: الشيخ محمد بن عبد الله بن سليم،فقد ولد هذا الشيخ في بريدة عام ١٢٤٠هـ، ونشأ وتعلم في (كتاتيبها) مبادئ القراءة والكتابة، ثم حبب إليه العلم فشرع في القراءة على علماء القصيم، ومن أشهرهم قاضي بريدة الشيخ سليمان بن مقبل، وقاضي الرس الشيخ قرناس بن عبد الرحمٰن، فلما عين الشيخ العلامة عبد الله أبو بطين قاضياً لعنيزة لازمه المترجم له واستفاد منه، ثم رحل إلى الرياض، وأخذ عن علمائها، ومن أشهر مشايخه في الرياض العلامة الشيخ عبد الرحمٰن بن حسن، وابنه الشيخ عبد اللطيف، ثم ذهب إلى شقراء بعد أن عاد إليها شيخه الشيخ عبد الله أبو بطين، فاستأنف عليه الدراسة والاستفادة، ولم يزل في الجد والاجتهاد حتى أدرك إدراكاً تاماً العلوم الشرعية والعلوم العربية.

فعاد إلى بلدة عنيزة، وقد صار من كبار العلماء لا في القصيم بل في بلاد نجد كلها.

وقد حدث بينه وبين محمد الصالح أبا الخيل بعض الخلاف فغضب عليه محمد، وأكد على أمير بريدة حسن المهنا أن يخرجه من بريدة، فأمره حسن بمغادرة بريدة، فرحل عنها إلى عنيزة، فأكرموه وتزوج منها، وكان قاضي عنيزة آنذاك الشيخ على آل محمد قد أسن وضعف، فطلب من المترجم له أن يجلس نائباً عنه لتدريس الطلاب، فجلس، فعقدت له حلقة كبيرة، وكان أكثر تدريسه في كتب شيخ الإسلام ابن تيمية، والشيخ ابن القيم، فأعجبوا بسعة اطلاعه، وقد توفي رحمه الله عام ١٣٢٣هـ رحمه الله رحمة واسعة[2].

---

(١) علماء نجد خلال ستة قرون، جـ: ١، ص: ٣٧١.

(٢) المرجع السابق، جـ: ٣، ص: ٨٧٢ وما بعدها.

وهكذا نرى أن الشيخ عبد الرحمٰن بن سعدي قد تلقى العلم عن مجموعة من العلماء، حتى أصبح موسوعة علمية في مختلف العلوم والفنون، وصار مصدر إشعاع لا في بلده وحدها، بل في سائر بلاد نجد.

١١ ـ تأثره بشيخ الإسلام ابن تيمية وابن القيم:

من الحق أن نقول عن الشيخ عبد الرحمٰن بن ناصر السعدي أن من أعظم مشايخه شيخ الإسلام ابن تيمية، وتلميذه ابن القيم، رغم بعد المسافة الزمنية بينهما وبين الشيخ، فمن المعروف أنهما عاشا في القرن السابع والثامن الهجري، وابن سعدي عاش في القرن الرابع عشر الهجري (إلاَّ أنه أقبل على مؤلفات هذين الإمامين الجليلين إقبالاً منقطع النظير، فاستوعب ما حوته كتبهما من التحقيق العظيم في علوم السلف وحسن التوجيه والإرشاد، وحصل له بذلك سعة علم، خاصة في علم الأصول والتوحيد، والتفسير والفقه، وغيرها من العلوم النافعة، وبسبب اطلاعه واستيعابه مؤلفات الشيخين المشار إليهما، وصل إلى المرتبة التي لا يتقيد فيها بالمذهب الحنبلي)[1].

وحتى أن تأثره بابن تيمية وابن القيم أوصله إلى أن استخلص الأصول والقواعد والضوابط المحيطة في كل فن من الفنون التي ألف فيها الشيخان من كتبهما، جمع هذه الأصول والقواعد والضوابط في كتاب ألفه وأسماه (طريق الوصول إلى العلم المأمول بمعرفة القواعد والضوابط والأصول) قال في مقدمته بعد الديباجة (أما بعد... فلما كانت كتب الإمام الكبير شيخ الإسلام والمسلمين تقي الدين أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام بن تيمية، قدس الله روحه، جمعت فأوعت، جمعت جميع الفنون النافعة، والعلوم الصحيحة، جمعت علوم الأصول والفروع، وعلوم النقل والعقل، وعلوم الأخلاق والآداب الظاهرة والباطنة، وجمعت بين المقاصد والوسائل، وبين المسائل والدلائل، وبين الأحكام وبيان حكمها وأسرارها، إلى أن قال: ومن أعظم ما فاقت به غيرها وأهمه، وتفردت على سواها، أن مؤلفها رحمه الله يعتني غاية الاعتناء

---

(١) سيرة العلامة الشيخ عبد الرحمن الناصر السعدي، ص: ١٠ ـ ١١.

بالتنبيه على القواعد الكلية، والأصول الجامعة، والضوابط المحيطة في كل فن من الفنون التي تكلم فيها.

وقد يسر الله الوقوف على كتبه الموجودة، فتتبعت ما وجدته في كتب هذا الإمام من الأصول والقواعد والضوابط النافعة وأثبتها في هذا المجموع، ونقلتها بعبارات مؤلفها، إلاَّ شيئاً يسيراً منها أوجب تغيير بعض الألفاظ، إذا كانت القاعدة والأصل متفرقاً في كلامه غير متصل بعضه ببعض، فجمعته من متفرقات كلامه في موضع واحد، ونضطر فيه إلى التغيير اليسير الذي يوضح المعنى ولا يغيره، إلى أن يقول: وهي قواعد وأصول منوعة في أصول الدين، وفي أصول الفقه والتفسير والحديث وقد ألحقتها بعدما أكملتها بقواعد وأصول أخر من كتب شمس الدين بن القيم، فبلغ الجميع ما يزيد على الألف، ما بين أصل وقاعدة وضابط وكلام جامع[1].

ذلك الاستيعاب لكتب الشيخين أثرى ثقافة الشيخ عبد الرحمٰن بن ناصر بن سعدي إثراء واسعاً في جميع العلوم، ونحن إذ نتناول جانباً من جوانب ثقافته العلمية، ذلك الجانب هو جانب التفسير، نريد أن نزيد الأمر وضوحاً.

فالإمام ابن القيم رائد مدرسة تفسيرية، هذه المدرسة هي إبراز الوحدة الموضوعية للصورة القرآنية، تلك الوحدة التي تربط أركان السورة بعضها إلى بعض، لتخدم الأهداف التي أنزلت من أجلها، والتي يمكن أن تكون أساساً لفهم آياتها.

ويعتبر ابن القيم في هذا المجال رائداً للمدرسة الحديثة، التي تهتم بأن تقدم أمام تفسير السورة الإطار العام للأهداف السامية التي نزلت السورة لتعالجها، وتمثل الروح الذي يسري في كيان السورة، فيربط بين أجزائها، ويجعل كل جزء منها خادماً للآخر، وابن القيم في ذلك مبتكر لا متبع ومجدد لا مقلد[2].

---

(١) طريق الوصول إلى العلم المأمول، ص: ٣، ٤، مطبعة الإمام سنة ١٣٧٢.

(٢) منهج ابن القيم في التفسير، محمد أحمد السنباطي، ص: ٨٤، المؤسسة العامة لشؤون المطابع الأميرية، سنة ١٣٩٣، مطبوعات مجمع البحوث الإسلامية.

*** نموذج من تفسير ابن القيم لسورة الفاتحة:**

يقول رحمه الله: اعلم أن هذه السورة اشتملت على أمهات المطالب العالية أتم اشتمال، وتضمنتها أكمل تضمن، فاشتملت على التعريف بالمعبود تبارك وتعالى بثلاثة أسماء، ترجع الأسماء الحسنى والصفات العليا إليها، ومدارها عليها، وهي (الله، الرب، الرحمٰن) وبنيت السورة على الإلهية والربوبية والرحمة.

فإياك نعبد مبني على الإلهية، وإياك نستعين على الربوبية، وطلب الهداية إلى الصراط المستقيم بصفة الرحمٰن تتضمن الأمور الثلاثة فهو المحمود في إلهيته وربوبيته ورحمته.

وتضمنت إثبات المعاد وجزاء العباد بأعمالهم، حسنها وسيئها وتفرد الرب تعالى بالحكم، إذ ذاك بين الخلائق، وكون حكمه بالعدل وكل هذا تحت قوله: ﴿مَٰلِكِ يَوْمِ ٱلدِّينِ ۝٤﴾، وتضمنت إثبات النبوات من جهات عديدة:

الأولى: كونه رب العالمين، فلا يليق أن يترك عباده سدى هملا، لا يعرفهم ما ينفعهم في معاشهم ومعادهم، وما يضرهم فيها، فهذا هضم للربوبية، ونسبة الرب تعالى إلى ما لا يليق به، وما قدره حق قدره من نسبه إليه.

الثانية: أخذها من اسم (الله) وهو المألوه المعبود لا سبيل للعباد إلى معرفة عبادته إلا من طريق رسله.

الثالثة: من اسمه الرحمٰن، فإن رحمته تمنع إهمال عباده، وعدم تعريفهم ما ينالون به غاية كمالهم... إلخ كلامه.

الرابعة: من ذكر يوم الدين، فإنه اليوم الذي يدين الله العباد فيه، بأعمالهم، فيثيبهم على الخيرات، ويعاقبهم على المعاصي، والسيئات... إلخ كلامه.

الخامسة: من قوله: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ﴾ فإن ما يعبد به تعالى لا يكون إلاَّ

على ما يحبه ويرضاه، وعبادته هي شكره وحبه وخشيته.. إلخ كلامه.

السادسة: من قوله: ﴿ٱهۡدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلۡمُسۡتَقِيمَ ۝٦﴾ فالهداية البيان والدلالة ثم التوفيق والإلهام، ولا سبيل إلى البيان والدلالة إلاَّ من جهة الرسل[1].

وهكذا يستمر ابن القيم في تصوير مأخذ إثبات النبوات، فيأخذها من ذكر المنعم عليهم، وهم من عرف الحق واتبعه في مقابلة ـ المغضوب عليهم ـ وهم من عرف الباطل واتبع هواه، والضالين هم من جهله، وذلك يستلزم الرسالة.

هذا بعض كلام ابن القيم على سورة الفاتحة، أما كلام الشيخ عبد الرحمٰن بن سعدي على الفاتحة فأنقل بعضاً منه، يقول رحمه الله: (فهذه السورة على إيجازها قد احتوت على ما لم تحتو عليه سورة من سور القرآن).

فتضمنت أنواع التوحيد الثلاثة: توحيد الربوبية يؤخذ من قوله ﴿رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ﴾، وتوحيد الإلهية وهو إفراد الله بالعبادة يؤخذ من لفظ (الله)، ومن قوله: ﴿إِيَّاكَ نَعۡبُدُ وَإِيَّاكَ نَسۡتَعِينُ ۝٥﴾، وتوحيد الأسماء والصفات، وهو إثبات صفات الكمال لله تعالى التي أثبتها لنفسه وأثبتها له رسوله من غير تعطيل ولا تمثيل ولا تشبيه، وقد دل على ذلك لفظ (الحمد) كما تقدم. يريد الشيخ بما تقدم كلامه على لفظة الحمد لله وهو قوله: (الحمد لله هو الثناء على الله بصفات الكمال وبأفعاله الدائرة بين الفضل والعدل فله الحمد الكامل بجميع الوجوه).

وتضمنت إثبات النبوّة في قوله: ﴿ٱهۡدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلۡمُسۡتَقِيمَ ۝٦﴾ لأن ذلك ممتنع بدون الرسالة، وإثبات الجزاء على الأعمال في قوله: ﴿مَٰلِكِ يَوۡمِ ٱلدِّينِ ۝٤﴾ وأن الجزاء يكون بالعدل، لأن الدين معناه الجزاء بالعدل بل تضمنت الرد على جميع أهل البدع والضلال في قوله: ﴿ٱهۡدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلۡمُسۡتَقِيمَ ۝٦﴾ لأنه معرفة الحق والعمل به، وكلّ مبتدع وضال فهو مخالف لذلك.

وتضمنت إخلاص الدين لله تعالى عبادة واستعانة، في قوله تعالى:

---

(١) التفسير القيم لابن القيم، جمع محمد أمين أويس الندوي، ص: ٣ وما بعدها دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، سنة ١٣٩٨هـ.

﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ۝٥﴾ فالحمد لله رب العالمين)[١].

فنرى في هذا العرض الموجز لدراسة ابن القيم لفاتحة الكتاب، ودراسة الشيخ عبد الرحمٰن بن سعدي للسورة نفسها، مدى تأثر الشيخ عبد الرحمٰن بابن القيم في وجه من أوجه منهج ابن القيم في التفسير.

وقد نسج على منوال ابن القيم غير الشيخ عبد الرحمٰن بن سعدي (أئمة باروزن في التفسير، وتتلمذ على هذا المنهج قادة الفكر الإسلامي في العصر الحديث أمثال الشيخ محمد عبده وتلميذه محمد رشيد رضا[٢].

والشيخ محمود شلتوت[٣]، والدكتور محمد عبد الله دراز[٤]، وغيرهم كثير من علماء الأمصار الإسلامية، مثل: أبي الأعلى المودودي في تفسيره لسورة النور، فقد وضع مقدمة لتفسيره لهذه السورة تبين منهجه في ربط أجزاء السورة بعضها ببعض، واعتبارها وحدة متكاملة يخدم بعضها بعضاً لتحقيق الهدف العام الذي أنزلت من أجله)[٥].

---

(١) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، جـ: ١، ص١٦، الطبعة السلفية، سنة ١٣٧٩هـ.

(٢) يراجع تفسير المنار، جـ: ١، ص: ٢٦ وما بعدها.

(٣) يراجع تفسير القرآن للشيخ محمود شلتوت، ص: ٩٩ وما بعدها.

(٤) راجع النبأ العظيم للدكتور محمد عبد الله دراز، ص: ١٣٧ وما بعدها، وص: ١٥٠.

(٥) ما بين القوسين بتصرف من منهج ابن القيم في التفسير، لمحمد أحمد السنباطي، من مطبوعات مجمع البحوث الإسلامية، سنة ١٣٩٣هـ.

الفصل الثالث
مؤلفاته وآثاره

كان الشيخ عبد الرحمٰن بن سعدي ـ رحمه الله ـ له اليد الطولى في جميع العلوم الإسلامية، وله اطلاع واسع على كتب من تقدمه من العلماء ولذلك كتب كثيراً من كتب التراث بخط يده، وكانت الكتابة سهلة عليه.

وقد أثرى المكتبة الإسلامية بعدد من المؤلفات في مختلف فروع العلوم الإسلامية، ولنبدأ بذكر ما نعرفه من مؤلفاته القيمة، بادئين بمؤلفاته المتعلقة بكتاب الله سبحانه وتعالى.

أولاً: مؤلفاته في علوم القرآن:

١ ـ تفسير القرآن الكريم المسمى تيسير الكريم المنان، في ثمانية أجزاء أكمله عام ١٣٤٤هـ، طبع عدة مرات.

٢ ـ القواعد الحسان لتفسير القرآن، طبع عدة مرات.

٣ ـ تيسير اللطيف المنان في خلاصة تفسير القرآن، طبع عدة مرات.

٤ ـ فوائد مستنبطة من قصة يوسف، طبع في مطبعة العلم عام ١٣٧٥هـ.

٥ ـ الدلائل القرآنية في أن العلوم العصرية لا تخالف القرآن والسنة.

٦ ـ المواهب الربانية من الآيات القرآنية، جمعها أثناء قراءته لكتاب الله في شهر رمضان المبارك عام ١٣٤٧هـ، طبع عدة مرات.

ثانياً: مؤلفاته في الأصول (العقيدة):

١ ـ طريق الوصول إلى العلم المأمول بمعرفة القواعد والضوابط

والأصول، وهو عبارة عن أصول وقواعد وضوابط، اختارها من كتب ابن تيمية وتلميذه ابن القيم، طبع عدة مرات.

٢ ـ القول السديد في مقاصد التوحيد، وهو شرح لكتاب التوحيد الذي هو حق الله على العبيد، لشيخ الإسلام محمد بن عبد الوهاب، طبع عدة مرات.

٣ ـ الرياض الناضرة والحدائق النيرة الزاهرة في العقائد والفنون المتنوعة الفاخرة، طبع ثلاث مرات، آخرها على نفقة مكتبة المعارف بالرياض سنة ١٤٠٠هـ، وفي مجلد بلغت صفحاته ٤٧٨ من القطع المتوسط.

٤ ـ الأدلة القواطع والبراهين في إبطال أصول الملحدين، طبع أكثر من مرة، آخرها على حساب مكتبة المعارف بالرياض، سنة ١٤٠٢هـ في جزء لطيف، بلغت صفحاته ٩٥ صفحة.

٥ ـ تنزيه الدين وحملته ورجاله مما افتراه القصيمي في أغلاله، طبع في مطبعة دار إحياء الكتب العربية على نفقة وجيه الحجاز محمد نصيف عام ١٣٦٦هـ، في كتيب لطيف، بلغت صفحاته ٨٤ صفحة من القطع المتوسط.

٦ ـ الدرة المختصرة في محاسن الإسلام، طبع في مطبعة أنصار السنة المحمدية سنة ١٣٦٦هـ.

٧ ـ الحق الواضح المبين في شرح توحيد الأنبياء المرسلين، طبع للمرة الأولى في المطبعة السلفية على نفقة المؤلف ووزع مجاناً.

٨ ـ توضيح الكافية الشافية، وهو كالشرح لنونية ابن القيم، طبع في المطبعة السلفية على نفقة المؤلف، ووزع مجاناً، وطبعته دار ابن القيم عام ١٤٠٦هـ.

٩ ـ الدين الصحيح يحل جميع مشاكل الحياة، طبع على نفقة المؤلف، ووزع مجاناً.

١٠ ـ الرسائل المفيدة (سؤال وجواب) بأهم المهمات، طبع ووزع مجاناً.

١١ ـ شرح القصيدة التائية لشيخ الإسلام ابن تيمية، التي رد بها على القدرية.

١٢ ـ التوضيح والبيان لشجرة الإيمان، فرغ من تأليفه في ٨ ذي الحجة عام ١٣٧٤هـ، وطبع في مصر للمرة الأولى في القاهرة، ميدان السيدة نفيسة، وأعيد طبعه على نفقة مكتبة المعارف بالرياض عام ١٤٠٦هـ.

١٣ ـ فتح الرب الحميد في أصول العقائد والتوحيد.

١٤ ـ مجموع الفوائد واقتناص الأوابد.

١٥ ـ التنبيهات اللطيفة على ما احتوت عليه الواسطية من المباحث المنيفة وهذه الأربعة لم تطبع كما أشار إلى ذلك كتاب سيرة العلامة الشيخ عبد الرحمٰن الناصر السعدي[1].

١٦ ـ الفروق والتقاسيم البديعة والنافعة، طبع على نفقة الشيخ ووزع مجاناً.

١٧ ـ الوسائل المفيدة في الحياة السعيدة، طبع مرتان، ووزع مجاناً، آخرها على نفقة بعض المحسنين سنة ١٤٠٣هـ، في جزء صغير بلغت صفحاته ٣٢ صفحة.

١٨ ـ منظومة في السير إلى الله والدار الآخرة، وقام رحمه الله بشرحها طبعت ضمن مجموعة كتب له في مطابع الدجوى بالقاهرة، على نفقة المؤسسة السعيدية بالرياض، وتنشر لأول مرة.

ثالثاً: مؤلفاته في الفقه وأصوله:

١ ـ رسالة في القواعد الفقهية (منظومة) ووضع لها شرحاً يوضح ألفاظها فرغ من تأليفها في ١٨ ذي القعدة سنة ١٣٣١هـ، وقامت المؤسسة السعيدية بالرياض بطبعها في مطابع الدجوى بالقاهرة.

---

(١) سيرة العلامة، ص: ٢٣، مطبعة السنة المحمدية.

٢ ـ منظومة في أحكام الفقه، فرغ من تأليفها في ٢٦ شوال سنة ١٣٣٣هـ، وقامت المؤسسة السعيدية بالرياض بطبعها على نفقتها في مطابع الدجوى بالقاهرة.

٣ ـ المختارات الجلية من المسائل الفقهية، وهي مختارات من المسائل الفقهية التي اختارها لصحة دليلها ولو كانت مخالفة لمذهب أصحاب الإمام أحمد بن حنبل، طبع على نفقة المؤسسة السعيدية بالرياض بمطابع الدجوى بالقاهرة.

٤ ـ المناظرات الفقهية، وهي مسائل فقهية جرى في تأليفها على طريقة المناظرة بين شخصين أحدهما المستعين بالله، والثاني المتوكل على الله، ضمن هذه المناظرات عشرين مثالاً، كل مثال يحتوي على مسألة فقهية. يورد فيها على لسان المتناظرين مذاهب العلماء وأدلتهم وينتهي إلى ترجيح الراجح من الأقوال حسب الدليل الشرعي والكتاب طبع في مجلد واحد سنة ١٩٧٨م.

٥ ـ وجوب التعاون بين المسلمين وموضوع الجهاد الديني، وبيان كليات من براهين الدين، فرغ، من تأليفه في ٢٠ رمضان عام ١٣٦٧هـ، طبع مرتان، أحدهما على نفقة مكتبة المعارف بالرياض سنة ١٤٠٢هـ، في جزء صغير بلغت صفحاته ٧٨ صفحة.

٦ ـ إرشاد أولي البصائر والألباب لنيل الفقه بأقرب الطرق وأيسر الأسباب بطريق مرتب على السؤال والجواب، فرغ من تأليفه في ١٧ رمضان ١٣٥٨ طبع مرتان، آخرهما على نفقة مكتبة المعارف سنة ١٤٠٠هـ في مجلد بلغت صفحاته ٢١٨ من القطع المتوسط.

٧ ـ حكم شرب الدخان، فتوى تقع في جزء صغير، صفحاته نحو عشرين صفحة، طبعت مراراً مفردة، وطبعت مع فتوى في حكم شرب الدخان لسماحة الشيخ محمد بن إبراهيم، وعليها تقاريظ للشيخ عبد اللطيف بن إبراهيم والشيخ عبد المهيمن أبو السمح والشيخ عبد الرزاق عفيفي.

٨ ـ الجهاد في سبيل الله، أو واجب المسلمين، أو السياسة الشرعية للهيئة الاجتماعية، رسالة تقع في جزء لطيف صفحاته تزيد عن العشرين

صفحة، طبعت عدة مرات، آخرها على نفقة رئاسة إدارات البحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد بالمملكة العربية السعودية. وتوزع مجاناً.

٩ ـ الفتاوى السعيدية، مجلد يقع في ٦٧٥ صفحة، جمعت فيه بعض فتاواه رحمه الله، طبع للمرة الأولى في مطبعة دار الحياة سنة ١٣٨٨هـ وأعيد طبعه سنة ١٤٠٢هـ على نفقة مكتبة دار المعارف بالرياض.

١٠ ـ حاشية على الفقه، استدراكات على جميع الكتب المستعملة في المذهب الحنبلي، لم تطبع.

١١ ـ مختصر في أصول الفقه، طبع مع كتابه منهج السالكين وتوضيح الفقه في الدين سنة ١٣٧٨هـ، في جزء لطيف من القطع المتوسط صفحاته ٨٠ صفحة.

١٢ ـ منهج السالكين وتوضيح الفقه في الدين، طبع ووزع مجاناً.

رابعاً: مؤلفاته في الحديث:

له ـ رحمه الله ـ بهجة قلوب الأبرار وقرة عيون الأخيار في شرح جوامع الأخبار، وهي شرح لتسعة وتسعين حديثاً من الأحاديث الصحيحة الجامعة لموضوعات كلية، جمعها وشرحها بأسلوب سلس فصيح، طبع مرتان، آخرهما على نفقة مكتبة المعارف في مجلد من القطع المتوسط بلغت صفحاته ٢٦٠ صفحة.

خامساً: الخطب والفتاوى:

١ ـ الخطب العصرية القيمة، اجتهد رحمه الله أن يخطب في بلده في كل عيد وجمعة، بما يناسب الوقت الحاضر في الموضوعات المهمة التي يحتاج الناس إليها، ثم جمعها وطبعها مع الدرة المختصرة في مطبعة أنصار السنة سنة ١٣٦٦هـ على نفقته، ووزعها مجاناً.

٢ ـ الفواكه الشهية في الخطب المنبرية، طبع في حياة المؤلف في دمشق في مطبعة عبد الحميد المارديني في جزء لطيف سنة ١٣٧٢هـ، بلغت صفحاته ١٩٠ صفحة من القطع الصغير.

وله فوائد منثورة، وفتاوى كثيرة في أسئلة شتى ترد إليه من بلده وغيره، ويجيب عليها، وله تعليقات شتى على كثير مما يمر عليه من الكتب، وكانت الكتابة سهلة يسيرة عليه جداً، حتى أنه كتب من الفتاوى وغيرها شيئاً كثيراً، ومما كتبه منظومة ابن عبد القوي في الآداب، وأراد شرحها شرحاً مستقلاً، فرآه شاقاً عليه، فجمع بين المنظومة والإنصاف بخط يده ليساعد على فهمه، فكان كالشرح له، وكان غاية قصده من التصنيف هو نشر العلم والدعوة إلى الحق، ولهذا يؤلف ويكتب ويطبع ما يقدر عليه من مؤلفات لا ينال منها عرضاً زائلاً أو يستفيد منها غرضاً من أغراض الدنيا، بل يوزعها مجاناً، ليعم النفع، فجزاه الله عن الإسلام والمسلمين خيراً.

*** تلاميذه:**

له تلاميذ كثيرون جداً، فمنهم تلاميذ من أهل بلدة عنيزة، ومنهم آخرون من البلاد المجاورة كالبكيرية والبدائع وغيرهما من المدن المجاورة لعنيزة، ومن أشهر طلابه:

١ ـ الشيخ سليمان بن إبراهيم البسام، لازمه ملازمة تامة، فكان لا يغيب عن درس من دروسه إلاَّ نادراً، وجد واجتهد حتى أدرك، لا سيما في الفقه، عين قاضياً لبلدة عنيزة عام ١٣٧٥هـ فرفض القضاء، وعين مدرساً في معهد عنيزة العلمي، إلى أن توفاه الله ضحى يوم ١٤/ ٣/ ١٣٧٧هـ.

٢ ـ الشيخ محمد بن عبد العزيز المطوع، فقد لازمه ملازمة دائمة، واستفاد منه الفائدة التامة في التوحيد والتفسير والحديث والفقه والنحو، حتى صار من أكبر تلاميذه، تولى عدة أعمال منها: أنه عين مدرساً في المدرسة العزيزية الابتدائية في عنيزة، ثم عين قاضياً للمجمعة عام ١٣٧١هـ، وفي عام ١٣٧٥هـ نقل لقضاء عنيزة، وفي عام ١٣٧٩هـ نقل لقضاء الخرج، وتوفي عام ١٣٨٧ رحمه الله.

٣ ـ الشيخ محمد بن صالح العثيمين، وهو الذي قام بعده بإمامة الجامع الكبير بعنيزة وخطابته والوعظ والتدريس في المكتبة، ويدرس حالياً بجامعة

الإمام محمد بن سعود الإسلامية فرع القصيم، وله مؤلفات كثيرة يدرس بعضها في المعاهد العلمية، وله حلقة في برنامج نور على الدرب يذاع في إذاعة نداء الإسلام بمكة المكرمة، كما أن له نشاطاً في الدعوة إلى الله وشهرة الشيخ في عصرنا تغني عن التعريف به.

٤ ـ الشيخ علي بن محمد بن زامل آل سليم، وهو من أعلم أهل نجد في زمننا هذا بالنحو، عين مدرساً بمعهد عنيزة العلمي، ثم رفع للتدريس بفرع جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية في القصيم ولا يزال.

٥ ـ الشيخ عبد الله بن عبد العزيز بن عقيل، عضو بالهيئة القضائية العليا بعد أن تقلب في عدة مناصب قضائياً.

٦ ـ الشيخ محمد بن منصور آل زامل، مدرس بالمعهد العلمي بعنيزة.

٧ ـ الشيخ عبد الله بن عبد الرحمٰن بن محمد البسام، وكان أحسن تلاميذه في إعادة الدرس بعد إلقائه من الشيخ.

٨ ـ الشيخ سليمان بن صالح بن حمد البسام، وكان من خاصته.

٩ ـ الشيخ عبد الله بن محمد العوهلي، مدرس بالمعهد العلمي بمكة المكرمة.

١٠ ـ الشيخ حمد بن محمد البسام، مدرس بالمعهد العلمي بعنيزة.

١١ ـ الشيخ عبد العزيز بن محمد البسام، وهو النائب عن شيخه في حياته في الإمامة والخطابة.

١٢ ـ الشيخ عبد الله بن حسن آل بريكان، وهو مدرس بالمعهد العلمي بعنيزة.

١٣ ـ الشيخ عبد العزيز بن محمد السلمان، درس في معهد الرياض العلمي، ثم نقل للتدريس بمعهد إمام الدعوة العلمي بالرياض، وأحيل أخيراً على التقاعد، وله مؤلفات كثيرة ومعروفة.

١٤ ـ الشيخ محمد بن سليمان بن عبد العزيز البسام، يقيم في مكة المكرمة، ومدرس في الحرم المكي الشريف، كان من أخص أصحابه.

١٥ ـ الشيخ عبد المحسن الخريدلي، ولي القضاء في جيزان.

١٦ ـ الشيخ محمد الناصر الحناكي، صار قاضياً في القويعية.

١٧ ـ الشيخ عبد الرحمٰن آل عقيل، صار قاضياً في جيزان.

١٨ ـ الشيخ عبد الله المحمد المطرودي، يحفظ صحيح البخاري بأسانيده.

١٩ ـ الشيخ محمد بن عبد الرحمٰن العبدلي.

٢٠ ـ الشيخ عبد الله العبد العزيز المطوع.

٢١ ـ الشيخ محمد بن عبد الله المانع، من الطلاب المدركين.

٢٢ ـ الشيخ سليمان بن محمد الشبل، صار مدرساً في مدارس مكة المكرمة ومدارس عنيزة، وله اطلاع في العلوم الشرعية من فقه وحديث وتفسير وتوحيد.

٢٣ ـ الشيخ إبراهيم المحمد العمود، تقلب في عدة مناصب قضائية آخرها قضاء المنطقة الشرقية.

٢٤ ـ الشيخ محمد الصالح الغفيلي، قاضي تيماء.

٢٥ ـ الشيخ عبد العزيز العلي المساعد، مدرس بالمعهد العلمي بعنيزة.

٢٦ ـ الشيخ سليمان العبد الرحمٰن الدامغ، له اطلاع في علوم العربية ومدرس في إحدى مدارس الرياض.

٢٧ ـ الشيخ محمد المحمد المرزوقي، مدرس في معهد النور.

٢٨ ـ الشيخ صالح المحمد الزغيبي، مدرس في الثانوية بمكة المكرمة.

٢٩ ـ الشيخ صالح العبد الله الزغيبي، إمام المسجد النبوي الشريف.

٣٠ ـ الشيخ عبد الرحمٰن المحمد آل إسماعيل، إمام وخطيب جامع الضبط ومدير المدرسة الرحمانية الابتدائية بعنيزة.

٣١ ـ الشيخ حمد الصغير، قاضي مدينة الرس.

٣٢ ـ الشيخ عبد الله بن محمد الصبيحان، مدرس في عنيزة.

٣٣ ـ الشيخ عبد العزيز بن سبيل، قاضي البكيرية، ثم المدرس بالمسجد الحرام.

٣٤ ـ الشيخ عبد الله الخضيري، قاضي بلدة عفيف، ثم مدرس بمعهد المدينة المنورة.

٣٥ ـ الشيخ عبد الرحمٰن بن محمد المقوشي، قاضي الرياض، ثم أحيل إلى التقاعد.

٣٦ ـ الشيخ محمد الصالح الخزيم، قاضي المذنب ثم عنيزة.

٣٧ ـ الشيخ حمد بن علي الصالحي، صاحب مؤسسة النور للطباعة والنشر سابقاً، ورجل أعمال حالياً.

٣٨ ـ الشيخ عبد الله بن عبد العزيز الشبيلي، مدرس بالمعهد العلمي بعنيزة.

٣٩ ـ الشيخ محمد بن عثمان بن صالح القاضي، واعظ وإمام أحد جوامع عنيزة، وأمين المكتبة الخيرية الصالحية بعنيزة، وله مؤلفات معروفة.

٤٠ ـ عبد الله بن عبد الرحمٰن بن صالح البسام، عضو قضائي في محكمة تمييز الأحكام الشرعية.

٤١ ـ الشيخ محمد بن عبد الرحمٰن بن حنطي، قاضي الدرعية.

٤٢ ـ الوجيه الشيخ عبد الرحمٰن بن عبد العزيز بن زامل، وهو من تلاميذه الأقدمين، لأنه يقارب الشيخ عبد الرحمٰن بن سعدى في السن، ومن أعيان مدينة عنيزة[1].

٤٣ ـ ابنه عبد الله بن عبد الرحمٰن السعدي.

---

(١) هذه السلسلة لتلاميذ الشيخ مقتبسة من كتاب علماء نجد خلال ستة قرون، جـ: ٢، ص: ٤٢٦ وما بعدها.

٤٤ ـ حمد العثمان الخويطر.

٤٥ ـ عبد الله العمر العمري.

٤٦ ـ عبد العزيز بن إبراهيم الغرير.

وآخرون لا يحصرهم العد، فقد كانت حلقات تدريسه ـ رحمه الله ـ تغص بالطلبة، وكان رحمه الله ينيب بعض طلبته النابهين والذين لهم تحصيل في العلوم ليقوموا بتدريس الطلاب المبتدئين وصغارهم، نظراً لازدحام الحلقة بالمتعلمين.

وهكذا نرى هذا العالم قد تخرج على يديه طلبة كثيرون، كان لهم الأثر الكبير في الميادين التي شغلوها من قضاء وإفتاء وتدريس، فرحمه الله رحمة واسعة، وجمعنا به في دار كرامته.

الباب الأول

تفسيره ومنهجه فيه

ويشتمل على فصلين:

* الفصل الأول: تفسيره

* الفصل الثاني: منهجه في التفسير

الفصل الأول

تفسيـــره

وفيه مبحثان

المبحث الأول

التعريف بتفسيره

أ ـ اسم التفسير:

عرف تفسير الشيخ عبد الرحمٰن بن ناصر السعدي بتيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، وهو تفسير كامل للقرآن الكريم مع مقدمة للمؤلف يستهلها بحمد الله الذي أنزل على عبده الفرقان الفارق بين الحلال والحرام، والسعداء والأشقياء، والحق والباطل، وجعله برحمته هدى للناس عموماً، وللمتقين خصوصاً، ثم أخذ رحمه الله يعدد بعض أوصاف كتاب الله العزيز، مشيراً إلى أن تفاسير الأئمة رحمهم الله لكتاب الله، قد كثرت، فمن مطول خارج في أكثر بحوثه عن المقصود، ومن مقتصر يقتصر على حل بعض الألفاظ اللغوية بقطع النظر عن المراد، وكان الذي ينبغي في ذلك أن يجعل المعنى هو المقصود، واللفظ وسيلة إليه، فينظر في سياق الكلام وما سيق لأجله ويقابل بينه وبين نظيره في موضع آخر، ويعرف أنه سيق لهداية الخلق كلهم، عالمهم وجاهلهم حضريهم وبدويهم.

مبيناً رحمه الله بأن النظر في سياق الآيات مع العلم بأحوال الرسول ﷺ، وسيرته مع أصحابه وأعدائه وقت نزول القرآن من أعظم ما يعين على معرفة

كلام الله، وفهم المراد منه خصوصاً إذا انضم إلى ذلك معرفة علوم العربية على اختلاف أنواعها[1].

ب ـ طريقة الشيخ في تفسيره ومقصوده من التفسير:

أبان الشيخ عبد الرحمٰن بن ناصر السعدي ـ رحمه الله ـ طريقته في التفسير ومقصوده منه في مقدمته، حيث قال: ولما من الباري علي وعلى إخواني بالاشتغال بكتابه العزيز بحسب الحال اللائقة بنا أحببت أن أرسم من تفسير كتاب الله ما تيسر وما من الله علينا ليكون تذكرة للمحصلين، وآلة للمتبصرين، ومعونة للسالكين، ولأقيده خوف الضياع، ولم يكن قصدي في ذلك إلاَّ أن يكون المعنى هو المقصود، ولم أشتغل في حل الألفاظ والعقود للمعنى الذي ذكرت، ولأن المفسرين قد كفوا من جاء بعدهم فجزاهم الله عن المسلمين خيراً[2].

أما طريقته في التفسير فقد سلك ـ رحمه الله ـ طريقة خاصة به، نبه عليها في مقدمة تفسيره، حيث قال رحمه الله: اعلم أن طريقتي في هذا التفسير أني أذكر عند كل آية ما يحضرني من معانيها ولا أكتفي بذكرى ما يتعلق بالمواضع السابقة عن ذكر ما تعلق بالمواضع اللاحقة.

لأن الله وصف هذا الكتاب بأنه مثاني تثنى فيه الأخبار والقصص والأحكام، وجميع المواضيع النافعة لحكم عظيمة، وأمر بتدبره جميعه لما في ذلك من زيادة العلوم والمعارف، وصلاح الظاهر والباطن وإصلاح الأمور كلها[3].

وقد التزم ـ رحمه الله ـ بما رسمه لنفسه من طريق، فجاء تفسيره وسطاً بين طويل التفاسير ومختصرها.

وبعد مقدمة التفسير نقل فوائد مهمة تتعلق بتفسير القرآن الكريم من كتاب

---

(١) ص: ٣، ٤ من تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان جـ: ١، ط السلفية.
(٢) ص: ٤، جـ: ١ من المصدر السابق.
(٣) ص: ٢، جـ: ١ من المصدر السابق.

بدائع الفوائد لابن القيم، وقد استغرقت هذه الفوائد عشر صفحات تقريباً.

جـ ـ وقد فرغ رحمه الله من تفسيره عام واحد وأربعين بعد الثلاثمائة والألف من هجرة المصطفى ﷺ وقيل فرغ عام أربع وأربعين وصدرت طبعته الأولى سنة ١٣٦٥هـ بمطبعة الترقي بدمشق، ووزع مجاناً على نفقة المؤلف.

ثم صدرت طبعته الثانية بالمطبعة السلفية بالقاهرة في ثمانية أجزاء، فسر في الجزء الأول سورة الفاتحة والبقرة وآل عمران، وطبع عام ١٣٧٥هـ، ويقع في مائتين وثمان وعشرين صفحة.

وفي الجزء الثاني فسر سورة النساء والمائدة والأنعام، وطبع ١٣٧٦هـ، ويقع في مائتي وثمان وثلاثين صفحة.

وفي الجزء الثالث فسر سورة الأعراف والأنفال والتوبة ويونس وهود، وطبع عام ١٣٧٦هـ ويقع في مائتي وثنتين وعشرين صفحة.

وفي الجزء الرابع تفسير السور من يوسف إلى آخر سورة الإسراء، وطبع عام ١٣٧٦هـ، ويقع في مائة وتسع وخمسين صفحة.

وفي الجزء الخامس تفسير السور من الكهف إلى آخر سورة النمل، وقد فرغ من تأليفه عام ثلاث وأربعين وثلاثمائة وألف، كما أشار رحمه الله إلى ذلك في آخر هذا الجزء، حيث قال ما نصه: (على يد جامعه وممليه عبد الرحمٰن بن ناصر بن عبد الله السعدي، غفر الله له ولوالديه ولجميع المسلمين وذلك في ٢٢ رمضان سنة ١٣٤٣هـ[1]، وطبع سنة ١٣٧٤هـ، ويقع في مائتين وإحدى وتسعين صفحة، وقد زود هذا الجزء بأصول وكليات من أصول التفسير وكلياته لا يستغني عنها المفسر للقرآن، كما أشار إلى ذلك رحمه الله[2]، ومجموع صفحات هذه الأصول اثنتا عشرة صفحة.

وفي الجزء السادس تفسير السور من القصص إلى آخر سورة الصافات

---

(١) الجزء الخامس من المصدر السابق، ص: ٢٩١.

(٢) الجزء الخامس من المصدر السابق، ص: ٢٩٢.

ويقع في مائة وثمان وتسعين صفحة، وقد فرغ مؤلفه منه في ٦ شوال عام ١٣٤٣هـ كما ذكر ذلك رحمه الله[١]، وطبع عام ١٣٧٦هـ.

وفي الجزء السابع تفسير السور من سورة (ص) إلى آخر سورة الفتح ويقع في مائة وتسعين صفحة، وطبع عام ١٣٧٧هـ.

أما الجزء الثامن والأخير، ففيه تفسير السور من الحجرات إلى آخر تفسير سورة الناس، ويقع في مائتين وثنتين وسبعين صفحة، وطبع عام ١٣٧٧هـ كما أعادت طبعه المؤسسة السعيدية بالرياض في سبعة مجلدات، ومكان الطبع في مطابع الدجوى بالقاهرة عام ١٣٧٦هـ، وعليها بعض التعليقات للشيخ محمد زهرى النجار من علماء الأزهر الشريف، وتمتاز هذه الطبعة بوضع الآيات القرآنية في أعلى الصفحة، والتفسير في الهامش، ويمتاز هذا التفسير بالإيجاز، ووضوح المعنى مع التعبير الإجمالي عن معنى الآية مستخلصاً من دلالة لفظها وسياقها، والشواهد القرآنية والأحاديث النبوية، يورد معانيها وإن لم يسقها بألفاظها مع العناية التامة بمعاني أسماء الله الحسنى ومناسبة التذييل بها في كثير من الآيات الخبرية والشرعية، واستنباط الحكم والأسرار من آيات الأحكام الشرعية، مع الإعراض كلياً عن الروايات الإسرائيلية في بيان معاني القرآن.

يقول رحمه الله بعد تفسيره للآيات: ﴿وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِۦٓ إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَن تَذْبَحُوا۟ بَقَرَةً قَالُوٓا۟ أَتَتَّخِذُنَا هُزُوًا۟ قَالَ أَعُوذُ بِٱللَّهِ أَنْ أَكُونَ مِنَ ٱلْجَٰهِلِينَ ﴿٦٧﴾ قَالُوا۟ ٱدْعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّن لَّنَا مَا هِىَ قَالَ إِنَّهُۥ يَقُولُ إِنَّهَا بَقَرَةٌ لَّا فَارِضٌ وَلَا بِكْرٌ عَوَانٌۢ بَيْنَ ذَٰلِكَ ۖ فَٱفْعَلُوا۟ مَا تُؤْمَرُونَ ﴿٦٨﴾ قَالُوا۟ ٱدْعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّن لَّنَا مَا لَوْنُهَا ۚ قَالَ إِنَّهُۥ يَقُولُ إِنَّهَا بَقَرَةٌ صَفْرَآءُ فَاقِعٌ لَّوْنُهَا تَسُرُّ ٱلنَّٰظِرِينَ ﴿٦٩﴾ قَالُوا۟ ٱدْعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّن لَّنَا مَا هِىَ إِنَّ ٱلْبَقَرَ تَشَٰبَهَ عَلَيْنَا ۖ وَإِنَّآ إِن شَآءَ ٱللَّهُ لَمُهْتَدُونَ ﴿٧٠﴾ قَالَ إِنَّهُۥ يَقُولُ إِنَّهَا بَقَرَةٌ لَّا ذَلُولٌ تُثِيرُ ٱلْأَرْضَ وَلَا تَسْقِى ٱلْحَرْثَ مُسَلَّمَةٌ لَّا شِيَةَ فِيهَا ۚ قَالُوا۟ ٱلْـَٰٔنَ جِئْتَ بِٱلْحَقِّ ۚ فَذَبَحُوهَا وَمَا كَادُوا۟ يَفْعَلُونَ ﴿٧١﴾ وَإِذْ قَتَلْتُمْ نَفْسًا فَٱدَّٰرَـْٔتُمْ فِيهَا ۖ وَٱللَّهُ مُخْرِجٌ مَّا

(١) ج: ٦، ص: ١٩٨، المصدر السابق.

كُنتُمْ تَكْتُمُونَ ﴿٧٢﴾ فَقُلْنَا اضْرِبُوهُ بِبَعْضِهَا كَذَٰلِكَ يُحْيِي اللَّهُ الْمَوْتَىٰ وَيُرِيكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴿٧٣﴾ ثُمَّ قَسَتْ قُلُوبُكُم مِّن بَعْدِ ذَٰلِكَ فَهِيَ كَالْحِجَارَةِ أَوْ أَشَدُّ قَسْوَةً وَإِنَّ مِنَ الْحِجَارَةِ لَمَا يَتَفَجَّرُ مِنْهُ الْأَنْهَارُ وَإِنَّ مِنْهَا لَمَا يَشَّقَّقُ فَيَخْرُجُ مِنْهُ الْمَاءُ وَإِنَّ مِنْهَا لَمَا يَهْبِطُ مِنْ خَشْيَةِ اللَّهِ وَمَا اللَّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴿٧٤﴾ ﴾[1].

«واعلم أن كثيراً من المفسرين رحمهم الله قد أكثروا في حشو تفاسيرهم من قصص بني إسرائيل، ونزلوا عليها الآيات القرآنية، وجعلوها تفسيراً لكتاب الله محتجين بقوله ﷺ: (حدثوا عن بني إسرائيل ولا حرج)[2]، والذي أرى أنه وإن جاز نقل أحاديثهم على وجه تكون مفردة غير مقرونة ولا منزلة على كتاب الله، فإنه لا يجوز جعلها تفسيراً لكتاب الله قطعاً، إذا لم تصح عن رسول الله ﷺ وذلك أن مرتبتها كما قال ﷺ: (لا تصدقوا أهل الكتاب، ولا تكذبوهم)[3]، فإذا كانت مرتبتها أن تكون مشكوكاً فيها، وكان من المعلوم بالضرورة من دين الإسلام، أن القرآن يجب الإيمان به والقطع بألفاظه ومعانيه، فلا يجوز أن تجعل تلك القصص المنقولة بالروايات المجهولة التي يغلب على الظن كذبها، أو كذب أكثرها معاني لكتاب الله مقطوعاً بها، ولا يستريب بهذا أحد، ولكن بسبب الغفلة عن هذا حصل ما حصل، والله الموفق»[4].

---

(١) سورة البقرة: الآيات ٦٧ ـ ٧٤.

(٢) قطعة من حديث أخرجه البخاري عن عبد الله بن عمرو، ونصه: «بلغوا عني ولو آية، وحدثوا عن بني إسرائيل ولا حرج، ومن كذب علي متعمداً فليتبوأ مقعده من النار»، صحيح البخاري رقم الحديث: ٣٤٦٢، جـ ٦، ص: ٤٩٦، فتح الباري، ط السلفية.

(٣) الحديث أخرجه البخاري عن أبي هريرة رضي الله عنه، قال: «قال رسول الله ﷺ لا تصدقوا أهل الكتاب ولا تكذبوهم وقولوا آمنا بالله، الحديث رقم ٤٤٨٥، جـ: ٨، ص: ١٧٠ فتح الباري.

(٤) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، جـ: ١، ص: ٤٦، ط: السلفية.

المبحث الثاني

دراسة مقارنة لما رجحه من آراء

يذكر الشيخ رحمه الله في بعض الآيات بعضاً من الآراء التي تناولها المفسرون عند تفسيرهم لهذه الآيات، ويرجح بعض هذه الآراء على بعض إلاَّ أنه لا ينسب هذه الآراء لأصحابها، وسأذكر في هذا المبحث ما استطعت العثور عليها أثناء مطالعتي لتفسيره سائلاً المولى عز وجلّ الإعانة على ذلك:

أولاً: قال في تفسير قوله تعالى: ﴿وَإِذْ جَعَلْنَا ٱلْبَيْتَ مَثَابَةً لِّلنَّاسِ وَأَمْنًا وَٱتَّخِذُوا۟ مِن مَّقَامِ إِبْرَٰهِـۧمَ مُصَلًّى ۖ وَعَهِدْنَآ إِلَىٰٓ إِبْرَٰهِـۧمَ وَإِسْمَٰعِيلَ أَن طَهِّرَا بَيْتِىَ لِلطَّآئِفِينَ وَٱلْعَٰكِفِينَ وَٱلرُّكَّعِ ٱلسُّجُودِ ﴿١٢٥﴾﴾[1].

﴿وَإِذْ جَعَلْنَا ٱلْبَيْتَ مَثَابَةً لِّلنَّاسِ﴾ أي مرجعاً يثوبون إليه لحصول منافعهم الدينية والدنيوية، يترددون إليه ولا يقضون منه وطراً، وجعله (أمناً) يأمن به كل أحد حتى الوحش، وحتى الجمادات كالأشجار، ولهذا كانوا في الجاهلية على شركهم يحترمونه أشد الاحترام، ويجد أحدهم قاتل أبيه في الحرم فلا يهيجه، فلما جاء الإسلام زاده حرمة وتعظيماً وتشريفاً وتكريماً.

﴿وَٱتَّخِذُوا۟ مِن مَّقَامِ إِبْرَٰهِـۧمَ مُصَلًّى﴾ يحتمل أن يكون المراد بذلك المقام المعروف الذي قد جعل الآن مقابل باب الكعبة، وأن المراد بهذا ركعتا الطواف يستحب أن تكونا خلف مقام إبراهيم، وعليه جمهور المفسرين، ويحتمل أن يكون المقام مفرداً مضافاً فيعم جميع مقامات إبراهيم في الحج، وهي المشاعر كلها، من الطواف والسعي والوقوف بعرفة ومزدلفة، ورمي

---

(١) سورة البقرة: الآية ١٢٥.

الجمار والنحر وغير ذلك من أفعال الحج، معنى (مصلى) أي معبداً، أي اقتدوا به في شعائر الحج، ولعل هذا المعنى أولى لدخول المعنى الأول فيه، واحتمال اللفظ له[1].

فالشيخ ـ رحمه الله ـ يرجح أن المراد بمقام إبراهيم مقامه في الحج، وهي المشاعر كلها، لدليلين.

أولاً: أن هذا المعنى يدخل فيه القول الأول، وهو أن المراد بمقام إبراهيم المقام المعروف.

ثانياً: أن اللفظ يحتمله لأن أبانا إبراهيم عليه السلام قام في هذه المواضع كلها، وبالرجوع لبعض كتب التفسير نجد أن هذا المعنى الذي رجحه قد قال به جماعة من أئمة المفسرين، حكى ذلك أبو حيان في البحر المحيط، حيث قال: «والمقام من القيام، يراد به المكان أي مكان قيامه، وهو الحجر الذي ارتفع عليه إبراهيم حين ضعف عن رفع الحجارة التي كان إسماعيل يناوله إياها في بناء البيت وغرقت قدماه فيه، قاله ابن عباس وجابر وقتادة وغيرهم، أو حجر جاءت به أم إسماعيل إليه وهو راكب فاغتسل عليه، فغرقت رجلاه فيه حين اعتمد عليه، قال الربيع بن أنس، أو مواقف الحج كلها، قاله ابن عباس أيضاً وعطاء ومجاهد، أو عرفة والمزدلفة والجمار، قاله عطاء والشعبي، لأنه قام في هذه المواضع ودعا فيها، أو الحرم كله، قاله النخعي ومجاهد، أو المسجد الحرام قاله قوم[2]، وقال إمام المفسرين محمد بن جرير الطبري في تفسيره: ثم اختلف أهل التأويل في تأويل قوله تعالى: ﴿وَٱتَّخِذُواْ مِن مَّقَامِ إِبْرَٰهِـۧمَ مُصَلًّى﴾ وفي مقام إبراهيم، فقال بعضهم مقام إبراهيم هو الحج، وممن قال ذلك عطاء عن ابن عباس وبذلك قال مجاهد[3].

---

(١) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، جـ: ١، ص: ٦٥، ٦٦.

(٢) البحر المحيط لأبي حيان، جـ: ١، ص: ٣٨١، ط دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع عام ١٣٩٨هـ.

(٣) جامع البيان عن تأويل آي القرآن، لأبي جعفر محمد بن جرير الطبري جـ: ١، ص: ٥٣٥، ٥٣٦.

بعد هذا الاستعراض لأقوال بعض المفسرين، يتضح أن ترجيح الشيخ عبد الرحمٰن بن سعدي أن مقام إبراهيم يدخل فيه مقاماته في الحج، قد سبقه إليه ترجمان القرآن وحبر الأمة عبد الله بن عباس وتلميذه مجاهد بن جبر، وعطاء بن أبي رباح.

ثانياً: قال في تفسير قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُتِبَ عَلَيْكُمُ ٱلْقِصَاصُ فِي ٱلْقَتْلَى ٱلْحُرُّ بِٱلْحُرِّ وَٱلْعَبْدُ بِٱلْعَبْدِ وَٱلْأُنثَىٰ بِٱلْأُنثَىٰ فَمَنْ عُفِيَ لَهُۥ مِنْ أَخِيهِ شَيْءٌ فَٱتِّبَاعٌۢ بِٱلْمَعْرُوفِ وَأَدَآءٌ إِلَيْهِ بِإِحْسَٰنٍ ذَٰلِكَ تَخْفِيفٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَرَحْمَةٌ فَمَنِ ٱعْتَدَىٰ بَعْدَ ذَٰلِكَ فَلَهُۥ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿١٧٨﴾﴾[1].

(فمن اعتدى بعد ذلك) أي بعد العفو (فله عذاب أليم) أي في الآخرة، وأما قتله وعدمه، فيؤخذ مما تقدم لأنه قتل مكافئاً له فيجب قتله بذلك، وأما من فسر العذاب الأليم بالقتل، وأن الآية تدل على أنه يتعين قتله، ولا يجوز العفو عنه، وبذلك قال بعض العلماء، والصحيح الأول، لأن جنايته لا تزيد على جناية غيره[2].

من خلال كلامه نلحظ أنه رحمه الله يرجح أن المراد بالعذاب الأليم عذاب الآخرة، وقد سبقه إلى هذا القول جمع من العلماء كما حكى ذلك الإمام ابن كثير في تفسيره.

حيث قال رحمه الله وقوله: ﴿فَمَنِ ٱعْتَدَىٰ بَعْدَ ذَٰلِكَ فَلَهُۥ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ يقول تعالى فمن قتل بعد أخذ الدية أو قبولها فله عذاب من الله أليم موجع شديد، وهكذا روي عن ابن عباس ومجاهد وعطاء وعكرمة والحسن وقتادة والربيع بن أنس والسدي ومقاتل، أنه هو الذي يقتل بعد أخذ الدية، كما روي أن النبيّ ﷺ قال: (من أصيب بقتل أو خبل، فإنه يختار إحدى ثلاث، إما أن يقتص، وإما أن يعفو، وإما أن يأخذ الدية، فإن أراد الرابعة فخذوا على يديه، ومن اعتدى بعد ذلك فله نار جهنم خالداً فيها) رواه أبو داود[3].

---

(١) سورة البقرة: الآية ١٧٨.

(٢) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، جـ:١، ص: ١٠٤.

(٣) تفسير ابن كثير، جـ: ١، ص: ٣٧٠، ٣٧١.

ثالثاً: قال في تفسير قوله تعالى: ﴿كُتِبَ عَلَيْكُمْ إِذَا حَضَرَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ إِن تَرَكَ خَيْرًا الْوَصِيَّةُ لِلْوَالِدَيْنِ وَالْأَقْرَبِينَ بِالْمَعْرُوفِ حَقًّا عَلَى الْمُتَّقِينَ ﴿١٨٠﴾ فَمَنْ بَدَّلَهُ بَعْدَمَا سَمِعَهُ فَإِنَّمَا إِثْمُهُ عَلَى الَّذِينَ يُبَدِّلُونَهُ إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿١٨١﴾ فَمَنْ خَافَ مِن مُّوصٍ جَنَفًا أَوْ إِثْمًا فَأَصْلَحَ بَيْنَهُمْ فَلَا إِثْمَ عَلَيْهِ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١٨٢﴾﴾[1].

واعلم أن جمهور المفسرين يرون أن هذه الآية منسوخة بآية المواريث، وبعضهم يرى أنها في الوالدين والأقربين غير الوارثين، مع أنه لم يدل على التخصيص بذلك دليل، والأحسن في هذا أن يقال إن هذه الوصية للوالدين والأقربين مجملة، ردها الله تعالى إلى العرف الجاري، ثم إن الله تعالى قدر للوالدين الوارثين وغيرهما من الأقارب الوارثين، هذا المعروف في آيات المواريث بعد أن كان مجملا، وبقي الحكم فيمن لم يرثوا من الوالدين الممنوعين من الإرث وغيرهما ممن حجب بشخص أو وصف، فإن الإنسان مأمور بالوصية لهؤلاء، وهم أحق الناس ببره، وهذا القول تتفق عليه الأمة ويحصل به الجمع بين القولين المتقدمين، لأن كلا من القائلين بهما لحظ ملحظاً، واختلف المورد.

فبهذا الجمع يحصل الاتفاق والجمع بين الآيات، فإنه مهما أمكن الجمع كان أحسن من ادعاء النسخ الذي لم يدل عليه دليل صحيح[2].

بتدبر كلامه ـ رحمه الله ـ نجده يشير إلى أقوال المفسرين في الآية، ويرجح القول بأنها غير منسوخة، وأنها مجملة بينتها آية المواريث، وبقي الحكم فيمن لم يرثوا من الوالدين الممنوعين من الإرث وغيرهما ممن حجب بوصف أو شخص، وبمقارنة كلامه بكلام بعض أئمة التفسير، نجد أنه قد سبقه إلى هذا الرأي الذي رجحه طائفة كبيرة من أئمة التفسير، كما حكاه

= وابن كثير هو الإمام الجليل الحافظ عماد الدين أبي الفداء إسماعيل بن كثير القرشي الدمشقي، المتوفى سنة ٧٧٤هـ.

وانظر الحديث في سنن أبي داود، جـ:٢، ص:٢٤٣، من كتاب الديات، باب الإمام يأمر بالعفو في الدم.

(١) سورة البقرة: الآيات ١٨٠ ـ ١٨٢.

(٢) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، جـ: ١، ص: ١٠٥.

الإمام ابن جرير الطبري، حيث قال ـ رحمه الله ـ عند الكلام على هذه الآية: «واختلف أهل العلم في حكم هذه الآية، فقال بعضهم لم ينسخ الله شيئاً من حكمها، وإنما هي آية ظاهرها ظاهر عموم في كل والد ووالدة، والقريب، والمراد بها في الحكم البعض منهم دون الجميع، وهو من لا يرث منهم الميت دون من يرث، وذلك قول من ذكرت قوله، وهم الضحاك ومسروق والشعبي وعبد الله بن معمر[1]، ولاحق بن حميد[2]، وقول جماعة آخرين غيرهم معهم[3].

ثم سرد ابن جرير قول جماعة آخرين هم: جابر بن زيد[4] والحسن[5] وعبد الملك[6] بن يعلى وطاووس[7].

---

(١) عبد الله بن معمر، بصري، قال عنه الذهبي في ميزان الاعتدال له عن غندر خبر باطل، قال الأزدي: متروك الحديث.
ميزان الاعتدال للذهبي، ج: ٢، ص٥٠٧.

(٢) لاحق بن حميد بن سعيد السدوسي، البصري، أبو مجلز بكسر الميم، وسكون الجيم وفتح اللام بعدها زاي، مشهور بكنيته، قال عنه ابن حجر في تقريب التهذيب: ثقة من كبار الثالثة، مات سنة ست، وقيل: تسع ومائة، وقيل: قبل ذلك.
تقريب التهذيب، ج: ٢، ص: ٣٤١.

(٣) جامع البيان عن تأويل آي القرآن، لابن جرير الطبري، ج: ٢، ص: ١١٧، ط الحلبي.

(٤) جابر بن زيد أبو الشعثاء الأزدي، ثم الجوفي نسبة إلى درب الجوف وهي محلة بالبصرة، مشهور بكنيته، قال عنه ابن حجر في تقريب التهذيب: ثقة فقيه من الثالثة، مات سنة ثلاث وتسعين، ويقال: ومائة حديثه عند الجماعة.
تقريب التهذيب، ج: ١، ص: ١٢٢.

(٥) هو أبو سعيد الحسن بن أبي الحسن، يسار البصري، مولى الأنصار، وأمه خيرة مولاة أم سلمة، ولد لسنتين بقيتا من خلافة عمر، كان فصيحاً ورعاً زاهداً، روى عن علي وابن عمر وأنس وخلق كثير من الصحابة، هذا وإن الحسن البصري ليجمع إلى صلاحه وورعه وبراعته في الوعظ العلم بكتاب الله تعالى وسنة رسوله ﷺ وحديثه عند أصحاب الكتب الستة. توفي رحمه الله سنة عشر ومائة من الهجرة وعمره ٨٨ سنة.
تقريب التهذيب، ج: ١، ص: ١٦٥.

(٦) عبد الملك بن يعلى الليثي، البصري، قاضي البصرة، قال عنه ابن حجر في تقريب التهذيب: ثقة من الرابعة، مات بعد المائة، وحديثه عند البخاري معلقاً. (تقريب التهذيب، ج: ١، ص: ٥٢٤).

(٧) أبو عبد الرحمن طاووس بن كيسان، اليماني الحميري الجنوي بفتح الجيم والنون، نسبة=

بعد هذا العرض الموجز لقول ابن جرير رحمه الله، ونقله أقوال بعض أئمة التفسير، نجد أن الشيخ عبد الرحمٰن بن سعدي حينما رجح القول بأن هذه الآية غير منسوخة قد سبقه إليه جماعة من أئمة المفسرين رحمهم الله.

رابعاً: قال في تفسير قوله تعالى: ﴿ٱلْحَجُّ أَشْهُرٌ مَّعْلُومَٰتٌ ۚ فَمَن فَرَضَ فِيهِنَّ ٱلْحَجَّ فَلَا رَفَثَ وَلَا فُسُوقَ وَلَا جِدَالَ فِى ٱلْحَجِّ ۗ وَمَا تَفْعَلُوا۟ مِنْ خَيْرٍ يَعْلَمْهُ ٱللَّهُ ۗ وَتَزَوَّدُوا۟ فَإِنَّ خَيْرَ ٱلزَّادِ ٱلتَّقْوَىٰ ۚ وَٱتَّقُونِ يَٰٓأُو۟لِى ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿١٩٧﴾﴾[1].

يخبر الله تعالى أن الحج واقع في أشهر معلومات عند المخاطبين مشهودات، بحيث لا تحتاج إلى تخصيص، كما احتاج الصيام إلى تعيين شهره، وكما بين تعالى أوقات الصلوات الخمس وأما الحج فقد كان من ملة إبراهيم التي لم تزل مستمرة في ذريته معروفة بينهم، والمراد بالأشهر المعلومات عند الجمهور شوال وذو القعدة وعشر من ذي الحجة، فهي التي يقع فيها الإحرام بالحج غالباً.

(فمن فرض فيهن الحج) أي أحرم به، لأن الشروع فيه يصيره فرضاً ولو كان نفلاً، واستدل بهذه الآية الشافعي رحمه الله ومن تابعه على أنه لا يجوز الإحرام بالحج قبل أشهره.

قلت: ولو قيل فيها دلالة لقول الجمهور بصحة الإحرام بالحج قبل أشهره، لكان قريباً، فإن قوله: (فمن فرض فيهن الحج) دليل على أن الفرض قد يقع في الأشهر المذكورة، وقد لا يقع فيها، وإلاَّ لم يقيده.

وقوله: (فلا رفث ولا فسوق ولا جدال في الحج) أي يجب أن تعظموا الإحرام بالحج، وخصوصاً الواقع في أشهره، وتصونوه عن كل ما يفسده أو ينقصه[2].

= إلى بلد باليمن، كان يسكنها، روى عن العبادلة الأربعة وغيرهم، كان عالماً متقناً خبيراً بمعاني كتاب الله، ويرجع ذلك لكثرة جلوسه عند ابن عباس، توفي سنة ست ومائة.
تقريب التهذيب، جـ: ١، ص: ٣٧٧.

(١) سورة البقرة: الآية ١٩٧.

(٢) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، جـ: ١، ص: ١١٧.

وبمقارنة كلامه هذا مع كلام الإمام الجليل ابن كثير عند تفسيره لهذه الآية، نجد أن ترجيح الشيخ ابن سعدي على أن الآية فيها دلالة على قول من قال بصحة الإحرام في الحج في غير أشهر الحج هو قول الأئمة الثلاثة، حيث قال ابن كثير رحمه الله تعالى: «اختلف أهل العربية في قوله: ﴿ٱلْحَجُّ أَشْهُرٌ مَّعْلُومَٰتٌ﴾ فقال بعضم تقديره الحج حج أشهر معلومات، فعلى هذا التقدير يكون الإحرام بالحج فيها أكمل من الإحرام فيما عداها، وإن كان ذلك صحيحاً.

والقول بصحة الإحرام بالحج في جميع السنة مذهب مالك وأبي حنيفة وأحمد بن حنبل، وإسحاق بن راهويه، وبه يقول إبراهيم النخعي، والثوري، والليث بن سعد، واحتج لهم بقوله تعالى: ﴿يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْأَهِلَّةِ قُلْ هِىَ مَوَٰقِيتُ لِلنَّاسِ وَٱلْحَجِّ﴾[1]، وبأنه أحد النسكين، فصح الإحرام به في جميع السنة كالعمرة.

وذهب الشافعي إلى أنه لا يصح الإحرام بالحج إلاَّ في أشهره، فلو أحرم به قبلها لم ينعقد إحرامه به، وهل ينعقد عمرة فيه قولان عنه، وهذا القول مروي عن ابن عباس وجابر، وبه يقول عطاء وطاووس[2] ومجاهد، مستدلين بقوله ﴿ٱلْحَجُّ أَشْهُرٌ مَّعْلُومَٰتٌ﴾، وظاهره التقدير الآخر الذي ذهب إليه النحاة هو «أن وقت الحج أشهر معلومات مخصصة بها من بين سائر شهور السنة»، فدل على أنه لا يصح قبلها كميقات الصلاة[3].

خامساً: قال في تفسير قوله تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ يُتَوَفَّوْنَ مِنكُمْ وَيَذَرُونَ أَزْوَٰجًا وَصِيَّةً لِّأَزْوَٰجِهِم مَّتَٰعًا إِلَى ٱلْحَوْلِ غَيْرَ إِخْرَاجٍ فَإِنْ خَرَجْنَ فَلَا جُنَاحَ

(١) سورة البقرة: الآية ١٨٩.

(٢) سبقت ترجمته.

(٣) عمدة التفسير عن الحافظ ابن كثير، اختصار وتحقيق أحمد محمد شاكر ج: ٢، ص: ٦٠.

عَلَيْكُمْ فِي مَا فَعَلْنَ فِيٓ أَنفُسِهِنَّ مِن مَّعْرُوفٍ وَٱللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٢٤٠﴾﴾[1].

اشتهر عند كثير من المفسرين أن هذه الآية الكريمة نسختها الآية التي قبلها، وهي قوله تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ يُتَوَفَّوْنَ مِنكُمْ وَيَذَرُونَ أَزْوَٰجًا يَتَرَبَّصْنَ بِأَنفُسِهِنَّ أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ وَعَشْرًا﴾[2]، وأن الأمر كان على الزوجة أن تتربص حولاً كاملاً، ثم نسخ بأربعة أشهر وعشراً ويجيبون عن تقدم الآية الناسخة أن ذلك تقدم في الوضع لا في النزول، لأن شرط الناسخ أن يتأخر عن المنسوخ، وهذا القول لا دليل عليه، ومن تأمل الآيتين، اتضح له أن القول الآخر في الآية هو الصواب، وأن الآية الأولى في وجوب التربص أربعة أشهر وعشراً على وجه التحتيم على المرأة، وأما في هذه الآية فإنها وصية لأهل الميت أن يبقوا زوجة ميتهم عندهم حولاً كاملاً جبراً لخاطرها وبراً بميتهم، ولهذا قال: ﴿وَصِيَّةً لِّأَزْوَٰجِهِم﴾ أي وصية من الله لأهل الميت أن يستوصوا بزوجته ويمنعوها ولا يخرجوها، فإن رغبت أقامت في وصيتها، وإن أحبت الخروج فلا حرج عليها، ولهذا قال: ﴿فَإِنْ خَرَجْنَ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِي مَا فَعَلْنَ فِيٓ أَنفُسِهِنَّ﴾ أي من التجمل واللباس[3].

بالرجوع إلى تفسير الإمام ابن كثير رحمه الله، نجد أن هذا القول الذي رجحه الشيخ عبد الرحمٰن بن سعدي من أن الآية ليست بمنسوخة، قد قال به الإمام مجاهد بن جبر تلميذ ابن عباس، يقول ابن كثير رحمه الله تعالى: «وقال البخاري حدثنا إسحاق بن منصور[4]، حدثنا روح[5]، حدثنا

---

(١) سورة البقرة: الآية ٢٤٠.

(٢) سورة البقرة: الآية ٢٣٤.

(٣) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، ج: ١، ص: ١٤٥.

(٤) إسحاق بن منصور بن بهرام الكوسج أبو يعقوب التميمي المروزي، ثقة ثبت، من الحادية عشرة، مات سنة إحدى وخمسين ومائتين وحديثه عند البخاري ومسلم والترمذي والنسائي وابن ماجه.
تقريب التهذيب، ج: ٢، ص: ٦١.

(٥) روح بن عبادة بن العلاء بن حسان القيسي، أبو محمد البصري قال عنه الداوودي في=

شبل[1] عن ابن أبي نجيح[2] عن مجاهد ﴿وَٱلَّذِينَ يُتَوَفَّوْنَ مِنكُمْ وَيَذَرُونَ أَزْوَٰجًا﴾ قال كانت هذه للمعتدة تعتد عند أهل زوجها واجب، فأنزل الله: ﴿وَٱلَّذِينَ يُتَوَفَّوْنَ مِنكُمْ وَيَذَرُونَ أَزْوَٰجًا وَصِيَّةً لِّأَزْوَٰجِهِم مَّتَٰعًا إِلَى ٱلْحَوْلِ غَيْرَ إِخْرَاجٍ فَإِنْ خَرَجْنَ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِى مَا فَعَلْنَ فِىٓ أَنفُسِهِنَّ مِن مَّعْرُوفٍ﴾ قال: جعل الله تمام السنة سبعة أشهر وعشرين ليلة وصية إن شاءت سكنت في وصيتها، وإن شاءت خرجت، وهو قول الله: ﴿غَيْرَ إِخْرَاجٍ فَإِنْ خَرَجْنَ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ﴾.

فالعدة كما هي واجب عليها، زعم ذلك عن مجاهد رحمه الله ومال إليه ابن كثير، حيث قال بعد سياقه قول مجاهد: وهذا القول له اتجاه في اللفظ مساعد له، وقد اختاره جماعة منهم أبو العباس ابن تيمية، ورده آخرون منهم الشيخ أبو عمر بن عبد البر[3].

سادساً: قال عند تفسيره لقوله تعالى: ﴿لَآ إِكْرَاهَ فِى ٱلدِّينِ قَد تَّبَيَّنَ ٱلرُّشْدُ مِنَ ٱلْغَىِّ فَمَن يَكْفُرْ بِٱلطَّٰغُوتِ وَيُؤْمِنۢ بِٱللَّهِ فَقَدِ ٱسْتَمْسَكَ بِٱلْعُرْوَةِ ٱلْوُثْقَىٰ لَا

= طبقات المفسرين: ثقة فاضل، وقال يعقوب بن شيبة: كان روح يتحمل الحمالات، وكان سرباً مهيباً، كثير الحديث جداً، وقال الخطيب: صنف الكتب في السنن والأحكام وجمع تفسيراً، وكان ثقة، روى له الجماعة، وتفسيره رواه عنه أبو الأزهر صالح بن درهم الباهلي البصري.
طبقات المفسرين للداوودي، جـ: ١، ص: ١٧٩، ١٨٠.

(١) شبل بن عباد المكي، القارئ، ثقة، رمي بالقدر، من الخامسة، قيل مات سنة ثمان وأربعين بعد المائة، وقيل بعد ذلك، وحديثه عند البخاري وأبي داود والنسائي وابن ماجه.
تقريب التهذيب، جـ: ١، ص: ٣٤٦.

(٢) هو عبد الله بن أبي نجيح يسار، المكي، أبويسار الثقفي مولاهم، ثقة، رمي بالقدر، وربما دلس، من السادسة، مات سنة إحدى وثلاثين بعد المائة أو بعدها، وحديثه عند الجماعة.
تقريب التهذيب، جـ: ١، ص: ٤٥٦.

(٣) تفسير ابن كثير، جـ: ١، ص: ٥٢٦، ٥٢٧، وانظر: فتح الباري شرح صحيح البخاري، جـ: ٨، ص: ١٩٣.

ٱنفِصَامَ لَهَا ۗ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٢٥٦﴾[1]، هذا بيان لكمال هذا الدين الإسلامي، وأنه لكمال براهينه واتضاح آياته، وكونه هو دين العقل والعلم، ودين الفطرة والحكمة، ودين الصلاح والإصلاح، ودين الحق والرشد، فلكماله وقبول الفطر له لا يحتاج إلى الإكراه عليه لأن الإكراه إنما يقع على ما تنفر عنه القلوب، ويتنافى مع الحقيقة والحق، أو لما تخفى براهينه وآياته، وإلاَّ فمن جاءه هذا الدين ورده ولم يقبله فإنه لعناده.

فإنه قد تبين الرشد من الغي فلم يبق لأحد عذر ولا حجة إذا أراده، ولم يقبله ولا منافاة بين هذا المعنى وبين الآيات الكثيرة الموجبة للجهاد، فإن الله أمر بالقتال ليكون الدين كله لله، ولدفع اعتداء المعتدين على الدين، وأجمع المسلمون على أن الجهاد ماض مع البر والفاجر، وأنه من الفروض المستمرة الجهاد القولي والجهاد الفعلي، فمن ظن من المفسرين أن هذه الآية تنافي آيات الجهاد فجزم بأنها منسوخة، فقوله ضعيف لفظاً، ومعنى، كما هو واضح بين لمن تدبر الآية الكريمة كما نبهنا عليه[2].

فهو يذهب إلى أن هذه الآية غير منسوخة، بل يرد على القائلين بنسخها أن قولهم ضعيف لفظاً ومعنى، وترجيحه لعدم نسخها ذهب إليه جمع من المفسرين، وعلى رأسهم إمام المفسرين محمد بن جرير الطبري، حيث يقول بعد أن سرد أقوال المفسرين «وأولى هذه الأقوال بالصواب قول من قال: نزلت هذه الآية في خاص من الناس، وقال: عني بقوله تعالى ذكره (لا إكراه في الدين) أهل الكتابين والمجوس، وكل من جاء إقراره على دينه المخالف دين الحق وأخذ الجزية منه، وأنكروا أن يكون شيء منها منسوخاً وإنما قلنا هذا القول أولى الأقوال في ذلك الصواب لما قد دللنا عليه في كتابنا كتاب اللطيف من البيان عن أصول الأحكام من أن الناسخ غير كائن ناسخاً إلاَّ ما نفى حكم المنسوخ، فلم يجز اجتماعهما، فأما ما كان ظاهرة العموم من الأمر والنهي، وباطنه الخصوص فهو من الناسخ والمنسوخ بمعزل، وإذا كان ذلك

---

(١) سورة البقرة: الآية ٢٥٦.

(٢) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، جـ: ١، ص: ١٥٢، ١٥٣.

كذلك وكان غير مستحيل أن يقال لا إكراه لأحد، فمن أخذت منه الجزية في الدين ولم يكن في الآية دليل على تأويلها بخلاف ذلك، وكان المسلمون جميعاً قد نقلوا عن نبيهم ﷺ أنه أكره على الإسلام قوماً فأبى أن يقبل منهم إلا الإسلام، حكم بقتلهم إن امتنعوا منه، وذلك كعبدة الأوثان من مشركي العرب، وكالمرتد عن دينه، دين الحق إلى الكفر، ومن أشبههم، وأنه ترك إكراه آخرين على الإسلام بقبوله الجزية منه، وإقراره على دينه الباطل، وذلك كأهل الكتابين، ومن أشبههم، كان بينا بذلك أن معنى قوله (لا إكراه في الدين) إنما هو لا إكراه في الدين لأحد من حل قبول الجزية منه بأدائه الجزية ورضاه بحكم الإسلام، ولا معنى لقول من زعم أن الآية منسوخة الحكم بالإذن بالمحاربة[1].

فابن جرير رحمه الله يذهب إلى القول بأن الآية غير منسوخة الحكم وإنما هي محكمة، وهذا ما رجحه الشيخ عبد الرحمٰن بن سعدي رحمه الله عند تفسيره لهذه الآية، كما هو نص كلامه الذي سبق قريباً.

سابعاً: قال في تفسير قوله تعالى: ﴿سَمَّٰعُونَ لِلْكَذِبِ أَكَّٰلُونَ لِلسُّحْتِ ۚ فَإِن جَآءُوكَ فَٱحْكُم بَيْنَهُمْ أَوْ أَعْرِضْ عَنْهُمْ ۖ وَإِن تُعْرِضْ عَنْهُمْ فَلَن يَضُرُّوكَ شَيْـًٔا ۖ وَإِنْ حَكَمْتَ فَٱحْكُم بَيْنَهُم بِٱلْقِسْطِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُقْسِطِينَ ﴿٤٢﴾﴾[2].

قال: والسمع ههنا سمع استجابة أي من قلة دينهم وعقلهم أن استجابوا لمن دعاهم إلى القول الكذب ﴿أَكَّٰلُونَ لِلسُّحْتِ ۚ﴾: أي المال الحرام، بما يأخذونه على سفلتهم وعوامهم من المعلومات والرواتب التي بغير الحق، فجمعوا بين اتباع الكذب وأكل الحرام ﴿فَإِن جَآءُوكَ فَٱحْكُم بَيْنَهُمْ أَوْ أَعْرِضْ عَنْهُمْ ۖ﴾ فأنت مخير في ذلك، وليست هذه منسوخة، فإنه عند تحاكم هذا الصنف إليه يخير بين أن يحكم بينهم أو يعرض عن الحكم بينهم بسبب أنه لا قصد لهم في الحكم الشرعي، إلاَّ أن يكون موافقاً لأهوائهم[3].

---

(١) جامع البيان عن تأويل أي القرآن، ج: ٣، ص: ١٧، ط الحلبي.

(٢) سورة المائدة: الآية ٤٢.

(٣) تيسر الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، ج: ٢، ص: ١٣٧.

وعلى هذا فكل مستفت ومتحاكم إلى عالم يعلم من حاله أنه إن حكم عليه لم يرض، لم يجب الحكم ولا الإفتاء لهم، فإن حكم بينهم وجب أن يحكم بالقسط، ولهذا قال: ﴿وَإِن تُعْرِضْ عَنْهُمْ فَلَن يَضُرُّوكَ شَيْـًٔا وَإِنْ حَكَمْتَ فَٱحْكُم بَيْنَهُم بِٱلْقِسْطِ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُقْسِطِينَ﴾ حتى ولو كانوا ظلمة وأعداء، فلا يمنعك ذلك من العدل في الحكم بينهم[1].

وقال في تفسير قوله تعالى: ﴿وَأَنِ ٱحْكُم بَيْنَهُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَآءَهُمْ﴾[2].

قال: هذه الآية هي التي قيل إنها ناسخة لقوله تعالى: ﴿فَٱحْكُم بَيْنَهُمْ أَوْ أَعْرِضْ عَنْهُمْ﴾، والصحيح أنها ليست بناسخة، وإن تلك الآية تدل على أنه ﷺ مخير بين الحكم بينهم وبين عدمه، وذلك لعدم قصدهم بالتحاكم للحق، وهذه الآية تدل على أنه إذا حكم فإنه يحكم بينهم بما أنزل الله من الكتاب والسنة، وهو القسط الذي تقدم، أن الله قال: ﴿وَإِنْ حَكَمْتَ فَٱحْكُم بَيْنَهُم بِٱلْقِسْطِ﴾، ودل هذا على بيان القسط، وأن مادته هو ما شرعه الله من الأحكام، فإنها المشتملة على غاية العدل والقسط، وما خالف ذلك فهو جور وظلم[3].

بتتبع تفسيره لهاتين الآيتين، نرى أنه أورد للعلماء فيهما قولين، دون أن ينسب القولين لأصحابهما، قول يذهب إلى أن الآية الأولى وهي قوله تعالى: ﴿فَإِن جَآءُوكَ فَٱحْكُم بَيْنَهُمْ أَوْ أَعْرِضْ عَنْهُمْ﴾ منسوخة بقوله تعالى: ﴿وَأَنِ ٱحْكُم بَيْنَهُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَآءَهُمْ﴾ بمعنى أن الكفار إذا تحاكموا إلى حكام المسلمين أن عليهم أن يحكموا بينهم بما أنزل الله من كتابه، وبما شرعه على لسان رسوله ﷺ من سنته.

وقول آخر يرى بأنه ليس هناك نسخ بين الآيتين، وأن الآية الأولى فيها التخيير للحاكم إذا ترافع إليه الكفار أن يحكم بينهم أو أن يعرض عن الحكم

---

(١) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، جـ: ٢، ص: ١٣٧.

(٢) سورة المائدة: الآية ٤٩.

(٣) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، جـ: ٢، ص: ١٤٢.

بينهم ويتركهم يتحاكمون إلى علمائهم، لأنه لا قصد لهم بحكم الله، إلاَّ أن يكون موافقاً لأهوائهم، فإن حكم بينهم فحينئذ يجب الحكم بالقسط الذي هو العدل، وأن أحكم بينهم بما أنزل الله.

ويرجح الشيخ هذا الرأي، وهو أنه لا نسخ بين الآيتين، وبالرجوع لبعض التفاسير نجد أن هذا الرأي الذي رجحه قد قال به جماعة من التابعين، كما حكاه الإمام ابن جرير الطبري في تفسيره[1]، فقد نسب القول بعدم النسخ إلى الشعبي، والنخعي، وعمرو بن شعيب[2]، وقتادة، ورجحه رحمه الله، حيث قال بعد أن أورد أقوال أئمة التفسير من الصحابة والتابعين: «وأولى القولين في ذلك عندي بالصواب قول من قال: أن حكم هذه الآية ثابت لم ينسخ، وأن للحكام من الخيار في الحكم بين أهل العهد إذا ارتفعوا إليهم فاحتكموا وترك الحكم بينهم والنظر.

مثل الذي جعله الله لرسوله ﷺ من ذلك في هذه الآية، وإنما قلنا: ذلك أولاهما بالصواب، لأن القائلين أن حكم هذه الآية منسوخ، زعموا أنه نسخ بقوله: ﴿وَأَنِ ٱحْكُم بَيْنَهُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ﴾، وقد دللنا في كتابنا «كتاب البيان عن أصول الأحكام» أن النسخ لا يكون نسخاً إلاَّ ما كان نفياً لحكم غيره بكل معانيه، حتى لا يجوز اجتماع الحكم بالأمرين جميعاً على صحته بوجه من الوجوه، بما أغنى عن إعادته في هذا الموضع، فإذا كان ذلك كذلك وكان غير مستحيل في الكلام أن يقال (وأن احكم بينهم بما أنزل الله) ومعناه وأن أحكم بينهم بما أنزل الله إذا حكمت بينهم باختيارك الحكم بينهم إذا اخترت ذلك ولم تختر الإعراض عنهم إذ كان قد تقدم إعلام المقول له ذلك من قائله أن له الخيار في الحكم، وترك الحكم كان معلوماً بذلك أن لا دلالة في قوله تعالى: ﴿وَأَنِ ٱحْكُم بَيْنَهُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ﴾ أنه ناسخ لقوله: ﴿فَإِن

---

(١) جامع البيان عن تأويل آي القرآن، جـ: ٦، ص: ٢٤٤.

(٢) عمرو بن شعيب بن محمد بن عبد الله بن عمرو بن العاص، صدوق من الخامسة، مات سنة ثمان عشرة ومائة، حديثه عند الجماعة سوى الشيخين وعند البخاري في جزء القراءة. تقريب التهذيب، جـ٢، ص: ٧٢.

جَآءُوكَ فَٱحْكُم بَيْنَهُمْ أَوْ أَعْرِضْ عَنْهُمْ وَإِن تُعْرِضْ عَنْهُمْ فَلَن يَضُرُّوكَ شَيْـًٔا وَإِنْ حَكَمْتَ فَٱحْكُم بَيْنَهُم بِٱلْقِسْطِ﴾، لما وصفنا من احتمال ذلك ما بينا، بل هو دليل على مثل الذي دل عليه قوله ﴿وَإِنْ حَكَمْتَ فَٱحْكُم بَيْنَهُم بِٱلْقِسْطِ﴾، وإذ لم يكن في ظاهر التنزيل دليل على نسخ إحدى الآيتين الأخرى، ولا نفي أحد الأمرين حكم الآخر، ولم يكن عن رسول الله ﷺ: خبر يصح بأن أحدهما ناسخ صاحبه، ولا من المسلمين على ذلك إجماع صح ما قلنا من أن كلا الأمرين يؤيد أحدهما صاحبه، ويوافق حكمه حكمه ولا نسخ في أحدهما للآخر[1].

ثامناً: قال عند تفسيره لقوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَقْتُلُوا۟ ٱلصَّيْدَ وَأَنتُمْ حُرُمٌ ۗ وَمَن قَتَلَهُۥ مِنكُم مُّتَعَمِّدًا فَجَزَآءٌ مِّثْلُ مَا قَتَلَ مِنَ ٱلنَّعَمِ يَحْكُمُ بِهِۦ ذَوَا عَدْلٍ مِّنكُمْ هَدْيًۢا بَٰلِغَ ٱلْكَعْبَةِ أَوْ كَفَّٰرَةٌ طَعَامُ مَسَٰكِينَ أَوْ عَدْلُ ذَٰلِكَ صِيَامًا لِّيَذُوقَ وَبَالَ أَمْرِهِۦ ۗ عَفَا ٱللَّهُ عَمَّا سَلَفَ ۚ وَمَنْ عَادَ فَيَنتَقِمُ ٱللَّهُ مِنْهُ ۗ وَٱللَّهُ عَزِيزٌ ذُو ٱنتِقَامٍ ﴿٩٥﴾﴾[2].

وإنما نص الله على المتعمد لقتل الصيد، مع أن الجزاء يلزم المتعمد والمخطئ كما هو القاعدة الشرعية، أن المتلف للنفوس والأموال المحترمة، فإنه يضمنها على أي حال كان، إذا كان إتلافه بغير حق، لأن الله رتب عليه الجزاء والعقوبة والانتقام وهذا للمتعمد، وأما المخطئ فليس عليه عقوبة، وإنما عليه الجزاء هذا قول جمهور العلماء.

والصحيح ما صرحت به الآية أنه لا جزاء على غير المتعمد، كما لا إثم عليه[3]، فهو رحمه الله، يرجح أن الجزاء على المتعمد أما غير المتعمد، وهو المخطئ فلا جزاء عليه، كما لا إثم عليه ويقول بأن هذا الرأي هو الصحيح، لأنه صريح الآية: ﴿وَمَن قَتَلَهُۥ مِنكُم مُّتَعَمِّدًا فَجَزَآءٌ مِّثْلُ مَا قَتَلَ مِنَ ٱلنَّعَمِ﴾.

وهذا الرأي أعني أن المخطئ لا جزاء عليه، رأي سبقه إليه جمع من

---

(١) جامع البيان عن تأويل آي القرآن، جـ: ٦، ص: ٢٤٦.

(٢) سورة المائدة: الآية ٩٥

(٣) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، جـ: ٢، ص: ١٦٢.

المفسرين والفقهاء، كما حكاه الإمام حجة الإسلام أبو بكر أحمد بن علي الرازي الجصاص في كتابه أحكام القرآن حيث يقول: «القول الثاني ما روى منصور، عن قتادة، عن رجل قد سماه عن ابن عباس، أنه كان لا يرى في الخطأ شيئاً، وهو قول طاووس[1]، وعطاء وسالم، والقاسم[2]، وأحد قولي مجاهد في رواية جابر الجعفي[3] عنه[4].

ويضيف الإمام أبو عبد الله[5] القرطبي في تفسيره أحكام القرآن إلى أن هذا القول وهو أن المخطئ ليس عليه جزاء، قال به الطبري وأحمد بن حنبل

---

(١) سبقت ترجمته.

(٢) القاسم بن محمد بن أبي بكر الصديق التيمي، ثقة، أحد الفقهاء بالمدينة، قال أيوب: ما رأيت أفضل منه، من كبار الثالثة، مات سنة ست ومائة على الصحيح، وحديثه عن الجماعة.
تقريب التهذيب، جـ: ٢، ص: ١٢٠.

(٣) جابر بن يزيد بن الحارث الجعفي أبو عبد الله، الكوفي، ضعيف رافضي من الخامسة، مات سنة خمس وعشرين ومائة، وقيل سنة اثنتين وثلاثين وحديثه عند أبي داود والترمذي والنسائي.
تقريب التهذيب، جـ: ١، ص: ١٢٣.

(٤) أحكام القرآن للجصاص، جـ: ٢، ص: ٤٦٩، والجصاص: هو أحمد بن علي أبو بكر الرازي الجصاص، كان إمام الحنفية في عصره، واستقر التدريس له في بغداد، وانتهت الرحلة إليه. له تصانيف، منها أحكام القرآن، وشرح مختصر الكرخي، وشرح مختصر الطحاوي، وشرح جامع محمد، وكتاب في أصول الفقه، مات سنة ٣٧٠هـ، وكان مولده سنة ٣٠٥هـ.
انظر: طبقات المفسرين للداوودي، جـ: ١، ص: ٥٦.

(٥) أبو عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرح الأنصاري الأندلسي القرطبي، كان من عباد الله الصالحين، والعلماء العارفين له مؤلفات كثيرة، أشهرها تفسيره الذي سماه الجامع لأحكام القرآن والمبين لما تضمن من السنة وآي الفرقان في عشرين جزءاً، طبع عدة مرات، وهو من أجل التفاسير، وله كتاب الأسنى في شرح الأسماء الحسنى، وكتاب التذكار في أفضل الأذكار، وكتاب التذكرة في أمور الآخرة، وغيرها من الكتب المفيدة. توفي سنة ٦٧١هـ رحمه الله.
انظر: طبقات المفسرين للداوودي، جـ: ٢، ص: ٦٩.

في إحدى روايتيه، وروى عن ابن عباس وسعيد بن جبير، وبه قال طاووس وأبو ثور، وهو قول داود[1][2].

تاسعاً: قال عند تفسيره لقوله تعالى: ﴿فَلَمَّا جَنَّ عَلَيْهِ ٱلَّيْلُ رَءَا كَوْكَبًا قَالَ هَٰذَا رَبِّى فَلَمَّآ أَفَلَ قَالَ لَآ أُحِبُّ ٱلْآفِلِينَ ﴿٧٦﴾ فَلَمَّا رَءَا ٱلْقَمَرَ بَازِغًا قَالَ هَٰذَا رَبِّى فَلَمَّآ أَفَلَ قَالَ لَئِن لَّمْ يَهْدِنِى رَبِّى لَأَكُونَنَّ مِنَ ٱلْقَوْمِ ٱلضَّآلِّينَ ﴿٧٧﴾ فَلَمَّا رَءَا ٱلشَّمْسَ بَازِغَةً قَالَ هَٰذَا رَبِّى هَٰذَآ أَكْبَرُ فَلَمَّآ أَفَلَتْ قَالَ يَٰقَوْمِ إِنِّى بَرِىٓءٌ مِّمَّا تُشْرِكُونَ ﴿٧٨﴾ إِنِّى وَجَّهْتُ وَجْهِىَ لِلَّذِى فَطَرَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ حَنِيفًا وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿٧٩﴾﴾[3].

﴿فَلَمَّا جَنَّ عَلَيْهِ ٱلَّيْلُ﴾ أي أظلم ﴿رَءَا كَوْكَبًا﴾ لعله من الكواكب المضيئة، لأن تخصيصه بالذكر يدل على زيادته عن غيره، ولهذا والله أعلم قال من قال أنه الزهرة ﴿قَالَ هَٰذَا رَبِّى﴾ أي على وجه التنزل مع الخصم، أي هذا ربي فهلم ننظر هل يستحق الربوبية، وهل يقوم لنا دليل على ذلك، فإنه لا ينبغي لعاقل أن يتخذ إلهه هواه بغير حجة ولا برهان ﴿فَلَمَّآ أَفَلَ﴾ أي غاب ذلك الكوكب ﴿قَالَ لَآ أُحِبُّ ٱلْآفِلِينَ﴾ أي الذي يغيب ويختفي عمن عبده، فإن المعبود لا بد أن يكون قائماً بمصالح من عبده ومدبراً له في جميع شؤونه، فأما الذي يمضي وقت كثير وهو غائب فمن أين يستحق العبادة، وهل اتخاذه إلهاً إلاَّ من أسفه السفه وأبطل الباطل.

﴿فَلَمَّا رَءَا ٱلْقَمَرَ بَازِغًا﴾ أي طالعاً، ورأى زيادته على نور الكواكب ومخالفته لها ﴿قَالَ هَٰذَا رَبِّى﴾ تنزلاً ﴿فَلَمَّآ أَفَلَ قَالَ لَئِن لَّمْ يَهْدِنِى رَبِّى لَأَكُونَنَّ مِنَ ٱلْقَوْمِ ٱلضَّآلِّينَ﴾ فافتقر غاية الافتقار إلى هداية ربه، وعلم أنه إن لم يهده فلا هادي له، وإن لم يعنه على طاعته، فلا معين له ﴿فَلَمَّا رَءَا ٱلشَّمْسَ بَازِغَةً قَالَ

---

(١) داود بن علي خلف الأصبهاني، أبو سليمان، الملقب بالظاهري أحد الأئمة المجتهدين، وسمي بذلك لأخذه بظاهر الكتاب والسنة، وإعراضه عن التأويل والرأي والقياس، ولد سنة ٢٠١هـ، وتوفي سنة ٢٧٠هـ، له ترجمة في الأنساب للسمعاني والفهرست لابن النديم وغيرها من كتب التراجم.
طبقات المفسرين للداوودي، جـ: ١، ص: ١٧١.

(٢) أحكام القرآن للقرطبي، جـ: ٦ ص: ٣٠٧.

(٣) سورة الأنعام: الآية ٧٦ ـ ٧٩.

هَٰذَا رَبِّي هَٰذَآ أَكۡبَرُۖ ﴾ من الكوكب والقمر ﴿فَلَمَّآ أَفَلَتۡ ﴾ تقرر حينئذ الهدى، واضمحل الردى ﴿قَالَ يَٰقَوۡمِ إِنِّي بَرِيٓءٞ مِّمَّا تُشۡرِكُونَ ﴾ حيث قام البرهان الصادق الواضح على بطلانه.

﴿إِنِّي وَجَّهۡتُ وَجۡهِيَ لِلَّذِي فَطَرَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ حَنِيفٗاۖ ﴾ أي لله وحده، مقبلاً عليه، معرضاً عما سواه ﴿وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلۡمُشۡرِكِينَ ﴾ فتبرأ من الشرك، وأذعن بالتوحيد، وأقام على ذلك البرهان، وهذا الذي ذكرنا في تفسير هذه الآيات هو الصواب، وهو أن المقام مقام مناظرة من إبراهيم لقومه، وبيان بطلان إلهية هذه الأجرام العلوية وغيرها، وأما من قال أنه مقام نظر في حال طفوليته فليس عليه دليل[1].

للعلماء في تفسير هذه الآيات قولان، فطائفة تقول أن ما حصل من إبراهيم ما هو إلاَّ مقام نظر في حال طفولته، أي قبل تكليفه، فقد روى ابن جرير من طريق علي بن أبي طلحة عن ابن عباس ما يقتضي أنه مقام نظر، واختاره ابن جرير مستدلاً بقوله تعالى: ﴿لَئِن لَّمۡ يَهۡدِنِي رَبِّي لَأَكُونَنَّ مِنَ ٱلۡقَوۡمِ ٱلضَّآلِّينَ ﴾[2].

وطائفة أخرى من العلماء تقول أن ما حصل من إبراهيم عليه السلام هو مقام مناظرة لقومه، وعلى هذا القول جمهور المحققين من المفسرين، واختاره ابن كثير[3] والخازن[4].

قال ابن كثير رحمه الله: «والحق أن إبراهيم عليه الصلاة والسلام كان في هذا المقام مناظراً لقومه، مبيناً لهم بطلان ما كانوا عليه من عبادة الهياكل

---

(١) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، جـ: ٢، ص: ١٩٧ ـ ١٩٨.

(٢) تفسير ابن كثير، جـ: ٣، ص: ٥٥.

(٣) سبقت ترجمته.

(٤) الإمام العلامة، قدوة الأمة، وعلم الأئمة، ناصر الشريعة ومحيي السنة علاء الدين علي بن محمد بن إبراهيم البغدادي الشافعي، الصوفي المعروف بالخازن، اشتهر بهذا اللقب لأنه كان خازن كتب خانقاه السميا بدمشق، ولد ببغداد سنة ٦٧٨هـ، وتوفي سنة ٧٤١هـ بمدينة حلب، رحمه الله رحمة واسعة.
طبقات المفسرين للداوودي، جـ: ١، ص: ٤٢٦.

والأصنام، فبين في المقام الأول مع أبيه خطأهم في عبادة الأصنام الأرضية التي هي على صور الملائكة السماوية، ليشفعوا لهم إلى الخالق العظيم الذين هم عند أنفسهم أحقر من أن يعبدون، وإنما يتوسلون إليه بعبادة ملائكته ليشفعوا لهم عنده في الرزق والنصر وغير ذلك مما يحتاجون إليه، وبين في هذا المقام خطأهم وضلالهم في عبادة الهياكل وهي الكواكب السيارة السبعة المتحيرة، وهي: القمر، وعطارد، والزهرة، والشمس، والمريخ، والمشتري، وزحل»[1].

وقال الخازن بعد أن ذكر قول من قال بأن ما حصل من إبراهيم هو في حال طفوليته، وقبل استحكام النظر في معرفة الرب سبحانه وتعالى، وذكر دليلهم قال: «وهذا القول ليس بسديد ولا مرضي، لأن الأنبياء معصومون في كل حال من الأحوال، وأنه لا يجوز أن يكون لله عز وجل رسول يأتي عليه وقت من الأوقات إلاَّ وهو بالله عارف، وله موحد، وله من كل منقصة منزه، ومن كل معبود سواه بريء، وكيف يتوهم هذا على إبراهيم وقد عصمه الله وطهره وآتاه رشده من قبل، وأراه ملكوت السموات والأرض، أفبرؤية الكوكب يقول معتقداً هذا ربي، حاشا إبراهيم ﷺ من ذلك لأن منصبه أعلى وأشرف من ذلك عليه الصلاة والسلام.

والقول الثاني: الذي عليه جمهور المحققين أن هذه الرؤية وهذا القول كان بعد بلوغ إبراهيم، وحين شرفه الله بالنبوة وأكرمه بالرسالة[2].

فما ذهب إليه الشيخ عبد الرحمٰن بن سعدي من أن المقام من إبراهيم مقام مناظرة، لا نظر هو القول الراجح الذي عليه جمهور المحققين من المفسرين كما أوضح ذلك ابن كثير والخازن رحمهما الله تعالى، وهو الذي تعضده الأدلة.

عاشراً: قال بعد تفسيره للآيات من سورة الأعراف: ﴿وَبَيْنَهُمَا حِجَابٌ وَعَلَى

---

(١) تفسير ابن كثير، جـ: ٣، ص: ٥٦.

(٢) تفسير الخازن المسمى لباب التأويل في معاني التنزيل، جـ: ٢، ص: ١٢٥.

ٱلْأَعْرَافِ رِجَالٌ يَعْرِفُونَ كُلًّۢا بِسِيمَىٰهُمْ وَنَادَوْا۟ أَصْحَٰبَ ٱلْجَنَّةِ أَن سَلَٰمٌ عَلَيْكُمْ لَمْ يَدْخُلُوهَا وَهُمْ يَطْمَعُونَ ﴿٤٦﴾ ۞ وَإِذَا صُرِفَتْ أَبْصَٰرُهُمْ تِلْقَآءَ أَصْحَٰبِ ٱلنَّارِ قَالُوا۟ رَبَّنَا لَا تَجْعَلْنَا مَعَ ٱلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٤٧﴾ وَنَادَىٰٓ أَصْحَٰبُ ٱلْأَعْرَافِ رِجَالًا يَعْرِفُونَهُم بِسِيمَىٰهُمْ قَالُوا۟ مَآ أَغْنَىٰ عَنكُمْ جَمْعُكُمْ وَمَا كُنتُمْ تَسْتَكْبِرُونَ ﴿٤٨﴾ أَهَٰٓؤُلَآءِ ٱلَّذِينَ أَقْسَمْتُمْ لَا يَنَالُهُمُ ٱللَّهُ بِرَحْمَةٍ ٱدْخُلُوا۟ ٱلْجَنَّةَ لَا خَوْفٌ عَلَيْكُمْ وَلَآ أَنتُمْ تَحْزَنُونَ ﴿٤٩﴾ ﴾[1].

قال رحمه الله بعد تفسيره لهذه الآيات: «واختلف أهل العلم والمفسرون من هم أصحاب الأعراف وما أعمالهم؟ والصحيح من ذلك أنهم قوم تساوت حسناتهم وسيئاتهم، فلا رجحت سيئاتهم فدخلوا النار، ولا رجحت حسناتهم فدخلوا الجنة، فصاروا في الأعراف ما شاء الله، ثم إن الله تعالى يدخلهم برحمته الجنة، فإن رحمته تسبق وتغلب غضبه ورحمته وسعت كل شيء»[2].

اختلفت عبارات المفسرين رحمهم الله في أصحاب الأعراف من هم؟ على ثلاثة عشر قولاً، ذكر الخازن منها ثمانية، وزاد عليه الإمام القرطبي خمسة، فقيل هم الشهداء، وقيل فضلاء المؤمنين، وقيل هم قوم أنبياء، وقيل هم العباس وحمزة وعلي وجعفر، وقيل عدول القيامة الذين يشهدون على الناس بأعمالهم، وقيل هم أولاد الزنا، وقيل أطفال المشركين، وقيل هم قوم صالحون فقهاء علماء، وقيل هم ملائكة، وقيل هم قوم كانت لهم أعمال أنجاهم الله بها من النار، وهم آخر من يدخل الجنة، وقيل هم قوم كانت لهم صغائر لم تكفر عنهم بالآلام والمصائب في الدنيا.

وذكر ابن الجوزي أنهم قوم رضي عنهم آباؤهم دون أمهاتهم أو أمهاتم دون آبائهم»[3].

والصحيح أنهم قوم استوت حسناتهم وسيئاتهم، كما رجح ذلك الشيخ عبد الرحمٰن بن ناصر السعدي، وقد سبقه لهذا القول جمهور من المفسرين

---

(١) سورة الأعراف: الآيات ٤٦ ـ ٤٩.

(٢) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، جـ: ٣، ص: ١٧٠.

(٣) بتلخيص من: فتح البيان في مقاصد القرآن، للعلامة المحقق صديق حسن خان، جـ: ٣، ص: ٣٣٦، ٣٣٧.

على رأسهم حبر الأمة وترجمان القرآن عبد الله بن عباس، وإليه ذهب ابن مسعود وحذيفة بن اليمان والشعبي وسعيد بن جبير وقتادة والضحاك، فقد ذكر ذلك عنهم الإمام ابن جرير رحمه الله تعالى[1]، وهو اختيار الإمام ابن جرير.

وقد قال الإمام ابن كثير رحمه الله: «قال سعيد بن داود[2] حدثني جرير[3] عن عمارة بن القعقاع[4] عن أبي زرعة[5] عن عمرو بن جرير[6] قال: سئل رسول الله ﷺ عن أصحاب الأعراف قال: «هم آخر من يفصل بينهم من العباد، فإذا فرغ رب العالمين من الفصل بين العباد قال أنتم قوم أخرجتكم حسناتكم من النار، ولم تدخلوا الجنة فأنتم عتقائي فارعوا من الجنة حيث شئتم، وهذا مرسل حسن»[7] وأخرجه ابن جرير بسنده.

الحادي عشر: قال عند تفسيره لقول الله تعالى: ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّا نَأْتِي الْأَرْضَ

---

(١) جامع البيان عن تأويل آي القرآن، جـ: ٨، ص: ١٩٠ ـ ١٩٢.

(٢) سعيد بن داود بن أبي زنبد بفتح الزاي وسكون النون وفتح الموحدة الزنبدي، أبو عثمان المدني، صدوق له مناكير عن مالك، وحديثه عند البخاري معلقاً، من الطبقة العاشرة، مات سنة عشرين ومائتين هـ ا .هـ. تقريب التهذيب، جـ: ١، ص: ٢٩٤.

(٣) جرير بن عبد الحميد بن قرط بضم القاف وسكون الراء بعدها طاء مهملة الضبي الكوفي، نزيل الري وقاضيها، ثقة، صحيح الكتاب، قيل كان في آخر عمره يهم من حفظه، روى عن جماعة منهم عمارة بن القعقاع، مات سنة ثمان وثمانين وله إحدى وسبعون سنة، وحديثه عند الجماعة.
تقريب التهذيب، جـ: ١، ص: ١٢٧.

(٤) عمارة بن القعقاع بن شبرمة الضبي، الكوفي، ثقة، أرسل عن ابن مسعود، وهو من الطبقة السادسة، وحديثه عند الجماعة.
تقريب التهذيب، جـ: ٢، ص: ٥١.

(٥) أبو زرعة بن عمرو بن جرير بن عبد الله البجلي، الكوفي، قيل اسمه هرم، وقيل عمرو، وقيل عبد الله، وقيل جرير، ثقة، من الثالثة، وحديثه عند الجماعة. تقريب التهذيب، جـ: ٢، ص: ٤٢٤.

(٦) عمرو بن جرير أبو سعيد البجلي الكوفي، عن إسماعيل بن أبي خالد قال الدارقطني: متروك الحديث. ميزان الاعتدال، جـ: ٣، ص: ٢٥٠.

(٧) تفسير ابن كثير، جـ: ٣، ص: ١٧٣، وانظر: تفسير ابن جرير، جـ: ٨، ص: ١٩٤، فقد أخرجه بسنده.

نَنقُصُهَا مِنْ أَطْرَافِهَا ۚ وَٱللَّهُ يَحْكُمُ لَا مُعَقِّبَ لِحُكْمِهِۦ ۚ وَهُوَ سَرِيعُ ٱلْحِسَابِ ﴿٤١﴾﴾[1].

ثمَّ قال متوعداً للمكذبين: ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا۟ أَنَّا نَأْتِى ٱلْأَرْضَ نَنقُصُهَا مِنْ أَطْرَافِهَا ۚ﴾ قيل: إهلاك المكذبين واستئصال الظالمين، وقيل بفتح بلدان المشركين ونقصهم في أموالهم وأبدانهم، وقيل غير ذلك من الأقوال.

والظاهر والله أعلم، أن المراد بذلك أن أراضي هؤلاء المكذبين جعل الله يفتحها ويجتاحها ويحل القوارع بأطرافها تنبيهاً لهم قبل أن يجتاحهم النقص ويوقع الله بهم من القوارع ما لا يرده أحد[2].

يقول الإمام ابن الجوزي رحمه الله في كتابه زاد المسير في علم التفسير عند تفسيره لقوله تعالى: ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا۟ أَنَّا نَأْتِى ٱلْأَرْضَ نَنقُصُهَا مِنْ أَطْرَافِهَا ۚ﴾ فيه خمسة أقوال[3]، ثم سرد هذه الأقوال وأسندها إلى قائليها.

وقد ذكر الشيخ عبد الرحمٰن بن سعدي ثلاثة أقوال من هذه الأقوال الخمسة، ورجح أن المراد «أن أراضي هؤلاء المكذبين جعل الله يفتحها ويجتاحها ويحل القوارع بأطرافها» حيث ذكر قبل ذكره لهذا الرأي قوله: «والظاهر والله أعلم» أن المراد بذلك فقوله «والظاهر والله أعلم» هذا اللفظ يدل على الترجيح.

وقد عزا ابن جرير بسنده هذا الرأي إلى جماعة من أئمة التفسير من الصحابة والتابعين، حيث قال رحمه الله تعالى: «اختلف أهل التأويل في ذلك، فقال بعضهم معناه أو لم ير هؤلاء المشركون من أهل مكة الذين يسألون محمداً الآيات أنا نأتي الأرض فنفتحها له أرضاً بعد أرض حوالي أرضهم، أفلا يخافون أن نفتح له أرضهم كما فتحنا له غيرها»[4].

ثم نقل بسنده عن ابن عباس قوله أو لم يروا أن نفتح لمحمد الأرض

---

(١) سورة الرعد: الآية ٤١.
(٢) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، جـ: ٢، ص: ٥٨.
(٣) زاد المسير في علم التفسير، جـ: ٤، ص: ٣٤٠، المكتب الإسلامي بدمشق.
(٤) تفسير ابن جرير، جـ: ١٤، ص: ١٧٢.

بعد الأرض، وعن الضحاك قال: ما تغلبت عليه من أرض العدو[1]، وعن الحسن قوله: فهو ظهور المسلمين على المشركين[2]، وعن الضحاك أيضاً يعني أن نبي الله ﷺ كان ينتقص له ما حوله من الأرضين ينظرون إلى ذلك فلا يعتبرون[3]، قال الله تعالى في سورة الأنبياء: ﴿أَفَلَا يَرَوْنَ أَنَّا نَأْتِي ٱلْأَرْضَ نَنقُصُهَا مِنْ أَطْرَافِهَآ أَفَهُمُ ٱلْغَـٰلِبُونَ﴾[4].

ثم إن ابن جرير رحمه الله رجح هذا الرأي الذي قال به ابن عباس والضحاك والحسن، فقال بعد سرده للأقوال الورادة عن السلف في معنى هذه الآية وأولى الأقوال في تأويل ذلك بالصواب قول من قال: «أو لم يروا أنا نأتي الأرض ننقصها من أطرافها بظهور المسلمين من أصحاب محمد ﷺ، وقهرهم أهلها، أفلا يعتبرون ذلك فيخافون ظهورهم على أرضهم وقهرهم إياهم، وذلك أن الله توعد الذين سألوا رسوله الآيات من مشركي قومه بقوله: ﴿وَإِن مَّا نُرِيَنَّكَ بَعْضَ ٱلَّذِى نَعِدُهُمْ أَوْ نَتَوَفَّيَنَّكَ فَإِنَّمَا عَلَيْكَ ٱلْبَلَـٰغُ وَعَلَيْنَا ٱلْحِسَابُ ﴿٤٠﴾﴾[5] ثم وبخهم الله تعالى ذكره بسوء اعتبارهم بما يعاينون من فضل الله بضربائهم من الكفار وهم مع ذلك يسألون الآيات، فقال: ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا۟ أَنَّا نَأْتِي ٱلْأَرْضَ نَنقُصُهَا مِنْ أَطْرَافِهَآ﴾ بقهر أهلها والغلبة عليها من أطرافها وجوانبها وهم لا يعتبرون بما يرون من ذلك»[6].

الثاني عشر: قال عند تفسير قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَـٰكَ سَبْعًا مِّنَ ٱلْمَثَانِى وَٱلْقُرْءَانَ ٱلْعَظِيمَ ﴿٨٧﴾﴾[7].

يقول تعالى ممتناً على رسوله: ﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَـٰكَ سَبْعًا مِّنَ ٱلْمَثَانِى﴾ وهن على الصحيح السور السبع الطوال: البقرة، وآل عمران، والنساء، والمائدة،

---

(١) المصدر السابق، ج: ١٤، ص: ١٧٣.
(٢) تفسير ابن جرير، ج: ١٤، ص: ١٧٣.
(٣) المصدر السابق، ج: ١٣، ص: ١٧٣.
(٤) سورة الأنبياء: الآية ٤٤.
(٥) سورة الرعد: الآية ٤٠.
(٦) تفسير ابن جرير، ج: ١٣، ص: ١٧٤.
(٧) سورة الحجر: الآية ٨٧.

والأنعام، والأعراف، الأنفال، مع التوبة، أو أنها فاتحة الكتاب لأنها سبع آيات، فيكون عطف (القرآن العظيم) على ذلك من باب عطف العام على الخاص، لكثرة ما في المثاني من التوحيد، وعلوم الغيب والأحكام الجليلة وتثنيتها فيها، وعلى القول بأن الفاتحة هي السبع المثاني معناها أنها سبع آيات تثنى في كل ركعة، وإذا كان الله قد أعطاه القرآن العظيم مع السبع المثاني كان قد أعطاه أفضل ما يتنافس به المتنافسون وأعظم ما فرح به المؤمنون، قل بفضل الله وبرحمته، فبذلك فليفرحوا هو خير مما يجمعون[1].

ذكر الإمام ابن الجوزي رحمه الله في تفسيره زاد المسير في علم التفسير أن علماء السلف ذكروا أقوالاً أربعة في المراد بالسبع المثاني، ونسب هذه الأقوال لأصحابها من مفسري الصحابة والتابعين.

القول الأول والثاني ذكرهما الشيخ عبد الرحمٰن بن سعدي، والثالث أن المراد بالسبع المثاني سبع معان أنزلت في القرآن، أمر ونهي، وبشارة، وإنذار، وضرب الأمثال، وتعداد النعم، وأخبار الأمم.

والقول الرابع أن المثاني القرآن كله[2]، وقد رجح الشيخ عبد الرحمٰن بن سعدي بأن المراد بالسبع المثاني هي السور السبع الطوال.

وعند استعراض أقوال المفسرين نجد أن هذا الرأي قال به طائفة من مفسري السلف من صحابة وتابعين، فذكر ابن جرير بسنده عن ابن سيرين، عن ابن مسعود في قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَٰكَ سَبْعًا مِّنَ ٱلْمَثَانِى﴾ قال: السبع الطول، وعن ابن عمر قال: السبع الطول، وعن مجاهد عن ابن عباس في قوله: ﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَٰكَ سَبْعًا مِّنَ ٱلْمَثَانِى﴾ قال: السبع الطول، وعن سعيد بن جبير عن ابن عباس قال: هن السبع الطول، ولم يعطهن أحد إلاَّ النبي ﷺ، وأعطى موسى منهن اثنتين.

كما نقل ابن جرير بسنده عن سعيد بن جبير في قوله: ﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَٰكَ سَبْعًا

---

(١) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، ج: ٤، ص: ٨٨.

(٢) زاد المسير في علم التفسير، ج: ٤ ص: ٤١٣، ٤١٤.

مِّنَ ٱلْمَثَانِى ﴾ قال: هي الطول: البقرة، وآل عمران، والنساء والمائدة والأنعام والأعراف ويونس.

وعن مجاهد قال: هي السبع الطول.

وعن الضحاك أنه كان يقول في قوله سبعاً من المثاني يعني السبع الطول[1].

فترجيح الشيخ عبد الرحمٰن بن سعدي على أن المراد بالسبع المثاني هي السبع الطوال، قد قال به جمهور من السلف، كما نقله ابن جرير عنهم، وعلى رأسهم حبر الأمة وترجمان القرآن عبد الله بن عباس، وممن قال به عبد الله بن مسعود وابن عمر، هؤلاء من أعلام الصحابة وعلمائهم، ومن التابعين مجاهد وابن سيرين وسعيد بن جبير والضحاك.

الثالث عشر: قال عند تفسير قوله تعالى: ﴿وَمِن ثَمَرَٰتِ ٱلنَّخِيلِ وَٱلْأَعْنَٰبِ تَتَّخِذُونَ مِنْهُ سَكَرًا وَرِزْقًا حَسَنًا ۗ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَةً لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴿٦٧﴾﴾[2].

«وجعل تعالى لعباده من ثمرات النخيل والأعناب منافع للعباد ومصالح من أنواع الرزق الحسن الذي يأكله العباد طرياً ونضيجاً وحاضراً ومدخراً وطعاماً وشراباً يتخذ من عصيرها ونبيذها، ومن السكر الذي كان حلالاً قبل ذلك، ثم إن الله نسخ حل المسكرات وأعاض منها بالطيبات من الأنبذة وأنواع الأشربة اللذيذة المباحة، ولهذا قال من قال: إن المراد بالسكر هنا الطعام والشراب اللذيذ وهو أولى من القول الأول»[3].

لعلماء السلف من الصحابة والتابعين ثلاثة أقوال في المراد بالسكر في قوله تعالى: ﴿وَمِن ثَمَرَٰتِ ٱلنَّخِيلِ وَٱلْأَعْنَٰبِ تَتَّخِذُونَ مِنْهُ سَكَرًا وَرِزْقًا حَسَنًا ﴾:

أحدهما: أنه الخمر، وبه قال ابن مسعود وابن عمر والحسن وسعيد بن جبير ومجاهد وجماعة غيرهم.

---

(١) تفسير ابن جرير، جـ: ١٤، ص: ٥١ ـ ٥٤.

(٢) سورة النحل: الآية ٦٧.

(٣) تيسر الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، جـ: ٤، ص: ١٠٦.

والقول الثاني: أن السكر الخل بلغة الحبشة، وهو قول ابن عباس، وقال الضحاك: هو الخل بلغة اليمن.

والثالث: أن السكر الطعم، يقال هذا له سكر أي طعم، قاله أبو عبيدة[1][2]، وقد أشار الشيخ عبد الرحمٰن بن سعدي إلى هذه الأقوال الثلاثة، إلاَّ أنه جمع القولين الأخيرين وجعلهما قولاً واحداً حيث قال: «ولهذا قال من قال أن المراد بالسكر هنا الطعام والشراب اللذيذ»، ورجح هذا القول مشيراً إلى أنه أولى من القول الأول الذي يقول أن المراد بالسكر هنا الخمر، وذلك قبل تحريمها.

وبالرجوع إلى تفسير الإمام الطبري، نجد أن ترجيح الشيخ عبد الرحمٰن بن سعدي إلى أن المراد بالسكر هنا هو الطعام والشراب، قد قال به الشعبي[3] ومجاهد، فنقل ابن جرير بسنده عن مجالد[4] قال: قلت للشعبي أرأيت قوله تعالى: ﴿تَتَّخِذُونَ مِنْهُ سَكَرًا﴾ أهو هذا السكر الذي تصنعه النبط؟ قال: لا، هذا خمر، إنما السكر الذي قال الله تعالى ذكره: النبيذ والخل والرزق الحسن التمر والزبيب.

كما نقل عن مجاهد ﴿تَتَّخِذُونَ مِنْهُ سَكَرًا وَرِزْقًا حَسَنًا﴾ قال: ما كانوا يتخذون من النخل النبيذ، والرزق الحسن ما كانوا يصنعون من الزبيب والتمر.

ثم إن ابن جرير رحمه الله اختار هذا القول، فهو يقول بعد نقله لكلام الشعبي ومجاهد «وهذا التأويل عندي هو أولى الأقوال بتأويل هذه الآية، وذلك

---

(١) بتصرف من زاد المسير في علم التفسير، جـ: ٤، ص: ٤٦٤.

(٢) معمر بن المثنى أبو عبيدة التيمي مولاهم، البصري، النحوي اللغوي، صدوق، أخباري، وقد رمي برأى الخوارج، من السابعة، مات سنة ثمان ومائتين، وقيل بعد ذلك، وقد قارب المائة، وحديثه عند البخاري معلقاً، وعند أبي داود.
من تقريب التهذيب، جـ: ٢، ص: ٢٦٦.

(٣) تفسير ابن جرير، جـ: ٣، ص: ١٣٧، ١٣٨.

(٤) مجالد: بضم أوله وتخفيف الجيم، ابن سعيد بن عمير الهمذاني، بسكون الميم أبو عمر الكوفي، ليس بالقوى، وقد تغير في آخر عمره، من صغار السادسة، مات سنة أربع وأربعين ومائة، وحديثه عند الجماعة إلاّ البخاري.
من تقريب التهذيب، جـ: ٢، ص: ٢٢٩.

أن السكر في كلام العرب على أحد أوجه أربعة»[1] ذكرها رحمه الله، ثم قال مبيناً وجه اختياره لهذا القول: «فإذا كان ذلك كذلك، وكان ما يسكر من الشراب حراماً مما قد دللنا عليه في كتابنا المسمى (لطيف القول في أحكام شرائع الإسلام) وكان غير جائز لنا أن نقول هو منسوخ، إذ كان المنسوخ هو ما نفي حكمه الناسخ، وما لا يجوز اجتماع الحكم به وناسخه، ولم يكن في حكم الله تعالى ذكره بتحريم الخمر دليل على أن السكر الذي هو غير الخمر وغير ما يسكر من الشراب حرام إذ كان السكر أحد معانيه عند العرب ومن نزل بلسانه القرآن، هو كل ما طعم، ولم يكن مع ذلك، إذ لم يكن في نفس التنزيل دليل على أنه منسوخ أو ورد بأنه منسوخ خبر عن الرسول، ولا أجمعت عليه الأمة.

فوجب القول بما قلنا من أن معنى السكر في هذا الموضوع هو كل ما حل شربه مما يتخذ من ثمر النخل والكرم، وفسر أن يكون معناه الخمر أو ما يسكر من الشراب، وخرج من أن يكون معناه السكر نفسه، إذ كان السكر ليس مما يتخذ من النخل والكرم ومن أن يكون بمعنى السكون[2].

الرابع عشر: قال عند تفسير قوله تعالى: ﴿أَفَحَسِبَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ أَن يَتَّخِذُواْ عِبَادِى مِن دُونِىٓ أَوْلِيَآءَ إِنَّآ أَعْتَدْنَا جَهَنَّمَ لِلْكَٰفِرِينَ نُزُلًا ﴿١٠٢﴾﴾[3].

«وهذا برهان وبيان لبطلان دعوى المشركين الكافرين الذين اتخذوا بعض الأنبياء والأولياء شركاء الله يعبدونهم ويزعمون أنهم يكونون لهم أولياء ينجونهم من عذاب الله وينيلونهم ثوابه، وهم قد كفروا بالله وبرسوله، يقول الله لهم على وجه الاستفهام والإنكار المتقرر بطلانه في العقول ﴿أَفَحَسِبَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ أَن يَتَّخِذُواْ عِبَادِى مِن دُونِىٓ أَوْلِيَآءَ﴾ أي لا يكون ذلك ولا يوالي ولي الله معادياً أبداً.

فإن الأولياء موافقون لله في محبته ورضاه وسخطه وبغضه، فيكون على

---

(١) تفسير ابن جرير الطبري، جـ: ١٢، ص: ١٣٨.
(٢) تفسير ابن جرير الطبري، جـ: ١٤، ص: ١٣٨.
(٣) سورة الكهف: الآية ١٠٢.

هذا المعنى مشابهاً لقوله تعالى: ﴿وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ جَمِيعًا ثُمَّ يَقُولُ لِلْمَلَٰٓئِكَةِ أَهَٰٓؤُلَآءِ إِيَّاكُمْ كَانُوا۟ يَعْبُدُونَ ﴿٤٠﴾ قَالُوا۟ سُبْحَٰنَكَ أَنتَ وَلِيُّنَا مِن دُونِهِم﴾[1]، فمن زعم أنه يتخذ ولي الله وليا له وهو معاد الله فهو كاذب.

ويحتمل وهو الظاهر ـ أن المعنى أفحسب الكفار بالله المنابذون لرسله أن يتخذوا من دون الله أولياء ينصرونهم وينفعونهم من دون الله، ويدفعون عنهم الأذى، هذا حسبان باطل وظن فاسد، فإن جميع المخلوقين ليس بيدهم من النفع والضر شيء، ويكون هذا كقوله تعالى: ﴿قُلِ ٱدْعُوا۟ ٱلَّذِينَ زَعَمْتُم مِّن دُونِهِۦ فَلَا يَمْلِكُونَ كَشْفَ ٱلضُّرِّ عَنكُمْ وَلَا تَحْوِيلًا ﴿٥٦﴾﴾[2]، ﴿وَلَا يَمْلِكُ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِهِ ٱلشَّفَٰعَةَ﴾[3]، ونحو ذلك من الآيات التي يذكر الله فيها أن المتخذ من دونه وليا ينصره ويواليه ضال خائب الرجاء غير نائل لبعض مقصوده[4]، اهـ.

لعلماء التفسير رحمهم الله أربعة أقوال في المراد بالعباد في قوله تعالى أفحسب الذين كفروا أن يتخذوا عبادي من دوني أولياء.

القول الأول: أن المراد بهم الشياطين، وينسب هذا القول لابن عباس، ويقول الألوسي في تفسيره روح المعاني، أن هذا القول فيه بعد، ولعل الرواية لا تصح[5].

القول الثاني: أن المراد بالعباد الأصنام، وينسب هذا القول لمقاتل.

القول الثالث: أن المراد بهم الملائكة والمسيح وعزير وسائر المعبودات من دونه، وينسب هذا القول لأبي سليمان الدمشقي[6].

---

(١) سورة سبأ: الآيتان ٣٩، ٤٠.

(٢) سورة الإسراء: الآية ٥٦.

(٣) سورة الزخرف: الآية ٨٦.

(٤) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، جـ: ٥، ص: ٤٠.

(٥) روح المعاني في تفسير القرآن والسبع المثاني، جـ: ١٦، ص: ٤٦.

(٦) أبو سليمان الدمشقي: هو عبد الرحمن بن أحمد بن عطية العنسي، ثقة، لم يرو إلاّ مسنداً واحداً، وله حكايات في الزهد، وهو من التاسعة، مات سنة ٢١٢هـ، وحديثه عند ابن ماجه.
تهذيب التهذيب، جـ: ٦، ص: ١٧١.

القول الرابع: أن المراد بهم الملائكة فقط، وينسب هذا لقتادة[1].

أما شيخنا وهو عبد الرحمٰن بن سعدي فقد ذكر من هذه الأقوال قولين: الأول أن المراد بهم الأنبياء والأولياء، والقول الثاني: وهو الذي رجحه أن المراد بهم جميع الأولياء من دون الله، وهذا القول هو الذي قال به أبو سليمان الدمشقي، والآية محتملة له، فإذن ترجيح الشيخ لهذا القول نرى أنه قد سبقه إليه إمام من الأئمة المتقدمين، وعلى هذا التفسير تكون الآية مثل قوله تعالى: ﴿قُلِ ٱدْعُوا۟ ٱلَّذِينَ زَعَمْتُم مِّن دُونِهِۦ فَلَا يَمْلِكُونَ كَشْفَ ٱلضُّرِّ عَنكُمْ وَلَا تَحْوِيلًا ﴿٥٦﴾﴾[2]، وكقوله تعالى: ﴿وَلَا يَمْلِكُ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِهِ ٱلشَّفَٰعَةَ إِلَّا مَن شَهِدَ بِٱلْحَقِّ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴿٨٦﴾﴾[3]، كما حكى ذلك مفسرنا رحمه الله.

الخامس عشر: قال عند تفسيره لقوله تعالى: ﴿جَنَّٰتِ عَدْنٍ ٱلَّتِى وَعَدَ ٱلرَّحْمَٰنُ عِبَادَهُۥ بِٱلْغَيْبِ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ وَعْدُهُۥ مَأْتِيًّا ﴿٦١﴾﴾[4].

قوله ﴿بِٱلْغَيْبِ ۚ﴾ يحتمل أن تكون متعلقة بوعد الرحمٰن، فيكون المعنى على هذا أن الله وعدهم إياها وعداً غائباً لم يشاهدوه ولم يروه فآمنوا بها وصدقوا غيبها وسعوا لها سعيها، مع أنهم لم يروها فكيف لو رأوها لكانوا أشد لها طلباً وأعظم فيها رغبة وأكثر لها سعياً، ويكون في هذا مدح لهم بإيمانهم بالغيب الذي هو الإيمان النافع.

ويحتمل أن تكون متعلقة بعباده أي الذين عبدوه في حال غيبهم وعدم رؤيتهم إياه، فهذه عبادتهم ولم يروه، فلو رأوه لكانوا أشد عبادة وأعظم إنابة وأكثر حباً وأجمل شوقاً.

ويحتمل أيضاً أن المعنى هذه الجنات التي وعدها الرحمٰن عباده من الأمور التي لا تدركها الأوصاف، ولا يعلمها أحد إلاَّ الله ففيه من التشويق لها

---

(١) استقيت هذه الأقوال ونسبتها لأصحابها من روح المعاني، جـ: ١٦، ص: ٤٦، وزاد المسير، جـ: ٩، ص: ١٩٦.

(٢) سورة الإسراء: الآية ٥٦.

(٣) سورة الزخرف: الآية ٨٦.

(٤) سورة مريم: الآية ٦١.

والوصف المجمل ما يهيج النفوس، ويزعج الساكن إلى طلبها، فيكون هذا مثل قوله تعالى: ﴿فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّآ أُخْفِىَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَآءًۢ بِمَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿١٧﴾﴾[1]، والمعاني كلها صحيحة ثابتة، ولكن الاحتمال الأول أولى بدليل قوله تعالى ﴿إِنَّهُۥ كَانَ وَعْدُهُۥ مَأْتِيًّا﴾ لا بد من وقوعه، فإنه لا يخلف الميعاد وهو أصدق القائلين[2].

أورد علماء التفسير رحمهم الله لقوله تعالى: ﴿بِٱلْغَيْبِ﴾ ثلاثة معاني أوردها الشيخ عبد الرحمٰن بن سعدي، وممن أشار إلى هذه المعاني أبو حيان في تفسيره البحر المحيط[3]، وأبو السعود في تفسيره[4]، والشهاب في حاشيته على تفسير البيضاوي[5]، والبيضاوي في تفسيره[6]، والخطيب الشربيني[7]، كما أن الفخر الرازي في تفسيره الكبير أشار إلى هذه المعاني[8]، هؤلاء المفسرون رحمهم الله أشاروا إلى هذه المعاني التي أشار إليها شيخنا، إلاَّ أن معظمهم لم يرجح أي معنى من هذه المعاني على غيره، ومفسرنا يرى أن الراجح من هذه المعاني هو الاحتمال الأول (وهو أن المراد أن الله وعدهم إياها وعداً غائباً لم يشاهدوه ولم يروه، فآمنوا بها وصدقوا غيبها وسعوا إليها سعيها مع أنهم لم يروها)[9] مستدلاً بقوله تعالى في آخر الآية: ﴿إِنَّهُۥ كَانَ وَعْدُهُۥ مَأْتِيًّا﴾ وقد سبقه لهذا الترجيح الفخر الرازي، فقال بعد أن أشار إلى تلك المعاني «والوجه الأول أقوى، لأنه تعالى بيّن أن الوعد منه تعالى وإن كان بأمر

---

(١) سورة السجدة: الآية ١٧.

(٢) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، جـ: ٥، ص: ٦٠.

(٣) البحر المحيط، جـ: ٦، ص: ٢٠٢.

(٤) إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم، جـ: ٣، ص: ٢٨٧.

(٥) عناية القاضي وكفاية الراضي على تفسير البيضاوي، جـ: ٦، ص: ١٦٩.

(٦) أنوار التنزيل وأسرار التأويل المعروف بتفسير البيضاوي، ص: ٢٨٥، طبعة الجمهورية المصرية.

(٧) السراج المنير في الإعانة على معرفة بعض معاني كلام ربنا الحكيم الخبير، للشربيني، جـ: ٢، ص: ٤٣٨.

(٨) التفسير الكبير للفخر الرازي، جـ: ١١، ص: ٢٣٧.

(٩) سبق هذا النص للشيخ عبد الرحمن بن سعدي.

غائب فهو كأنه مشاهد حاصل، فلذلك قال بعده (أنه كان وعده مأتيا)[1].

وهذا الترجيح من الفخر الرازي ومن الشيخ عبد الرحمٰن بن سعدي هو الذي تعضده آراء أئمة التفسير في المراد بالغيب، كابن جرير الطبري والبغوي، وابن كثير، وغيرهم رحمهم الله تعالى[2].

السادس عشر: قال عند تفسيره لقوله تعالى في قصة داوود عليه السلام: ﴿وَعَلَّمْنَٰهُ صَنْعَةَ لَبُوسٍ لَّكُمْ لِتُحْصِنَكُم مِّنۢ بَأْسِكُمْ ۖ فَهَلْ أَنتُمْ شَٰكِرُونَ ﴿٨٠﴾﴾[3].

(أي علم الله داوود عليه السلام صنعة الدروع، فهو أول من صنعها وعلمها، وسرت صناعته إلى من بعده، فألان الله له الحديد وعلمه كيف يسردها، والفائدة فيها كبيرة ﴿لِتُحْصِنَكُم مِّنۢ بَأْسِكُمْ﴾ أي هي وقاية لكم وحفظ عند الحروب، واشتداد البأس، ﴿فَهَلْ أَنتُمْ شَٰكِرُونَ﴾ نعمة الله عليكم، حيث أجراها على يد عبده داوود كما قال تعالى: ﴿وَجَعَلَ لَكُمْ سَرَٰبِيلَ تَقِيكُمُ ٱلْحَرَّ وَسَرَٰبِيلَ تَقِيكُم بَأْسَكُمْ ۚ كَذَٰلِكَ يُتِمُّ نِعْمَتَهُۥ عَلَيْكُمْ لَعَلَّكُمْ تُسْلِمُونَ﴾[4].

يحتمل أن تعليم الله لداوود صنعة الدروع والانتهاء أمر خارق للعادة، وأن يكون كما قاله المفسرون إن الله ألان له الحديد حتى كان يعمله كالعجين والطين من دون إذابة على النار ويحتمل أن تعليم الله له على جاري العادة، وأن إلانة الحديد له بما علمه الله من الأسباب المعروفة الآن لإذابته.

وهذا هو الظاهر، لأن الله امتن على العباد وأمرهم بشكرها، ولولا أن صنعته من الأمور التي جعلها الله مقدورة للعباد لم يمن عليهم بذلك، ويذكر فائدتها لأن الدروع التي صنع داوود عليه السلام متعذر أن يكون المراد أعيانها، وإنما المنة بالجنس والاحتمال الذي ذكره المفسرون لا دليل عليه إلاَّ قوله وألنا له الحديد، وليس فيه أن الإلانة من دون سبب والله أعلم بذلك[5].

---

(١) التفسير الكبير للفخر الرازي، جـ: ١١، ص: ٢٣٧.

(٢) يمكن الرجوع لتفاسيرهم للآية ﴿الذين يؤمنون بالغيب﴾ من سورة البقرة.

(٣) سورة الأنبياء: الآية ٨٠.

(٤) سورة النحل: جزء من الآية ٨١.

(٥) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، جـ: ٥، ص: ١٢٤، ١٢٥.

أورد الشيخ رحمه الله في تفسيره لهذه الآية رأياً. ورجحه على آراء علماء التفسير المتقدمين منهم والمتأخرين

هذا الرأي هو (أن إلانة الحديد لداوود عليه السلام كانت بما علمه الله من الأسباب المعروفة الآن لإلانته).

مؤيداً هذا الرأي ومرجحاً له على غيره من الآراء بدليلين:

أولاً: أن الله امتن على العباد وأمرهم بشكرها، ولولا أن صناعة داوود من الأمور التي جعلها الله مقدورة للعباد لم يمن عليهم بذلك، ويذكر فائدتها، لأن الدروع التي صنعها داوود عليه السلام متعذر أن تكون مراده بأعيانها وإنما المنة بالجنس.

ثانياً: أن الاحتمال الذي ذكره المفسرون من إلانة الحديد لداوود وأن الله سخره له بغير نار، فكان يسويه بيده لا يدخله النار ولا يضربه بمطرقة لا دليل عليه إلاَّ قوله تعالى: ﴿وَأَلَنَّا لَهُ ٱلْحَدِيدَ﴾[1] وليس فيه أن الإلانة من دون سبب.

هذا الرأي الذي أورده الشيخ عبد الرحمٰن بن سعدي، ورجحه لم يقل به فيما أعلم أحد من المفسرين سواء المتقدم منهم أو المتأخر فقد نقل ابن جرير بسنده عن قتادة في قوله تعالى: ﴿وَأَلَنَّا لَهُ ٱلْحَدِيدَ﴾ سخر الله له الحديد بغير نار، وأنه كان يسويها بيده ولا يدخلها ناراً ولا يضربها بحديدة[2].

ونقل أبو حيان في البحر المحيط قوله: (وإلانة الحديد: قال ابن عباس وقتادة: صار كالشمع، وقال الحسن: كالعجين، وكان يعمله من غير نار، وقال السدي: كالطين المبلول والعجين والشمع يصرفه كيف شاء من غير نار ولا ضرب بمطرقة.

وقيل: أعطي قوة يلين بها الحديد[3].

---

(١) سورة سبأ: جزء من الآية ١٠.
(٢) جامع البيان عن تأويل آي القرآن، ج: ٢٢، ص٦٦.
(٣) البحر المحيط لأبي حيان، ج: ٧، ص: ٢٦٣.

ويقول الشهيد سيد قطب رحمه الله تعالى عند قوله تعالى: ﴿وَأَلَنَّا لَهُ ٱلْحَدِيدَ﴾ وهو طرف آخر من فضل الله عليه، وفي ظل هذا السياق يبدو أن الأمر كان خارقة ليست من مألوف البشر فلم يكن الأمر أمر تسخين الحديد حتى يلين ويصبح قابلاً للطرق إنما كان والله أعلم معجزة يلين بها الحديد من غير وسيلة اللين المعهودة، وإن كان مجرد الهداية لإلانة الحديد بالتسخين يعد فضلاً من الله يذكر، ولكننا إنما نتأثر بجو السياق وظلاله وهو جو معجزات، وهي ظلال خوارق خارجة عن المألوف[1].

ويقول الدكتور محمود محمد حجازي في التفسير الواضح (ولقد سخرنا لداوود الطير وألنا له الحديد: ولا شك أن إلانة الحديد بدون نار معجزة لداوود)[2].

وينقل مصطفى المراغي في تفسيره لهذه الآية: (﴿وَأَلَنَّا لَهُ ٱلْحَدِيدَ﴾ أي جعلناه في يده كالشمع والعجين، يصرفه كيف يشاء من غير نار ولا طرق)[3].

هؤلاء المفسرون وغيرهم كثير جميعهم أشاروا إلى أن الحديد صار في يد داوود كالشمع يصرفه كيف شاء يعمل منه الدروع السوابغ بدون وسيلة اللين المعهودة، بينما مفسرنا يرى ويرجح بأن إلانة الحديد لداوود بما علمه الله من الأسباب المعروفة الآن لإذابته لأن الله ختم الآية في سورة الأنبياء بقوله ﴿فَهَلْ أَنتُمْ شَٰكِرُونَ﴾ بعد أن منَّ الله عليهم بتعليم داوود هذه الصنعة التي تقيهم

---

(١) في ظلال القرآن، الجزء الثاني والعشرون، ص: ٦٦، ط الثالثة، دار إحياء التراث العربي، بيروت.

(٢) التفسير الواضح، الجزء الثاني والعشرون، ص: ٤١، ط الرابعة، سنة ١٣٨٨هـ، مطبعة الاستقلال الكبرى، القاهرة.

(٣) تفسير المراغي، الجزء الثاني والعشرون، ص: ٦٣، الطبعة الثالثة عام ١٣٨٦هـ، مطبعة الحلبي بمصر.
ويمكن الرجوع إلى تفسير ابن كثير وابن الجوزي والزمخشري وأبي السعود والنسفي والشربيني والخازن والبغوي والدر المنثور للسيوطي، والتفسير الكبير للرازي، وروح المعاني للألوسي، وأحكام القرآن للقرطبي، وفتح البيان للصديق حسن خان، فهؤلاء جميعهم فسروا إلانة الحديد لداوود بدون نار، وأنه صار في يده كالعجين.

بأسهم، والمنة كما يقول: إنما هي بالجنس وليست بالدروع التي صنع داوود عليه السلام، وهو احتمال قوي كما ترى، والعلم عند الله سبحانه وتعالى.

وهذا من الآراء التي انفرد بها الشيخ رحمه الله فيما اطلعت عليه من كتب المفسرين.

السابع عشر: قال عند تفسيره لقوله تعالى: ﴿لَّيْسَ عَلَى ٱلْأَعْمَىٰ حَرَجٌ وَلَا عَلَى ٱلْأَعْرَجِ حَرَجٌ وَلَا عَلَى ٱلْمَرِيضِ حَرَجٌ وَلَا عَلَىٰٓ أَنفُسِكُمْ أَن تَأْكُلُوا۟ مِنۢ بُيُوتِكُمْ﴾[1].

﴿وَلَا عَلَىٰٓ أَنفُسِكُمْ﴾ أي حرج ﴿أَن تَأْكُلُوا۟ مِنۢ بُيُوتِكُمْ﴾ أي بيوت أولادكم، وهذا موافق للحديث الثابت (أنت ومالك لأبيك)[2] والحديث الآخر (أن أطيب ما أكلتم من كسبكم، وأن أولادكم من كسبكم)[3] وليس المراد من قوله (من بيوتكم) بيت الإنسان نفسه، فإن هذا من باب تحصيل الحاصل الذي ينزه عنه كلام الله، ولأنه نفي الحرج عما يظن أو يتوهم فيه الإثم من هؤلاء المذكورين، وأما بيت الإنسان نفسه فليس فيه أدنى توهم»[4].

للمفسرين رحمهم الله في تفسير هذه الكلمة ﴿أَن تَأْكُلُوا۟ مِنۢ بُيُوتِكُمْ﴾ أقوال ثلاثة:

الأول: أنها بيوت الأولاد، ونسب البغوي هذا القول[5] إلى ابن قتيبة.

والثاني: البيوت التي يسكنونها، وهم فيها عيال غيرهم، فيكون الخطاب لأهل الرجل وولده وخادمه، ومن يشتمل عليه منزله ونسبها إليهم لأنهم سكانها.

والثالث: أنها بيوتهم، والمراد أكلهم من مال عيالهم وأزواجهم، لأن

---

(١) سورة النور: الآية ٦١.

(٢) أخرجه ابن ماجه عن جابر بن عبد الله، جـ: ٢، ص: ٧٦٩، رقم الحديث ٢٢٩١، وأبو داوود في سننه، جـ: ٢، ص: ١٠٨.

(٣) أخرجه ابن ماجه في التجارات، جـ: ٢، ص: ٧٦٩، والترمذي في الأحكام، جـ: ٤، ص: ٥٩١، وأبو داوود في البيوع، جـ: ٢، ص: ١٠٨.

(٤) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، جـ: ٥، ص: ٢١٩.

(٥) تفسير البغوي، هامش على تفسير الخازن، جـ: ٥، ص: ٧٤.

بيت المرأة كبيت الرجل[1]، ونسب الفخر الرازي هذا القول إلى الفراء[2].

ومفسرنا الشيخ عبد الرحمٰن بن سعدي رجح القول الأول مؤيداً ترجيحه بحديثين وردا في السنن، واستبعد أن يكون بيت الإنسان نفسه معللاً هذا الاستبعاد بأن هذا من باب تحصيل الحاصل الذي ينزه عنه كلام الله.

وممن ذهب إلى هذا القول من المفسرين أبو حيان في البحر المحيط، والخطيب الشربيني، والفخر الرازي، وأبو السعود والنسفي والألوسي[3] رحمهم الله تعالى، وهو رأي قوي كما ترى تؤيده الأحاديث الواردة.

الثامن عشر: قال عند تفسيره لقوله تعالى: ﴿أَوْ مَا مَلَكْتُم مَّفَاتِحَهُۥٓ﴾[4] أي البيوت التي أنتم متصرفون فيها بوكالة أو ولاية، ونحو ذلك، وأما تفسيرها بالمملوك فليس بوجيه لوجهين:

أحدهما: أن المملوك لا يقال فيه ملكت مفاتحه، بل يقال: ما ملكتموه أو ما ملكت أيمانكم لأنهم مالكون له جملة لا لمفاتحه فقط.

والثاني: أن بيوت المماليك غير خارجة عن بيت الإنسان نفسه، لأن المملوك وما ملكه لسيده، فلا وجه لنفي الحرج عنه»[5].

لعلماء التفسير رحمهم الله تعالى خمسة أقوال في المعنى المراد بقوله تعالى: ﴿أَوْ مَا مَلَكْتُم مَّفَاتِحَهُۥٓ﴾ استوفاها أبو حيان في تفسيره البحر المحيط، عازياً هذه الأقوال لأصحابها فقال رحمه الله:

---

(١) زاد المسير في علم التفسير، جـ: ٦، ص: ٦٢.

(٢) يحيى بن زياد بن عبد الله بن مروان الديلمي، إمام العربية أبو زكريا المعروف بالفراء، دينا متورعاً، صنف معاني القرآن، المصادر في القرآن، الجمع والتثنية في القرآن، مات بطريق مكة سنة ٢٠٧هـ عن سبع وستين سنة. طبقات المفسرين، جـ: ٢، ص: ٢٦٧.

(٣) البحر المحيط، جـ: ٦، ص: ٤٧٤، والسراج المنير، جـ: ٢، ص: ٦٤١، الفخر الرازي، جـ: ٤، ص: ٣٦، تفسير أبي السعود، جـ: ٦، ص: ١٩٦، وروح المعاني للألوسي، جـ: ١٨، ص: ٢١٩، وتفسير النسفي جـ: ٣، ص: ١٥٥.

(٤) سورة النور: جزء من الآية ٦١.

(٥) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، جـ: ٥، ص: ٢١٩.

١ ـ قال ابن عباس: هو وكيل الرجل أن يتناول من التمر ويشرب من اللبن.

٢ ـ وقال قتادة: العبد لأن ماله لك.

٣ ـ وقال مجاهد والضحاك: خزائن بيوتكم إذا ملكتم مفاتيحها.

٤ ـ وقال ابن جرير الزمنى ملكوا التصرف في البيوت التي سلمت إليهم مفاتيحها.

٥ ـ وقيل ولي اليتيم يتناول من ماله بقدر ما قال الله تعالى ﴿وَمَن كَانَ فَقِيرًا فَلْيَأْكُلْ بِالْمَعْرُوفِ﴾[1] ومفاتيحه بيده[2].

أما الشيخ عبد الرحمٰن بن سعدي رحمه الله فقد ذكر قولين:

الأول: ويمكن أن تدخل فيه أربعة أقوال من أقوال العلماء التي أشير إليها قريباً، وهي الأول والثالث والرابع والخامس، حيث قال: «أي البيوت التي أنتم متصرفون فيها بوكالة أو ولاية ونحو ذلك» فهذا القول قول من قال من العلماء هو وكيل الرجل، ومن قال خزائن بيوتكم إذا ملكتم مفاتيحها، ومن قال أنهم الزمنى ملكوا التصرف في البيوت التي سلمت لهم مفاتيحها، ومن قال أنه ولي اليتيم يتناول من مال اليتيم بقدر المعروف لقوله تعالى: ﴿وَمَن كَانَ فَقِيرًا فَلْيَأْكُلْ بِالْمَعْرُوفِ﴾.

وهذا القول، أعني القول بأن المراد بالبيوت التي أنتم متصرفون فيها بوكالة أو ولاية ونحو ذلك، وهو الذي رجحه مفسرنا، وهو كما ترى قول حبر الأمة وترجمان القرآن عبد الله بن عباس رضي الله عنهما.

ويمكن أن يكون مأخوذاً من الأقوال الأربعة.

الثاني: أما القول الثاني من القولين اللذين أوردهما عبد الرحمٰن بن سعدي وقال بأنه مرجوح، فهو القول بأن المراد بقوله تعالى: ﴿أَوْ مَا

---

(١) سورة النساء: جزء من الآية ٦.

(٢) البحر المحيط، جـ: ٦ ص: ٤٧٤.

مَلَكْتُم مَّفَاتِحَهُۥٓ ﴾ مال المماليك وهو قول قتادة، وقد رد هذا القول بوجهين:

أحدهما: أن المملوك لا يقال فيه ملكت مفاتحه، بل يقال ما ملكتموه أو ما ملكت أيمانكم، لأنهم مالكون له جملة لا لمفاتحه فقط.

والثاني: أن بيوت المماليك غير خارجة عن بيت الإنسان نفسه، لأن المملوك وما ملكه لسيده فلا وجه لنفي الحرج عنه».

التاسع عشر: قال عند تفسيره لقوله تعالى: ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا فُزِّعَ عَن قُلُوبِهِمْ قَالُوا۟ مَاذَا قَالَ رَبُّكُمْ ۖ قَالُوا۟ ٱلْحَقَّ ۖ وَهُوَ ٱلْعَلِىُّ ٱلْكَبِيرُ ﴾[1].

وقوله ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا فُزِّعَ عَن قُلُوبِهِمْ قَالُوا۟﴾ يحتمل أن الضمير في هذا الموضع يعود إلى المشركين، لأنهم مذكورون في اللفظ والقاعدة في الضمائر أن تعود إلى أقرب مذكور ويكون المعنى إذا كان يوم القيامة وفزع عن قلوب المشركين أي زال الفزع وسئلوا حين رجعت إليهم عقولهم عن حالهم في الدنيا وتكذيبهم للحق الذي جاءت به الرسل أنهم يقرون أن ما هم عليه من الكفر والشرك باطل، وأن ما قال الله وأخبرت به عنه رسله هو الحق، فبدا لهم ما كانوا يخفون من قبل، وعلموا أن الحق لله، واعترفوا بذنوبهم ﴿وَهُوَ ٱلْعَلِىُّ ﴾ بذاته فوق جميع المخلوقات، وقهره لهم، وعلو قدره بما له من الصفات العظيمة، جليلة المقدار (الكبير) في ذاته وصفاته، ومن علوه أن حكمه تعالى يعلوا وتذعن له النفوس، حتى نفوس المتكبرين والمشركين، وهذا المعنى أظهر، وهو الذي يدل عليه السياق.

ويحتمل أن الضمير يعود إلى الملائكة، وذلك أن الله تعالى إذا تكلم بالوحي سمعته الملائكة، فصعقوا وخروا لله سجدا، فيكون أول من يرفع رأسه جبريل فيكلمه الله من وحيه بما أراد، فإذا زال الصعق عن قلوب الملائكة، وزال الفزع، فيسأل بعضم بعضاً عن ذلك الكلام الذي صعقوا منه، ماذا قال ربكم؟ فيقول بعضهم لبعض: قال الحق، أما إجمالاً لعلمهم أنه لا يقول إلاَّ

---

(١) سورة سبأ: الآية ٢٣.

حقاً، وأما أن يقولوا: قال كذا وكذا للكلام الذي سمعوه منه، وذلك من الحق فيكون المعنى على هذا أن المشركين الذين عبدوا مع الله تلك الآلهة التي وصفنا لكم عجزها ونقصها، وعدم نفعها بوجه من الوجوه كيف صدقوا وصرفوا عن إخلاص العبادة للرب العظيم العلي الكبير، الذي من عظمته وجلاله أن الملائكة الكرام والمقربين من الخلق يبلغ بهم الخضوع والصعق عند سماع كلامه هذا المبلغ، ويقرون كلهم لله أنه لا يقول إلاَّ الحق، فما بال هؤلاء المشركين استكبروا عن عبادة من هذا شأنه، وعظمة ملكه وسلطانه، فتعالى العلي الكبير عن شرك المشركين وإفكهم وكذبهم[1].

أقول للمفسرين رحمهم الله فيمن يعود عليه الضمير في قوله تعالى: ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا فُزِّعَ عَن قُلُوبِهِمْ﴾ قولان، ذكرهما مفسرنا الشيخ عبد الرحمٰن بن سعدي:

القول الأول: من أقوال المفسرين يقول إن الضمير يعود على الملائكة، وهو قول الأكثر من المفسرين، فقد نقل ابن جرير بسنده عن الشعبي قال: قال ابن مسعود في هذه الآية ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا فُزِّعَ عَن قُلُوبِهِمْ﴾ قال إذا حدث أمر عند ذي العرش، سمع من دونه من الملائكة صوتاً كجر السلسلة على الصفا فيغشى عليهم، فإذا ذهب الفزع عن قلوبهم تنادوا (ماذا قال ربكم؟) قال: فيقول من شاء قال: الحق، وهو العلي الكبير[2].

وممن قال به مسروق وسعيد بن جبير وعكرمة والضحاك وعبد الله بن عباس، وعبد الله بن القاسم، وعبد الله بن عمر، وأبو عبد الرحمٰن[3] السلمي، وقتادة، وإبراهيم النخعي.

ونصر هذا القول ابن جرير[4]، فقال رحمه الله: (وأولى الأقوال في ذلك

---

(١) تيسير الرحمن في تفسير كلام المنان، جـ: ٦، ص: ١٣٥، ١٣٦.

(٢) تفسير ابن جرير الطبري، جـ: ٢٢، ص: ٩٠.

(٣) عبد الله بن حبيب بن ربيعة بفتح الموحدة وتشديد الياء، أبو عبد الرحمن السلمي الكوفي، المقرئ، مشهور بكنيته، ولأبيه صحبة، ثقة ثبت، من الثانية، مات، بعد السبعين، وحديثه عند الجماعة.
تقريب التهذيب، جـ: ١، ص: ٤٠٨.

(٤) نسب القول بذلك ابن جرير الطبري في تفسيره، جـ: ٢٢، ص: ٩٠ ـ ٩٢.

بالصواب القول الذي ذكره الشعبي عن ابن مسعود بصحة الخبر الذي ذكرناه عن ابن عباس عن رسول الله ﷺ بتأييده[1]».

كما اختاره ابن كثير[2] رحمه الله، حيث قال: (هذا هو الحق الذي لا مرية فيه لصحة الأحاديث فيه والآثار)[3]، ثم سرد جملة من الأحاديث والآثار الواردة في ذلك، فمن أراد الرجوع لذلك فليرجع لتفسيره لهذه الآيات من سورة سبأ.

القول الثاني: من أقوال المفسرين يقول: «إن الضمير يعود على المشركين، ويكون المعنى ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا فُزِّعَ عَن قُلُوبِهِمْ﴾، يعني المشركين عند الاحتضار، ويوم القيامة إذا استيقظوا مما كانوا فيه من الغفلة في الدنيا، ورجعت إليهم عقولهم يوم القيامة قالوا: ماذا قال ربكم: فقيل لهم الحق، وأخبروا به مما كانوا عنه لاهين في الدنيا»[4].

وممن قال بهذا القول مجاهد: «قال ابن أبي نجيح عن مجاهد ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا فُزِّعَ عَن قُلُوبِهِمْ...﴾ [الآية ٢٣ من سورة سبأ] قال: يعني إذا كشف الغطاء عنه يوم القيامة[5].

وقال به الحسن، فقد نقل ابن كثير عنه قوله: ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا فُزِّعَ عَن قُلُوبِهِمْ﴾ يعني ما فيها من الشك والتكذيب[6].

وعبد الرحمٰن بن زيد بن أسلم[7] ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا فُزِّعَ عَن قُلُوبِهِمْ﴾ يعني ما

---

(١) تفسير ابن جرير، جـ: ٢٢، ص: ٩٢.

(٢) نسب القول إليهم بذلك ابن كثير رحمه الله في تفسيره، جـ: ٥، ص: ٥٤٩.

(٣) تفسير ابن كثير، جـ: ٥، ص: ٥٥٠.

(٤) تفسير ابن كثير، جـ: ٥، ص: ٥٤٩.

(٥) تفسير مجاهد، ص: ٥٢٨، تحقيق عبد الرحمن الطاهر بن محمد السورتي مطابع الدوحة الحديثة، الطبعة الأولى عام ١٣٩٦هـ، طبع على نفقة أمير قطر.

(٦) تفسير ابن كثير، جـ: ٥، ص: ٥٤٩.

(٧) عبد الرحمن بن زيد بن أسلم العدوي، مولاهم، ضعيف، من الثامنة، مات سنة اثنتين وثمانين ومائة، وحديثه عند الترمذي وابن ماجه.
تقريب التهذيب، جـ: ١، ص: ٤٨٠.

فيها من الشك، قال: فزع الشيطان عن قلوبهم وفارقهم وأمانيهم وما كان يضلهم ﴿قَالُوا مَاذَا قَالَ رَبُّكُمْ قَالُوا الْحَقَّ وَهُوَ الْعَلِيُّ الْكَبِيرُ﴾.

قال: وهذا من بني آدم هذا عند الموت، أقروا حين لا ينفعهم الإقرار[1].

ومفسرنا الشيخ عبد الرحمٰن بن سعدي يرجح هذا القول، معللاً ترجيحه بأن المشركين مذكورون في اللفظ أول الآية، حيث قال تعالى: ﴿قُلِ ادْعُوا الَّذِينَ زَعَمْتُم مِّن دُونِ اللَّهِ لَا يَمْلِكُونَ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ فِي السَّمَاوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ وَمَا لَهُمْ فِيهِمَا مِن شِرْكٍ وَمَا لَهُ مِنْهُم مِّن ظَهِيرٍ ﴿٢٢﴾ وَلَا تَنفَعُ الشَّفَاعَةُ عِندَهُ إِلَّا لِمَنْ أَذِنَ لَهُ حَتَّىٰ إِذَا فُزِّعَ عَن قُلُوبِهِمْ قَالُوا مَاذَا قَالَ رَبُّكُمْ قَالُوا الْحَقَّ وَهُوَ الْعَلِيُّ الْكَبِيرُ ﴿٢٣﴾﴾[2].

ولأن القاعدة في الضمائر عودها إلى أقرب مذكور.

وممن رجح هذا القول من المفسرين: أبو حيان في البحر المحيط حيث قال بعد سرده لأدلة أرباب القول الأول (وهذه الأقوال والتي قبلها لا تكاد تلائم ألفاظ القرآن، فالله أسأل أن يرزقنا فهم كتابه، وأقربها عندي أن يكون الضمير في قلوبهم عائداً على من عاد عليه (اتبعوه) و(عليهم) و﴿مِّمَّنْ هُو مِنْهَا فِي شَكٍّ﴾[3] وتكون الجملة بعد ذلك اعتراضاً، وقوله (قالوا) أي الملائكة لأولئك المتبعين الشاكين يسألونهم سؤال توبيخ: ماذا قال ربكم؟ على لسان من بعث إليكم بعد أن كشف الغطاء عن قلوبهم، فيقرون إذ ذاك أن الذي قاله وجاءت به أنبياؤه هو الحق لا الباطل الذي كنا فيه من اتباع إبليس وشكنا في البعث)[4].

هذا كلام أبي حيان، وحسبك به إماماً في التفسير واللغة، ومفسرنا يرجع

---

(١) تفسير ابن كثير، جـ: ٥، ص: ٥٤٩.

(٢) سورة سبأ: الآيتان ٢٢، ٢٣.

(٣) يعني بذلك الآيتين رقمي (٢٠، ٢١) من سورة سبأ، وهما قوله تعالى: ﴿ولقد صدق عليهم إبليس ظنه فاتبعوه إلاّ فريقاً من المؤمنين، وما كان له عليهم من سلطان، إلاّ لنعلم من يؤمن بالآخرة ممن هو منها في شك، وربك على كل شيء حفيظ﴾.

(٤) البحر المحيط، تفسير أبي حيان، جـ: ٧، ص: ٢٧٩.

معنى كلامه إلى معنى كلام أبي حيان، وقد سبقهما كما قدمنا عبد الرحمٰن بن زيد ومجاهد والحسن، والعلم عند الله تعالى.

العشرون: قال في تفسير قوله تعالى: ﴿وَءَايَةٌ لَّهُمْ أَنَّا حَمَلْنَا ذُرِّيَّتَهُمْ فِى ٱلْفُلْكِ ٱلْمَشْحُونِ ﴿٤١﴾ وَخَلَقْنَا لَهُم مِّن مِّثْلِهِۦ مَا يَرْكَبُونَ ﴿٤٢﴾﴾[1].

(أي ودليل لهم وبرهان على أن الله وحده المعبود، لأنه المنعم بالنعم، الصارف للنقم الذي من جملة نعمه ﴿أَنَّا حَمَلْنَا ذُرِّيَّتَهُمْ﴾ قال كثير من المفسرين: المراد بذلك آباؤهم ﴿وَخَلَقْنَا لَهُم﴾ أي للموجودين من بعدهم ﴿مِّن مِّثْلِهِۦ﴾ أي من مثل ذلك أي جنسه ﴿مَا يَرْكَبُونَ﴾ به، فذكر نعمته على الآباء بحملهم في السفن لأن النعمة عليهم نعمة على الذرية، وهذا الموضع من أشكل المواضع علي في التفسير، فإن ما ذكره كثير من المفسرين من أن المراد بالذرية الآباء، مما لا يعهد في القرآن إطلاق الذرية على الآباء بل فيه من الإبهام وإخراج الكلام عن موضعه ما يأباه كلام رب العالمين وإرادته البيان والتوضيح لعباده.

وثم احتمال أحسن من هذا وهو أن المراد بالذرية الجنس، وأنهم هم أنفسهم لأنهم هم من ذرية بني آدم، ولكن ينقض هذا المعنى قوله ﴿وَخَلَقْنَا لَهُم مِّن مِّثْلِهِۦ مَا يَرْكَبُونَ ﴿٤٢﴾﴾ إن أريد وخلقنا من مثل ذلك الفلك أي لهؤلاء المخاطبين ما يركبون من أنواع الفلك، فيكون ذلك تكريراً للمعنى تأباه فصاحة القرآن فإن أريد بقوله: ﴿وَخَلَقْنَا لَهُم مِّن مِّثْلِهِۦ مَا يَرْكَبُونَ ﴿٤٢﴾﴾ الإبل التي هي سفن البر استقام المعنى واتضح.

إلاَّ أنه يبقى أيضاً أن يكون الكلام فيه تشويش، فإنه لو أريد هذا المعنى لقال: وآية لهم أنا حملناهم في الفلك المشحون وخلقنا لهم من مثله ما يركبون، فأما أن يقال في الأول حملنا ذريتهم، وفي الثاني حملناهم، فإنه لا يظهر المعنى إلاَّ أن يقال الضمير عائد إلى الذرية، والله أعلم بحقيقة الحال.

فلما وصلت في الكتابة إلى هذا الموضع، ظهر لي معنى ليس ببعيد من

---

(١) سورة يس: الآيتان ٤١، ٤٢.

مراد الله تعالى، وذلك أن من عرف جلالة كتاب الله وبيانه التام من كل وجه للأمور الحاضرة والماضية والمستقبلة، وأنه يذكر من كل معنى أعلاه، وأكمل ما يكون من أحواله، وكانت الفلك من آياته تعالى ونعمه على عباده من حين أنعم عليهم بتعلمها إلى يوم القيامة، ولم تزل موجودة في كل زمان إلى زمان المواجهين بالقرآن، فلما خاطبهم الله تعالى بالقرآن، وذكر حالة الفلك وعلم تعالى أنه سيكون أعظم آيات الفلك في غير وقتهم، وفي غير زمانهم، حين يعلمهم صنعة الفلك البحرية الشراعية منها والبخارية والجوية السابحة في الجو كالطيور ونحوها، والمراكب البرية مما كانت الآية العظمى فيه لا توجد إلاَّ في الذرية، نبّه في الكتاب على أعلى نوع من أنواع آياتها فقال ﴿وَءَايَةٌ لَّهُمْ أَنَّا حَمَلْنَا ذُرِّيَّتَهُمْ فِى ٱلْفُلْكِ ٱلْمَشْحُونِ ﴿٤١﴾﴾ أي المملوء ركباناً وأمتعة، فحملهم الله تعالى ونجاهم بالأسباب التي علمهم الله بها من الغرق، ولهذا نبههم على نعمته عليهم، حيث أنجاهم من الغرق مع قدرته على ذلك، فقال: ﴿وَإِن نَّشَأْ نُغْرِقْهُمْ فَلَا صَرِيخَ لَهُمْ ﴾ أي لا أحد يصرخ لهم فيعاونهم على الشدة ولا يزيل عنهم المشقة»[1].

للمفسرين رحمهم الله تعالى في المراد بذرياتهم في قوله تعالى: ﴿وَءَايَةٌ لَّهُمْ أَنَّا حَمَلْنَا ذُرِّيَّتَهُمْ فِى ٱلْفُلْكِ ٱلْمَشْحُونِ ﴿٤١﴾﴾، قولان:

فذهب ابن كثير رحمه الله والبغوي والخطيب الشربيني والجمل في حاشيته على الجلالين، وجلال الدين المحلي: إلى أن المراد بذرياتهم آباءهم الذين حملهم الله في سفينة نوح عليه السلام.

قال البغوي رحمه الله تعالى: (واسم الذرية يقع على الآباء كما يقع على الأولاد[2]، وقال ابن كثير رحمه الله عند تفسيره لهذه الآية ﴿وَءَايَةٌ لَّهُمْ أَنَّا حَمَلْنَا ذُرِّيَّتَهُمْ ﴾ أي آباءهم[3]، وقال الخطيب الشربيني ﴿حَمَلْنَا ذُرِّيَّتَهُمْ ﴾ أي آباءهم

---

(١) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، ج: ٦، ص: ١٧١، ١٧٢.

(٢) تفسير البغوي، ج: ٦، ص: ٨، حاشية على تفسير الخازن.
من طبقات المفسرين، للداوودي، ج: ١، ص: ١٦١.

(٣) تفسير ابن كثير، ج: ٥، ص٦٧١.

الأصول[1]، ثم نقل كلام البغوي آنفاً.

وقال جلال الدين المحلي عند تفسيره لهذه الآية ﴿أَنَّا حَمَلْنَا ذُرِّيَّتَهُمْ﴾ أي آباءهم الأصول[2]، وقال سليمان الجمل في حاشيته على الجلالين (قوله: وآية لهم) أي لأهل مكة ﴿أَنَّا حَمَلْنَا ذُرِّيَّتَهُمْ﴾ الضمير أيضاً لأهل مكة، وقوله ﴿ذُرِّيَّتَهُمْ﴾ أي آباءهم الأصول أي الأقدمين، وهم الذين كانوا في سفينة نوح، فهؤلاء آباء لأهل مكة بالوسائط، وإطلاق الذرية على الأصول صحيح فإن لفظ الذرية مشترك بين الضدين الأصول والفروع، لأن الذرية من الذرء بمعنى الخلق، والفروع مخلوقين من الأصول، والأصول خلقت منهم الفروع[3].

---

(١) السراج المنير، جـ: ٣، ص: ٣٥١، لمؤلفه الإمام العالم العلامة شمس الدين محمد بن محمد الشربيني القاهري، الشافعي، الخطيب تلقى العلم عن كثير من مشايخ عصره، فدرس وأفتى في حياة مشائخه حيث أجازوه بذلك لما رأوه أهلاً لذلك، فانتفع به خلائق لا يحصون وقد كان على جانب عظيم من الصلاح والورع، وكان آية من آيات الله، وحجة من حججه، توفي في عصر يوم الخميس ثاني شعبان سنة ٩٧٣م، ومن أهم مؤلفاته: شرحه لكتاب المنهاج، وكتاب التنبيه وتفسيره لكتاب الله المسمى السراج المنير في الإعانة على معرفة بعض معاني كلام ربنا الحكيم الخبير، وهو تفسير سهل المأخذ ممتع العبارة، ليس بالطويل الممل ولا بالقصير المخل، وقد يذكر أحياناً أقوال من سبقه من المفسرين كالزمخشري والبيضاوي والبغوي وأحياناً يوجه ما يذكره من الأقوال ويرتضيها، وأحياناً أخرى يناقشها ويرد عليها. شذرات الذهب في أخبار من ذهب، جـ: ٨، ص: ٣١٨.

(٢) تفسير الجلالين، جـ: ٣، ص: ٥١٥، حاشية الجمل لجلال الدين السيوطي، فمن سورة الكهف إلى آخر سورة الناس لجلال الدين المحلي وهو: محمد بن أحمد بن محمد بن إبراهيم بن أحمد، الإمام العلامة أوحد الأئمة جلال الدين المحلى، الشافعي، ولد بمصر سنة ٧٩١هـ واشتغل وبرع في الفنون فقهاً وأصولاً وكلاماً ونحواً ومنطقاً وغيرها، وألف كتباً تشد إليها الرحال في غاية الاقتصاد والتحرر والتنقيح وسلاسة العبارة، وحسن المزج منها شرح جمع الجوامع في الأصول، وشرح المنهاج في الفقه، وشرح الورقات في الأصول، وأجل كتبه التي لم تكمل تفسير القرآن العظيم، كتب منه من أول سورة الكهف إلى آخر القرآن، مات أول يوم من سنة ٨٦٤هـ.
طبقات المفسرين للداوودي، جـ: ٢، ص: ٨٤.

(٣) حاشية الجمل على الجلالين، جـ: ٣، ص: ٥١٥، المسماة بالفتوحات الإلهية بتوضيح تفسير الجلالين للدقائق الخفية، تأليف العلامة سليمان الجمل، وقد انتهى من تأليف هذه الحاشية في الرابع والعشرين من جمادى الثاني سنة ١١٩٨هـ.

وأرباب هذا القول يفسرون الفلك بسفينة نوح عليه السلام وذهبت طائفة أخرى إلى أن المراد بذريتهم أولادهم ومن يهمهم حمله، وإليه ذهب الزمخشري واستظهره أبو حيان، وبه قال الخازن والبيضاوي وأبو السعود والألوسي، وأيده الشوكاني.

ويقول الإمام القرطبي (إن هذا الآية من أشكل ما في السورة لأنهم هم المحمولون)[1]، وقال الزمخشري، ﴿ذُرِّيَّتَهُمْ﴾ أولادهم ومن يهمهم حمله[2].

ويقول أبو حيان: «والظاهر من الذرية أنه يراد الأبناء ومن نشأ منهم»[3].

وقال الخازن: («يعني أولادهم»، وقال البيضاوي ﴿وَءَايَةٌ لَّهُمْ أَنَّا حَمَلْنَا ذُرِّيَّتَهُمْ﴾ أولادهم[4] الذين يبعثون إلى تجاراتهم أو صبيانهم ونساءهم الذين يستصحبونهم)[5].

وقال أبو السعود ﴿وَءَايَةٌ لَّهُمْ أَنَّا حَمَلْنَا ذُرِّيَّتَهُمْ﴾ أولادهم الذين يبعثونهم إلى تجاراتهم أو صبيانهم ونساءهم الذين يستصحبونهم[6].

وقال الألوسي ﴿وَءَايَةٌ لَّهُمْ أَنَّا حَمَلْنَا ذُرِّيَّتَهُمْ﴾ أي أولادهم، قال الراغب الذرية أصلها الصغار من الأولاد، ويقع في التعارف على الصغار والكبار معاً، ويستعمل للواحد والجمع، وأصله الجمع[7].

ويقول الشوكاني رحمه الله: (وقد اختلف في معنى ﴿أَنَّا حَمَلْنَا ذُرِّيَّتَهُمْ﴾ وإلى من يرجع الضمير لأن الضمير الأول وهو قوله تعالى: ﴿وَءَايَةٌ لَّهُمْ﴾ لأهل مكة أو لكفار العرب أو للكفار على الإطلاق، الكائنين في عصر

---

(١) أحكام القرآن، جـ: ١٥، ص: ٣٤.
(٢) الكشاف، جـ: ٢، ص: ٥٨٩، ط الحلبي سنة ١٣٦٧هـ.
(٣) البحر المحيط، جـ: ٧، ص: ٣٣٨.
(٤) تفسير الخازن، جـ: ٦، ص: ٨.
(٥) تفسير البيضاوي المسمى «أنوار التنزيل ولباب التأويل» جـ: ٤، ص: ١٨٨.
(٦) إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم، جـ: ٣، ص: ٢٥٤، مطبعة محمد على صبيح بميدان الأزهر.
(٧) روح المعاني في تفسير القرآن والسبع المثاني، جـ: ٢٣، ص: ٢٦.

محمد ﷺ، فقيل الضمير يرجع إلى القرون الماضية، والمعنى أن الله حمل ذرية القرون الماضية في الفلك المشحون، فالضميران مختلفان، وهذا حكاه النحاس عن علي بن سليمان الأخفش، وقيل الضميران لكفار مكة ونحوهم.

والمعنى أن الله حمل ذرياتهم من أولادهم وضعفائهم على الفلك فامتن الله عليهم بذلك، أي أنهم يحملونهم معهم في السفن إذا سافروا أو يبعثون أولادهم للتجارة لهم فيها، وقيل الذرية الآباء والأجداد، والفلك هو سفينة نوح، أي أن الله حمل آباء هؤلاء وأجدادهم في سفينة نوح، قال الواحدي: والذرية تقع على الآباء، كما تقع على الأولاد.

قال أبو عثمان: وسمي الآباء ذرية، لأن منهم ذرء الأبناء وقيل الذرية النطف الكائنة في بطون النساء، وشبه البطون في الفلك المشحون، والراجح القول الثاني، ثم الأول، ثم الثالث، وأما الرابع ففي غاية البعد والنكارة[1].

وأرباب هذا القول يفسرون الفلك بالحنس، فيشمل السفن والزوارق.

ومفسرنا الشيخ عبد الرحمٰن بن سعدي يؤيد القول الثاني القائل بأن المراد بالذرية الأبناء، ويرد على من قال بأن المراد بالذرية الآباء، بأن هذا مما لا يعهد في القرآن، بل فيه من الإبهام وإخراج الكلام عن موضعه ما يأباه كلام رب العالمين وإرادته البيان والتوضيح لعباده، ويفسر الفلك بجميع أنواع المركوب من سفن بحر وبر وجو، والقائلون بالقول الثاني يرون أن ذريتهم هو أولاد المخاطبين سواء كانوا الضعاف من النساء والصبيان أو الكبار الذين يبعثونهم في تجاراتهم، كما هو قول البيضاوي وأبو السعود.

أما الشيخ عبد الرحمٰن بن سعدي فهو يذهب إلى أبعد من هذا، وهو أن المراد بذريتهم من يأتي بعدهم، يقول رحمه الله: (وذلك أن من عرف كتاب الله وبيانه التام من كل وجه للأمور الحاضرة والماضية والمستقبلة، وأنه يذكر من كل معنى أعلاه وأكمل ما يكون من أحواله، وكانت الفلك من آياته تعالى، ونعمة على عبادة، ولم تزل موجودة في كل زمان، فلما خاطبهم الله

---

(١) فتح القدير الجامع بين فنيّ الرواية والدراية من علم التفسير، ج: ٤، ص: ٣٦٠.

تعالى بالقرآن، وذكر حالة الفلك، وعلم أنه سيكون أعظم آيات الفلك في غير وقتهم، وفي غير زمانهم حين يعلمهم صنعة الفلك البحرية الشراعية منها والبخارية والجوية السابحة في الجو كالطيور ونحوها والمراكب البرية، مما كانت الآية العظمى فيه لا توجد إلاَّ في الذرية. نبه في الكتاب على أعلى نوع من أنواع آياتها، فقال ﴿وَءَايَةٌ لَّهُمْ أَنَّا حَمَلْنَا ذُرِّيَّتَهُمْ فِي ٱلْفُلْكِ ٱلْمَشْحُونِ ﴿٤١﴾﴾[1].

الحادي والعشرون: قال عند تفسيره لقوله تعالى: ﴿فَبَشَّرْنَٰهُ بِغُلَٰمٍ حَلِيمٍ ﴿١٠١﴾ فَلَمَّا بَلَغَ مَعَهُ ٱلسَّعْىَ قَالَ يَٰبُنَىَّ إِنِّىٓ أَرَىٰ فِى ٱلْمَنَامِ أَنِّىٓ أَذْبَحُكَ فَٱنظُرْ مَاذَا تَرَىٰ ۚ قَالَ يَٰٓأَبَتِ ٱفْعَلْ مَا تُؤْمَرُ ۖ سَتَجِدُنِىٓ إِن شَآءَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴿١٠٢﴾ فَلَمَّآ أَسْلَمَا وَتَلَّهُۥ لِلْجَبِينِ ﴿١٠٣﴾ وَنَٰدَيْنَٰهُ أَن يَٰٓإِبْرَٰهِيمُ ﴿١٠٤﴾ قَدْ صَدَّقْتَ ٱلرُّءْيَآ ۚ إِنَّا كَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿١٠٥﴾ إِنَّ هَٰذَا لَهُوَ ٱلْبَلَٰٓؤُا۟ ٱلْمُبِينُ ﴿١٠٦﴾ وَفَدَيْنَٰهُ بِذِبْحٍ عَظِيمٍ ﴿١٠٧﴾ وَتَرَكْنَا عَلَيْهِ فِى ٱلْءَاخِرِينَ ﴿١٠٨﴾ سَلَٰمٌ عَلَىٰٓ إِبْرَٰهِيمَ ﴿١٠٩﴾ كَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿١١٠﴾ إِنَّهُۥ مِنْ عِبَادِنَا ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿١١١﴾ وَبَشَّرْنَٰهُ بِإِسْحَٰقَ نَبِيًّا مِّنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿١١٢﴾ وَبَٰرَكْنَا عَلَيْهِ وَعَلَىٰٓ إِسْحَٰقَ ۚ وَمِن ذُرِّيَّتِهِمَا مُحْسِنٌ وَظَالِمٌ لِّنَفْسِهِۦ مُبِينٌ ﴿١١٣﴾﴾[2].

﴿فَبَشَّرْنَٰهُ بِغُلَٰمٍ حَلِيمٍ ﴿١٠١﴾﴾ وهذا إسماعيل عليه السلام بلا شك، فإنه ذكر بعده البشارة بإسحاق، ولأن الله تعالى قال في بشراه بإسحاق ﴿فَبَشَّرْنَٰهَا بِإِسْحَٰقَ وَمِن وَرَآءِ إِسْحَٰقَ يَعْقُوبَ﴾[3] فدل على أن إسحاق غير الذبيح، ووصف الله إسماعيل عليه السلام بالحلم وهو يتضمن الصبر وحسن الخلق وسعة الصدر، والعفو عمن جنى ﴿فَلَمَّا بَلَغَ مَعَهُ ٱلسَّعْىَ﴾ أي أدرك أن يسعى معه، وبلغ سناً يكون في الغالب أحب ما يكون لوالديه قد ذهبت مشقته وأقبلت منفعته، فقال له إبراهيم عليه السلام ﴿إِنِّىٓ أَرَىٰ فِى ٱلْمَنَامِ أَنِّىٓ أَذْبَحُكَ﴾ أي قد رأيت في النوم، والرؤيا أن الله يأمرني بذبحك ورؤيا الأنبياء وحي[4]... إلى آخر تفسير الآيات.

---

(١) سبق هذا النص قريباً للشيخ ابن سعدي.

(٢) سورة الصافات: الآيات ١٠١ ـ ١١٣.

(٣) سورة هود: الآية ٧١.

(٤) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان جـ: ٦، ص: ١٩١.

يرجح الشيخ بأن الذبيح هو إسماعيل عليه السلام، حيث قال عند قوله تعالى: ﴿فَبَشَّرْنَٰهُ بِغُلَٰمٍ حَلِيمٍ ﴿١٠١﴾﴾ وهذا إسماعيل بلا شك فإنه ذكر بعده البشارة بإسحاق، ولأن الله تعالى قال في بشراه بإسحاق، فبشرناها بإسحاق ومن وراء إسحاق يعقوب، فدل على أن إسحاق غير الذبيح.

هذا ملخص كلام الشيخ ابن سعدي رحمه الله، وترجيحه بأن الذبيح هو إسماعيل لا إسحاق، وللعلماء رحمهم الله من السلف والخلف في هذا الموضوع أقوال أربعة:

القول الأول: أن الذبيح هو إسماعيل عليه السلام، وإليه ذهب من الصحابة أبو هريرة، وعبد الله بن عباس، وأبو الطفيل عامر بن واثلة، وعبد الله بن عمر، وعلي بن أبي طالب، وعبد الله بن سلام، ذكر ذلك عنهم الإمام ابن كثير في تفسيره[1]، وابن الجوزي في زاد المسير[2]، والقرطبي في أحكام القرآن[3] وقال به من التابعين سعيد بن المسيب، والشعبي، ويوسف بن مهران[4]، ومجاهد، وعطاء، وعبد الرحمٰن بن سابط[5]، والربيع بن أنس[6]،

---

(١) جـ: ٦، ص: ٢٩.

(٢) جـ: ٧، ص: ٧٣

(٣) جـ: ١٥، ص: ١٠٠.

(٤) يوسف بن مهران البصري، لم يرو عنه إلاّ ابن جدعان لين الحديث من الرابعة، وحديثه عند البخاري في الأدب المفرد، وعند الترمذي. تقريب التهذيب، جـ: ٢، ص: ٣٨٣.

(٥) عبد الرحمن بن سابط، ويقال ابن عبد الله بن سابط، وهو الصحيح ويقال ابن عبد الله بن عبد الرحمن الجمحي المكي، ثقة، كثير الإرسال من الثالثة، مات سنة ثمان عشرة بعد المائة، وحديثه عند مسلم وأبي داود والترمذي والنسائي وابن ماجه. تقريب التهذيب، جـ: ١، ص: ٤٨٠.

(٦) الربيع بن أنس البكري، أو الحنفي، بصري، نزل خراسان، صدوق له أوهام، رمي بالتشيع، من الخامسة، مات سنة أربعين ومائة أو قبلها، وحديثه عند الجماعة سوى الشيخين.
من تقريب التهذيب، جـ: ١، ص: ٢٤٣.

ومحمد بن كعب القرظي[1]، وعلقمة[2]، والحسن البصري، والكلبي[3]، وأبو عمرو بن العلاء[4]، وعمر بن عبد العزيز، وممن بعدهم أحمد بن حنبل، والأصمعي[5]، مستدلين بما يلي:

أ ـ بما نقله ابن جرير بسنده عن ابن عباس أنه قال المفدى إسماعيل عليه السلام، وزعمت اليهود أنه إسحاق، وكذبت اليهود[6]، وقد روى هذا الأثر عن ابن عباس كل من الشعبي وسعيد بن جبير ويوسف بن مهران

---

(١) محمد بن كعب بن سليم بن أسد، أبو حمزة القرظي، المدني وكان قد نزل الكوفة مدة، ثقة، عالم، من الثالثة، ولد سنة أربعين على الصحيح، ومات سنة عشرين ومائة، وقيل قبل ذلك، وحديثه عند الجماعة.
من تقريب التهذيب، ج:٢، ص:٢٠٣.

(٢) علقمة بن وقاص (بتشديد القاف) الليثي المدني، ثقة، ثبت، من الثانية، أخطأ من زعم أن له صحبة، وقيل إنه ولد في عهد الرسول ﷺ، مات في خلافة عبد الملك، وحديثه عند الجماعة.
تقريب التهذيب، ج: ٢، ص: ٣١.

(٣) محمد بن السائب بن بشر الكلبي، أبو النضر، الكوفي، النابه المفسر متهم بالكذب، ورمي بالرفض، من السادسة، مات سنة أربعين ومائة وحديثه عند الترمذي، وعند ابن ماجه في التفسير. ا.هـ.
من تقريب التهذيب، ج: ٢، ص: ١٦٣.

(٤) أبو عمرو بن العلاء بن عمار بن العريان المازني، النحوي القارئ، اسمه زبان أبو العريان أو يحيى أو جزء بفتح الجيم، ثم زاي، ثم همزة والأول أشهر، والثاني أصح، ثقة من علماء العربية، من الخامسة مات سنة أربع وخمسين وهو ابن ست وثمانين سنة، وحديثه عند البخاري معلقاً، وعند أبي داود في القدر، وعند ابن ماجه في التفسير.
تقريب التهذيب، ج: ٢، ص: ٤٥٤.

(٥) هو عبد الملك بن قريب بضم ففتح فسكون، ابن عبد الملك بن علي بن أصمع أبو سعيد الباهلي الأصمعي البصري، صدوق سني، من التاسعة، مات سنة ست عشرة ومائتين، وقيل غير ذلك، وقد قارب التسعين وحديثه عند ابن ماجه في التفسير، وعند أبي داود والترمذي.
تقريب التهذيب، ج: ٢، ص: ٥٢٢.

(٦) تفسير ابن جرير، ج: ٢٣، ص: ٨٣.

ومجاهد وعطاء بن أبي رباح[1].

ب ـ وبما رواه ابن جرير بسنده إلى ابن عمر رضي الله عنهما أن الذبيح إسماعيل[2].

ج ـ أخرج ابن جرير بسنده عن عامر الشعبي أنه قال في هذه الآية: ﴿وَفَدَيْنَٰهُ بِذِبْحٍ عَظِيمٍ ﴿١٠٧﴾﴾ قال: هو إسماعيل، قال: وكان قرنا الكبش منوطين في الكعبة، وقال: رأيت قرني الكبش في الكعبة[3]، وقد روي هذين الأثرين عن الشعبي وداود[4] وجابر[5].

د ـ أخرج ابن جرير بسنده عن يوسف بن مهران قال: هو إسماعيل[6].

هـ ـ أخرج ابن جرير بسنده عن مجاهد قال: هو إسماعيل[7].

و ـ أخرج ابن جرير بسنده عن الحسن ﴿وَفَدَيْنَٰهُ بِذِبْحٍ عَظِيمٍ ﴿١٠٧﴾﴾ قال: هو إسماعيل[8].

ز ـ أخرج ابن جرير بسنده عن محمد بن كعب القرظي، أن الذي أمر الله إبراهيم بذبحه من بنيه إسماعيل، وإنا لنجد ذلك في كتاب الله في قصة الخبر عن إبراهيم، وما أمر به من ذبح ابنه إسماعيل، وذلك أن الله يقول:

---

(١) انظر: تفسير الطبري، جـ: ٢٣، ص: ٨٣.

(٢) المصدر السابق، جـ: ٢٣.

(٣) انظر: تفسير الطبري، ص: ٨٤.

(٤) داود بن أبي هند القشيري مولاهم، أبو بكر أو أبو محمد البصري، ثقة متقن، كان يهم بآخره، من الخامسة، مات سنة أربعين ومائة، وقيل قبلها، وحديثه عند البخاري معلقاً، وعند مسلم وعند الجماعة سوى الشيخين. تقريب التهذيب، جـ: ١، ص: ٢٣٥.

(٥) جابر بن يزيد بن رفاعة العجلي الموصلي، أصله من الكوفة، صدوق من السابعة، وحديثه عند النسائي.
تقريب التهذيب، جـ: ١، ص: ١٢٣.

(٦) تفسير ابن جرير، جـ: ٢٣، ص: ٨٤.

(٧) المصدر السابق.

(٨) المصدر السابق.

حين فرغ من قصة المذبوح من إبراهيم قال: ﴿وَبَشَّرْنَاهُ بِإِسْحَٰقَ نَبِيًّا مِّنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿١١٢﴾﴾[1]. يقول: بشرناه بإسحاق ومن وراء إسحاق يعقوب، يقول: بابن وابن ابن، فلم يكن ليأمره بذبح إسحاق، وله فيه من الله الموعود ما وعده الله وما الذي أمر بذبحه إلا إسماعيل[2].

ح - أخرج ابن جرير بسنده عن محمد بن كعب القرظي أنه حدثهم أنه ذكر ذلك لعمر بن عبد العزيز وهو خليفة، إذ كان معه بالشام فقال له عمر: إن هذا الشيء ما كنت أنظر فيه، وإني لأراه كما هو، ثم أرسل إلى رجل كان عنده بالشام كان يهودياً فأسلم، فحسن إسلامه، وكان يرى أنه من علماء اليهود، فسأله عمر بن عبد العزيز عن ذلك فقال محمد بن كعب وأنا عند عمر بن عبد العزيز فقال له عمر: أي ابني إبراهيم أمر بذبحه؟ فقال: إسماعيل، والله يا أمير المؤمنين وإن يهود لتعلم بذلك، ولكنهم يحسدونكم معشر العرب على أن يكون أباكم الذي كان من أمر الله فيه، والفضل الذي ذكره الله منه لصبره لما أمر به، فهم يجحدون ذلك، ويزعمون أنه إسحاق، لأن إسحاق أبوهم، فالله أعلم أيهما كان كلٌ قد كان طاهراً طيباً مطيباً لربه»[3].

ط - أخرج ابن جرير بسنده عن الصنابحي[4] قال: كنا عند معاوية بن أبي سفيان فذكروا الذبيح إسماعيل أو إسحاق، فقال: على الخبير سقطتم، كنا عند رسول الله ﷺ فجاءه رجل فقال: يا رسول الله عد علي مما أفاء الله عليك يا ابن الذبيحين، فضحك عليه الصلاة والسلام، فقلنا له: يا أمير المؤمنين: وما الذبيحان؟ فقال: إن عبد المطلب لما أمر بحفر زمزم نذر لله لئن سهل

---

(١) سورة الصافات: الآية ١١٢.

(٢) تفسير ابن جرير، جـ: ٢٣، ص: ٨٤.

(٣) المرجع السابق، جـ: ٢٣، ص: ٨٥.

(٤) الصنابحي: اسمه عبد الرحمن بن عسيلة بمهملة مصغر المرادي أبو عبد الله الصنابحي، ثقة، من كبار التابعين، قدم المدينة بعد موت رسول الله ﷺ بخمسة أيام، مات في خلافة عبد الملك بن مروان، وحديثه عند الجماعة.
تقريب التهذيب، جـ: ١، ص: ٤٩١.

عليه أمرها ليذبحن أحد ولده، قال: فخرج السهم على عبد الله، فمنعه أخواله، وقالوا: افد ابنك بمئة من الإبل، ففداه بمئة من الإبل، وإسماعيل الثاني[1]، وقد علق ابن كثير على هذا الخبر فقال رحمه الله: (وهذا حديث غريب جداً)[2].

ك ـ ومن الأدلة على أنه إسماعيل أن الله وصفه بالصبر دون إسحاق كما في قوله تعالى: ﴿وَإِسْمَٰعِيلَ وَإِدْرِيسَ وَذَا ٱلْكِفْلِ ۖ كُلٌّ مِّنَ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴿٨٥﴾﴾[3] وهو صبره على الذبح.

ل ـ وأن الله وصفه بصدق الوعد في قوله تعالى: ﴿وَٱذْكُرْ فِى ٱلْكِتَٰبِ إِسْمَٰعِيلَ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ صَادِقَ ٱلْوَعْدِ وَكَانَ رَسُولًا نَّبِيًّا ﴿٥٤﴾﴾[4].

لأنه وعد أباه من نفسه الصبر على الذبح فوفى به.

م ـ ولأن الله سبحانه قال ﴿وَبَشَّرْنَٰهُ بِإِسْحَٰقَ نَبِيًّا مِّنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿١١٢﴾﴾[5] فكيف يأمره بذبحه، وقد وعده أن يكون نبياً.

ن ـ ولأن الله سبحانه وتعالى قال: ﴿فَبَشَّرْنَٰهَا بِإِسْحَٰقَ وَمِن وَرَآءِ إِسْحَٰقَ يَعْقُوبَ[6]﴾ فكيف يؤمر بذبح إسحاق قبل إنجاز الوعد في يعقوب.

س ـ أن المواضع التي ذكر فيها إسحاق يقيناً عبر عنه في كلها بالعلم لا الحلم، وهذا الغلام الذبيح وصفه بالحلم لا العلم.

ع ـ دلت آيات قصة إبراهيم عليه السلام في سورة الصافات أن الذبيح هو إسماعيل عليه السلام، وإيضاح ذلك أنه تعالى قال عن نبيه إبراهيم: ﴿وَقَالَ إِنِّى ذَاهِبٌ إِلَىٰ رَبِّى سَيَهْدِينِ ﴿٩٩﴾ رَبِّ هَبْ لِى مِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿١٠٠﴾ فَبَشَّرْنَٰهُ بِغُلَٰمٍ حَلِيمٍ

---

(١) تفسير الطبري، جـ: ٢٣، ص: ٨٥.
(٢) تفسير ابن كثير، جـ: ٦، ص: ٣١.
(٣) سورة الأنبياء: الآية ٨٥.
(٤) سورة مريم: الآية ٥٤.
(٥) سورة الصافات: الآية ١١٢.
(٦) سورة هود: الآية ٧١.

﴿١٠١﴾ فَلَمَّا بَلَغَ مَعَهُ ٱلسَّعْىَ قَالَ يَٰبُنَىَّ إِنِّىٓ أَرَىٰ فِى ٱلْمَنَامِ أَنِّىٓ أَذْبَحُكَ فَٱنظُرْ مَاذَا تَرَىٰ ۚ قَالَ يَٰٓأَبَتِ ٱفْعَلْ مَا تُؤْمَرُ ۖ سَتَجِدُنِىٓ إِن شَآءَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴿١٠٢﴾ فَلَمَّآ أَسْلَمَا وَتَلَّهُۥ لِلْجَبِينِ ﴿١٠٣﴾ وَنَٰدَيْنَٰهُ أَن يَٰٓإِبْرَٰهِيمُ ﴿١٠٤﴾ قَدْ صَدَّقْتَ ٱلرُّءْيَآ ۚ إِنَّا كَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿١٠٥﴾ إِنَّ هَٰذَا لَهُوَ ٱلْبَلَٰٓؤُا۟ ٱلْمُبِينُ ﴿١٠٦﴾ وَفَدَيْنَٰهُ بِذِبْحٍ عَظِيمٍ ﴿١٠٧﴾ وَتَرَكْنَا عَلَيْهِ فِى ٱلْـَٔاخِرِينَ ﴿١٠٨﴾ سَلَٰمٌ عَلَىٰٓ إِبْرَٰهِيمَ ﴿١٠٩﴾ كَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿١١٠﴾﴾[1]. قال بعد ذلك عاطفاً على البشارة الأولى ﴿وَبَشَّرْنَٰهُ بِإِسْحَٰقَ نَبِيًّا مِّنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿١١٢﴾﴾[2]، فدل ذلك على أن البشارة الأولى شيء غير المبشر به في الثانية، لأنه لا يجوز حمل كتاب الله على أن معناه فبشرناه بإسحاق ثم بعد انتهاء قصة ذبحه يقول أيضاً وبشرناه بإسحاق، فهو تكرار لا فائدة فيه ينزه عنه كلام الله، وهو واضح في أن الغلام المبشر به أولا الذي فدي بالذبح العظيم هو إسماعيل وأن البشارة بإسحاق نص الله عليها مستقلة بعد ذلك)[3].

وقد نصر هذا القول الإمام ابن كثير رحمه الله تعالى فقال عند تفسير قوله تعالى: (﴿فَبَشَّرْنَٰهُ بِغُلَٰمٍ حَلِيمٍ ﴿١٠١﴾﴾[4]، وهذا الغلام هو إسماعيل عليه السلام، فإنه أول ولد بشر به إبراهيم عليه السلام وهو أكبر من إسحاق باتفاق المسلمين وأهل الكتاب، بل في نص كتابهم، أن إسماعيل عليه السلام ولد ولإبراهيم عليه السلام ست وثمانون سنة، وولد إسحاق وعمر إبراهيم عليه الصلاة والسلام تسع وتسعون سنة، وعندهم أن الله تبارك وتعالى أمر إبراهيم أن يذبح ابنه وحيده، وفي نسخة أخرى بكره، فأقحموا ههنا كذباً وبهتاناً إسحاق، ولا يجوز هذا لأنه مخالف لنص كتابهم، وإنما أقحموا إسحاق لأنه أبوهم)[5].

ويقول رحمه الله: «وقد ذهب جماعة من أهل العلم إلى أن الذبيح

---

(١) سورة الصافات: الآيات ٩٩ ـ ١١٠.
(٢) سبقت الآية أكثر من مرة.
(٣) أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن، لمحمد الأمين الشنقيطي، جـ: ٦، ص: ٦٩٢.
(٤) سبق عزو الآية إلى سورتها.
(٥) تفسير ابن كثير، جـ: ٦، ص: ٢٤.

إسحاق، وحكى ذلك عن طائفة من السلف، حتى نقل عن بعض الصحابة رضي الله عنهم أيضاً وليس ذلك في كتاب ولا سنة، وما أظن ذلك تلقي إلاَّ عن أحبار أهل الكتاب، وأخذ ذلك مسلماً من غير حجة، وهذا كتاب الله شاهد ومرشد إلى أنه إسماعيل فإنه ذكر البشارة بغلام حليم، وذكر أنه الذبيح»[١].

كما استظهر هذا القول أبو حيان في البحر المحيط[٢]، وأبو السعود في تفسيره[٣]، والنسفي في مدارك التنزيل وحقائق التأويل[٤] والشربيني في السراج المنير[٥]، ورجحه الثعالبي في الجواهر الحسان في تفسير القرآن[٦]، والبيضاوي في تفسيره[٧]، ومال إليه الألوسي في تفسيره روح المعاني في تفسير القرآن والسبع المثاني[٨] حيث قال رحمه الله: «والذي أميل أنا إليه أنه إسماعيل، بناء على أن ظاهر الآية يقتضيه، وأنه المروى عن كثير من أئمة أهل البيت، ولم أتيقن صحة حديث مرفوع يقتضي خلاف ذلك، وحال أهل الكتاب لا يخفى على ذوي الألباب»[٩].

وصوبه الإمام ابن القيم في الهدي النبوي حيث قال رحمه الله: (وإسماعيل هو الذبيح على القول الصواب عند علماء الصحابة والتابعين ومن بعدهم)[١٠].

---

(١) المرجع السابق، نفس الجزء والصفحة.
(٢) جـ: ٧، ص: ٣٧١.
(٣) جـ: ٤، ص: ٢٧٤.
(٤) جـ: ٣، ص: ٢٦.
(٥) جـ: ٣، ص: ٣٨٥.
(٦) جـ: ٤، ص: ٤٢.
(٧) جـ: ٥، ص: ٩.
(٨) جـ: ٢٣، ص: ١٣٦.
(٩) جـ: ٢٣، ص: ١٣٦.
(١٠) زاد المعاد في هدي خير العباد، جـ: ١، ص: ٧١، تحقيق شعيب الأرناؤووط وأخيه. طبقات المفسرين، للداوودي، جـ: ٢، ص: ٩٣.

وأيده محمد الأمين الشنقيطي في أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن حيث قال رحمه الله تعالى: «اعلم وفقني الله وإياك أن القرآن العظيم قد دل في موضعين على أن الذبيح هو إسماعيل لا إسحاق، أحدهما في الصافات، والثاني في هود، ثم قال بعد سياق آيات الصافات وآية هود ﴿فَبَشَّرْنَاهَا بِإِسْحَٰقَ وَمِن وَرَآءِ إِسْحَٰقَ يَعْقُوبَ﴾[1]، فلا ينبغي للمنصف الخلاف في ذلك بعد دلالة هذه الأدلة القرآنية على ذلك والعلم عند الله تعالى[2].

القول الثاني: يقول إن الذبيح هو إسحاق عليه السلام لا إسماعيل وممن ذهب إلى هذا القول من الصحابة: عمر وعلي وابن مسعود والعباس بن عبد المطلب وابن عباس وجابر في إحدى روايتيه، وقد عزا القول لهؤلاء الصحابة البغوي[3] والقرطبي[4].

وقال به من التابعين وأتباعهم كعب الأحبار[5]، وسعيد بن جبير، وقتادة، ومسروق، وعكرمة، وعطاء، ومقاتل، والزهري ومجاهد في إحدى الروايتين عنه، والشعبي في إحدى الروايتين عنه، وعبيد بن عمير[6]، وزيد بن أسلم[7]،

---

(١) سورة هود: الآية ٧١.

(٢) أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن، جـ: ٦، ص: ٦٩١، ٦٩٣، لمحمد الأمين الشنقيطي، ط المدني، محرم عام ١٣٩٢هـ.

(٣) تفسير البغوي، جـ: ٦ ص: ٢٢، هامش على تفسير الخازن.

(٤) الجامع لأحكام القرآن، جـ: ١٥، ص: ١٠٠.

(٥) كعب بن مانع الحميري، أبو إسحاق المعروف بكعب الأحبار، ثقة من الثانية، مخضرم، كان من أهل اليمن فسكن الشام، مات في خلافة عثمان، وقد زاد على المائة، وليس له في البخاري رواية، وفي مسلم رواية لأبي هريرة عنه من طريق الأعمش، عن أبي صالح، وحديثه عند البخاري ومسلم وأبو داود والترمذي والنسائي وابن ماجه في التفسير. من تقريب التهذيب.

(٦) عبيد بن عمير بن قتادة الليثي، أبو عاصم المكي، ولد على عهد النبي ﷺ، قاله مسلم، وعده غيره في كبار التابعين، وكان قاضي أهل مكة مجمع على ثقته، مات قبل ابن عمر، وحديثه عند الجماعة.
تقريب التهذيب، جـ: ١، ص: ٥٤٤.

(٧) زيد بن أسلم العدوي مولى عمر أبو عبد الله أو أبو أسامة المدني، ثقة عالم، وكان يرسل، من الثالثة، مات سنة ست وثلاثين ومائة، وحديثه عند الجماعة. =

وعبد الله بن شقيق[1] والقاسم بن أبي بزة[2]، ومكحول[3]، وعثمان بن أبي حاضر[4].

مستدلين بما يأتي:

١ - روى ابن جرير بسنده عن العباس بن عبد المطلب ﴿وَفَدَيْنَٰهُ بِذِبْحٍ عَظِيمٍ ﴿١٠٧﴾﴾ قال هو إسحاق[5].

٢ - أخرج ابن جرير بسنده عن عكرمة عن ابن عباس ﴿وَفَدَيْنَٰهُ بِذِبْحٍ عَظِيمٍ ﴿١٠٧﴾﴾ قال هو إسحاق[6].

٣ - وبما رواه ابن جرير بسنده عن العباس بن عبد المطلب عن النبي ﷺ في حديث ذكره قال: هو إسحاق[7].

وقال ابن كثير رحمه الله بعد سياقه لهذا الحديث: «ففي إسناده ضعيفان وهما: الحسن بن دينار البصري متروك، وعلي بن زيد بن جدعان منكر

= تهذيب التهذيب، جـ: ١، ص: ٢٧٢.

(١) عبد الله بن شقيق العقيلي بالضم، بصري، ثقة، فيه نصب، من الثالثة مات سنة ثمان ومائة، وحديثه عند البخاري في الأدب المفرد، وعند مسلم وعند الجماعة سوى الشيخين.
تقريب التهذيب، جـ: ١، ص: ٤٢٢.

(٢) القاسم بن أبي بزة بفتح الموحدة وتشديد الزاي، مكي، مولى بني مخزوم، القارئ، ثقة، من الخامسة، مات سنة عشر ومائة، وقيل قبلها، وحديثه عند الجماعة.
من تقريب التهذيب، جـ: ٢، ص: ١١٥.

(٣) مكحول الشامي، أبو عبد الله، ثقة، فقيه كثير الإرسال، مشهور، من الخامسة، مات سنة بضع عشرة ومائة، وحديثه عند الجماعة، سوى الشيخين. تقريب التهذيب، جـ: ١، ص: ٢٧٣.

(٤) عثمان بن أبي حاضر، هذا وهم، والصحيح عثمان بن حاضر أبو حاضر القاص، صدوق من الرابعة، وحديثه عند أبي داود وابن ماجه.
تهذيب التهذيب، جـ: ٢، ص: ٧.

(٥) تفسير ابن جرير الطبري، جـ: ٢٣، ص: ٨١.

(٦) المصدر السابق، نفس الجزء والصفحة.

(٧) تفسير ابن جرير، جـ: ٢٣، ص: ٨١.

الحديث، ولو ثبت هذا الحديث لقلنا به على الرأس والعين، ولكن لم يصح سنده»[1].

٤ ـ واستدلوا بما رواه ابن جرير بسنده قال: افتخر رجل عند ابن مسعود فقال: أنا فلان بن فلان بن الأشياخ الكرام، فقال عبد الله: ذاك يوسف بن يعقوب بن إسحاق، ذبيح الله ابن إبراهيم الخليل»[2].

٥ ـ وبما رواه ابن جرير بسنده عن كعب الأحبار في قوله تعالى: ﴿وَفَدَيْنَٰهُ بِذِبْحٍ عَظِيمٍ ﴿١٠٧﴾﴾ قال هو إسحاق[3].

٦ ـ وبما رواه ابن جرير بسنده عن مسروق في قوله: ﴿وَفَدَيْنَٰهُ بِذِبْحٍ عَظِيمٍ ﴿١٠٧﴾﴾ قال هو إسحاق[4].

٧ ـ وبما أخرجه ابن جرير بسنده عن عبيد بن عمير قال (قال موسى: أي رب بم أعطيت إبراهيم وإسحاق ويعقوب ما أعطيتهم قال: إن إبراهيم لم يعدل بي شيئاً قط إلاَّ اختارني عليه وإن إسحاق جاد لي بالذبح وهو بغير ذلك أجود، وإن يعقوب كلما زدته بلاءاً زادني حسن ظن)[5].

وهناك آثار أخر ذكرها ابن جرير بسنده عن جماعة من التابعين وتابعيهم تؤيد هذا القول.

٨ ـ واستدلوا بأن الله عز وجل قد أخبر عن إبراهيم حين فارق قومه فهاجر إلى الشام مع امرأته سارة وابن أخيه لوط، فقال: ﴿إِنِّى ذَاهِبٌ إِلَىٰ رَبِّى سَيَهْدِينِ﴾[6] أنه دعا فقال: ﴿رَبِّ هَبْ لِى مِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿١٠٠﴾﴾[7] فقال تعالى: ﴿فَلَمَّا ٱعْتَزَلَهُمْ وَمَا يَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَهَبْنَا لَهُۥٓ إِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ﴾[8].

---

(١) تفسير ابن كثير، جـ: ٦، ص: ٣٩.
(٢) تفسير ابن جرير، جـ: ٢٣، ص: ٨١.
(٣) تفسير ابن جرير، جـ: ٢٣، ص: ٨١.
(٤) المصدر السابق.
(٥) المصدر السابق، جـ: ٢٣، ص: ٨٢.
(٦) سورة الصافات: الآية ٩٩.
(٧) سورة الصافات: الآية ١٠٠.
(٨) سورة مريم: الآية ٤٩.

٩ ـ ولأن الله قال: ﴿وَفَدَيْنَٰهُ بِذِبْحٍ عَظِيمٍ ﴿١٠٧﴾﴾ فذكر أن الفداء في الغلام الحليم الذي بشر به إبراهيم، وإنما بشر بإسحاق لأنه قال وبشرناه بإسحاق، وقال هنا بغلام حليم وذلك قبل أن يتزوج هاجر، وقبل أن يولد له إسماعيل، وليس في القرآن أنه بشر بولد إلاَّ إسحاق.

١٠ ـ وبما أخرج عبد الله بن أحمد في زوائد الزهد[١]، عن سعيد بن جبير قال: لما رأى إبراهيم في المنام ذبح إسحاق سار به من منزله إلى المنحر بمنى مسيرة شهر في غداة واحدة، فلما صرف عنه الذبح، وأمر بذبح الكبش ذبحه، ثم راح به رواحاً إلى منزله في عشية واحدة مسيرة شهر، طويت له الأودية والجبال[٢].

وقد رجح هذا القول إمام المفسرين محمد بن جرير الطبري فقال رحمه الله تعالى بعد سياق أدلة القولين: (قال أبو جعفر وأولى القولين بالصواب في المفدى من ابني إبراهيم خليل الرحمٰن على ظاهر التنزيل قول من قال هو إسحاق)[٣].

كما أيده النحاس فقال رحمه الله: (فظاهر التنزيل يدل على أن الذبيح إسحاق لأنه أخبر جل وعز أنه فدى الغلام الحليم الذي بشر به إبراهيم حين قال ﴿هَبْ لِى مِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ﴾[٤].

كما اختاره القرطبي فقال رحمه الله بعد سياق أدلة هذا القول ونسبته لأصحابه من الصحابة والتابعين: (وهذا القول أقوى في النقل عن النبي ﷺ وعن الصحابة والتابعين)[٥].

---

(١) الزهد من كتب الإمام أحمد بن حنبل رحمه الله، أورد فيه الآثار الواردة في زهد الأنبياء والرسل وأتباعهم، طبع مراراً، وألف ابنه عبد الله كتاب الزوائد على الزهد، ذكر فيه ما لم يذكره والده من الآثار الواردة في الزهد.

(٢) تفسير الألوسي، جـ: ٢٣، ص: ١٣٦.

(٣) تفسير ابن جرير، جـ: ٢٣، ص: ٨٥.

(٤) إعراب القرآن لأبي جعفر أحمد بن محمد بن إسماعيل النحاس، المتوفى سنة٣٣٨، جـ: ٢، ص: ٧٦١، مطبعة العاني، بغداد، سنة ١٩٧٩م، من مطبوعات وزارة الأوقاف، الجمهورية العراقية.

(٥) الجامع لأحكام القرآن، للقرطبي، جـ: ١٥، ص: ١٠٠.

ثم يقول بعد سياقه لأدلة القائلين بأنه إسماعيل (وهذا الاستدلال كله ليس بقاطع، أما قولهم كيف يأمره بذبحه وقد وعده بأن يكون نبياً، فإنه يحتمل أن يكون المعنى وبشرناه بنبوته بعد أن كان من أمره ما كان، قاله ابن عباس، ولعله أمر بذبح إسحاق بعد أن ولد لإسحاق يعقوب، ويقال لم يرد في القرآن أن يعقوب يولد من إسحاق، وأما قولهم ولو كان الذبيح إسحاق لكان الذبح يقع ببيت المقدس، فالجواب عنه ما قاله سعيد بن جبير[1]، وجزم بهذا القول القاضي عياض في الشفا، والسهيلي في التعريف والأعلام.

القول الثالث: الوقف على الجزم بأحد القولين، وتفويض علم ذلك إلى الله تعالى، وما استدل به الفريقان يمكن الجواب عنه ومناقشته وممن ذهب إلى هذا القول أبو إسحاق الزجاج[2]، نقل ذلك عنه القرطبي في تفسيره، وقال به جلال الدين السيوطي رحمه الله حيث قال بعد أن ساق أدلة القولين في رسالته القول الفصيح[3] في تعيين الذبيح: (وكنت ملت إلى القول بأنه إسحاق، وأنا الآن متوقف في ذلك، والله سبحانه وتعالى أعلم)[4].

وممن رجح القول من المتأخرين العلامة المحقق صديق حسن خان في تفسيره فتح البيان في مقاصد القرآن، حيث قال رحمه الله بعد إيراد حجج أصحاب القولين: (ولم يصح عن رسول الله ﷺ في ذلك شيء، وما روي عنه، فهو إما موضوع أو ضعيف جداً، ولم يبق إلاَّ مجرد استنباطات من

---

(١) الجامع لأحكام القرآن، للقرطبي، ج: ١٥، ص: ١٠١.

(٢) هو إبراهيم بن السرى بن سهل أبو إسحاق الزجاج، كان من أهل الفضل والدين، حسن الاعتقاد، جميل المذهب، كان يخرط الزجاج، ثم مال إلى النحو، فلزم المبرد وأخذ عن ثعلب، وعنه علي بن عبد الله بن المغيرة الجوهري، وغيره، له تصانيف عدة منها: معاني القرآن، مات ببغداد في جمادى الآخرة سنة إحدى عشرة وثلاثمائة، وسئل عن سنه عند الوفاة فعقد سبعين، وآخر ما سمع منه اللهم احشرني على مذهب أحمد بن حنبل.
من طبقات المفسرين، للداوودي، ج: ١، ص: ١١، ١٢.

(٣) رسالة لجلال الدين السيوطي، وهي فتوى لسؤال ورد إليه في إسحاق وإسماعيل من الذبيح منهما؟ والخلاف الوارد فيهما وهي مطبوعة ضمن الحاوي للفتاوى.

(٤) الحاوي للفتاوى، ج: ١، ص: ٣١٨، وما بعدها.

القرآن، وهي محتملة ولا تقوم حجة بمحتمل، فالوقف هو الذي لا ينبغي مجاوزته وفيه السلامة من الترجيح بلا مرجح ومن الاستدلال بالمحتمل)[1].

والقول الرابع: قول من قال إن الأمر بالذبح وقع مرتين، مرة بالشام لإسحاق، ومرة بمكة لإسماعيل، وقد أشار إلى هذا القول الخفاجي[2] في حاشيته على تفسير البيضاوي، قال رحمه الله: (وقيل: إن في الدلالة على كونه إسحاق أدلة كثيرة، وعليه جملة أهل الكتاب، ولم ينقل في الحديث ما يعارضه، فلعله وقع مرتين مرة بالشام لإسحاق، ومرة بمكة لإسماعيل)[3].

وهذا القول أضعف الأقوال، بل قال الألوسي رحمه الله بعد نقله لهذه العبارة من حاشية الشهاب على البيضاوي (والتوقف عندي خير من هذا القول)[4].

الثاني والعشرون: قال عند تفسير قوله تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ يُجَادِلُونَ فِي آيَاتِ اللَّهِ أَنَّى يُصْرَفُونَ ﴿٦٩﴾ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِالْكِتَابِ وَبِمَا أَرْسَلْنَا بِهِ رُسُلَنَا فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ ﴿٧٠﴾ إِذِ الْأَغْلَالُ فِي أَعْنَاقِهِمْ وَالسَّلَاسِلُ يُسْحَبُونَ ﴿٧١﴾ فِي الْحَمِيمِ ثُمَّ فِي النَّارِ يُسْجَرُونَ ﴿٧٢﴾ ثُمَّ قِيلَ لَهُمْ أَيْنَ مَا كُنْتُمْ تُشْرِكُونَ ﴿٧٣﴾ مِنْ دُونِ اللَّهِ قَالُوا ضَلُّوا عَنَّا بَلْ لَمْ نَكُنْ نَدْعُو مِنْ قَبْلُ شَيْئًا كَذَلِكَ يُضِلُّ اللَّهُ الْكَافِرِينَ ﴿٧٤﴾﴾[5].

قال عند قوله تعالى: ﴿بَلْ لَمْ نَكُنْ نَدْعُو مِنْ قَبْلُ شَيْئًا﴾ يحتمل أن مرادهم بذلك الإنكار، وظنوا أنه ينفعهم ويفيدهم.

---

(١) فتح البيان في مقاصد القرآن، جـ: ٨، ص: ١١٨.

(٢) هو أحمد بن محمد بن عمر شهاب الدين الخفاجي، قاضي القضاة وصاحب التصانيف في الأدب واللغة.
ولد سنة ٩٧٧هـ، وتوفى سنة ١٠٦٩هـ.
ا.هـ. من الأعلام للزركلي، جـ: ١، ص: ٢٣٨.

(٣) حاشية الشهاب المسماة عناية القاضي وكفاية الراضي على تفسير البيضاوي، جـ: ٧، ص: ٢١٠.

(٤) تفسير الألوسي، جـ: ٢٣، ص: ١٣٦.

(٥) سورة غافر: الآيات ٦٩ ـ ٧٤.

ويحتمل وهو الأظهر، أن مرادهم بذلك الإقرار على بطلان إلهية ما كانوا يعبدون وأنه ليس لله شريك في الحقيقة، وإنما هم ضالون مخطئون بعبادة معدوم الإلهية.

ويدل على هذا قوله تعالى: ﴿كَذَٰلِكَ يُضِلُّ ٱللَّهُ ٱلْكَٰفِرِينَ﴾ أي كذلك الضلال الذي كانوا عليه في الدنيا الضلال الواضح لكل أحد، حتى أنهم بأنفسهم يقرون ببطلانه يوم القيامة، ويتبين لهم معنى قوله تعالى: ﴿وَمَا يَتَّبِعُ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ شُرَكَآءَ ۚ إِن يَتَّبِعُونَ إِلَّا ٱلظَّنَّ﴾[1].

ويدل عليه قوله تعالى: ﴿وَيَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ يَكْفُرُونَ بِشِرْكِكُمْ ۚ﴾[2]، ﴿وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّن يَدْعُوا۟ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَن لَّا يَسْتَجِيبُ لَهُۥٓ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ وَهُمْ عَن دُعَآئِهِمْ غَٰفِلُونَ ﴿٥﴾ وَإِذَا حُشِرَ ٱلنَّاسُ كَانُوا۟ لَهُمْ أَعْدَآءً وَكَانُوا۟ بِعِبَادَتِهِمْ كَٰفِرِينَ ﴿٦﴾﴾[3] الآيات[4].

للعلماء من المفسرين رحمهم الله تعالى في معنى قوله تعالى: ﴿بَل لَّمْ نَكُن نَّدْعُوا۟ مِن قَبْلُ شَيْـًٔا﴾ رأيان:

الأول: يرى أن المعنى المراد من قولهم هذا: الجحود والإنكار لعبادة أصنامهم، وهذا قول أبي سليمان الدمشقي[5]، وابن كثير في تفسيره، والخطيب الشربيني في السراج المنير، مستدلين بما ورد في سورة الأنعام ﴿وَٱللَّهِ رَبِّنَا مَا كُنَّا مُشْرِكِينَ﴾[6].

ومفسرنا الشيخ عبد الرحمٰن بن سعدي يرى أن هذا القول مرجوح كما يفهم من كلامه السابق، كما استبعده الجمل في حاشيته على الجلالين، حيث قال: (وهذا المعنى بعيد في مقام الحساب، والعرض على رب العالمين)[7].

---

(١) سورة يونس: الآية ٦٦.
(٢) سورة فاطر: الآية ١٤.
(٣) سورة الأحقاف: الآية ٥، ٦.
(٤) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، ج: ٧، ص: ٧٢.
(٥) سبقت ترجمته.
(٦) سورة الأنعام: الآية ٢٣.
(٧) حاشية الجمل على الجلالين، ج: ٤، ص: ٢٥.

الثاني: يرى أن المعنى المراد: أنهم أرادوا أن الأصنام لم تكن شيئاً، لأنها لا تنفع ولا تضر، وهو قول الأكثرين، حكى ذلك ابن الجوزي في زاد المسير[1].

ورجح هذا الرأي الشيخ عبد الرحمٰن بن سعدي، مستدلاً بما يأتي:

١ ـ قوله تعالى: ﴿وَمَا يَتَّبِعُ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ شُرَكَآءَ إِن يَتَّبِعُونَ إِلَّا ٱلظَّنَّ وَإِنْ هُمْ إِلَّا يَخْرُصُونَ﴾،

٢ ـ قوله تعالى: ﴿وَيَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ يَكْفُرُونَ بِشِرْكِكُمْ وَلَا يُنَبِّئُكَ مِثْلُ خَبِيرٍ﴾،

٣ ـ قوله تعالى: ﴿وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّن يَدْعُوا۟ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَن لَّا يَسْتَجِيبُ لَهُۥٓ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ وَهُمْ عَن دُعَآئِهِمْ غَٰفِلُونَ ۝٥﴾[2].

وممن ذهب إلى هذا القول الإمام القرطبي، فقال في تفسيره: (بل لم نكن ندعوا من قبل شيئا) أي شيئاً لا يبصر ولا يسمع ولا يضر ولا ينفع، وليس هذا إنكاراً لعبادة الأصنام، بل هو اعتراف بأن عبادتهم الأصنام كانت باطلة[3].

والنسفي فقال عند تفسير هذه الآية: (أي يتبين لنا أنهم لم يكونوا شيئاً، وما لنا نعبد بعبادتهم شيئاً، كما تقول: حسبت أن فلاناً شيء، فإذا هو ليس بشيء، إذا خبرته فلم تر عنده خيراً)[4].

والبيضاوي فقد قال عند تفسير هذه الآية: (أي بل يتبين لنا أنا لم نكن نعبد شيئاً بعبادتهم، فإنهم ليسوا شيئاً يعتد به، كقولك حسبته شيئاً فلم يكن)[5].

---

(١) زاد المسير، جـ: ٧، ص: ٢٣٧، ط المكتب الإسلامي.

(٢) سورة الأحقاف: الآية ٥.

(٣) أحكام القرآن، جـ: ٥، ص: ٣٣٣.

(٤) تفسير النسفي، جـ: ٤، ص: ٨٥، وقد نقل النسفي هذه الجملة من التفسير الكبير للفخر الرازي، مع بعض التصرف.
انظر: التفسر الكبير، جـ: ٧، ص: ٨٨.

(٥) تفسير البيضاوي، هامش حاشية الشهاب، جـ: ٢، ص: ٣٨٢.

وممن قال به أبو السعود، حيث قال عند تفسيره لهذه الآية: (أي بل تبين لنا أنا لم نكن نعبد شيئاً بعبادتهم، لما ظهر لنا اليوم أنهم لم يكونوا شيئاً يعتد به، كقولك حسبته شيئاً فلم يكن كذلك)[1].

الثالث والعشرون: قال عند تفسير قوله تعالى: ﴿فَٱرْتَقِبْ يَوْمَ تَأْتِى ٱلسَّمَآءُ بِدُخَانٍ مُّبِينٍ ﴿١٠﴾ يَغْشَى ٱلنَّاسَ هَٰذَا عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿١١﴾ رَّبَّنَا ٱكْشِفْ عَنَّا ٱلْعَذَابَ إِنَّا مُؤْمِنُونَ ﴿١٢﴾ أَنَّىٰ لَهُمُ ٱلذِّكْرَىٰ وَقَدْ جَآءَهُمْ رَسُولٌ مُّبِينٌ ﴿١٣﴾ ثُمَّ تَوَلَّوْا عَنْهُ وَقَالُوا۟ مُعَلَّمٌ مَّجْنُونٌ ﴿١٤﴾ إِنَّا كَاشِفُوا۟ ٱلْعَذَابِ قَلِيلًا إِنَّكُمْ عَآئِدُونَ ﴿١٥﴾ يَوْمَ نَبْطِشُ ٱلْبَطْشَةَ ٱلْكُبْرَىٰ إِنَّا مُنتَقِمُونَ ﴿١٦﴾﴾[2].

قال رحمه الله تعالى: ﴿فَٱرْتَقِبْ﴾ أي انتظر فيهم العذاب فإنه قد قرب، وآن أوانه ﴿يَوْمَ تَأْتِى ٱلسَّمَآءُ بِدُخَانٍ مُّبِينٍ يَغْشَى ٱلنَّاسَ﴾ أي يعمهم ذلك الدخان، ويقال لهم: ﴿هَٰذَا عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾.

واختلف المفسرون في المراد بهذا الدخان، فقيل: إنه الدخان الذي يغشى الناس ويعمهم حين تقرب النار من المجرمين في يوم القيامة، وأن الله توعدهم بعذاب يوم القيامة، وأمر نبيه أن ينتظر بهم ذلك اليوم.

ويؤيد هذا المعنى أن هذه الطريقة هي طريقة القرآن في توعد الكفار، والتأني بهم وترهيبهم بذلك اليوم وعذابه، وتسلية الرسول والمؤمنين بالانتظار بمن آذاهم.

ويؤيده أيضاً أنه قال في هذه الآية ﴿أَنَّىٰ لَهُمُ ٱلذِّكْرَىٰ وَقَدْ جَآءَهُمْ رَسُولٌ مُّبِينٌ﴾، وهذا يقال يوم القيامة للكفار حين يطلبون الرجوع إلى الدنيا، فيقال قد ذهب وقت الرجوع.

وقيل: إن المراد بذلك ما أصاب كفار قريش حين امتنعوا عن الإيمان، واستكبروا على الحق، فدعا عليهم النبي ﷺ فقال: (اللهم أعني عليهم بسنين

---

(١) تفسير أبو السعود، ج: ٧، ص: ٢٨٥.

(٢) سورة الدخان: الآيات ١٠ ـ ١٦.

كسني يوسف)[1]، فأرسل الله عليهم الجوع العظيم، حتى أكلوا الميتات والعظام، وصاروا يرون الذي بين السماء والأرض كهيئة الدخان، وليس به، وذلك من شدة الجوع، فيكون على هذا قوله: ﴿يَوْمَ تَأْتِي ٱلسَّمَآءُ بِدُخَانٍ مُّبِينٍ﴾ أن ذلك بالنسبة إلى أبصارهم، وما يشاهدون، وليس بدخان حقيقة، ولم يزالوا بهذه الحالة حتى استرحموا رسول الله ﷺ، وسألوه أن يدعو الله لهم أن يكشفه الله عنهم، فكشفه الله عنهم، وعلى هذا فيكون قوله: ﴿إِنَّا كَاشِفُوا۟ ٱلْعَذَابِ قَلِيلًا إِنَّكُمْ عَآئِدُونَ ﴿١٥﴾﴾ إخبار بأن الله سيصرفه عنهم، وتوعد لهم أن يعودوا إلى الاستكبار، والتكذيب، وإخبار بوقوعه، فوقع، وأن الله سيعاقبهم بالبطشة الكبرى، قالوا: وهي وقعة بدر، وفي هذا القول نظر ظاهر.

وقيل: إن المراد بذلك أن ذلك من أشراط الساعة، وأنه يكون في آخر الزمان دخان يأخذ بأنفاس الناس، ويصيب المؤمنين منه كهيئة الدخان، والقول الراجح هو الأول.

وفي الآية احتمال أن المراد بقوله: ﴿فَٱرْتَقِبْ يَوْمَ تَأْتِي ٱلسَّمَآءُ بِدُخَانٍ مُّبِينٍ ﴿١٠﴾ يَغْشَى ٱلنَّاسَ هَٰذَا عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿١١﴾ رَّبَّنَا ٱكْشِفْ عَنَّا ٱلْعَذَابَ إِنَّا مُؤْمِنُونَ ﴿١٢﴾ أَنَّىٰ لَهُمُ ٱلذِّكْرَىٰ وَقَدْ جَآءَهُمْ رَسُولٌ مُّبِينٌ ﴿١٣﴾ ثُمَّ تَوَلَّوْا۟ عَنْهُ وَقَالُوا۟ مُعَلَّمٌ مَّجْنُونٌ ﴿١٤﴾﴾ أن هذا كله يوم القيامة، وأن قوله تعالى: ﴿ثُمَّ تَوَلَّوْا۟ عَنْهُ وَقَالُوا۟ مُعَلَّمٌ مَّجْنُونٌ ﴿١٤﴾ إِنَّا كَاشِفُوا۟ ٱلْعَذَابِ قَلِيلًا إِنَّكُمْ عَآئِدُونَ ﴿١٥﴾﴾ أن هذا ما وقع لقريش كما تقدم وإذا نزلت هذه الآيات على هذين المعنيين لم تجد في اللفظ ما يمنع من ذلك، بل تجدها مطابقة لهما أتم المطابقة، وهذا الذي يظهر عندي ويترجح والله أعلم[2].

يتلخص من كلام الشيخ عبد الرحمٰن بن سعدي رحمه الله في تفسير

---

(١) قطعة من حديث مخرج في الصحيحين، رواه البخاري في صحيحه في كتاب التفسير، جـ: ٨، ص: ٥٧٢، وانظر: تفسير سورة الفرقان والروم وسورة (ص) من صحيح البخاري، ، عن عبد الله بن مسعود، ومسلم في كتاب صفة الجنة والنار، باب الدخان، جـ: ٨، ص: ١٣٠، عن عبد الله بن مسعود.

(٢) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، جـ: ٧، ص: ١٣٤ ـ ١٣٥.

آيات الدخان أن للعلماء أربعة أقوال في المراد بالدخان وهناك قول خامس لم يذكره، سأذكره إن شاء الله بعد سرد الأقوال الأربعة التي أشار إليها، مع نسبة هذه الأقوال لأصحابها وأدلتهم قدر الاستطاعة.

١ ـ القول الأول:

أن المراد بالدخان الذي يغشى الناس ويعمهم يوم القيامة حين تقترب النار من المجرمين، وأصحاب هذا القول يستدلون بما أخرجه البخاري في صحيحه عن مسروق[١] (قال: دخلنا المسجد يعني مسجد الكوفة عند أبواب كندة، فإذا رجل يقص على أصحابه ﴿يَوْمَ تَأْتِي ٱلسَّمَآءُ بِدُخَانٍ مُّبِينٍ﴾ تدرون ما ذلك الدخان؟ ذلك دخان يوم القيامة، فيأخذ بأسماع المنافقين وأبصارهم ويأخذ المؤمنين منه شبه الزكام، قال: فأتينا ابن مسعود رضي الله عنه. فذكرنا ذلك له، وكان مضطجعاً، ففزع، فقعد وقال: إن الله عز وجل قال لنبيكم ﷺ: ﴿قُلْ مَآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلْمُتَكَلِّفِينَ ﴿٨٦﴾﴾[٢]، إن من العلم أن يقول الرجل لما لا يعلم الله أعلم، سأحدثكم عن ذلك إن قريشاً لما أبطأت في الإسلام، واستعصت على رسول الله ﷺ، دعا عليهم بسنين كسني يوسف، فأصابهم من الجهد والجوع، حتى أكلوا العظام والميتة، وجعلوا يرفعون أبصارهم إلى السماء، فلا يرون إلاَّ الدخان، وفي رواية فجعل الرجل ينظر إلى السماء فيرى ما بينه وبينها كهيئة الدخان من الجهد قال الله تعالى: ﴿فَٱرْتَقِبْ يَوْمَ تَأْتِي ٱلسَّمَآءُ بِدُخَانٍ مُّبِينٍ ﴿١٠﴾ يَغْشَى ٱلنَّاسَ هَٰذَا عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿١١﴾﴾، فأتى رسول الله ﷺ، فقيل يا رسول الله، استسق الله لمضر، فإنها قد هلكت، فاستسقى ﷺ، فسقوا، فنزلت ﴿إِنَّا كَاشِفُوا۟ ٱلْعَذَابِ قَلِيلًا إِنَّكُمْ عَآئِدُونَ ﴿١٥﴾﴾، قال ابن مسعود رضي الله عنه: فيكشف عنهم العذاب يوم القيامة، فلما أصابهم الرفاهية عادوا إلى حالهم، فأنزل الله عز وجل ﴿يَوْمَ نَبْطِشُ ٱلْبَطْشَةَ ٱلْكُبْرَىٰ إِنَّا مُنتَقِمُونَ ﴿١٦﴾﴾، قال يعني يوم بدر، قال ابن مسعود رضي الله عنه: فقد مضى

---

(١) هو ابن الأجدع.

(٢) سورة ص: الآية ٨٦.

خمسة الدخان والروم والقمر والبطشة واللزام»[1].

وهؤلاء يجيبون عن قوله تعالى: ﴿إِنَّا كَاشِفُوا۟ ٱلْعَذَابِ قَلِيلًا إِنَّكُمْ عَآئِدُونَ ﴿١٥﴾﴾ أنه يحتمل معنيين، أحدهما: لو كشفنا عنكم العذاب ورجعناكم إلى الدار الدنيا لعدتم إلى ما كنتم فيه من الكفر والتكذيب، كقوله تعالى: ﴿۞ وَلَوْ رَحِمْنَٰهُمْ وَكَشَفْنَا مَا بِهِم مِّن ضُرٍّ لَّلَجُّوا۟ فِى طُغْيَٰنِهِمْ يَعْمَهُونَ ﴿٧٥﴾﴾[2]، وكقوله: ﴿وَلَوْ رُدُّوا۟ لَعَادُوا۟ لِمَا نُهُوا۟ عَنْهُ وَإِنَّهُمْ لَكَٰذِبُونَ ﴾[3].

والثاني: أن يكون المراد إنا مؤخرو العذاب عنكم قليلاً بعد انعقاد أسبابه ووصوله إليكم وأنتم مستمرون فيما أنتم فيه من الطغيان والضلال، ولا يلزم من الكشف عنهم أن يكون باشرهم كقوله تعالى ﴿إِلَّا قَوْمَ يُونُسَ لَمَّآ ءَامَنُوا۟ كَشَفْنَا عَنْهُمْ عَذَابَ ٱلْخِزْىِ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَمَتَّعْنَٰهُمْ إِلَىٰ حِينٍ ﴾[4]، ولم يكن العذاب باشرهم، واتصل بهم، بل كان قد انعقد سببه عليهم، لا يلزم أيضاً أن يكونوا قد أقلعوا عن كفرهم، ثم عادوا إليه، قال الله تعالى إخباراً عن شعيب عليه السلام، أنه قال لقومه حين قالوا: ﴿۞ قَالَ ٱلْمَلَأُ ٱلَّذِينَ ٱسْتَكْبَرُوا۟ مِن قَوْمِهِۦ لَنُخْرِجَنَّكَ يَٰشُعَيْبُ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مَعَكَ مِن قَرْيَتِنَآ أَوْ لَتَعُودُنَّ فِى مِلَّتِنَا ۚ قَالَ أَوَلَوْ كُنَّا كَٰرِهِينَ ﴿٨٨﴾ قَدِ ٱفْتَرَيْنَا عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا إِنْ عُدْنَا فِى مِلَّتِكُم بَعْدَ إِذْ نَجَّىٰنَا ٱللَّهُ مِنْهَا ۚ وَمَا يَكُونُ لَنَآ أَن نَّعُودَ فِيهَآ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ رَبُّنَا ۚ وَسِعَ رَبُّنَا كُلَّ شَىْءٍ عِلْمًا ۗ عَلَى ٱللَّهِ تَوَكَّلْنَا ۚ رَبَّنَا ٱفْتَحْ بَيْنَنَا وَبَيْنَ قَوْمِنَا بِٱلْحَقِّ وَأَنتَ خَيْرُ ٱلْفَٰتِحِينَ ﴿٨٩﴾ ﴾[5] وشعيب عليه السلام لم يكن قط على ملتهم وطريقتهم.

٢ ـ القول الثاني:

أن المراد بالدخان ما أصاب كفار قريش حين امتنعوا من الإيمان

---

(١) أخرجه البخاري في مواضع من صحيحه في كتاب الاستسقاء، وفي التفسير في تفسير سورة يوسف والفرقان والروم و(ص) والدخان، جـ: ٨، ص: ٥٧١، ومسلم في كتاب صفة القيامة والجنة والنار، باب الدخان، جـ: ٨، ص: ١٣٠.

(٢) سورة المؤمنون: الآية ٧٥.

(٣) سورة الأنعام: الآية ٢٨.

(٤) سورة يونس: الآية ٩٨.

(٥) سورة الأعراف: الآيتان ٨٨، ٨٩.

واستكبروا على الحق، فدعا عليهم الرسول ﷺ فقال: (اللهم أعني عليهم بسنين كسني يوسف)، وأرباب هذا القول يستدلون:

١ ـ بما ورد عن عبد الله بن مسعود في الحديث السابق الذي أخرجه البخاري.

٢ ـ ويستدلون بما رواه ابن جرير بسنده عن أبي العالية[١] أنه يقول إن الدخان قد مضى[٢].

٣ ـ ويستدلون بما أخرجه ابن جرير في تفسيره عن مجاهد ﴿يَوْمَ تَأْتِي ٱلسَّمَآءُ بِدُخَانٍ مُّبِينٍ﴾ قال الجدب وإمساك المطر عن كفار قريش إلى قوله: (إنا مؤمنون)[٣].

٤ ـ وبما ورد في تفسير ابن جرير عن الضحاك أنه كان يقول في قوله تعالى: ﴿يَوْمَ تَأْتِي ٱلسَّمَآءُ بِدُخَانٍ مُّبِينٍ﴾ قد مضى شأن الدخان[٤]، وهؤلاء يفسرون البطشة الكبرى في قوله تعالى: ﴿يَوْمَ نَبْطِشُ ٱلْبَطْشَةَ ٱلْكُبْرَىٰٓ إِنَّا مُنتَقِمُونَ ﴿١٦﴾﴾ ببدر وأن الله انتقم من قريش في هذه المعركة.

٥ ـ ويستدلون بأن الله تعالى حكى عن الكفار قولهم ﴿رَبَّنَا ٱكْشِفْ عَنَّا ٱلْعَذَابَ﴾ ثم علّلوا ذلك فقالوا ﴿إِنَّا مُؤْمِنُونَ﴾ أي عريقون في وصف الإيمان، فإذا حمل على القحط الذي أصاب مكة استقام حيث نقل أن الأمر لما اشتد على أهل مكة، مشى إلى رسول الله ﷺ أبو سفيان، فناشده الله والرحم وواعده إن دعا لهم، وأزال عنهم تلك البلية أن يؤمنوا به، فلما أزالها الله عنهم رجعوا إلى شركهم.

وقد وافق أرباب هذا القول من السلف غير من ذكر إبراهيم النخعي

---

(١) وهو رفيع بالتصغير، ابن مهران أبو العالية الرياحي بكسر الراء وبالتحتانية، ثقة كثير الإرسال، مات سنة تسعين، وقيل ثلاثة وتسعين، وقيل بعد ذلك، وحديثه عند الجماعة. تقريب التهذيب، جـ: ١، ص: ٢٥٢.

(٢) تفسير ابن جرير، جـ: ٢٥، ص: ١١٣.

(٣) المصدر السابق، نفس المرجع والصفحة، وانظر تفسير مجاهد ص: ٥٨٨.

(٤) المصدر السابق، نفس المرجع والصفحة.

وعطية العوفي وابن جرير الطبري، ورجحه الشوكاني في فتح القدير[1]، واختاره الفراء والزجاج[2]، والمحقق صديق حسن خان في تفسيره فتح البيان في مقاصد القرآن[3].

واستظهره الألوسي في تفسيره حيث قال: (وحمله على ما روى عن ابن مسعود ظاهر الاستقامة لا قيل فيه ولا قال)[4].

وممن قال به جلال الدين المحلي.

٣ ـ القول الثالث:

أن المراد بذلك الدخان أنه من أشراط الساعة، وأنه يكون في آخر الزمان دخان يأخذ بأنفاس الناس، ويصيب المؤمنين منه كهيئة الزكام، ويستدل أرباب هذا القول بما يأتي:

١ ـ بما أخرجه مسلم في صحيحه من حديث أبي سريحة حذيفة بن أسيد الغفاري رضي الله عنه قال: أشرف علينا رسول الله ﷺ من غرفة، ونحن نتذاكر الساعة، فقال رسول الله ﷺ (لا تقوم الساعة حتى تروا عشر آيات: طلوع الشمس من مغربها، والدخان، والدابة، وخروج يأجوج ومأجوج، وخروج عيسى ابن مريم، والدجال، وثلاثة خسوف، خسف بالمشرق، وخسف بالمغرب، وخسف بجزيرة العرب ونار تخرج من قعر عدن تسوق الناس، أو تحشر الناس ـ تبيت معهم حيث باتوا وتقيل معهم حيث قالوا)[5].

٢ ـ وبما رواه ابن جرير بسنده عن ابن عمر قال: «يخرج الدخان فيأخذ المؤمن كهيئة الزكمة، ويدخل مع مسامع الكافر والمنافق حتى يكون كالرأس الحنيذ»[6].

---

(١) فتح القدير، جـ: ٤، ص: ٥٥٥.
(٢) نسب القول إليهما في ذلك الألوسي تفسيره روح المعاني، جـ: ٢٥، ص: ١١٧.
(٣) جـ: ٨، ص: ٤٤٦.
(٤) جـ: ٢٥، ص: ١٢٠.
(٥) صحيح مسلم بشرح النووي، جـ: ١٨، ص: ٢٧.
(٦) تفسير ابن جرير، جـ: ٢٥، ص: ١١٣.

٣ ـ وبما أخرجه ابن جرير بسنده عن عبد الله بن أبي مليكة قال: غدوت على ابن عباس ذات يوم، فقال: ما نمت الليلة حتى أصبحت، قلت: لم؟ قال: قالوا طلع الكوكب ذو الذنب فخشيت أن يكون الدخان قد طرق، فما نمت حتى أصبحت[١].

٤ ـ وبما أورده ابن جرير بسنده عن الحسن البصري قال: إن الدخان قد بقي من الآيات، فإذا جاء الدخان نفخ الكافر حتى يخرج من كل مسمع من مسامعه، ويأخذ المؤمن كزكمة[٢].

٥ ـ وأخرج ابن جرير بسنده عن أبي سعيد الخدري قال: يهيج الدخان بالناس، فأما المؤمن فيأخذه منه كهيئة الزكمة، وأما الكافر فيهيجه حتى يخرج من كل مسمع منه، قال: وكان بعض أهل العلم يقول: فما مثل الأرض يومئذ إلا كمثل بيت أوقد فيه ليس فيه خصاصة[٣].

٦ ـ وبما أخرجه ابن جرير بسنده عن ربعي بن حراش[٤] قال: سمعت حذيفة بن اليمان يقول: قال رسول الله ﷺ يقول: (أول الآيات: الدجال، ونزول عيسى ابن مريم، ونار تخرج من قعر عدن أبين تسوق الناس إلى المحشر تقيل معهم إذا قالوا، والدخان، قال حذيفة: يا رسول الله وما الدخان؟، فتلا رسول الله ﷺ الآية: ﴿يَوْمَ تَأْتِي ٱلسَّمَآءُ بِدُخَانٍ مُّبِينٍ يَغْشَى ٱلنَّاسَ هَٰذَا عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿١١﴾﴾ يملأ ما بين المشرق والمغرب، يمكث أربعين يوماً وليلة، أما المؤمن فيصيبه منه كهيئة الزكام، وأما الكافر فيكون بمنزلة السكران، يخرج من منخريه وأذنيه ودبره).

إلاَّ أن ابن جرير لم يشهد لهذا الحديث بالصحة، لأن أحد رواته سفيان

---

(١) تفسير ابن جرير، جـ: ٢٥، ص: ١١٣.
(٢) المرجع السابق، نفس الجزء والصفحة.
(٣) المرجع السابق، نفس الجزء والصفحة.
(٤) ربعي بن حراش بكسر المهملة وآخره معجمة، أبو مريم العبسي الكوفي ثقة عابد مخضرم، من الثانية، مات سنة مائة وقيل غير ذلك، وحديثه عند الجماعة. ا.هـ، من تقريب التهذيب، جـ: ١، ص: ٢٤٣.

الثوري، وقد سئل روّاد بن الجراح[1] هل سمعه من سفيان، فقال: لا، فسئل هل قرأته على سفيان؟ فقال: لا، فسئل هل قرئ على سفيان وأنت حاضر؟ فقال: لا، فسئل فمن أين جئت به؟ قال: جاءني به قوم فعرضوه علي، وقالوا لي: اسمعه منا، فقرأوه علي، ثم ذهبوا فحدثوا به عني، أو كما قال، قال ابن جرير: فلما ذكرت من ذلك لم أشهد له بالصحة[2]، وقال ابن كثير رحمه الله تعالى: (وقد أجاد ابن جرير في هذا الحديث هاهنا، فإنه موضوع بهذا السند)[3].

٧ ـ واستدلوا بأن قوله تعالى: ﴿يَوْمَ تَأْتِي ٱلسَّمَآءُ بِدُخَانٍ مُّبِينٍ﴾ يقتضي وجود دخان تأتي به السماء.

٨ ـ وأن الله وصف ذلك الدخان بكونه مبيناً، أي بيناً ظاهراً يراه كل أحد.

٩ ـ وبأن الله وصف ذلك الدخان بأنه يغشى الناس، أي يتغشى الناس ويعمهم، وممن ذهب إلى هذا القول غير من ذكرت عنهم الآثار السابقة علي بن أبي طالب، وأبو هريرة، وزيد بن علي رضي الله عنهم[4].

ورجحه ابن كثير رحمه الله تعالى حيث يقول بعد نقله للأثر الوارد عن ابن عباس وتقدم قريباً وهذا إسناد صحيح إلى ابن عباس رضي الله عنهما حبر الأمة وترجمان القرآن، وهكذا قول من وافقه من الصحابة والتابعين رضي الله عنهم أجمعين مع الأحاديث المرفوعة من الصحاح والحسان وغيرهما التي أوردها، مما فيه مقنع ودلالة ظاهرة، على أن الدخان من الآيات المنتظرة، مع

---

(١) روّاد بتشديد الواو بن الجراح أبو عاصم العسقلاني، أصله من خراسان، صدوق اختلط بآخره، فترك، وفي حديثه عن الثوري ضعف شديد، من التاسعة، وحديثه عند ابن ماجه.
تقريب التهذيب، جـ: ١، ص: ٢٥٣.

(٢) تفسير ابن جرير، جـ: ٢٥، ص: ١١٤.

(٣) تفسير ابن كثير، جـ: ٦، ص: ٢٤٨.

(٤) نسب إليهم القول في ذلك القرطبي في تفسيره، جـ: ١٥، ص: ١٣٠.

أنه ظاهر القرآن»[1] ورجحه الشهيد سيد قطب رحمه الله تعالى حيث قال عند تفسيره لهذه الآية: «ونحن نختار قول ابن عباس رضي الله عنهما في تفسير الدخان بأنه عند يوم القيامة»[2]، وأصحاب هذا القول يجيبون عن قوله تعالى: ﴿إِنَّا كَاشِفُوا الْعَذَابِ قَلِيلًا إِنَّكُمْ عَائِدُونَ ﴿١٥﴾﴾ بإمكان الكشف وعدم انقطاع التكليف عند ظهوره، وإن كان من أشراط الساعة، بل جاء في بعض الآثار أنه يمكث أربعين يوماً وليلة، فيكشف عنهم فيعودون إلى ما كانوا عليه من الضلال، حكى ذلك الألوسي[3]، وأبو حيان في البحر المحيط[4]، والشهاب الخفاجي[5].

٤ ـ القول الرابع:

أن المراد بالدخان يوم فتح مكة، لما حجبت السماء الغبرة، أخرج ابن أبي حاتم بسنده عن عبد الرحمٰن الأعرج[6] في قوله عز وجل: ﴿يَوْمَ تَأْتِي السَّمَاءُ بِدُخَانٍ مُبِينٍ﴾ قال: كان يوم فتح مكة، وقد علق ابن كثير رحمه الله على هذا الأثر بقوله: (وهذا القول غريب جداً بل منكر)[7] وفي رواية ابن سعد أن الأعرج يروي عن أبي هريرة أنه قال: كان يوم فتح مكة دخان، وهو قول الله تعالى: ﴿فَارْتَقِبْ يَوْمَ تَأْتِي السَّمَاءُ بِدُخَانٍ مُبِينٍ ﴿١٠﴾﴾[8].

وهذا القول لم يتطرق إليه مفسرنا الشيخ عبد الرحمٰن بن سعدي:

---

(١) تفسير ابن كثير، جـ: ٦، ص: ٢٤٨، ٢٤٩.

(٢) في ظلال القرآن، المجلد السابع، الجزء الخامس والعشرون، ص١١٢، ط دار إحياء التراث العربي، بيروت، لبنان.

(٣) جـ: ٢٥، ص: ٢١، من روح المعاني.

(٤) جـ: ٨، ص: ٣٤، ٣٥، من البحر المحيط.

(٥) حاشية الشهاب الخفاجي على تفسير البيضاوي، جـ: ٨، ص: ٧.

(٦) عبد الرحمن بن هرمز الأعرج، أبو داود المدني، مولى ربيعة بن الحارث، ثقة ثبت عالم من الثالثة، مات سنة سبع عشرة ومائة، وحديثه عند الجماعة. تقريب التهذيب، جـ: ١، ص: ٥٠١.

(٧) تفسير ابن كثير، جـ: ٦، ص: ٢٤٧، ط دار الأندلس.

(٨) حكى ذلك الألوسي والشوكاني، الألوسي، جـ: ٢٥، ص: ١١٨، والشوكاني، جـ: ٤ص: ٥٥٥.

٥ ـ القول الخامس:

الجمع بين الأقوال المتقدمة، وهو أن المراد بقوله تعالى: ﴿فَٱرْتَقِبْ يَوْمَ تَأْتِى ٱلسَّمَآءُ بِدُخَانٍ مُّبِينٍ ﴿١٠﴾ . . . إلى قوله: وَقَالُوا۟ مُعَلَّمٌ مَّجْنُونٌ ﴾ أن هذا كله يوم القيامة، وأن قوله: ﴿ثُمَّ تَوَلَّوْا۟ عَنْهُ وَقَالُوا۟ مُعَلَّمٌ مَّجْنُونٌ ﴿١٤﴾ إِنَّا كَاشِفُوا۟ ٱلْعَذَابِ قَلِيلًا إِنَّكُمْ عَآئِدُونَ ﴿١٥﴾ ﴾ أن المراد بهذا ما وقع لقريش حين استكبروا وأعرضوا عن الإيمان، فدعا عليهم الرسول ﷺ، فأصابهم الجوع حتى أكلوا الميتات والعظام، وصاروا يرون الذي بين السماء والأرض كهيئة الدخان، وهذا القول هو الذي رجحه مفسرنا الشيخ عبد الرحمٰن بن ناصر السعدي، فإنه قال: (وإذا نزلت هذه الآيات على هذين المعنيين، لم تجد في اللفظ ما يمنع من ذلك، بل نجدها مطابقة لهما أتم مطابقة، وهذا الذي يظهر عندي ويترجح والله أعلم.

وممن ذهب إلى هذا القول: الشوكاني في فتح القدير، بعد أن رجح تفسير ابن مسعود، حيث قال: ولا ينافي ترجيح هذا ما ورد أن الدخان من آيات الساعة، فإن ذلك دخان آخر، ولا ينافيه أيضاً أنه الذي كان يوم فتح مكة، فإنه دخان آخر على تقدير صحة وقوعه[1].

والمحقق صديق حسن خان في فتح البيان في مقاصد القرآن[2]، ومال إليه محمد جمال الدين القاسمي في محاسن التأويل، حيث قال ما نصه: (إذا علمت ذلك رأيت أن من فسر هذه الآية بالمجاعة التي حصلت لقريش، أمكنه تطبيق الآية عليها مجازاً في بعض مفرداتها وحقيقة في بقيتها، وفي وقوع مصداقها في رأيه، ومن فسرها بالدخان المنتظر المروي من أشراط الساعة وقف مع المروي، ورأى أنه تفسيرها، لأن الأصل التوافق والحمل على المعهود، لأنه الأقرب خطوراً والأسبق حضوراً، ومن فسرها بالظهور عليهم يوم الفتح رأى أنها من بليغ المجاز وبديع الكناية في ذلك، وأن الوعد

---

(١) فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية من علم التفسير للشوكاني، ج: ٤ ص: ٥٥، ط الحلبي.

(٢) ج: ٩، ص: ٤٤٧.

بالارتقاب كثر أشباهه ونظائره في غير ما آية مراداً به الفتح، كآية: ﴿وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هَٰذَا ٱلْفَتْحُ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿٢٨﴾ . . . إلى قوله: وَٱنتَظِرْ إِنَّهُم مُّنتَظِرُونَ﴾[1].

فهذا وأمثاله يبين مأخذ الأئمة ومداركهم في التأويل، وبه يعلم أن أطراف المدارك قد تتجاذب اللفظ، فتستوقف الرأي عن التشيع لمدرك دون آخر، ما لم يكن ثمة ما يرشح أحدها[2].

الرابع والعشرون:

قال عند تفسيره قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلْمُتَّقِينَ فِى جَنَّٰتٍ وَعُيُونٍ ﴿١٥﴾ ءَاخِذِينَ مَآ ءَاتَىٰهُمْ رَبُّهُمْ إِنَّهُمْ كَانُوا۟ قَبْلَ ذَٰلِكَ مُحْسِنِينَ ﴿١٦﴾﴾[3].

قال: ﴿ءَاخِذِينَ مَآ ءَاتَىٰهُمْ رَبُّهُمْ﴾ يحتمل أن المعنى أن أهل الجنة قد أعطاهم مولاهم جميع مُناهم من جميع أصناف النعيم فأخذوا ذلك راضين به، قد قرت به أعينهم، وفرحت به نفوسهم، ولم يطلبوا منه بدلاً، ولا يبغون عنه حولاً، وكل قد ناله من النعيم ما لا يطلب عليه المزيد.

ويحتمل أن هذا وصف المتقين في الدنيا، وأنهم آخذون ما آتاهم الله من الأوامر والنواهي، أي قد تلقوها بالرحب وانشراح الصدر، منقادين لما أمر الله به بالامتثال على أكمل الوجوه، ولما نهى عنه بالانزجار عنه لله، على أكمل وجه، فإن الذين أعطاهم الله من الأوامر والنواهي هو أفضل العطايا التي حقها أن تتلقى بالشكر لله والانقياد.

والمعنى الأول ألصق بسياق الكلام، لأنه ذكر وصفهم في الدنيا وأعمالهم بقوله: ﴿إِنَّهُمْ كَانُوا۟ قَبْلَ ذَٰلِكَ﴾ الوقت الذي وصلوا به إلى النعيم ﴿مُحْسِنِينَ﴾[4]. . . إلخ.

---

(١) سورة السجدة: الآية ٢٨ ـ ٣٠.

(٢) محاسن التأويل، مجلد (٨) ج: ١٤، ص: ٣٧٢.

(٣) سورة الذاريات: الآية ١٥، ١٦.

(٤) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، ج: ٨، ص: ٢٢.

ذكر الشيخ رحمه الله في تفسير هذه الآية معنيين، رجح الأول منهما، وقد ذهب إلى كل واحد من المعنيين طائفة من العلماء رحمهم الله، إلاَّ أن المعنى الأول هو الذي ذهب إليه أكثر العلماء، مرجحين له على المعنى الثاني.

فممن ذهب إليه من السلف: الضحاك، حكى ذلك عنه القرطبي حيث قال رحمه الله: ﴿ءَاخِذِينَ مَآ ءَاتَىٰهُمْ رَبُّهُمْ﴾ أي ما أعطاهم من الثواب، وأنواع الكرامات، قاله الضحاك[1].

ورجحه ابن كثير رحمه الله ونصره، ورد على الإمام ابن جرير الذي أيد القول الثاني، فقال ابن كثير رحمه الله تعالى: (والذي فسر به ابن جرير فيه نظر، لأن قوله تبارك وتعالى: ﴿ءَاخِذِينَ﴾ حال من قوله في جنات وعيون، فالمتقون في حال كونهم في الجنات والعيون آخذين ما آتاهم ربهم، أي من النعيم والسرور والغبطة[2].

وممن رجحه محمد بن أحمد بن جزي الكلبي[3] رحمه الله، حيث قال بعد تفسير الآية: وذكره للمعنيين (والأول أظهر وأرجح لدلالة الكلام عليه)[4].

وممن رجح هذا القول أو ذكره ولم يذكر القول الثاني الثعالبي في تفسيره الجواهر الحسان في تفسير القرآن، والألوسي في روح المعاني، والبغوي والخازن والشوكاني في فتح القدير، وجلال الدين المحلي، وسليمان

---

(١) أحكام القرآن للقرطبي، جـ: ١٧، ص: ٣٥.

(٢) تفسير ابن كثير رحمه الله، جـ: ٦، ص: ٤١٦.

(٣) محمد بن أحمد بن محمد بن جزي الكلبي، المالكي، يكنى أبا القاسم من أهل غرناطة، وذوي الأصالة والنباهة فيها، كان رحمه الله على طريقة مثلى من العكوف على العلم والاشتغال بالنظر والتقييد والتدوين، فقيها حافظاً قائماً على التدريس، مشاركاً في فنون: من عربية وأصول وقراءات وحديث وأدب، حافظاً للتفسير مستوعباً للأقوال جامعاً للكتب، ألف الكثير من فنون شتى، منها: المختصر البارع في قراءة نافع، وكتاب أصول القراء الستة غير نافع، إلى غير ذلك مما قيده في التفسير والقراءات.
طبقات المفسرين للداوودي، جـ: ٢، ص: ٨٥ ـ ٨٦.

(٤) التسهيل لعلوم التنزيل، جـ: ٤، ص: ٦٨.

الجمل في حاشيته على الجلالين، والنسفي في مدارك التنزيل وحقائق التأويل، والمحقق صديق حسن خان في فتح البيان في مقاصد القرآن[1].

وممن ذهب إلى المعنى الثاني، وهو أن المراد بقوله تعالى: ﴿ءَاخِذِينَ مَآ ءَاتَىٰهُمْ﴾ أنه وصف المتقين في الدنيا بأنهم يتلقون ما آتاهم الله من الأوامر والنواهي بانشراح صدر وانقياد، من السلف عبد الله بن عباس، وسعيد بن جبير، حكى ذلك عنهم القرطبي في أحكام القرآن[2]، ونقل ابن جرير رحمه الله تعالى بسنده عن مسلم البطين[3] عن ابن عباس في قوله: ﴿ءَاخِذِينَ مَآ ءَاتَىٰهُمْ رَبُّهُمْ﴾ قال الفرائض، وقد علق ابن كثير على هذا الإسناد بأنه ضعيف[4] وفسر الإمام ابن جرير هذه الآية بهذا المعنى فقال رحمه الله تعالى يقول تعالى ذكره: (عاملين ما أمرهم به ربهم مؤدين فرائضه)[5].

الخامس والعشرون:

قال عند تفسير قوله تعالى: ﴿عَلَّمَهُۥ شَدِيدُ ٱلْقُوَىٰ ۝٥ ذُو مِرَّةٍ فَٱسْتَوَىٰ ۝٦ وَهُوَ بِٱلْأُفُقِ ٱلْأَعْلَىٰ ۝٧ ثُمَّ دَنَا فَتَدَلَّىٰ ۝٨ فَكَانَ قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَىٰ ۝٩ فَأَوْحَىٰٓ إِلَىٰ عَبْدِهِۦ مَآ أَوْحَىٰ ۝١٠ مَا كَذَبَ ٱلْفُؤَادُ مَا رَأَىٰٓ ۝١١ أَفَتُمَٰرُونَهُۥ عَلَىٰ مَا يَرَىٰ ۝١٢ وَلَقَدْ رَءَاهُ نَزْلَةً أُخْرَىٰ ۝١٣ عِندَ سِدْرَةِ ٱلْمُنتَهَىٰ ۝١٤ عِندَهَا جَنَّةُ ٱلْمَأْوَىٰٓ ۝١٥ إِذْ يَغْشَى ٱلسِّدْرَةَ مَا يَغْشَىٰ ۝١٦ مَا زَاغَ ٱلْبَصَرُ وَمَا طَغَىٰ ۝١٧ لَقَدْ رَأَىٰ مِنْ ءَايَٰتِ رَبِّهِ ٱلْكُبْرَىٰٓ ۝١٨﴾[6].

أي نزل بالوحي على الرسول ﷺ جبريل عليه السلام، شديد القوى

---

(١) تفسير الثعالبي، جـ: ٤، ص: ٢٠٦، روح المعاني، جـ: ٢٧، ص: ٨، وفتح القدير، جـ: ٥، ص: ٨١، وتفسير الجلالين، جـ: ٤، ص: ٢٣، وحاشية الجمل، جـ: ٤، ص: ٢٠٢، والنسفي، جـ: ٣، ص: ٤١٩، وفتح البيان، جـ: ٩، ص: ٧٨.

(٢) جـ: ١٧، ص: ٣٥.

(٣) مسلم بن عمران البطين، ويقال ابن أبي عمران أبو عبد الله الكوفي، ثقة، من السادسة، وحديثه عند الجماعة.
تقريب التهذيب، جـ: ٢، ص: ٢٤٢.

(٤) تفسير ابن كثير، جـ: ٦، ص: ٤١٦.

(٥) جامع البيان عن تأويل آي القرآن، لابن جرير الطبري، جـ: ٢٥، ص: ١٩٦.

(٦) سورة النجم: الآيات ٥ ـ ١٨.

الظاهرة والباطنة، قوي على تنفيذ ما أمره الله بتنفيذه، قوي على إيصال الوحي إلى الرسول ﷺ، ومنعه من اختلاس الشياطين له أو إدخالهم فيه ما ليس منه، وهذا من حفظ الله لوحيه أن أرسله مع هذا الرسول القوي الأمين، ﴿ذُو مِرَّةٍ﴾ أي قوة وخلق حسن وجمال ظاهر وباطن ﴿فَٱسْتَوَىٰ﴾ جبريل عليه السلام ﴿وَهُوَ بِٱلْأُفُقِ ٱلْأَعْلَىٰ ۝٧﴾ أي أفق السماء الذي هو أعلى من الأرض، فهو من الأرواح العلوية التي لا تنالها الشياطين، ولا يتمكنون من الوصول إليها ﴿ثُمَّ دَنَا﴾ جبريل من النبي ﷺ لإيصال الوحي إليه ﴿فَتَدَلَّىٰ﴾ عليه من الأفق الأعلى ﴿فَكَانَ﴾ في قربه منه ﴿قَابَ قَوْسَيْنِ﴾ أي قدر قوسين والقوس معروف ﴿أَوْ أَدْنَىٰ﴾ أي أقرب من القوسين، وهذا يدل على كمال مباشرته للرسول ﷺ بالرسالة، وأنه لا واسطة بينه وبين جبريل عليه السلام، ﴿فَأَوْحَىٰٓ﴾ الله بواسطة جبريل عليه السلام ﴿إِلَىٰ عَبْدِهِۦ مَآ أَوْحَىٰ﴾ أي الذي أوحاه إليه من الشرع العظيم والنبأ المستقيم ﴿مَا كَذَبَ ٱلْفُؤَادُ مَا رَأَىٰٓ ۝١١﴾ أي اتفق فؤاد الرسول ﷺ ورؤيته على الوحي الذي أوحاه الله إليه، وأنه تلقاه منه تلقياً لا شك فيه ولا شبهة ولا ريب، فلم يكذب فؤاده ما رأى بصره ولم يشك في ذلك، ويحتمل أن المراد بذلك ما رأى ﷺ ليلة أسري به من آيات الله العظيمة وأنه تيقنه حقاً بقلبه ورؤيته، وهذا هو الصحيح في تأويل الآية الكريمة.

وقيل إن المراد بذلك رؤية الرسول ﷺ لربه ليلة الإسراء وتكليمه إياه، وهذا اختيار كثير من العلماء رحمهم الله تعالى، فأثبتوا بهذا رؤية الرسول ﷺ لربه في الدنيا، ولكن الصحيح الأول، وأن المراد به جبريل عليه السلام كما يدل عليه السياق، وأن محمداً ﷺ رأى جبريل في صورته الأصلية االتي هو عليها مرتين، مرة في الأفق الأعلى تحت السماء الدنيا كما تقدم، والمرة الثانية فوق السماء السابعة ليلة أسري برسول الله ﷺ، ولهذا قال: ﴿وَلَقَدْ رَءَاهُ نَزْلَةً أُخْرَىٰ ۝١٣﴾[1].

تطرق الشيخ عبد الرحمٰن بن ناصر السعدي أثناء تفسيره لهذه الآيات من سورة النجم لقولين من أقوال العلماء في مسألة هل رأى رسول الله ﷺ ربه ليلة الإسراء أم لا؟

---

(١) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، جـ: ٨، ص: ٤١.

وللمفسرين رحمهم الله في هذه المسألة أقوال أربعة:

١ ـ طائفة تقول إن رسول الله ﷺ رأى ربه بعينيه.

٢ ـ وطائفة تقول إنه رآه بفؤاده لا بعينيه.

٣ ـ وطائفة ثالثة تقول إنه لم ير ربه، وإنما رأى جبريل، وقد رجح الشيخ عبد الرحمٰن بن سعدي هذا القول.

٤ ـ طائفة توقفت في هذه المسألة.

وسأحاول في هذا المبحث قدر الاستطاعة إن شاء الله ذكر أدلة كل طائفة، مع نسبة الأقوال لأصحابها، مستعيناً بالله تعالى:

القول الأول: يقول إن محمداً ﷺ رأى ربه ليلة الإسراء بعينيه وأن المراد بقوله تعالى: ﴿ثُمَّ دَنَا فَتَدَلَّىٰ ۝٨﴾ ثم دنا الرب من محمد ﷺ فتدلى، وأن معنى قوله: ﴿فَكَانَ قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَىٰ ۝٩﴾ محمد من ربه.

وأن معنى قوله: ﴿وَلَقَدْ رَآهُ نَزْلَةً أُخْرَىٰ ۝١٣﴾ أن محمداً رأى ربه ويستدل أرباب هذا القول بما يأتي:

١ ـ في هذه الآيات من سورة النجم: ﴿وَلَقَدْ رَآهُ نَزْلَةً أُخْرَىٰ ۝١٣ عِندَ سِدْرَةِ الْمُنتَهَىٰ ۝١٤ عِندَهَا جَنَّةُ الْمَأْوَىٰ ۝١٥﴾.

٢ ـ وبما أخرج ابن جرير بسنده عن ابن عباس ﴿ثُمَّ دَنَا فَتَدَلَّىٰ ۝٨﴾ قال دنا ربه فتدلى[1].

٣ ـ وبما أخرجه ابن جرير بسنده عن شريك[2] بن أبي نمر قال: سمعت أنس بن مالك يحدثنا عن ليلة السري برسول الله ﷺ، أنه عرج جبريل

---

(١) تفسير ابن جرير، جـ: ٢٧، ص: ٣٩.

(٢) شريك بن عبد الله بن أبي نمر أبو عبد الله المدني، صدوق يخطئ، من الخامسة، مات في حدود الأربعين ومائة، وحديثه عند البخاري ومسلم وأبو داود والترمذي في الشمائل، وعند النسائي وابن ماجه.
تقريب التهذيب، جـ: ١، ص: ٣٥١.

برسول الله ﷺ إلى السماء السابعة، ثم علا به بما لا يعلمه إلاَّ الله، حتى جاء سدرة المنتهى، ودنا الجبار رب العزة فتدلى، حتى كان منه قاب قوسين أو أدنى، وذكر الحديث.

قال الإمام ابن كثير على حديث شريك: (ولهذا قد تكلم كثير من الناس في متن هذه الرواية، وذكروا أشياء فيها من الغرابة، وقد قال الحافظ أبو بكر البيهقي في حديث شريك زيادة تفرد بها على مذهب من زعم أنه ﷺ رأى الله عز وجل، يعني قوله: (ثم دنا الجبار رب العزة فتدلى، فكان قاب قوسين أو أدنى)[1].

وقال الإمام النووي في شرح صحيح مسلم (فقد جاء في رواية شريك في هذا الحديث في الكتاب أوهام أنكرها عليه العلماء وقد نبه مسلم على ذلك بقوله فقدم وأخر وزاد ونقص)[2].

٤ ـ واستلدوا بما أخرجه ابن جرير بسنده عن أنس بن مالك قال: قال رسول الله ﷺ لما عرج بي مضى جبريل حتى جاء الجنة، قال: فدخلت فأعطيت الكوثر، ثم مضى حتى جاء سدرة المنتهى، فدنا ربك فتدلى فكان قاب قوسين أو أدنى، فأوحى إلى عبده ما أوحى[3].

٥ ـ وبما أخرجه ابن جرير بسنده عن عباد بن منصور[4] قال: سألت عكرمة عن قوله تعالى: ﴿مَا كَذَبَ ٱلْفُؤَادُ مَا رَأَىٰٓ ﴿١١﴾﴾ قال: أتريد أن أقول لك قد رآه، نعم، قد رآه، ثم قد رآه، ثم قد رآه، حتى ينقطع النفس.

---

(١) تفسير ابن كثير، جـ: ٤، ص: ٢٤١، تفسير سورة الإسراء وحديث شريك أخرجه البخاري ومسلم، البخاري، جـ: ١٣، ص: ٤٧٨ (الفتح) باب وكلم الله موسى تكليماً، ومسلم، جـ: ٢، ص: ٢١٧ (نووي على مسلم) باب الإسراء برسول الله ﷺ.

(٢) شرح صحيح مسلم للنووي، جـ: ٢، ص: ٢٠٩، ط الحلبي.

(٣) تفسير ابن جرير، جـ: ٢٧، ص: ٤٧.

(٤) عباد بن منصور الناجي في النون والجيم، أبو سلمة البصري، القاضي بها صدوق رمي بالقدر، وكان يدلس، وتغير بآخره، من السادسة، مات سنة اثنتين وخمسين بعد المائة، وحديثه عند البخاري معلقاً، وعند الجماعة سوى الشيخين. تقريب التهذيب، جـ: ١، ص: ٣٩٣.

٦ ـ وبما أخرجه ابن جرير بسنده عن عيسى بن عبيد[١] قال: سمعت عكرمة وسئل: هل رأى محمد ربه؟ قال: نعم، رأى ربه.

٧ ـ وأخرج ابن جرير بسنده عن عكرمة عن ابن عباس قال: إن الله اصطفى إبراهيم بالخلة، واصطفى موسى بالكلام، واصطفى محمداً بالرؤية صلوات الله وسلامه عليهم.

٨ ـ وبما أخرجه ابن جرير بسنده عن الربيع ﴿مَا كَذَبَ ٱلْفُؤَادُ مَا رَأَىٰٓ ﴿١١﴾﴾ فلم يكذبه ما رأى، قال: رأى محمداً ربه.

٩ ـ وبما أخرجه ابن خزيمة عن عروة بن الزبير، أنه أثبت رؤية محمد لربه، وكان يشتد عليه إذا ذكر له إنكار عائشة[٢].

١٠ ـ وبما رواه الخلال في كتاب السنة عن المروزي، قلت لأحمد: إنهم يقولون إن عائشة قالت من زعم أن محمداً رأى ربه، فقد أعظم على الله الفرية، فبأي شيء يدفع قولها؟ قال: بقول النبي ﷺ: رأيت ربي، قول النبي ﷺ أكبر من قولها.

١١ ـ وبما ورد عن الحسن البصري أنه كان يحلف بالله الذي لا إله إلاَّ هو لقد رأى محمد ربه[٣].

١٢ ـ وبما أخرجه الترمذي في مسنده عن الحكم بن أبان[٤] عن

---

(١) عيسى بن عبيد بن مالك الكندي، أبو المنيب بضم الميم وكسر النون بعدها تحتانية، ثم موحدة، وأبوه بغير إضافة، وقد قيل فيه عبيد الله، صدوق، من الثامنة، وحديثه عند الترمذي وأبو داود والنسائي.
تقريب التهذيب، جـ: ٢، ص: ٩٩.

(٢) هذا الأثر ذكره ابن حجر في فتح الباري، جـ: ٨، ص: ٦٠٨.

(٣) انظر: أحكام القرآن للقرطبي، جـ: ٧، ص: ٩٦، وشرح صحيح مسلم للنووي، جـ: ٣، ص: ٤.

(٤) الحكم بن أبان العدني أبو عيسى، صدوق عابد وله أوهام، من السادسة، مات سنة ١٥٤، وكان مولده سنة ثمانين، وحديثه عند البخاري في القراءة، وعند الجماعة سوى الشيخين.
من تقريب التهذيب، جـ: ١، ص: ١٩٠.

عكرمة عن ابن عباس قال: رأى محمد ربه، قلت: أليس الله يقول: ﴿لَّا تُدْرِكُهُ ٱلْأَبْصَٰرُ وَهُوَ يُدْرِكُ ٱلْأَبْصَٰرَ﴾[1]، قال: ويحك ذاك إذا تجلى بنوره الذي هو نوره، وقد رأى محمد ربه مرتين ثم قال الترمذي: حسن غريب[2].

١٣ ـ وبما أخرجه ابن جرير بسنده عن أبي سلمة[3] عن ابن عباس في قول الله تعالى ﴿وَلَقَدْ رَءَاهُ نَزْلَةً أُخْرَىٰ ﴿١٣﴾ عِندَ سِدْرَةِ ٱلْمُنتَهَىٰ ﴿١٤﴾﴾[4] قال دنا ربه فتدلى فكان قاب قوسين أو أدنى، فأوحى إلى عبده ما أوحى قال: قال ابن عباس: قد رآه النبي ﷺ[5].

وممن أخذ بهذا القول غير من تقدم آنفاً ممن نقلت عنهم الآثار: عبد الله بن مسعود في إحدى الروايتين عنه، وأبو هريرة حكى ذلك عنهما القرطبي في تفسيره[6]، وحكاه النووي في شرح صحيح مسلم عنهما، وحكاه عن أبي ذر وكعب الأحبار.

وممن أخذ به كما حكاه الحافظ في فتح الباري وابن خزيمة ومحمد بن شهاب الزهري وصاحبه معمر بن راشد[7] البصري، أحد الأعلام وآخرون[8].

---

(١) سورة الأنعام: جزء من الآية ١٠٣.

(٢) جامع الترمذي، جـ: ٩، ص: ١٦٨، رقم الحديث (٣٣٣٣) وبهامش الجامع تحفة الأحوذي تصحيح محمد عبد الرحمن عثمان.

(٣) أبو سلمة بن عبد الرحمن بن عوف الزهري المدني، قيل اسمه عبد الله وقيل إسماعيل، ثقة مكثر، من الثالثة، مات سنة أربع وتسعين، وكان مولده سنة بضع وعشرين، وحديثه عند الجماعة.
من تقريب التهذيب، جـ: ٢، ص: ٤٣٠.

(٤) سورة النجم: الآيتان ١٣ ـ ١٤.

(٥) تفسير ابن جرير، جـ: ٢٧، ص: ٥٢، وهو عند الترمذي قريباً من هذا السياق تحت رقم (٣٣٣٤) جـ: ٩، ص: ١٦٩، تحفة الأحوذي شرح جامع الترمذي.

(٦) أحكام القرآن للقرطبي، جـ: ٧، ص: ٩٦.

(٧) سبقت ترجمته ص١٠٢.

(٨) فتح الباري، جـ: ٨، ص: ٦٠٨.

وإليه ذهب الشيخ أبو الحسن الأشعري وجماعة[1] من أصحابه، والإمام أحمد في إحدى الروايتين عنه، ونصره الإمام النووي في شرح صحيح مسلم، حيث قال رحمه الله: (وأما صاحب التحرير فإنه اختار إثبات الرؤية، قال والحجج في هذه المسألة وإن كانت كثيرة، ولكنا لا نتمسك إلاَّ بالأقوى منها، وهو حديث ابن عباس رضي الله عنهما، أتعجبون أن تكون الخلة لإبراهيم، والكلام لموسى، والرؤية لمحمد ﷺ، وعن عكرمة سئل ابن عباس رضي الله عنهما، هل رأى محمد ﷺ ربه؟ قال: نعم.

وقد روى بإسناد لا بأس به عن شعبة عن قتادة عن أنس رضي الله عنه قال: رأى محمد ﷺ ربه، وكان الحسن يحلف لقد رأى محمد ﷺ ربه.

والأصل في الباب حديث ابن عباس حبر الأمة، والمرجوع إليه في المعضلات، وقد راجعه ابن عمر رضي الله عنهم في هذه المسألة وراسله، هل رأى محمد ﷺ ربه؟ فأخبره أنه رآه.

ولا يقدح في هذا حديث عائشة رضي الله عنها لأن عائشة لم تخبر أنها سمعت النبي ﷺ يقول: لم أر ربي، وإنما ذكرت ما ذكرت متأولة لقول الله تعالى: ﴿وَمَا كَانَ لِبَشَرٍ أَن يُكَلِّمَهُ ٱللَّهُ إِلَّا وَحْيًا أَوْ مِن وَرَآيِ حِجَابٍ أَوْ يُرْسِلَ رَسُولًا فَيُوحِيَ بِإِذْنِهِۦ مَا يَشَآءُ﴾[2]، ولقول الله تعالى: ﴿لَّا تُدْرِكُهُ ٱلْأَبْصَٰرُ وَهُوَ يُدْرِكُ ٱلْأَبْصَٰرَ وَهُوَ ٱللَّطِيفُ ٱلْخَبِيرُ ﴿١٠٣﴾﴾[3]، والصحابي إذا قال قولاً وخالفه غيره منهم لم يكن قوله حجة، وإذا صحت الروايات عن ابن عباس في إثبات الرؤية وجب المصير إلى إثباتها، فإنها ليست مما يدرك بالعقل، ويؤخذ بالظن، وإنما يتلقى بالسماع، ولا يستجيز أحد أن يظن بابن عباس أنه تكلم في هذه المسألة بالظن والاجتهاد وقد قال معمر بن راشد حين ذكر اختلاف عائشة وابن عباس: ما عائشة عندنا بأعلم من ابن عباس، ثم إن ابن عباس أثبت شيئاً نفاه غيره، والمثبت مقدم على النافي اهـ كلام صاحب التحرير.

---

(١) أحكام القرآن للقرطبي، جـ: ٧، ص: ٩٦.
(٢) سورة الشورى: الآية ٥١.
(٣) سورة الأنعام: الآية ١٠٣.

فالحاصل أن الراجح عند أكثر العلماء أن رسول الله ﷺ رأى ربه بعيني رأسه ليلة الإسراء، لحديث ابن عباس وغيره مما تقدم، وإثبات هذا لا يأخذونه إلا بالسماع من رسول الله ﷺ، هذا مما لا ينبغي أن يتشكك فيه، ثم إن عائشة رضي الله عنها لم تنف الرؤية بحديث عن رسول الله ﷺ، ولو كان معها فيه حديث لذكرته، وإنما اعتمدت الاستنباط من الآيات[1].

وقد علق ابن حجر العسقلاني في فتح الباري على قول النووي: (ثم إن عائشة لم تنف الرؤية بحديث عن رسول الله ﷺ)... إلخ.

فقال ابن حجر: وجزمه بأن عائشة لم تنف الرؤية بحديث مرفوع تبع فيه ابن خزيمة، فإنه قال في كتاب التوحيد من صحيحه النفي لا يوجب علما، ولم تحك عائشة أن النبي ﷺ أخبرها أنه لم ير ربه، وإنما تأولت الآية. انتهى.

وهو عجيب، فقد ثبت ذلك عنها في صحيح مسلم الذي شرحه الشيخ[2]، فعنده[3] من طريق داود بن أبي هند[4]، عن الشعبي، عن مسروق في الطريق المذكورة.

قال مسروق: وكنت متكئاً فجلست، فقلت: ألم يقل الله ﴿وَلَقَدْ رَءَاهُ نَزْلَةً أُخْرَىٰ ﴿١٣﴾﴾ فقالت: أنا أول هذه الأمة سألت رسول الله ﷺ عن ذلك، فقال: إنما هو جبريل وأخرجه ابن مردويه من طريق أخرى، عن داود بهذا الإسناد فقالت أنا أول من سأل رسول الله ﷺ عن هذا، فقلت يا رسول الله، هل رأيت ربك؟ فقال: لا، إنما رأيت جبريل منهبطاً[5] وصحح هذا القول

---

(١) شرح صحيح مسلم للنووي، جـ: ٣، ص: ٥.
(٢) يعني بذلك النووي.
(٣) الضمير يعود إلى الإمام مسلم.
(٤) سبقت ترجمته ص١٢٥.
(٥) فتح الباري، جـ: ٨، ص: ٦٧.

الشربيني في تفسيره، حيث قال: (وحاصل المسألة أن الصحيح ثبوت الرؤية، وهو ما جرى عليه ابن عباس حبر الأمة)[1].

ويقول صديق حسن خان مرجحاً هذا القول: (والحجج في المسألة وإن كانت كثيرة لكن لا نتمسك إلاَّ بالأقوى منها، وهو حديث ابن عباس، أتعجبون)[2]، فعلى هذا القول يكون معنى قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ رَءَاهُ نَزْلَةً أُخْرَىٰ ﴿١٣﴾﴾ أي أن الضمير يعود على محمد ﷺ، فإنه كان له صعود ونزول مراراً بحسب أعداد الصلوات المفروضة، ولكل عرجة نزلة، وعلى هذا فقوله ﴿عِندَ سِدْرَةِ ٱلْمُنتَهَىٰ ﴿١٤﴾﴾ أي ومحمد ﷺ عند سدرة المنتهى، وفي بعض تلك النزلات)[3].

القول الثاني: يقول أن رسول الله ﷺ رأى ربه بفؤاده لا بعينه ويروي هذا القول عن جماعة منهم أبو العالية، ومحمد بن كعب القرظي، والربيع بن أنس في الرواية الأخرى عنه، وحكي عن ابن عباس أيضاً وعكرمة وعن أبي ذر وقتادة وأبي هريرة والسدى وأبي صالح رضي الله عنهم أجمعين، حكى ذلك عنهم الإمام ابن كثير رحمه الله والقرطبي.

وقد استدل أرباب هذا القول بما يأتي:

١ ـ أخرج ابن جرير بسنده عن محمد بن كعب القرظي عن بعض أصحاب النبي ﷺ قال: قلنا يا رسول الله، هل رأيت ربك؟ قال: لم أره بعيني، ورأيته بفؤادي مرتين، ثم تلا ﴿ثُمَّ دَنَا فَتَدَلَّىٰ ﴿٨﴾﴾[4].

٢ ـ وبما أخرجه ابن جرير بسنده عن سماك بن حرب[5] عن عكرمة عن

---

(١) السراج المنير، جـ: ٤، ص: ١٢٥.

(٢) فيح البيان في مقاصد القرآن، جـ: ١٩، ص: ١٦٥.

(٣) أحكام القرآن للقرطبي، جـ: ١٧، ص: ٩٤.

(٤) تفسير ابن جرير، جـ: ٢٧، ص: ٤٦، ٤٧.

(٥) سماك بكسر أوله وتخفيف الميم بن حرب بن أوس بن خالد الذهلي البكري، الكوفي، أبو المغيرة، صدوق، وروايته عن عكرمة خاصة مضطربة وقد تغير بآخره، فكان ربما يلقن، من الرابعة، مات سنة ثلاثة وعشرين ومائة وحديثه عند البخاري معلقاً، وعند مسلم والجماعة سوى الشيخين.
من تقريب التهذيب، جـ: ١، ص: ٣٣٢.

ابن عباس في قوله تعالى: (ما كذب الفؤاد ما رأى) قال: رآه بقلبه ﷺ[1].

٣ ـ وبما أخرجه ابن جرير بسنده عن ابن عباس قال: قال رسول الله ﷺ: رأيت ربي في أحسن صورة، فقال لي: يا محمد، هل تدري فيم يختصم الملأ الأعلى؟ فقلت: لا يا رب، فوضع يده بين كتفي فوجدت بردها بين ثديي فعلمت ما بين السماء والأرض، فقلت: يا رب، في الدرجات والكفارات ونقل الأقدام إلى الجمعات، وانتظار الصلاة بعد الصلاة، فقلت: يا رب، إنك اتخذت إبراهيم خليلاً، وكلمت موسى تكليماً، وفعلت وفعلت، فقال: ألم نشرح لك صدرك؟ ألم أضع عنك وزرك؟ ألم أفعل بك؟ ألم أفعل بك؟ قال: فأفضى إلي بأشياء لم يؤذن لي أن أحدثكموها، قال: فذلك قوله في كتابه يحدثكموه ﴿ثُمَّ دَنَا فَتَدَلَّىٰ ۝٨ فَكَانَ قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَىٰ ۝٩ فَأَوْحَىٰٓ إِلَىٰ عَبْدِهِۦ مَآ أَوْحَىٰ ۝١٠ مَا كَذَبَ ٱلْفُؤَادُ مَا رَأَىٰٓ ۝١١﴾ فجعل نور بصري في فؤادي، فنظرت إليه بفؤادي[2].

وقال ابن كثير: إن هذا الإسناد ضعيف[3].

٤ ـ وبما أخرجه ابن جرير بسنده عن السدي عن أبي صالح ﴿مَا كَذَبَ ٱلْفُؤَادُ مَا رَأَىٰٓ ۝١١﴾ قال: رآه بفؤاده مرتين[4].

٥ ـ وبما أخرجه ابن جرير بسنده عن أبي العالية عن ابن عباس ﴿مَا كَذَبَ ٱلْفُؤَادُ مَا رَأَىٰٓ ۝١١﴾ قال: رآه بفؤاده[5].

---

(١) تفسير ابن جرير، جـ: ٢٧، ص: ٤٨، والحديث عند الترمذي رقم (٣٣٣٥) في جامعه.

(٢) تفسير ابن جرير، جـ: ٢٧، ص: ٥٤٨.

(٣) تفسير ابن كثير، جـ: ١، ص: ٤٤٩، وهذا الأثر عند الإمام أحمد بسند أصح من سند ابن جرير إلاّ أن ابن جرير أورد فيه زيادة غريبة، وساقه بسند غير سند الإمام أحمد، ويقول ابن كثير: إنه مختصر من حديث المنام.

(٤) المصدر السابق، نفس الجزء والصفحة.

(٥) تفسير ابن كثير، جـ: ٦، ص: ٤٤٩.

٦ ـ وأخرج ابن جرير بسنده عن الربيع بن أنس: ﴿مَا كَذَبَ ٱلْفُؤَادُ مَا رَأَىٰٓ ﴿١١﴾﴾ قال: رأى محمد ربه بفؤاده[١].

٧ ـ وأخرج الإمام مسلم بسنده عن أبي العالية عن ابن عباس قال: ﴿مَا كَذَبَ ٱلْفُؤَادُ مَا رَأَىٰٓ ﴿١١﴾ وَلَقَدْ رَءَاهُ نَزْلَةً أُخْرَىٰ ﴿١٣﴾﴾ قال رآه بفؤاده مرتين[٢].

٨ ـ وأخرج الإمام مسلم في صحيحه عن عطاء عن ابن عباس قال: رآه بقلبه[٣].

٩ ـ وأخرج النسائي بسنده عن أبي ذر قال: رأى رسول الله ﷺ ربه بقلبه، ولم يره ببصره.

١٠ ـ وقال ابن أبي نجيح عن مجاهد ﴿إِذْ يَغْشَى ٱلسِّدْرَةَ مَا يَغْشَىٰ ﴿١٦﴾﴾.

قال: كأن أغصان السدرة لؤلؤاً وياقوتاً وزبرجداً فرآها رسول الله ﷺ، ورأى ربه بقلبه[٤].

١١ ـ وأخرج ابن مردويه عن طريق عطاء عن ابن عباس قال: لم يره رسول الله ﷺ بعينه، إنما رآه بقلبه[٥].

ولعلّ هذا القول هو الصحيح عن ابن عباس، فقد قال الإمام ابن كثير رحمه الله تعالى بعد سياقه لبعض هذه الآثار عن ابن عباس ما نصه: (وفي رواية عنه أنه أطلق الرؤية، وهي محمولة على المقيدة بالفؤاد، وممن روى عنه بالبصر فقد أغرب، فإنه لا يصح في ذلك شيء عن الصحابة رضي الله عنهم.

وقول البغوي في تفسيره وذهب جماعة إلى أنه رآه بعينه وهو قول أنس والحسن وعكرمة فيه نظر والله أعلم)[٦].

---

(١) المصدر السابق، ص٤٩.
(٢) شرح صحيح مسلم للنووي، جـ: ٣، ص: ٧، ط الحلبي.
(٣) شرح صحيح مسلم للنووي، جـ: ٣، ص: ٧، ط الحلبي.
(٤) تفسير مجاهد، ص: ٦٣٠، وتفسير الطبري، جـ: ٢٧، ص: ٥٦.
(٥) فتح الباري، جـ: ٨، ص: ٦٠٨.
(٦) تفسير ابن كثير، جـ: ٦، ص: ٤٤٧.

وقال الحافظ ابن حجر العسقلاني في فتح الباري: (قلت: جاءت عن ابن عباس أخبار مطلقة، وأخرى مقيدة، فيجب حمل مطلقها على مقيدها، إلى أن قال: وعلى هذا فيمكن الجمع بين إثبات ابن عباس ونفي عائشة بأن يحمل نفيها على رؤية البصر، وإثبات ابن عباس على رؤية القلب)[1].

ورجحه من المتأخرين محمد الأمين الشنقيطي، حيث يقول رحمه الله (قال مقيده عفا الله عنه التحقيق الذي دلت عليه نصوص الشرع، أنه ﷺ لم يره بعين رأسه، وما جاء عن بعض السلف: من أنه رآه فالمراد به رؤية القلب كما في صحيح مسلم، أنه رآه بفؤاده مرتين لا بعين رأسه، ومن أوضح الأدلة على ذلك أن أبا ذر رضي الله عنه وهو هو في صدق اللهجة، سأل النبي ﷺ عن هذه المسألة بعينها، فأفتاه بما مقتضاه أنه لم يره)[2].

القول الثالث: أن الرسول ﷺ لم ير ربه بعينيه ليلة الإسراء ويجيب أرباب هذا القول عن آيتي سورة النجم ﴿ثُمَّ دَنَا فَتَدَلَّىٰ ﴿٨﴾﴾[3] ﴿وَلَقَدْ رَآهُ نَزْلَةً أُخْرَىٰ ﴿١٣﴾﴾[4]، ﴿عِندَ سِدْرَةِ الْمُنتَهَىٰ ﴿١٤﴾﴾[5]، بأنه دنو جبريل وتدليه، والسياق يدل عليه، فإن الله تعالى قال في هذه السورة قبل هاتين الآيتين ﴿عَلَّمَهُ شَدِيدُ الْقُوَىٰ ﴿٥﴾﴾[6] وهو جبريل، ﴿ذُو مِرَّةٍ فَاسْتَوَىٰ ﴿٦﴾ وَهُوَ بِالْأُفُقِ الْأَعْلَىٰ ﴿٧﴾ ثُمَّ دَنَا فَتَدَلَّىٰ ﴿٨﴾﴾[7]، فالضمائر كلها راجعة إلى هذا المعلم الشديد القوي، وهو ذو المرة، أي القوة، وهو الذي استوى بالأفق الأعلى وهو الذي دنى فتدلى، فكان من محمد ﷺ قدر قوسين أو أدنى، وكذا قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ رَآهُ نَزْلَةً

---

(١) فتح الباري شرح صحيح البخاري لابن حجر العسقلاني، جـ: ٨، ص: ٦٠٨، الطبعة السلفية.

(٢) أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن، جـ: ٣، ص: ٢٩٩.

(٣) سورة النجم: الآية ٦.

(٤) سورة النجم: الآية ١١.

(٥) سورة النجم: الآية ١٣.

(٦) سورة النجم: الآية ٥.

(٧) سورة النجم: الآية ٦ ـ ٨.

أُخْرَىٰ ﴿١٣﴾ عِندَ سِدْرَةِ ٱلْمُنتَهَىٰ ﴿١٤﴾ ﴾[1]، أن هذا المرأى عند سدرة المنتهى هو جبريل عليه السلام.

وممن قال بهذا من الصحابة أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها، وعبد الله بن مسعود، وأبو هريرة في الرواية الراجحة عنهما وحكى الإمام ابن كثير رحمه الله: أن أبا ذر ومجاهد وقتادة والربيع بن أنس والحسن يقولون: أن المرئي ليلة الإسراء هو جبريل عليه السلام، وهو رواية عن الإمام أحمد بن حنبل يقول الإمام ابن القيم رحمه الله في زاد المعاد: (وقد حكى عثمان بن سعيد الدارمي، اتفاق الصحابة أنه لم يره).

قال شيخ الإسلام ابن تيمية قدس الله روحه وليس قول ابن عباس أنه رآه مناقضاً لهذا ولا قوله رآه بفؤاده، وقد صح عنه ﷺ أنه قال: (رأيت ربي تبارك وتعالى)[2] ولكن لم يكن هذا في الإسراء، ولكن كان في المدينة لما احتبس عنهم في صلاة الصبح، ثم أخبرهم عن رؤية ربه تبارك وتعالى تلك الليلة في منامه، وعلى هذا بنى الإمام أحمد رحمه الله تعالى وقال: نعم، رآه حقاً، فإن رؤيا الأنبياء حق ولا بد، ولكن لم يقل أحمد رحمه الله تعالى: (أنه رآه بعين رأسه، يقظة)، ومن حكى ذلك عنه فقد وهم عليه، ولكن قال مرة رآه ومرة قال رآه بفؤاده فحكيت عنه روايتان، وحكيت عنه الثالثة من تصرف بعض أصحابه أنه رآه بعيني رأسه، وهذه نصوص أحمد موجودة ليس فيها ذلك)[3].

ورجح هذا القول جماعة من المفسرين كابن كثير وأبي حيان والألوسي وغيرهم ممن سنشير إلى أقوالهم بعد ذكر أدلة أصحاب هذا القول.

وقد استدل أصحاب هذا القول بما يأتي:

١ ـ الدليل الأول: قوله تعالى في سورة النجم ﴿لَقَدْ رَأَىٰ مِنْ ءَايَٰتِ رَبِّهِ ٱلْكُبْرَىٰ ﴿١٨﴾﴾[4].

---

(١) سورة النجم: الآيتان ١٣، ١٤.

(٢) قطعة من حديث صحيح، رواه الترمذي في تفسير سورة (ص) عن ابن عباس، وعن معاذ بن جبل، جـ: ٩، ص: ١٠١ وما بعدها من تحفة الأحوذي.

(٣) زاد المعاد في هدى خير العباد، جـ: ٣، ص: ٣٧، تحقيق شعيب الأرناؤوط، وعبد القادر.

(٤) سورة النجم: الآية ١٨.

٢ ـ وقوله تعالى في سورة الإسراء: ﴿لِنُرِيَهُۥ مِنْ ءَايَٰتِنَآ﴾[١].

قال ابن كثير رحمه الله تعالى: «وبهاتين الآيتين استدل من ذهب من أهل السنة أن الرؤية تلك الليلة لم تقع، لأنه قال: ﴿لَقَدْ رَأَىٰ مِنْ ءَايَٰتِ رَبِّهِ ٱلْكُبْرَىٰ ﴿١٨﴾﴾ ولو كان رأى ربه لأخبر بذلك، ولقال ذلك للناس)[٢].

٣ ـ واستدلوا بما أخرجه الإمام مسلم في صحيحه عن زر بن حبيش[٣] في قول الله عز وجل: ﴿فَكَانَ قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَىٰ ﴿٩﴾﴾:

قال: أخبرني ابن مسعود أن النبي ﷺ رأى جبريل له ستمائة جناح[٤].

٤ ـ وبما أخرجه مسلم عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه في قوله تعالى: ﴿مَا كَذَبَ ٱلْفُؤَادُ مَا رَأَىٰ ﴿١١﴾﴾[٥] قال: رأى جبريل عليه السلام له ستمائة جناح[٦].

٥ ـ وأخرج الإمام مسلم عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه في قوله تعالى: ﴿لَقَدْ رَأَىٰ مِنْ ءَايَٰتِ رَبِّهِ ٱلْكُبْرَىٰ ﴿١٨﴾﴾[٧] قال: رأى جبريل في صورته له ستمائة جناح[٨].

٦ ـ أخرج الإمام مسلم في صحيحه عن أبي هريرة رضي الله عنه في قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ رَءَاهُ نَزْلَةً أُخْرَىٰ ﴿١٣﴾﴾[٩] قال: رأى جبريل[١٠].

---

(١) سورة الإسراء: الآية ١.
(٢) تفسير ابن كثير، جـ: ٦، ص: ٤٥٢.
(٣) زر بن حبيش بن حباشة الأسدي الكوفي أبو مريم، ثقة جليل، مخضرم مات سنة إحدى أو اثنتين أو ثلاث وثمانين، وهو ابن مائة وسبع وعشرين سنة، وحديثه عند الجماعة. من تقريب التهذيب، جـ: ١، ص: ٢٥٩.
(٤) صحيح مسلم بشرح النووي، جـ: ٣، ص: ٣.
(٥) سورة النجم: الآية ١١.
(٦) صحيح مسلم بشرح النووي، جـ: ٣، ص: ٣.
(٧) سورة النجم: الآية ١٨.
(٨) صحيح مسلم بشرح النووي، جـ: ٣، ص: ٣.
(٩) سورة النجم: الآية ١٣.
(١٠) صحيح مسلم بشرح النووي، جـ: ٣، ص: ٣.

٧ ـ أخرج الإمام مسلم عن مسروق قال: كنت متكئاً عند عائشة أم المؤمنين فقالت: يا أبا عائشة[١]، ثلاث من تكلم بواحدة منهن فقد أعظم على الله الفرية، قلت: ما هن؟ قالت: من زعم أن محمداً ﷺ رأى ربه فقد أعظم على الله الفرية، قال: وكنت متكئاً فجلست، فقلت: يا أم المؤمنين، انظريني ولا تعجليني ألم يقل الله عز وجل: ﴿وَلَقَدْ رَءَاهُ بِٱلْأُفُقِ ٱلْمُبِينِ ﴿٢٣﴾﴾[٢]، ﴿وَلَقَدْ رَءَاهُ نَزْلَةً أُخْرَىٰ ﴿١٣﴾﴾[٣].

فقالت: أنا أول هذه الأمة سأل عن ذلك رسول الله ﷺ، فقال: إنما هو جبريل لم أره على صورته التي خلق عليها غير هاتين المرتين، رأيته منهبطاً من السماء ساداً عظم خلقه ما بين السماء إلى الأرض، فقالت: أو لم تسمع أن الله يقول: ﴿لَّا تُدْرِكُهُ ٱلْأَبْصَٰرُ وَهُوَ يُدْرِكُ ٱلْأَبْصَٰرَ ۖ وَهُوَ ٱللَّطِيفُ ٱلْخَبِيرُ ﴿١٠٣﴾﴾[٤]، أو لم تسمع أن الله يقول: ﴿۞ وَمَا كَانَ لِبَشَرٍ أَن يُكَلِّمَهُ ٱللَّهُ إِلَّا وَحْيًا أَوْ مِن وَرَآئِ حِجَابٍ أَوْ يُرْسِلَ رَسُولًا فَيُوحِيَ بِإِذْنِهِۦ مَا يَشَآءُ ۚ إِنَّهُۥ عَلِيٌّ حَكِيمٌ ﴿٥١﴾﴾[٥]، قالت: ومن زعم أن رسول الله ﷺ كتم شيئاً من كتاب الله فقد أعظم على الله الفرية، والله يقول: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلرَّسُولُ بَلِّغْ مَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ ۖ وَإِن لَّمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُۥ ۚ﴾[٦]، ومن زعم أنه يخبر بما يكون في غد، فقد أعظم على الله الفرية، والله يقول: ﴿قُل لَّا يَعْلَمُ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ٱلْغَيْبَ إِلَّا ٱللَّهُ ۚ﴾[٧][٨].

٨ ـ وبما أخرجه مسلم في صحيحه عن أبي ذر قال: سألت رسول الله ﷺ، هل رأيت ربك؟ قال: نور أنىٰ أراه، وفي رواية أخرى عن أبي ذر فقال ﷺ: رأيت نوراً[٩].

---

(١) كناية لمسروق بن الأجدع راوي الحديث.
(٢) سورة التكوير: الآية ٢٣.
(٣) سورة النجم: الآية ١٣.
(٤) سورة الأنعام: الآية ١٠٣.
(٥) سورة الشورى: الآية ٥١.
(٦) سورة المائدة: الآية ٦٧.
(٧) سورة النمل: الآية ٦٥.
(٨) صحيح مسلم بشرح النووي، جـ: ٣، ص: ٨.
(٩) المرجع السابق، جـ: ٣، ص: ١٢.

٩ ـ وبما أخرجه ابن جرير بسنده عن الربيع ﴿ثُمَّ دَنَا فَتَدَلَّىٰ ۝٨﴾[١] يعني جبريل[٢].

١٠ ـ وبما أخرجه ابن جرير عن الحسن البصري ﴿ثُمَّ دَنَا فَتَدَلَّىٰ ۝٨﴾[١] قال: جبريل عليه السلام[٣].

١١ ـ وبما رواه ابن جرير بسنده عن قتادة في قوله تعالى: ﴿مَا كَذَبَ ٱلْفُؤَادُ مَا رَأَىٰ ۝١١﴾[٤] قال: رأى جبريل في صورته التي هي صورته قال: وهو الذي رآه نزلة أخرى[٥].

١٢ ـ وبما أخرجه ابن جرير بسنده عن مجاهد ﴿وَلَقَدْ رَءَاهُ نَزْلَةً أُخْرَىٰ ۝١٣﴾[٦] قال: رأى جبريل في صورته مرتين[٧].

قال ابن كثير رحمه الله تعالى عند تفسيره لقوله تعالى: ﴿ثُمَّ دَنَا فَتَدَلَّىٰ ۝٨ فَكَانَ قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَىٰ ۝٩﴾[٨]، فإن هذه الرؤية لجبريل لم تكن ليلة الإسراء بل قبلها، ورسول الله ﷺ في الأرض، فهبط عليه جبريل عليه السلام، وتدلى إليه، فاقترب منه وهو على الصورة التي خلقه الله عليها، له ستمائة جناح، ثم رآه بعد ذلك نزلة أخرى عند سدرة المنتهى، يعني ليلة الإسراء وكانت الرؤية الأولى في أوائل البعثة بعدما جاءه جبريل عليه السلام أول مرة، فأوحى الله إليه صدر سورة (اقرأ) ثم فتر الوحي فترة، ذهب النبي ﷺ فيها مراراً ليتردى من رؤوس الجبال، فكلما هم بذلك، ناداه جبريل، فيسكن لذلك جأشه وتقر عينه، وكلما طال عليه الأمر عاد لمثلها، حتى تبدى له جبريل ورسول الله ﷺ

---

(١) سورة النجم: الآية ٨.
(٢) تفسير ابن جرير، جـ: ٢٧، ص: ٤٤.
(٣) المصدر السابق ونفس الصفحة.
(٤) سورة النجم: الآية ١١.
(٥) تفسير الطبري، جـ: ٢٧، ص: ٤٩.
(٦) سورة النجم: الآية ١٣.
(٧) تفسير الطبري، المرجع السابق.
(٨) سورة النجم: الآيتان ٨، ٩.

بالأبطح في صورته التي خلقه الله عليها له ستمائة جناح قد سد عظم خلقه الأفق، فاقترب منه وأوحى إليه عن الله عز وجل ما أمره به فعرف عند ذلك عظمة الملك الذي جاءه بالرسالة وجلالة قدره وعلو مكانته عند خالقه الذي بعثه إليه[1].

ويقول ابن كثير رحمه الله مرجحاً القول بعدم رؤية النبي ﷺ لربه ليلة الإسراء بعد أن ذكر تأويل ابن الجوزي لحديث أبي ذر السابق: (لعل أبا ذر سأل رسول الله ﷺ قبل الإسراء، فأجابه بما أجابه به، ولو سأله بعد الإسراء لأجابه بالإثبات)، وهذا ضعيف جداً، فإن عائشة أم المؤمنين رضي الله عنها قد سألت عن ذلك بعد الإسراء ولم يثبت لها الرؤية، ومن قال أنه خاطبها على قدر عقلها أو حاول تخطئتها فيما ذهبت إليه كابن خزيمة في كتاب التوحيد، فإنه هو المخطئ والله أعلم[2].

ويقول أبو حيان في البحر المحيط مؤيداً هذا القول (وحديث عائشة قاطع لكل تأويل في اللفظ، لأن قول غيرها إنما هو منتزع من ألفاظ القرآن، وليس نصاً في الرؤية بالبصر بل ولا بغيره)[3].

ويقول ابن عطية مرجحاً هذا القول: (هذا قول الجمهور وحديث عائشة عن النبي ﷺ قاطع بكل تأويل في اللفظ لأن قول غيرها إنما هو منتزع من ألفاظ القرآن) حكي ذلك عن ابن عطية الثعالبي[4].

ويقول محمد بن جزي الكلبي بعد تفسيره لقوله تعالى: ﴿ثُمَّ دَنَا فَتَدَلَّىٰ ﴿٨﴾ فَكَانَ قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَىٰ ﴿٩﴾﴾[5] (وهذا الذي ذكرناه أن هذه الضمائر المتقدمة لجبريل هو الصحيح، وقد ورد ذلك عن رسول الله ﷺ في الحديث الصحيح،

---

(١) تفسير ابن كثير، جـ: ٦، ص: ٤٤٤.

(٢) المرجع السابق، جـ: ٦، ص: ٤٥١.

(٣) البحر المحيط لأبي حيان، جـ: ٨، ص: ١٥٨، ١٥٩.

(٤) الجواهر الحسان في تفسير القرآن، جـ: ٤، ص: ٢٢٤.

(٥) سورة النجم: الآيتان ٨، ٩.

وقيل إنها لله تعالى وهذا القول يرد عليه الحديث والعقل)[1].

ويقول الألوسي رحمه الله: وإذا صح جوابه عليه الصلاة والسلام لعائشة رضي الله عنها لم يكن لأحد محيص عن القول به)[2] قلت: الحديث صحيح، فقد أخرجه البخاري في صحيحه في مواضع منها في تفسير سورة النجم في فاتحتها، وفي تفسير سورة المائدة، وفي بدء الخلق باب ذكر الملائكة وفي التوحيد.

وأخرجه مسلم في الإيمان، باب قول الله عز وجل: ﴿وَلَقَدْ رَءَاهُ نَزْلَةً أُخْرَىٰ ﴿١٣﴾﴾ والترمذي في التفسير باب ومن سورة النجم.

وقال ابن القيم رحمه الله عند تفسيره لآيتي النجم: (كأن الشيخ[3] فهم من الآية أن الذي دنا فتدلى فكان من محمد ﷺ قاب قوسين أو أدنى، وهو الله عز وجل، وهذا وإن كان قد قاله جماعة من المفسرين، فالصحيح أن ذلك هو جبريل عليه السلام، فهو الموصوف بما ذكر من أول السورة إلى قوله: ﴿وَلَقَدْ رَءَاهُ نَزْلَةً أُخْرَىٰ ﴿١٣﴾ عِندَ سِدْرَةِ ٱلْمُنتَهَىٰ ﴿١٤﴾﴾[4]، هكذا فسره النبي ﷺ في الحديث الصحيح، قالت عائشة رضي الله عنها: (سألت رسول الله ﷺ عن هذه الآية، فقال ذلك جبريل لم أره في صورته التي خلق عليها إلاَّ مرتين، ولفظ القرآن لا يدل على غير ذلك من وجوه)[5].

ثم سرد رحمه الله ستة عشر وجهاً، ويقول سيد قطب رحمه الله ﴿مَا كَذَبَ ٱلْفُؤَادُ مَا رَأَىٰٓ ﴿١١﴾ أَفَتُمَٰرُونَهُۥ عَلَىٰ مَا يَرَىٰ ﴿١٢﴾﴾[6]، ورؤية الفؤاد أصدق وأثبت لأنها تنفي خداع النظر، فقد رأى فتثبت فاستيقن فؤاده أنه الملك حامل

---

(١) التسهيل لعلوم التنزيل، جـ: ٧، ص: ٧٥.

(٢) روح المعاني للألوسي، جـ: ٧، ص: ٥٤٢.

(٣) يقصد بذلك أبو إسماعيل بن عبد الله بن محمد الهروي، مؤلف منازل السائرين الذي شرحه ابن القيم بكتاب مدارج السالكين.

(٤) سورة النجم: الآية ١٣، ١٤.

(٥) التفسير القيم، ص: ٤٥٢.

(٦) سورة النجم: الآية ١١، ١٢.

الوحي رسول ربه إليه ليعلمه ويكلفه تبليغ ما يعلم، وانتهى المراء والجدال، فما عاد لهما مكان بعد تثبت القلب، ويقين الفؤاد، وليست هذه هي المرة الوحيدة التي رآه فيها على صورته، فقد تكررت مرة أخرى: ﴿وَلَقَدْ رَءَاهُ نَزْلَةً أُخْرَىٰ ﴿١٣﴾ عِندَ سِدْرَةِ ٱلْمُنتَهَىٰ ﴿١٤﴾ عِندَهَا جَنَّةُ ٱلْمَأْوَىٰ ﴿١٥﴾ إِذْ يَغْشَى ٱلسِّدْرَةَ مَا يَغْشَىٰ ﴿١٦﴾ مَا زَاغَ ٱلْبَصَرُ وَمَا طَغَىٰ ﴿١٧﴾ لَقَدْ رَأَىٰ مِنْ ءَايَٰتِ رَبِّهِ ٱلْكُبْرَىٰ ﴿١٨﴾﴾[1] وكان ذلك في ليلة الإسراء والمعراج على الراجح من الروايات، فقد دنا منه وهو على هيئته التي خلقه الله بها مرة أخرى، عند سدرة المنتهى) اهـ[2].

القول الرابع: التوقف في هذه المسألة، وهو قولهم لا نقول رآه، ولا نقول لم يره، وممن قال به سعيد بن جبير، حكى ذلك عنه القاضي عياض في الشفاء[3]، كما رجحه القرطبي في كتابه المفهم في شرح صحيح مسلم، وعزاه لجماعة من المحققين، وقواه بأنه ليس في الباب دليل قاطع، حيث قال رحمه الله:

«وغاية ما استدل به الطائفتان ظواهر متعارضة قابلة للتأويل، وليست المسألة في العمليات فيكتفى فيها بالأدلة الظنية، وإنما هي من المعتقدات، فلا يكتفى فيها إلا بالدليل القطعي»[4].

ومال إليه القاضي عياض حيث قال: (ولا مرية في الجواز إذ ليس في الآيات نص في المنع، وأما وجوبه لنبينا ﷺ والقول بأنه رآه بعينه فليس فيه قاطع أيضاً، ولا نص، إذ المعول فيه على آيتي النجم، والتنازع فيهما مأثور، والاحتمال لهما ممكن، ولا أثر قاطع متواتر عن النبي ﷺ بذلك، وحديث ابن عباس خبر عن اعتقاده لم يسنده إلى النبي ﷺ فيجب العمل باعتقاد متضمنه، ومثله حديث أبي ذر في تفسير الآية إلى أن قال: فإن ورد حديث نص بيّن في الباب أعتقد ووجب المصير إليه، إذ لا استحالة فيه ولا مانع قطعي يرده والله الموفق للصواب)[5].

---

(١) سورة النجم: الآيات ١٣ ـ ١٨.

(٢) من ظلال القرآن، مجلد (٧) جـ: ٢٧، ص: ٥٤.

(٣) الشفاء بتعريف حقوق المصطفى، جـ: ١، ص: ١٥٥، ط عبد الحميد أحمد حنفي.

(٤) نقل هذا الكلام ابن حجر في فتح الباري، جـ: ٨، ص: ٦٠٨.

(٥) الشفاء للقاضي عياض، جـ: ١، ص: ١٥٩.

السادس والعشرون:

من سورة الحديد:

قال عند تفسير قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَءَامِنُواْ بِرَسُولِهِۦ يُؤْتِكُمْ كِفْلَيْنِ مِن رَّحْمَتِهِۦ وَيَجْعَل لَّكُمْ نُورًا تَمْشُونَ بِهِۦ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ۚ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٢٨﴾﴾[1].

وهذا الخطاب يحتمل أنه خطاب لأهل الكتاب الذين آمنوا بموسى وعيسى عليهما السلام يأمرهم أن يعملوا بمقتضى إيمانهم بأن يتقوا الله فيتركوا معاصيه، ويؤمنوا برسوله محمد ﷺ، وأنهم إن فعلوا ذلك أعطاهم الله ﴿كِفْلَيْنِ مِن رَّحْمَتِهِۦ﴾ أي نصيبين من الأجر: نصيب على إيمانهم بالأنبياء الأقدمين، ونصيب على إيمانهم بمحمد ﷺ.

ويحتمل أن يكون الأمر عاماً، يدخل فيه أهل الكتاب وغيرهم وهذا هو الظاهر، وأن الله أمرهم بالإيمان والتقوى الذي يدخل فيه جميع الدين ظاهره وباطنه، أصوله وفروعه، وأنهم إن امتثلوا هذا الأمر العظيم أعطاهم ﴿كِفْلَيْنِ مِن رَّحْمَتِهِۦ﴾ لا يعلم قدرهما ولا وصفهما إلاَّ الله تعالى، أجر على الإيمان، وأجر على التقوى، أو أجر على امتثال الأوامر، وأجر على اجتناب النواهي، أو أن التثنية المراد بها تكرار الأشياء مرة بعد أخرى[2].

للمفسرين قديماً وحديثاً رحمهم الله تعالى ثلاثة أقوال في المخاطبين في هذه الآية:

١ ـ فذهب ابن عباس رضي الله عنهما والضحاك وعتبة بن أبي حكيم[3] واختاره ابن جرير[4]، إلى أن المخاطبين في هذه الآية مؤمني أهل الكتاب،

---

(١) سورة الحديد: الآية ٢٨.

(٢) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، جـ: ٨، ص: ٨٧.

(٣) عتبة بن أبي حكيم الهمداني بسكون الميم أبو العباس الأردني بضم الهمزة والدال بينهما راء ساكنة وتشديد النون، صدوق، يخطئ كثيراً، من السادسة، مات بصور بعد الأربعين، وحديثه عند الجماعة سوى الشيخين، وعند البخاري في خلق أفعال العباد. تقريب التهذيب، جـ: ٢، ص: ٤.

(٤) جامع البيان في تفسير القرآن المعروف بتفسير ابن جرير، جـ: ٢٧، ص: ٢٤١.

وأنهم يؤتون أجرهم مرتين، مرة على إيمانهم بعيسى عليه السلام، ومرة أخرى على إيمانهم بمحمد ﷺ، مستدلين بما يأتي:

١ ـ قوله تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ ءَاتَيْنَٰهُمُ ٱلْكِتَٰبَ مِن قَبْلِهِۦ هُم بِهِۦ يُؤْمِنُونَ ﴿٥٢﴾ وَإِذَا يُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ قَالُوٓاْ ءَامَنَّا بِهِۦٓ إِنَّهُ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّنَآ إِنَّا كُنَّا مِن قَبْلِهِۦ مُسْلِمِينَ ﴿٥٣﴾ أُوْلَٰٓئِكَ يُؤْتَوْنَ أَجْرَهُم مَّرَّتَيْنِ بِمَا صَبَرُواْ وَيَدْرَءُونَ بِٱلْحَسَنَةِ ٱلسَّيِّئَةَ وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ ﴿٥٤﴾﴾[١].

٢ ـ وبما أخرجه البخاري ومسلم عن أبي موسى الأشعري رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: (ثلاثة يؤتون أجرهم مرتين، رجل من أهل الكتاب آمن بنبيه وآمن بي فله أجران، وعبد مملوك أدى حق الله وحق مواليه، فله أجران، ورجل أدب أمته فأحسن تأديبها ثم أعتقها وتزوجها فله أجران)[٢].

وممن ذهب إلى هذا القول البغوي في تفسيره[٣]، والخازن في تفسيره[٤]، والنسفي في مدارك التنزيل وحقائق التأويل[٥]، والقرطبي في الجامع لأحكام القرآن[٦]، والفخر الرازي في مفاتيح الغيب[٧].

٣ ـ وبما أخرجه ابن جرير بسنده عن أبي أمامة الباهلي أنه قال شهدت خطبة رسول الله ﷺ يوم حجة الوداع فقال قولاً حسناً جميلاً، وكان فيها: (من أسلم من أهل الكتابين فله أجره مرتين، وله مثل الذي لنا، وعليه مثل الذي

---

(١) سورة القصص: الآيات ٥٢ ـ ٥٤.

(٢) أخرجه البخاري في عدة مواضع من صحيحه، رقم الحديث (٩٧)، ط: ١، ص: ١٩٠ من فتح الباري، وأخرجه في جـ: ٥، ص: ١٧٢، رقم الحديث (٢٥٤٤) ورقم (٢٥٥١)، ص: ١٧٧، ورقم (٣٠١١) و(٣٤٤٦) جـ: ٦، ص: ٥٨٣، جـ: ٩.
وأخرجه مسلم في باب وجوب الإيمان برسالة نبينا محمد ﷺ إلى جميع الناس، ونسخ الملل بملته.
انظر: صحيح مسلم، جـ: ١، ص: ٩٢، ط محمد علي صبيح وأولاده بمصر.

(٣) انظر: تفسير البغوي، جـ: ٧، ص: ٣٤، هامش على تفسير الخازن.

(٤) تفسير الخازن، جـ: ٧، ص: ٣٤.

(٥) جـ: ٤، ص: ٢٣٠.

(٦) الجامع لأحكام القرآن، جـ: ١٧، ص: ٢٢٦.

(٧) التفسير الكبير للفخر الرازي المسمى مفاتيح الغيب، جـ: ٢٩، ص: ٢٤٨.

علينا ومن أسلم من المشركين فله أجره وله مثل الذي لنا وعليه مثل الذي علينا)[1].

٢ ـ **القول الثاني**: قول من قال أن الخطاب في هذه الآية للمؤمنين من هذه الأمة، وهو قول سعيد بن جبير، واستظهره أبو حيان في البحر المحيط[2]، والآلوسي في روح المعاني[3]، مستدلين بما أخرجه ابن جرير بسنده عن سعيد بن جبير قال: بعث النبي ﷺ جعفراً في سبعين راكباً إلى النجاشي يدعوه، فقدم عليه، فدعاه، فاستجاب له، وآمن به، فلما كان عند انصرافه قال ناس ممن قد آمن به من أهل مملكته، وهم أربعون رجلاً، ائذن لنا فنأتي هذا النبي فنسلم به، ونساعد هؤلاء في البحر، فإنا أعلم بالبحر منهم، فقدموا مع جعفر على النبي ﷺ، وقد تهيأ النبي ﷺ لوقعة أحد، فلما رأوا ما بالمسلمين من الخصاصة وشدة الحال، استأذنوا النبي ﷺ، وقالوا: يا نبي الله إن لنا أموالاً، ونحن نرى ما بالمسلمين من الخصاصة فإن أذنت لنا فانصرفنا، فجئنا بأموالنا وواسينا المسلمين بها، فأذن لهم فانصرفوا، فأتوا بأموالهم، فواسوا بها المسلمين، فأنزل الله فيهم ﴿ٱلَّذِينَ ءَاتَيْنَٰهُمُ ٱلْكِتَٰبَ مِن قَبْلِهِۦ هُم بِهِۦ يُؤْمِنُونَ ﴿٥٢﴾... إلى قوله تعالى: وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ﴾[4]، فكانت النفقة التي وافوا بها المسلمين.

فلما سمع أهل الكتاب ممن لم يؤمن بقوله: ﴿يُؤْتَوْنَ أَجْرَهُم مَّرَّتَيْنِ بِمَا صَبَرُوا۟﴾ فخروا على المسلمين، فقالوا: يا معشر المسلمين، أما من آمن منا بكتابكم فله أجره مرتين، ومن لم يؤمن بكتابكم فله أجر كأجوركم، فما فضلكم علينا، فأنزل الله هذه الآية: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَءَامِنُوا۟ بِرَسُولِهِۦ يُؤْتِكُمْ كِفْلَيْنِ مِن رَّحْمَتِهِۦ﴾ فجعل لهم أجرهم وزادهم النور والمغفرة، ثم قال: ﴿لِّئَلَّا يَعْلَمَ أَهْلُ ٱلْكِتَٰبِ﴾[5].

---

(١) جامع البيان عن تفسير آي القرآن المعروف بتفسير الطبري، جـ: ٢٧، ص: ٢٢٤.

(٢) البحر المحيط، جـ: ٨، ص: ٢٢٩.

(٣) روح المعاني، جـ: ٢٧، ص: ١٩٣.

(٤) سبق عزو هذه الآيات إلى سورتها.

(٥) جامع البيان عن تفسير آي القرآن، المعروف بتفسير ابن جرير، جـ: ٢٧، ص: ٢٤٢.

وممن رجح هذا القول من المتأخرين الشيخ محمد الأمين الشنقيطي في تفسيره أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن[1] حيث قال رحمه الله عند تفسيره الآية: (قد قدمنا أن التحقيق في هذه الآية الكريمة من سورة الحديد في المؤمنين من هذه الأمة، وأن سياقها واضح في ذلك، وأن من زعم من أهل العلم أنها في أهل الكتاب، فقد غلط، وأن ما وعد الله به المؤمنين من هذه الأمة أعظم مما وعد به مؤمني أهل الكتاب وإتيانهم أجرهم مرتين، كما قال تعالى فيهم: ﴿ٱلَّذِينَ ءَاتَيْنَٰهُمُ ٱلْكِتَٰبَ مِن قَبْلِهِۦ هُم بِهِۦ يُؤْمِنُونَ ﴿٥٢﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ يُؤْتَوْنَ أَجْرَهُم مَّرَّتَيْنِ﴾... الآية وكون ما وعد به المؤمنين من هذه الأمة أعظم أن أيتاء أهل الكتاب أجرهم مرتين أعطى المؤمنين من هذه الأمة مثله، كما بينه بقوله تعالى: ﴿يُؤْتِكُمْ كِفْلَيْنِ مِن رَّحْمَتِهِۦ وَيَجْعَل لَّكُمْ نُورًا تَمْشُونَ بِهِۦ وَيَغْفِرْ لَكُمْ﴾)[2].

وفي رواية للطبراني عن ابن عباس (أن أربعين من أصحاب النجاشي قدموا على النبي ﷺ، فشهدوا معه أحداً، فكانت فيهم جراحات، ولم يقتل منهم أحد، فلما رأوا ما بالمؤمنين من الحاجة، قالوا: يا رسول الله، إنا أهل ميسرة، فأذن لنا نجيء بأموالنا نواسي بها المسلمين فأنزل الله تعالى فيهم: ﴿ٱلَّذِينَ ءَاتَيْنَٰهُمُ ٱلْكِتَٰبَ مِن قَبْلِهِۦ هُم بِهِۦ يُؤْمِنُونَ ﴿٥٢﴾﴾ إلى قوله سبحانه ﴿أُو۟لَٰٓئِكَ يُؤْتَوْنَ أَجْرَهُم مَّرَّتَيْنِ بِمَا صَبَرُوا﴾ فجعل لهم أجرين، فلما نزلت هذه الآية، قالوا: يا معشر المسلمين، أما من آمن منا بكتابكم فله أجران، ومن لم يؤمن بكتابكم فله أجر كأجوركم، فأنزل الله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَءَامِنُوا۟ بِرَسُولِهِۦ يُؤْتِكُمْ كِفْلَيْنِ مِن رَّحْمَتِهِۦ﴾ أي راداً عليهم قولهم، ومن لم يؤمن بكتابكم فله أجر كأجوركم)[3].

القول الثالث: يقول إن الخطاب في هذه الآية عام يدخل فيه أهل الكتاب وغيرهم، واستظهر هذا القول جمال الدين القاسمي في تفسيره محاسن التأويل حين قال رحمه الله: (والظاهر أن لفظها أعم، وأن المقصود بها حث

---

(١) أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن، جـ: ٧، ص: ٨١٦.

(٢) أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن، جـ: ٧، ص: ٨١٦.

(٣) قال الهيثمي في مجمع الزوائد، جـ: ٧، ص: ١٢١، رواه الطبراني وفيه من لم أعرفه.

كل من آمن بالنبي ﷺ على الثبات في الإيمان والرسوخ فيه، والانصياع لأوامره، ومنها ما حرض عليه في الآيات قبلها من الإنفاق في سبيله، وسخاوة النفس فيه، وأن لهم في مقابلة ذلك أجراً، وافراً، كما قال في أول السورة ﴿فَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنكُمْ وَأَنفَقُواْ لَهُمْ أَجْرٌ كَبِيرٌ﴾[1].

فآخر السورة فيه رجوع لأوائلها، بتذكير ما أمرت به، وما سبق نزولها لأجله[2].

وهذا القول هو الذي استظهره مفسرنا الشيخ عبد الرحمٰن بن سعدي، كما هو منطوق كلامه الذي أوردته سابقاً.

ولعل هذا القول هو أظهر الأقوال، لا سيما وأن الراجح عند العلماء أن العبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب، والقرآن كلام الله أنزله الله خطاباً عاماً لكل أحد، فخطابه سبحانه وتعالى بـ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ﴾ يدخل فيه جميع المؤمنين بمحمد ﷺ، سواء أكانوا من أهل الكتابين أم من المشركين، والعلم عند الله سبحانه وتعالى.

السابع والعشرون:

من سورة الحاقة:

قال عند تفسير قوله تعالى: ﴿وَأَمَّا عَادٌ فَأُهْلِكُواْ بِرِيحٍ صَرْصَرٍ عَاتِيَةٍ ۝٦﴾[3] أي قوية شديدة الهبوب، لها صوت أبلغ من صوت الرعد القاصف ﴿عَاتِيَةٍ﴾ أي عتت على خزانها على قول كثير من المفسرين، أو عتت على عاد وزادت على الحد كما هو الصحيح[4].

للمفسرين رحمهم الله في معنى ﴿عَاتِيَةٍ﴾ قولان، أشار إليهما مفسرنا الشيخ عبد الرحمٰن بن سعدي رحمه الله تعالى.

---

(١) سورة الحديد: الآية ٧.

(٢) محاسن التأويل المعروف بتفسير القاسمي، ج: ١٦، ص: ٦١.

(٣) سورة الحاقة: الآية ٦.

(٤) تيسر الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، ج: ٨، ص: ١٦٣.

١ ـ قول يقول: إن المراد بعتوها أنها عتت على خزانها فلم تطعهم ولم يقدروا على ردها لشدة هبوبها، وهذا قول كثير من المفسرين، كما أشار إليه الشيخ عبد الرحمٰن بن سعدي.

٢ ـ وقول يقول بأن المراد بعتوها بأنها عتت على عاد، فلم يقدروا على ردها بحيلة من استتار ببناء أو لياذ بجبل أو اختفاء في حفرة، بل كانت تنزعهم من مكامنهم وتهلكهم، وقد رجح ابن سعدي هذا المعنى على المعنى الأول، بل صححه، كما هو صريح كلامه السابق.

وممن ذهب إلى هذا القول ابن عباس في إحدى الروايتين عنه، وقتادة وابن زيد والضحاك مستدلين بما يلي:

١ ـ أخرج ابن جرير بسنده عن ابن عباس في قوله تعالى: ﴿وَأَمَّا عَادٌ فَأُهْلِكُوا۟ بِرِيحٍ صَرْصَرٍ عَاتِيَةٍ ۝٦﴾ يقول: بريح مهلكة باردة عتت عليهم بغير رحمة ولا بركة دائمة لا تفتر[١].

٢ ـ وبما رواه ابن جرير بسنده عن قتادة ﴿وَأَمَّا عَادٌ فَأُهْلِكُوا۟ بِرِيحٍ صَرْصَرٍ عَاتِيَةٍ ۝٦﴾ والصرصر الباردة، وعتت عليهم حتى نقبت على أفئدتهم[٢].

٣ ـ وبما رواه ابن جرير بسنده قال: قال ابن زيد في قوله ﴿بِرِيحٍ صَرْصَرٍ عَاتِيَةٍ﴾ قال: الصرصر الشديدة والعاتية القاهرة التي عتت عليهم فقهرتهم[٣].

٤ ـ وبما أخرجه ابن جرير بتفسيره عن الضحاك قال: يقول في قوله تعالى: ﴿بِرِيحٍ صَرْصَرٍ﴾ يعني باردة عاتية عتت عليهم بلا رحمة ولا بركة[٤].

وقال به الزمخشري حيث أشار إلى المعنى الأول بصيغة التمريض فقال: (وقيل عتت على خزانها فخرجت بلا كيل ولا وزن)[٥].

---

(١) جامع البيان عن تأويل آي القرآن المعروف بتفسير ابن جرير الطبري، جـ: ٢٩، ص: ٤٩.
(٢) المصدر السابق، جـ: ٢٩، ص: ٥٠.
(٣) المصدر السابق، نفس الجزء والصفحة.
(٤) جامع البيان عن تأويل آي القرآن المعروف بتفسير ابن جرير الطبري، جـ: ٢٩، ص: ٥٠.
(٥) الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل للزمخشري، جـ: ٤، ص: ١٣٣، طبعة خاصة بدار الباز.

وقال به محمد بن أحمد بن جزي الكلبي في تفسيره (التسهيل لعلوم التنزيل) حيث أشار إلى المعنى الأول بصيغة التمريض فقال رحمه الله عند تفسيره ﴿عَاتِيَةِ﴾ وسميت بذلك لأنها عتت على عاد، وقيل: عتت على خزانها فخرجت بغير إذنهم[1].

وقال به جلال الدين المحلي في تفسير الجلالين حيث قال عند تفسير قوله تعالى: ﴿عَاتِيَةِ﴾ قوية شديدة على عاد مع قوتهم وشدتهم[2].

وقال به الجمل في حاشيته على الجلالين، حيث قال عند قول الجلال: (قوله مع شدتهم وقوتهم) أي فما قدروا على ردها بحيلة من استتار ببنيان أو لياذ بجبل أو اختفاء في حفرة، ثم ذكر المعنى الآخر بصيغة التمريض فقال: (هذا، وقيل عتت على خزانها فخرجت بلا كيل)[3]، وكذا الخطيب الشربيني في السراج المنير[4].

وإلى المعنى الأول وهو أن المراد بـ﴿عَاتِيَةِ﴾ عتوها على خزانها ذهب إليه ابن عباس في الرواية الأخرى، والإمام علي بن أبي طالب، وقال به ابن جرير الطبري[5]، مستدلين بما يأتي:

١ ـ أخرج ابن جرير في تفسيره بسنده إلى ابن عباس قال: ما أرسل الله من ريح قط إلاَّ بمكيال، ولا أنزل الله قطرة قط إلاَّ بمثقال إلاَّ يوم نوح ويوم عاد، فإن الماء يوم نوح طغا على خزانه، فلم يكن لهم عليه سبيل، ثم قرأ ﴿إِنَّا لَمَّا طَغَا ٱلْمَآءُ حَمَلْنَٰكُمْ فِى ٱلْجَارِيَةِ ﴿١١﴾﴾، وإن الريح عتت على خزانها فلم يكن لهم عليها سبيل، ثم قرأ: ﴿بِرِيحٍ صَرْصَرٍ عَاتِيَةٍ﴾[6].

---

(١) التسهيل لعلوم التنزيل، جـ: ٤، ص: ١٤٢.
(٢) تفسير الجلالين، حاشية الصاوي، جـ: ٤، ص: ٢٤٠.
(٣) حاشية الجمل على الجلالين، جـ: ٤، ص: ٣٩٤.
(٤) جـ: ٤، ص: ٣٦٨، السراج المنير في الإعانة على معرفة بعض معاني كلام ربنا الحكيم الخبير.
(٥) جامع البيان عن تأويل آي القرآن، جـ: ٢٩، ص: ٤٩.
(٦) المرجع السابق، جـ: ٢٩، ص: ٥٠.

٢ ـ أخرج ابن جرير في تفسيره بسنده إلى علي بن أبي طالب كرم الله وجهه قال: لم تنزل قطرة من ماء إلاَّ بكيل على يدي ملك، فلما كان يوم نوح أذن للماء دون الخزان، فطغى الماء على الجبال، فخرج، فذلك قول الله تعالى: ﴿إِنَّا لَمَّا طَغَا ٱلْمَآءُ حَمَلْنَٰكُمْ فِى ٱلْجَارِيَةِ ﴿١١﴾﴾ ولم ينزل من الريح شيء إلاَّ بكيل على يدي ملك، إلاَّ يوم عاد، فإنه أذن لها دون الخزان فخرجت وذلك قول الله ﴿بِرِيحٍ صَرْصَرٍ عَاتِيَةٍ﴾ عتت على الخزان[١].

وإلى هذا المعنى أشار ابن الجوزي في كتابه زاد المسير في علم التفسير[٢]، حيث قال رحمه الله: (والعاتية التي جاوزت المقدار، وجاء في التفسير أنها عتت على خزانها يومئذ، فلم يكن لهم عليها سبيل).

وإليه أشار الخازن في لباب التأويل[٣] في معاني التنزيل، وذكر المعنى الآخر بصيغة التمريض حيث قال رحمه الله: (أي عتت على خزنتها، فلم تطعهم، ولم يكن لهم عليها سبيل وجاوزت الحد والمقدار فلم يعرفوا مقدار ما خرج منها، وقيل عتت على عاد، فلم يقدروا على دفعها عنهم بقوة ولا حيلة).

وذكره البغوي في معالم التنزيل[٤]، ولم يذكر المعنى الآخر مما يدل على ترجيحه له، فقال رحمه الله تعالى عند تفسير قوله تعالى: ﴿عَاتِيَةٍ﴾ أي عتت على خزنتها، فلم تطعهم، ولم يكن لهم عليها سبيل، وجاوزت المقدار فلم يعرفوا كم خرج منها.

وقال به القرطبي في تفسيره (الجامع لأحكام القرآن)[٥] حيث أشار إلى المعنى الآخر بصيغة التمريض، فقال رحمه الله تعالى (عاتية) أي عتت على خزانها فلم تطعهم، ولم يطيقوها من شدة هبوبها، غضبت لغضب الله، وقيل: عتت على عاد فقهرتهم.

---

(١) جامع البيان عن تأويل آي القرآن، جـ: ٢٩، ص: ٥٠.
(٢) زاد المسير في علم التفسير لابن الجوزي، جـ: ٨، ص: ٧٥٦.
(٣) لباب التأويل في معاني التنزيل المعروف بتفسير الخازن، جـ: ٧، ص: ٤١٨.
(٤) معالم التنزيل المعروف بتفسير البغوي، هامش على تفسير الخازن، جـ: ٧، ص: ١١٨.
(٥) الجامع لأحكام القرآن للقرطبي، جـ: ١٨، ص: ٢٥٩.

الثامن والعشرون:

من تفسير سورة الغاشية:

قال عند تفسير قوله تعالى: ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ خَٰشِعَةٌ ۝٢ عَامِلَةٌ نَّاصِبَةٌ ۝٣ تَصْلَىٰ نَارًا حَامِيَةً ۝٤ تُسْقَىٰ مِنْ عَيْنٍ ءَانِيَةٍ ۝٥﴾[1].

﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ﴾ أي يوم القيامة ﴿خَٰشِعَةٌ﴾ من الذل والفضيحة والخزي ﴿عَامِلَةٌ نَّاصِبَةٌ ۝٣﴾ أي تاعبة في العذاب تجر على وجوهها وتغشى وجوههم النار، ويحتمل أن المراد بقوله: ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ خَٰشِعَةٌ ۝٢ عَامِلَةٌ نَّاصِبَةٌ ۝٣﴾ في الدنيا لكونهم في الدنيا أهل عبادات وعمل، ولكنه لما عدم شرطه وهو الإيمان صار يوم القيامة هباء منثوراً، وهذا الاحتمال وإن كان صحيحاً من حيث المعنى، فلا يدل عليه سياق الكلام، بل الصواب المقطوع به هو الاحتمال الأول لأنه قيده بالظرف وهو يوم القيامة.

ولأن المقصود هنا بيان ذكر أهل النار عموماً، وذلك الاحتمال جزء قليل بالنسبة إلى أهل النار، ولأن الكلام في بيان حال الناس عند غشيان الغاشية، فليس فيه تعرض لأحوالهم في الدنيا[2].

للعلماء رحمهم الله في المراد بقوله تعالى: ﴿عَامِلَةٌ نَّاصِبَةٌ ۝٣﴾ أقوال أربعة:

القول الأول: أن المراد بهم الذين عملوا ونصبوا في الدنيا على غير دين الإسلام، كعبدة الأوثان وكفار أهل الكتاب، وهذا القول رواه عطاء عن ابن عباس[3].

وهو رواية عن زيد بن أسلم وسعيد بن جبير، فقد نقل أبو حيان[4] عنهما في البحر المحيط أنهما قالا: عاملة في الدنيا، ناصبة فيها، لأنها على

---

(١) سورة الغاشية: الآية ٢ ـ ٥.
(٢) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، جـ: ٨، ص: ٢٣٧.
(٣) زاد المسير في علم التفسير، جـ: ٩، ص: ٩٥.
(٤) البحر المحيط، جـ: ٨، ص: ٤٦٢.

غير هدى، فلا ثمرة لها إلاَّ النصب، وخاتمته النار)، واختاره ابن كثير، فقد قال رحمه الله عند تفسير قوله تعالى: ﴿عَامِلَةٌ نَّاصِبَةٌ ﴿٣﴾﴾ أي قد عملت عملاً كثيراً، ونصبت فيه، وصليت يوم القيامة ناراً حامية)[1].

إلاَّ أن هذا الاحتمال مرجوح عند الشيخ عبد الرحمٰن بن سعدي، كما هو ظاهر كلامه السابق.

القول الثاني: أن المراد بهم الرهبان وأصحاب الصوامع من النصارى، وهو رواية أخرى عن ابن عباس، فقد أخرج البخاري[2] في صحيحه في تفسير سورة الغاشية.

وقال ابن عباس ﴿عَامِلَةٌ نَّاصِبَةٌ ﴿٣﴾﴾ النصارى، وهو رواية أخرى عن سعيد بن جبير وزيد بن أسلم[3]، وبهذا تأولها عمر بن الخطاب رضي الله عنه، فقد أخرج الحاكم في مستدركه[4] بسنده إلى أبي عمران الجوني[5] قال: مر عمر بن الخطاب بدير راهب، فناداه، يا راهب، يا راهب... قال: فأشرف عليه، فجعل عمر ينظر إليه، ويبكي، قال: فقيل له: يا أمير المؤمنين، ما يبكيك من هذا؟ قال: ذكرت قول الله عز وجل في كتابه: ﴿عَامِلَةٌ نَّاصِبَةٌ ﴿٣﴾ تَصْلَىٰ نَارًا حَامِيَةً ﴿٤﴾ تُسْقَىٰ مِنْ عَيْنٍ ءَانِيَةٍ ﴿٥﴾﴾ فذلك الذي أبكاني، ثم قال الحاكم معلقاً على هذا الأثر هذه الحكاية في وقتها، فإن أبا عمران الجوني لم يدرك زمان عمر.

القول الثالث: أن المراد بهم الذين تكبروا في الدنيا عن طاعة الله فأعملهم الله وأنصبهم في النار بالانتقال من عذاب إلى عذاب، وهو رواية ثالثة

---

(١) تفسير ابن كثير، جـ: ٧، ص: ٢٧٥.

(٢) فتح الباري شرح صحيح البخاري، جـ: ٨، ص: ٧٠.

(٣) زاد المسير في علم التفسير، جـ: ٩، ص: ٩٥.

(٤) مستدرك الحاكم على الصحيحين، جـ: ٢، ص: ٥٢٢، ط دار الكتاب العربي، بيروت.

(٥) هو عبد الملك بن حبيب الأزدي أو الكندي أبو عمران الجوني مشهور بكنيته ثقة من كبار الرابعة، مات سنة ثمان وعشرين ومائة، وقيل بعدها، وحديثه عند الجماعة. تقريب التهذيب، جـ: ١، ص: ٥١٨.

عن ابن عباس، رواه العوفي عنه، وبه قال الحسن قال الضحاك: يكلفون ارتقاء جبل في النار، وقال مقاتل: (عاملة في النار تأكل من النار، ناصبة للعذاب)[1].

واختار هذا القول الإمام ابن جرير، حيث قال رحمه الله تعالى، وقوله: ﴿عَامِلَةٌ﴾ يعني عاملة في النار، وقوله: ﴿نَّاصِبَةٌ﴾ يقول ناصبة[2] فيها، ثم ساق رحمه الله بسنده آثاراً عن ابن عباس والحسن وقتادة وابن زيد، وهذا القول هو الذي رجحه مفسرنا الشيخ عبد الرحمٰن بن ناصر بن سعدي رحمه الله، حيث قال رحمه الله عند قوله تعالى: ﴿عَامِلَةٌ نَّاصِبَةٌ ۝٣﴾ أي تاعبة في العذاب، تجر على وجوهها وتغشى وجوههم النار.

القول الرابع: أن المراد بهم الذين عملوا المعاصي في الدنيا فهم ينصبون يوم القيامة في النار والهلاك، قاله عكرمة والسدي[3]، والله أعلم.

---

(١) استقيت هذه الأقوال ونسبتها لأصحابها من زاد المسير في علم التفسير، جـ: ٩، ص: ٩٥.
(٢) جامع البيان عن تأويل آي القرآن، جـ: ٣٠، ص: ١٦٠.
(٣) زاد المسير في علم التفسر، جـ: ٩، ص: ٩٥.

الفصل الثاني
منهج الشيخ عبد الرحمٰن بن سعدي في التفسير
وفيه مباحث

*** مقدمة:**

عرض الشيخ عبد الرحمٰن بن سعدي لتفسير آيات كتاب الله وشرح معانيه بأسلوب سهل واضح لا لبس فيه ولا غموض ولا صعوبة ولا توعر في لغته التي استخدمها في تفسيره للقرآن الكريم، وهكذا لا نجد التكلف في لغته وأسلوبه، كما جنب تفسيره الاصطلاحات العلمية والمناقشات والمحاجات المنطقية التي ترد في بعض كتب التفسير حين تثار قضايا العقيدة، وبعض المسائل الشرعية خاصة لدى العلماء والمفسرين الذين تغلب على لغتهم الأساليب والاصطلاحات الفنية المختصة بعلومهم، ويلاحظ على تفسيره الابتعاد عن ذكر التفاصيل والاسترسال في المسائل الفرعية، وبعده عن الحشو والتكرار والتطويل.

والطريقة التي اتبعها في تفسيره تأتي في ذكر اسم السورة، وهل هي مكية أو مدنية، وقد يذكر الخلاف في كونها مكية أو مدنية، كما في سورة الرعد وسورة الحج دون التعرض لعدد آياتها، وقد يعرض خلال التفسير لأسباب النزول لبعض الآيات، ثم يورد عدداً من الآيات القرآنية.

وبعد سياق الآيات يشرع في توضيح معانيها بلغة واضحة، وهو في آيات العقيدة والتوحيد يتناولها موضحاً رأي أهل السنة والجماعة داحضاً في بعض الأحيان آراء الفرق الأخرى.

❁ ❁ ❁

المبحث الأول

المنهج العام

وهو ما يتعلق بالقواعد العامة، مثل تفسير القرآن بالقرآن، أو تفسير القرآن بالسنة، ومثل الإيمان بصفات الله العلا، كالرؤية والاستواء والعلو والكلام والمجيء والقضاء والقدر، وصفة الساق لله سبحانه، وغير ذلك، كالتعرض لعلوم القرآن من ذكر أسباب النزول والمكي والمدني، والمحكم والمتشابه، والناسخ والمنسوخ، والخاص والعام، والمطلق والمقيد، وكاستنباط بعض الأحكام الشرعية والفوائد، ومثل موقفه من الإسرائيليات، وتعرضه نادراً للقراءات أو الإعراب، أو مرجع الضمير، وسأفرد كل نوع من هذه الأنواع بمبحث خاص به، حسب الاستطاعة.

❁ ❁ ❁

المبحث الثاني

تفسيره للقرآن بالقرآن

يعتبر كتاب الله العزيز معجزة الإسلام الخالدة في تفوق بلاغته وحسن بيانه، وجمال أسلوبه، وقد أنزل القرآن من عند الله تعالى منجماً، ليكون مسايراً للأحداث والوقائع، فكان موافقاً لحاجات البشر، مبيناً مفصلاً للأمور كلها، وآيات القرآن الكريم يوضح بعضها بعضاً، فما أجمل في موضع من كتاب الله، فقد ورد مفسراً ومبيناً ومبسوطاً في مكان آخر، وقد تخصص آية عموم آية أخرى، وقد تأتي آيات مؤكدة على معنى آية سابقة في هدفها وتوجيهها.

والمهم أن كتاب الله تعالى يوضح بعضه بعضاً، وهو سرّ كونه من عند الله تعالى: ﴿وَلَوْ كَانَ مِنْ عِندِ غَيْرِ ٱللَّهِ لَوَجَدُوا۟ فِيهِ ٱخْتِلَٰفًا كَثِيرًا﴾[1].

ويأتي تفسير كتاب الله تعالى في المقام الأول بآيات الكتاب نفسها، وهو ما يسمى بتفسير القرآن بالقرآن، وقد أدرك الشيخ ابن سعدي أهمية هذه الصلة بين آيات كتاب الله تعالى، فاعتنى كثيراً بإيراد نصوص من القرآن في تفسير معنى الآية من القرآن، ونسوق لهذا الجانب بعض الأمثلة.

أولاً: قال عند تفسير قوله تعالى: ﴿صِرَٰطَ ٱلَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ﴾[2] ﴿مِّنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ وَٱلصِّدِّيقِينَ وَٱلشُّهَدَآءِ وَٱلصَّٰلِحِينَ﴾[3]، فهو هنا يبين الذين أنعم الله

(١) سورة النساء: الآية ٨٢.
(٢) سورة الفاتحة: الآية ٧.
(٣) سورة النساء: الآية ٦٩.

عليهم بآية سورة النساء، وهم كما قال النبيون والصديقون والشهداء والصالحون.

ثانياً: قال عند تفسيره لمعنى الكلمات التي تلقاها آدم من ربه في قوله تعالى: ﴿فَتَلَقَّىٰٓ ءَادَمُ مِن رَّبِّهِۦ كَلِمَٰتٍ فَتَابَ عَلَيْهِ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٣٧﴾﴾[1].

إذ يذكر عن تلك الكلمات أنها هي الآية من سورة الأعراف ﴿رَبَّنَا ظَلَمْنَآ أَنفُسَنَا وَإِن لَّمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ﴾[2].

ثالثاً: ذكر أن المراد من العهد في قوله تعالى: ﴿يَٰبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ٱذْكُرُوا۟ نِعْمَتِىَ ٱلَّتِىٓ أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ وَأَوْفُوا۟ بِعَهْدِىٓ أُوفِ بِعَهْدِكُمْ﴾[3] ما ذكره الله تعالى في آية سورة المائدة، وهي قوله تعالى: ﴿۞ وَلَقَدْ أَخَذَ ٱللَّهُ مِيثَٰقَ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ وَبَعَثْنَا مِنْهُمُ ٱثْنَىْ عَشَرَ نَقِيبًا ۖ وَقَالَ ٱللَّهُ إِنِّى مَعَكُمْ ۖ لَئِنْ أَقَمْتُمُ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَيْتُمُ ٱلزَّكَوٰةَ وَءَامَنتُم بِرُسُلِى وَعَزَّرْتُمُوهُمْ وَأَقْرَضْتُمُ ٱللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا لَّأُكَفِّرَنَّ عَنكُمْ سَيِّـَٔاتِكُمْ وَلَأُدْخِلَنَّكُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ ۚ فَمَن كَفَرَ بَعْدَ ذَٰلِكَ مِنكُمْ فَقَدْ ضَلَّ سَوَآءَ ٱلسَّبِيلِ ﴿١٢﴾﴾[4].

رابعاً: يبين أن إنكار الله سبحانه وتعالى على هذه الأمة إلقاء الأسئلة على رسولها في قوله تعالى: ﴿أَمْ تُرِيدُونَ أَن تَسْـَٔلُوا۟ رَسُولَكُمْ كَمَا سُئِلَ مُوسَىٰ مِن قَبْلُ﴾[5] أن المراد بها أسئلة التعنت والاعتراض مستشهداً بآيات من القرآن، كما قال تعالى: ﴿يَسْـَٔلُكَ أَهْلُ ٱلْكِتَٰبِ أَن تُنَزِّلَ عَلَيْهِمْ كِتَٰبًا مِّنَ ٱلسَّمَآءِ ۚ فَقَدْ سَأَلُوا۟ مُوسَىٰٓ أَكْبَرَ مِن ذَٰلِكَ فَقَالُوٓا۟ أَرِنَا ٱللَّهَ جَهْرَةً﴾[6]، وقال تعالى ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَسْـَٔلُوا۟ عَنْ أَشْيَآءَ إِن تُبْدَ لَكُمْ تَسُؤْكُمْ﴾[7].

---

(١) سورة البقرة: الآية ٣٧.
(٢) سورة الأعراف: الآية ٢٣، يراجع: تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، جـ: ١، ص: ٣٥.
(٣) سورة البقرة: الآية ٤٠.
(٤) سورة المائدة: الآية ١٢.
(٥) سورة البقرة: الآية ١٠٨.
(٦) سورة النساء: الآية ١٥٣.
(٧) سورة المائدة: الآية ١٠١.

فهذه ونحوها في المنهي عنها، وأما سؤال الاسترشاد والتعليم فهذا محمود، وقد أمر الله به، كما قال تعالى: ﴿فَسْـَٔلُوٓاْ أَهْلَ ٱلذِّكْرِ إِن كُنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾[1][2].

خامساً: أوضح عند تفسير قوله تعالى: ﴿سَيَقُولُ ٱلسُّفَهَآءُ مِنَ ٱلنَّاسِ مَا وَلَّىٰهُمْ عَن قِبْلَتِهِمُ ٱلَّتِى كَانُواْ عَلَيْهَا﴾[3] بأن الآية دلت على أنه لا يعترض على أحكام الله إلاَّ سفيه جاهل معاند، وأما الرشيد المؤمن العاقل فيتلقى أحكام ربه بالانقياد والتسليم كما قال تعالى: ﴿وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥٓ أَمْرًا أَن يَكُونَ لَهُمُ ٱلْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ﴾[4].

﴿فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُواْ فِىٓ أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُواْ تَسْلِيمًا ﴿٦٥﴾﴾[5] ﴿إِنَّمَا كَانَ قَوْلَ ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذَا دُعُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ أَن يَقُولُواْ سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا﴾[6]، فهو هنا يستشهد للكشف والإبانة على أن ضد السفهاء وهم أهل العقول يتلقون أحكام الله بالقبول والانقياد والتسليم أقول يستشهد بنصوص من القرآن.

سادساً: بين المراد من حياة المقتول في سبيل الله الوارد في قول الله تعالى: ﴿وَلَا تَقُولُواْ لِمَن يُقْتَلُ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ أَمْوَٰتٌۢ بَلْ أَحْيَآءٌ وَلَٰكِن لَّا تَشْعُرُونَ ﴿١٥٤﴾﴾[7] أن المراد بها الحياة في البرزخ، حيث قال: (فأخبر تعالى أن من قتل في سبيله بأن قاتل في سبيل الله لتكون كلمة الله هي العليا، ودينه الظاهر لا لغير ذلك من الأغراض، فإنه لم تفته الحياة المحبوبة، بل حصل له حياة أعظم وأكمل مما تظنون وتحسبون، فالشهداء: ﴿أَحْيَآءٌ عِندَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ فَرِحِينَ بِمَآ ءَاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ وَيَسْتَبْشِرُونَ بِٱلَّذِينَ لَمْ يَلْحَقُواْ بِهِم مِّنْ خَلْفِهِمْ أَلَّا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا

---

(١) سورة الأنبياء: الآية ٧.
(٢) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، جـ: ١، ص: ٥٩.
(٣) سورة البقرة: الآية ١٤٢.
(٤) سورة الأحزاب: الآية ٣٦.
(٥) سورة النساء: الآية ٦٥.
(٦) سورة النور: الآية ٥١.
(٧) سورة البقرة: الآية ١٥٤.

هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿١٧٠﴾ يَسْتَبْشِرُونَ بِنِعْمَةٍ مِنَ اللَّهِ وَفَضْلٍ وَأَنَّ اللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُؤْمِنِينَ﴾[1][2].

فهنا أوضح أن المراد بحياة المقتول في سبيل الله، أنها الحياة عند الله، مستشهداً وموضحاً المعنى بآيات أخرى.

سابعاً: يفسر شعائر الله[3] بأنها أعلام دينه الظاهرة التي تعبد الله بها عباده، وذلك عند تفسيره لقوله تعالى: ﴿إِنَّ الصَّفَا وَالْمَرْوَةَ مِن شَعَائِرِ اللَّهِ﴾[4]، فيقول وإذا كانا من شعائر الله فقد أمر الله بتعظيم شعائره فقال: ﴿وَمَن يُعَظِّمْ شَعَائِرَ اللَّهِ فَإِنَّهَا مِن تَقْوَى الْقُلُوبِ﴾[5].

فيوضح معنى شعائر الله، وأنه يجب تعظيم شعائره سبحانه لأنه من تقوى القلوب، والتقوى واجبة على كل مكلف، وذلك يدل على أن السعي بينهما فرض من فروض الحج.

ثامناً: فسر اتخاذ الأنداد بقوله تعالى: ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَن يَتَّخِذُ مِن دُونِ اللَّهِ أَندَادًا﴾[6] بالنظراء والمثلاء، واستدل على ذلك بآيات من القرآن، حيث قال: وفي قوله اتخذوا دليل على أنه ليس لله ند، وإنما المشركون جعلوا بعض المخلوقات أنداداً له تسمية مجردة ولفظاً فارغاً من المعنى، كما قال تعالى[7]: ﴿وَجَعَلُوا لِلَّهِ شُرَكَاءَ قُلْ سَمُّوهُمْ أَمْ تُنَبِّئُونَهُ بِمَا لَا يَعْلَمُ فِي الْأَرْضِ أَم بِظَاهِرٍ مِّنَ الْقَوْلِ﴾[8]، ﴿إِنْ هِيَ إِلَّا أَسْمَاءٌ سَمَّيْتُمُوهَا أَنتُمْ وَآبَاؤُكُم مَّا أَنزَلَ اللَّهُ بِهَا مِن سُلْطَانٍ إِن يَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ﴾[9]، فهنا نراه يربط بين آية البقرة، وآيتي سورة الرعد وسورة النجم.

---

(١) سورة آل عمران: الآية ١٧٠، ١٧١.
(٢) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، ج: ١، ص: ٨٥، ٨٦.
(٣) تيسير الكريم الرحمن، المرجع السابق، ج: ١، ص: ٨٨.
(٤) سورة البقرة: الآية ١٥٨.
(٥) سورة الحج: الآية ٣٢.
(٦) سورة البقرة: الآية ١٦٥.
(٧) تيسير الكريم الرحمن، ج: ١، ص: ٩٤.
(٨) سورة الرعد: الآية ٣٣.
(٩) سورة النجم: الآية ٢٣.

تاسعاً: قد يورد أثناء تفسيره للآية نظيرها من الآيات الأخرى للربط بينها، مثل تفسيره لقوله تعالى: ﴿أَمْ حَسِبْتُمْ أَن تَدْخُلُوا الْجَنَّةَ وَلَمَّا يَأْتِكُم مَّثَلُ الَّذِينَ خَلَوْا مِن قَبْلِكُم مَّسَّتْهُمُ الْبَأْسَاءُ وَالضَّرَّاءُ وَزُلْزِلُوا حَتَّىٰ يَقُولَ الرَّسُولُ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ مَتَىٰ نَصْرُ اللَّهِ أَلَا إِنَّ نَصْرَ اللَّهِ قَرِيبٌ ﴿٢١٤﴾﴾[1] حيث قال: (ونظير هذه الآية قوله تعالى: ﴿أَمْ حَسِبْتُمْ أَن تَدْخُلُوا الْجَنَّةَ وَلَمَّا يَعْلَمِ اللَّهُ الَّذِينَ جَاهَدُوا مِنكُمْ وَيَعْلَمَ الصَّابِرِينَ ﴿١٤٢﴾﴾[2] وقوله تعالى: ﴿الم ﴿١﴾ أَحَسِبَ النَّاسُ أَن يُتْرَكُوا أَن يَقُولُوا آمَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ ﴿٢﴾ وَلَقَدْ فَتَنَّا الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ فَلَيَعْلَمَنَّ اللَّهُ الَّذِينَ صَدَقُوا وَلَيَعْلَمَنَّ الْكَاذِبِينَ ﴿٣﴾﴾[3] فعند الامتحان يكرم المرء أو يهان[4].

عاشراً عندما يستنبط حكماً من آية، وهذا الحكم يكون مفهوماً من هذه الآية، ومن آية أخرى تكون متممة لهذا الحكم، يورد تلك الآية لتتضح الصورة أكثر، وذلك كما ذكر عند تفسير قوله تعالى ﴿وَالْوَالِدَاتُ يُرْضِعْنَ أَوْلَادَهُنَّ حَوْلَيْنِ كَامِلَيْنِ لِمَنْ أَرَادَ أَن يُتِمَّ الرَّضَاعَةَ﴾[5]، حيث قال: ويؤخذ من هذا النص، ومن قوله تعالى: ﴿وَحَمْلُهُ وَفِصَالُهُ ثَلَاثُونَ شَهْرًا﴾[6] أن أقل مدة الحمل ستة أشهر، وأنه يمكن وجود الولد بها[7].

الحادي عشر: عند تفسيره لقوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَنفِقُوا مِمَّا رَزَقْنَاكُم مِّن قَبْلِ أَن يَأْتِيَ يَوْمٌ لَّا بَيْعٌ فِيهِ وَلَا خُلَّةٌ وَلَا شَفَاعَةٌ وَالْكَافِرُونَ هُمُ الظَّالِمُونَ ﴿٢٥٤﴾﴾[8]، يوضح أن هذا الإنفاق مدخر عند الله يوم لا تفيد فيه المعاوضات بالبيع ونحوه، ولا التبرعات ولا الشفاعات[9].

---

(١) سورة البقرة: الآية ٢١٤.
(٢) سورة آل عمران: الآية ١٤٢.
(٣) سورة العنكبوت: الآيتان ١ ـ ٢ ـ ٣.
(٤) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، جـ: ١، ص: ١٢٦.
(٥) سورة البقرة: الآية ٢٣٣.
(٦) سورة الأحقاف: الآية ١٥.
(٧) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلاما لمنان، جـ: ١، ص: ١٤١.
(٨) سورة البقرة: الآية ٢٥٤.
(٩) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، جـ: ١، ص: ١٥٠.

ثم يورد الآيات التي توضح هذه الآية، كآية سورة سبأ وهي قوله تعالى: ﴿وَمَآ أَمْوَٰلُكُمْ وَلَآ أَوْلَٰدُكُم بِٱلَّتِى تُقَرِّبُكُمْ عِندَنَا زُلْفَىٰٓ إِلَّا مَنْ ءَامَنَ وَعَمِلَ صَٰلِحًا فَأُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمْ جَزَآءُ ٱلضِّعْفِ بِمَا عَمِلُوا۟ وَهُمْ فِى ٱلْغُرُفَٰتِ ءَامِنُونَ ﴿٣٧﴾﴾[1]، وكقوله تعالى: ﴿وَمَا تُقَدِّمُوا۟ لِأَنفُسِكُم مِّنْ خَيْرٍ تَجِدُوهُ عِندَ ٱللَّهِ هُوَ خَيْرًا وَأَعْظَمَ أَجْرًا﴾[2].

الثاني عشر: قال عند تفسير قوله تعالى: ﴿وَتَرْزُقُ مَن تَشَآءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾[3] قد ذكر الله في غير هذه الآية الأسباب التي ينال بها رزقه[4]، كقوله تعالى: ﴿وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجْعَل لَّهُۥ مَخْرَجًا وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ ۚ وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُۥٓ﴾[5].

فهنا يربط بين آية آل عمران وآيتي سورة الطلاق، وهو أن رزق الله لمن يشاء بغير حساب، إنما ينال بتقوى الله سبحانه وتعالى.

الثالث عشر: بين عند تفسير قوله تعالى حاكياً عن الشيطان أنه قال لربه مقسماً ﴿لَأَتَّخِذَنَّ مِنْ عِبَادِكَ نَصِيبًا مَّفْرُوضًا﴾[6] أي مقدرا، فقد أخبر الله في آيات أخرى أن هذا النصيب هم الذين يتولون الشيطان ويؤثرون طاعته على طاعة الله، كما في آيتي سورة النحل، وهما قوله تعالى: ﴿إِنَّهُۥ لَيْسَ لَهُۥ سُلْطَٰنٌ عَلَى ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴿٩٩﴾ إِنَّمَا سُلْطَٰنُهُۥ عَلَى ٱلَّذِينَ يَتَوَلَّوْنَهُۥ وَٱلَّذِينَ هُم بِهِۦ مُشْرِكُونَ ﴿١٠٠﴾﴾[7].

فهذا الذي ظنه الخبيث وجزم به، أخبر الله تعالى بوقوعه بقوله: ﴿وَلَقَدْ صَدَّقَ عَلَيْهِمْ إِبْلِيسُ ظَنَّهُۥ فَٱتَّبَعُوهُ إِلَّا فَرِيقًا مِّنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٢٠﴾﴾[8].

---

(١) سورة سبأ: الآية ٣٧.
(٢) سورة المزمل: الآية ٢٠.
(٣) سورة آل عمران: الآية ٢٧.
(٤) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، ج: ١، ص: ١٧٨.
(٥) سورة الطلاق: الآيتان ٢، ٣.
(٦) سورة النساء: الآية ١١٨.
(٧) سورة النحل: الآيتان ٩٩، ١٠٠.
(٨) سورة سبأ: الآية ٢٠.

وهذا النصيب المفروض الذي أقسم ليتخذنه منهم ذكر ما يريده بهم وما يقصده لهم بقوله: ﴿وَلَأُضِلَّنَّهُمْ وَلَأُمَنِّيَنَّهُمْ﴾ أي مع الإضلال لأمنينهم أن ينالوا ما يناله المهتدون[1].

وهنا يورد الشيخ الآيات المؤكدة لأمانيهم، فيقول رحمه الله واعتبر ذلك باليهود والنصارى ونحوهم، فإنهم كما حكى الله عنهم ﴿وَقَالُوا لَن يَدْخُلَ الْجَنَّةَ إِلَّا مَن كَانَ هُودًا أَوْ نَصَارَىٰ تِلْكَ أَمَانِيُّهُمْ﴾[2]، ﴿كَذَٰلِكَ زَيَّنَّا لِكُلِّ أُمَّةٍ عَمَلَهُمْ﴾[3]، ﴿قُلْ هَلْ نُنَبِّئُكُم بِالْأَخْسَرِينَ أَعْمَالًا ﴿١٠٣﴾ الَّذِينَ ضَلَّ سَعْيُهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعًا ﴿١٠٤﴾﴾[4]، وقال تعالى عن المنافقين أنهم يقولون يوم القيامة للمؤمنين ﴿أَلَمْ نَكُن مَّعَكُمْ قَالُوا بَلَىٰ وَلَٰكِنَّكُمْ فَتَنتُمْ أَنفُسَكُمْ وَتَرَبَّصْتُمْ وَارْتَبْتُمْ وَغَرَّتْكُمُ الْأَمَانِيُّ حَتَّىٰ جَاءَ أَمْرُ اللَّهِ وَغَرَّكُم بِاللَّهِ الْغَرُورُ﴾[5].

الرابع عشر: إذا وردت آية عامة، وكان هناك آية تخصص عموم هذه الآية، فقد يشير الشيخ عبد الرحمٰن بن سعدي إلى هذه الآية المخصصة لعموم الآية الأخرى، مثال ذلك ما ذكره عند تفسير قوله تعالى: ﴿وَلَآ ءَآمِّينَ الْبَيْتَ الْحَرَامَ يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّن رَّبِّهِمْ وَرِضْوَانًا﴾[6] أي من قصد هذا البيت الحرام، وقصده فضل الله بالتجارة والمكاسب المباحة، أو قصده رضوان الله بحجه وعمرته والطواف به، والصلاة وغيرها من أنواع العبادة، فلا تتعرضوا له بسوء، إلى أن قال وهذه الآية الكريمة مخصوصة بقوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّمَا الْمُشْرِكُونَ نَجَسٌ فَلَا يَقْرَبُوا الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ بَعْدَ عَامِهِمْ هَٰذَا﴾[7] فالمشرك لا يمكن من الدخول إلى الحرم[8].

---

(١) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، ج: ٢، ص: ٨١.
(٢) سورة البقرة: الآية ١١١.
(٣) سورة الأنعام: الآية ١٠٨.
(٤) سورة الكهف: الآية ١٠٣، ١٠٤.
(٥) سورة الحديد: الآية ١٤.
(٦) سورة المائدة: الآية ٢.
(٧) سورة التوبة: الآية ٢٨.
(٨) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، ج: ٢، ص: ١١٢.

كما أشار رحمه الله تعالى عند تفسير قوله تعالى: ﴿وَٱلْمُحْصَنَٰتُ مِنَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ مِن قَبْلِكُمْ﴾[1] بأن هذه الآية مخصصة لقوله تعالى: ﴿وَلَا تَنكِحُوا۟ ٱلْمُشْرِكَٰتِ حَتَّىٰ يُؤْمِنَّ﴾[2].

الخامس عشر: بين عند قوله تعالى: ﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ أَقَامُوا۟ ٱلتَّوْرَىٰةَ وَٱلْإِنجِيلَ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيْهِم مِّن رَّبِّهِمْ لَأَكَلُوا۟ مِن فَوْقِهِمْ وَمِن تَحْتِ أَرْجُلِهِمْ﴾[3] بأن المراد بذلك أن يدر الله عليهم الرزق، ويمطر عليهم السماء وينبت لهم الأرض، مبيناً هذا المعنى بآية أخرى، وهي قوله تعالى[4] ﴿وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ ٱلْقُرَىٰٓ ءَامَنُوا۟ وَٱتَّقَوْا۟ لَفَتَحْنَا عَلَيْهِم بَرَكَٰتٍ مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ﴾[5].

السادس عشر: بين رحمه الله تعالى المراد من الحفظة في قوله تعالى: ﴿وَهُوَ ٱلْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِۦ وَيُرْسِلُ عَلَيْكُمْ حَفَظَةً﴾[6].

حيث قال: فقد وكل بالعباد حفظة من الملائكة يحفظون العبد، ويحفظون عليه ما عمل، كما قال تعالى: ﴿وَإِنَّ عَلَيْكُمْ لَحَٰفِظِينَ ﴿١٠﴾ كِرَامًا كَٰتِبِينَ ﴿١١﴾ يَعْلَمُونَ مَا تَفْعَلُونَ ﴿١٢﴾﴾[7]، وكقوله تعالى: ﴿عَنِ ٱلْيَمِينِ وَعَنِ ٱلشِّمَالِ قَعِيدٌ مَّا يَلْفِظُ مِن قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ ﴿١٨﴾﴾[8][9].

السابع عشر: بين عند قوله تعالى: ﴿وَزَكَرِيَّا وَيَحْيَىٰ وَعِيسَىٰ وَإِلْيَاسَ ۖ كُلٌّ مِّنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿٨٥﴾ وَإِسْمَٰعِيلَ وَٱلْيَسَعَ وَيُونُسَ وَلُوطًا ۚ وَكُلًّا فَضَّلْنَا عَلَى ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٨٦﴾﴾[10].

---

(١) سورة المائدة: الآية ٥.
(٢) سورة البقرة: الآية ٢٢١.
(٣) سورة البقرة: الآية ٦٦.
(٤) سورة الأعراف: الآية ٩٦.
(٥) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، جـ: ٢، ص: ١٥٠.
(٦) سورة الأنعام: الآية ٦١.
(٧) سورة الانفطار: الآيات ١٠ ـ ١٢.
(٨) سورة ق: الآيتان ١٧، ١٨.
(٩) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، جـ: ٢، ص: ١٩٢.
(١٠) سورة الأنعام: الآيتان ٨٥، ٨٦.

أن هؤلاء المذكورين في هذه الآية فضلوا بالنبوة، وأن درجات الفضائل أربع[1]، هي المذكورة في قوله تعالى: ﴿وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ فَأُوْلَٰٓئِكَ مَعَ ٱلَّذِينَ أَنْعَمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِم مِّنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ وَٱلصِّدِّيقِينَ وَٱلشُّهَدَآءِ وَٱلصَّٰلِحِينَ ۚ وَحَسُنَ أُوْلَٰٓئِكَ رَفِيقًا ﴿٦٩﴾﴾[2].

فهنا يفسر تفضيل هؤلاء الأنبياء والمرسلين الذين ذكرهم الله في هذه الآية بالنبوة.

الثامن عشر: كثيراً ما يورد رحمه الله معنى الآية، مستخلصاً من دلالة لفظها وسياقها، ويورد الشواهد القرآنية على هذا المعنى الذي فسر به الآية.

ففي قوله تعالى: ﴿فَمَا كَانَ دَعْوَىٰهُمْ إِذْ جَآءَهُم بَأْسُنَآ إِلَّآ أَن قَالُوٓا۟ إِنَّا كُنَّا ظَٰلِمِينَ ﴿٥﴾﴾[3]، يورد بعض الآيات القرآنية المشابهة لهذه الآية فيقول ما نصه ـ كما قال تعالى: ﴿وَكَمْ قَصَمْنَا مِن قَرْيَةٍ كَانَتْ ظَالِمَةً وَأَنشَأْنَا بَعْدَهَا قَوْمًا ءَاخَرِينَ ﴿١١﴾ فَلَمَّآ أَحَسُّوا۟ بَأْسَنَآ إِذَا هُم مِّنْهَا يَرْكُضُونَ ﴿١٢﴾ لَا تَرْكُضُوا۟ وَٱرْجِعُوٓا۟ إِلَىٰ مَآ أُتْرِفْتُمْ فِيهِ وَمَسَٰكِنِكُمْ لَعَلَّكُمْ تُسْـَٔلُونَ ﴿١٣﴾ قَالُوا۟ يَٰوَيْلَنَآ إِنَّا كُنَّا ظَٰلِمِينَ ﴿١٤﴾ فَمَا زَالَت تِّلْكَ دَعْوَىٰهُمْ حَتَّىٰ جَعَلْنَٰهُمْ حَصِيدًا خَٰمِدِينَ ﴿١٥﴾﴾[4].

وقوله: ﴿فَلَنَسْـَٔلَنَّ ٱلَّذِينَ أُرْسِلَ إِلَيْهِمْ﴾[5]، أي لنسألن الأمم الذين أرسل الله إليهم المرسلين عما أجابوا رسلهم ﴿وَيَوْمَ يُنَادِيهِمْ فَيَقُولُ مَاذَآ أَجَبْتُمُ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿٦٥﴾﴾[6]، ثم يقول عند قوله تعالى: ﴿وَمَا كُنَّا غَآئِبِينَ﴾ في وقت من الأوقات كما قال تعالى: ﴿أَحْصَىٰهُ ٱللَّهُ وَنَسُوهُ﴾[7]، وقال تعالى: ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا فَوْقَكُمْ سَبْعَ طَرَآئِقَ [8] وَمَا كُنَّا عَنِ ٱلْخَلْقِ غَٰفِلِينَ﴾[9].

---

(١) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، جـ: ٢، ص: ٢٠.
(٢) سورة النساء: الآية ٦٩.
(٣) سورة الأعراف: الآية ٥.
(٤) سورة الأنبياء: الآيات ١١ ـ ١٥.
(٥) سورة الأعراف: الآية ٦.
(٦) سورة القصص: الآية ٦٥.
(٧) سورة المجادلة: الآية ٦.
(٨) سورة المؤمنون: الآية ١٧.
(٩) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، جـ: ٣، ص: ٤.

وفي الآية من سورة الأعراف وهي قوله تعالى: ﴿وَلَا نُكَلِّفُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا﴾[1] يقول رحمه الله: (أي بمقدار ما تسعه طاقتها ولا يعسر على قدرتها، فعليها في هذه الحال أن تتقي الله بحسب استطاعتها، وإذا عجزت عن بعض الواجبات التي يقدر عليها سقطت عنها)[2].

ثم يورد الآيات المشابهة لهذه الآية، حيث يقول ـ كما قال تعالى ـ ﴿لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا﴾[3]، ﴿لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفْسًا إِلَّا مَآ ءَاتَىٰهَا﴾[4]، ﴿وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِى ٱلدِّينِ مِنْ حَرَجٍ﴾[5] ﴿فَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ مَا ٱسْتَطَعْتُمْ﴾[6][7].

وهذا الأسلوب الذي سلكه الشيخ من إيراد معنى الآية مستخلصاً من دلالة لفظها، وإيراد الشواهد القرآنية، ورد كثيراً في تفسيره يلحظه المطلع عليه في ثنايا تفسيره، وهي طريقة لا شك أنها تنم عن اطلاع وفهم لمعاني كتاب الله وحفظ له.

التاسع عشر: أوضح عند تفسير قوله تعالى: ﴿وَإِلَىٰ ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَٰلِحًا قَالَ يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥ قَدْ جَآءَتْكُم بَيِّنَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ هَٰذِهِۦ نَاقَةُ ٱللَّهِ لَكُمْ ءَايَةً فَذَرُوهَا﴾[8].

أوضح رحمه الله وجه كونها آية بآية أخرى، فقال رحمه الله تعالى: (أي هذه ناقة شريفة فاضلة لإضافتها إلى الله تعالى إضافة تشريف لكم فيها آية عظيمة، وقد ذكر وجه الآية في قوله تعالى: ﴿لَهَا شِرْبٌ وَلَكُمْ شِرْبُ يَوْمٍ مَّعْلُومٍ﴾[9][10].

---

(١) سورة الأعراف: الآية ٤٢.
(٢) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، جـ: ٣، ص: ١٥.
(٣) سورة البقرة: الآية ٢٨٦.
(٤) سورة الطلاق: الآية ٧.
(٥) سورة الحج: الآية ٧٨.
(٦) سورة التغابن: الآية ١٦.
(٧) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، جـ: ٣، ص: ١٥.
(٨) سورة الأعراف: الآية ٧٣.
(٩) سورة الشعراء: الآية ١٥٥.
(١٠) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، جـ: ٣، ص: ٢٦.

العشرون: بين عند قوله تعالى: ﴿وَيَقُولُونَ لَوْلَآ أُنزِلَ عَلَيْهِ ءَايَةٌ مِّن رَّبِّهِۦ﴾[1] أن المراد بالآية آيات الاقتراح التي يقترحونها على محمد ﷺ، تعنتاً منهم وعناداً، فقال رحمه الله: (يعنون آيات الاقتراح التي يعينونها كقولهم: ﴿لَوْلَآ أُنزِلَ إِلَيْهِ مَلَكٌ فَيَكُونَ مَعَهُۥ نَذِيرًا﴾[2]... الآيات، وكقولهم: ﴿لَن نُّؤْمِنَ لَكَ حَتَّىٰ تَفْجُرَ لَنَا مِنَ ٱلْأَرْضِ يَنۢبُوعًا﴾[3]... الآيات[4].

الحادي والعشرون: بين عند قوله تعالى: ﴿وَيَأْتِيهِ ٱلْمَوْتُ مِن كُلِّ مَكَانٍ وَمَا هُوَ بِمَيِّتٍ﴾[5] أن المراد بذلك العذاب: (وأنه يأتيه من كل نوع من أنواع العذاب وكل نوع منه من شدته يبلغ إلى الموت، ولكن الله قضى أن لا يموتوا)[6] ثم بينه بآية آخرى من القرآن، وهي قوله تعالى: ﴿لَا يُقْضَىٰ عَلَيْهِمْ فَيَمُوتُوا۟ وَلَا يُخَفَّفُ عَنْهُم مِّنْ عَذَابِهَا كَذَٰلِكَ نَجْزِى كُلَّ كَفُورٍ ﴿وَهُمْ يَصْطَرِخُونَ فِيهَا﴾[7].

الثاني والعشرون: بين المراد بأجر الآخرة المذكور في قوله تعالى: ﴿وَلَأَجْرُ ٱلْءَاخِرَةِ أَكْبَرُ لَوْ كَانُوا۟ يَعْلَمُونَ﴾[8]، وأن المراد به ما يناله المهاجرون من عظيم الدرجات عند الله، وبين هذا المعنى بآية أخرى من القرآن، وهي قوله تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَهَاجَرُوا۟ وَجَٰهَدُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ أَعْظَمُ دَرَجَةً عِندَ ٱللَّهِ ۚ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَآئِزُونَ ﴿٢٠﴾﴾[9]... الآيات.

الثالث والعشرون: أوضح عند قوله تعالى: ﴿وَيَجْعَلُونَ لِمَا لَا يَعْلَمُونَ نَصِيبًا

---

(١) سورة يونس: الآية ٢٠.
(٢) سورة الفرقان: الآية ٧.
(٣) سورة الإسراء: الآية ٩٠، وما بعدها.
(٤) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، جـ: ٣، ص: ١٥٨.
(٥) سورة إبراهيم: الآية ١٧.
(٦) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، جـ: ٤، ص: ٦٦.
(٧) سورة فاطر: الآيتان ٣٦، ٣٧.
(٨) سورة النحل: الآية ٤١.
(٩) سورة التوبة: الآية ٢٠، وانظر: تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، جـ: ٤، ص: ١٠٠.

مِّمَّا رَزَقْنَٰهُمْ تَٱللَّهِ لَتُسْـَٔلُنَّ عَمَّا كُنتُمْ تَفْتَرُونَ ﴿٥٦﴾﴾[1].

هذا النصيب من أي شيء جعلوه، بآية أخرى هي قوله تعالى: ﴿وَجَعَلُوا۟ لِلَّهِ مِمَّا ذَرَأَ مِنَ ٱلْحَرْثِ وَٱلْأَنْعَٰمِ نَصِيبًا فَقَالُوا۟ هَٰذَا لِلَّهِ بِزَعْمِهِمْ وَهَٰذَا لِشُرَكَآئِنَا ۖ فَمَا كَانَ لِشُرَكَآئِهِمْ فَلَا يَصِلُ إِلَى ٱللَّهِ ۖ وَمَا كَانَ لِلَّهِ فَهُوَ يَصِلُ إِلَىٰ شُرَكَآئِهِمْ ۗ سَآءَ مَا يَحْكُمُونَ ﴿١٣٦﴾﴾[2].

فقال رحمه الله عند تفسير سورة النحل: (يخبر تعالى عن جهل المشركين وظلمهم وافترائهم على الله الكذب، وأنهم يجعلون لأصنامهم التي لا تعلم ولا تنفع ولا تضر نصيباً مما رزقهم الله، وأنعم به عليهم، فاستعانوا برزقه على الشرك به، وتقربوا إلى أصنام منحوتة، كما قال تعالى: ﴿وَجَعَلُوا۟ لِلَّهِ مِمَّا ذَرَأَ مِنَ ٱلْحَرْثِ وَٱلْأَنْعَٰمِ نَصِيبًا﴾[3].

الرابع والعشرون: بين عند قوله تعالى: ﴿وَٱللَّهُ خَلَقَكُمْ ثُمَّ يَتَوَفَّىٰكُمْ ۚ وَمِنكُم مَّن يُرَدُّ إِلَىٰٓ أَرْذَلِ ٱلْعُمُرِ لِكَىْ لَا يَعْلَمَ بَعْدَ عِلْمٍ شَيْـًٔا ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ قَدِيرٌ ﴿٧٠﴾﴾[4] أطوار خلق الإنسان التي يمر بها في هذه الحياة بآية أخرى، هي قوله تعالى: ﴿۞ ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن ضَعْفٍ ثُمَّ جَعَلَ مِنۢ بَعْدِ ضَعْفٍ قُوَّةً ثُمَّ جَعَلَ مِنۢ بَعْدِ قُوَّةٍ ضَعْفًا وَشَيْبَةً ۚ يَخْلُقُ مَا يَشَآءُ ۖ وَهُوَ ٱلْعَلِيمُ ٱلْقَدِيرُ ﴿٥٤﴾﴾[5].

فقال رحمه الله عند تفسير قوله تعالى: ﴿وَٱللَّهُ خَلَقَكُمْ ثُمَّ يَتَوَفَّىٰكُمْ ۚ﴾.. الآية يخبر تعالى أنه الذي خلق العباد ونقلهم في الخلقية طوراً بعد طور، ثم بعد أن يستكملوا آجالهم يتوفاهم ومنهم من يعمر حتى يرد إلى أرذل العمر، أي أخسه الذي يبلغ به الإنسان إلى ضعف القوى الظاهرة والباطنة، حتى العقل الذي هو جوهر الإنسان، يزيد ضعفه حتى أنه ينسى ما كان يعمله، ويصير عقله كعقل الطفل، ولهذا قال لكيلا يعلم بعد علم شيئاً، إن الله عليم قدير»

---

(١) سورة النحل: الآية ٥٦.
(٢) سورة الأنعام: الآية ١٣٦.
(٣) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، ج: ٤، ص: ١٠٤.
(٤) سورة النحل: الآية ٧٠.
(٥) سورة الروم: الآية ٥٤.

أي قد أحاط علمه وقدرته بجميع الأشياء، ومن ذلك ما ينقل به الآدمي من طور الخلقة خلقاً بعد الخلق.

كما قال تعالى: ﴿۞ ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن ضَعْفٍ ثُمَّ جَعَلَ مِنۢ بَعْدِ ضَعْفٍ قُوَّةً ثُمَّ جَعَلَ مِنۢ بَعْدِ قُوَّةٍ ضَعْفًا وَشَيْبَةً يَخْلُقُ مَا يَشَآءُ وَهُوَ ٱلْعَلِيمُ ٱلْقَدِيرُ ﴿٥٤﴾﴾[1].

الخامس والعشرون: أوضح عند قوله تعالى: ﴿وَلَا تَقْرَبُوا۟ مَالَ ٱلْيَتِيمِ إِلَّا بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ حَتَّىٰ يَبْلُغَ أَشُدَّهُۥ﴾[2] معنى بلوغ اليتيم أشده هو رشده، بين ذلك بآية أخرى هي قوله تعالى: ﴿فَإِنْ ءَانَسْتُم مِّنْهُمْ رُشْدًا فَٱدْفَعُوٓا۟ إِلَيْهِمْ أَمْوَٰلَهُمْ﴾[3] فقال رحمه الله عند تفسير سورة الإسراء، وهذا من لطفه ورحمته تعالى باليتيم الذي فقد والده، وهو صغير غير عارف بمصلحة نفسه ولا قائم بها، أن أمر أولياءه بحفظه وحفظ ماله وإصلاحه، وأن لا يقربوه ﴿إِلَّا بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ﴾ من التجارة فيه وعدم تعريضه للأخطار، والحرص على تنميته، وذلك ممتد إلى أن يبلغ اليتيم أشده أي بلوغه وعقله رشده، فإذا بلغ رشده زالت عنه الولاية، وصار ولي نفسه، ودفع إليه ماله، كما قال تعالى: ﴿فَإِنْ ءَانَسْتُم مِّنْهُمْ رُشْدًا فَٱدْفَعُوٓا۟ إِلَيْهِمْ أَمْوَٰلَهُمْ﴾[4].

السادس والعشرون: عند تفسير قوله تعالى: ﴿فَقُولَا لَهُۥ قَوْلًا لَّيِّنًا لَّعَلَّهُۥ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَىٰ ﴿٤٤﴾﴾[5] فسر رحمه الله القول اللين بآية أخرى، هي قوله تعالى: ﴿فَقُلْ هَل لَّكَ إِلَىٰٓ أَن تَزَكَّىٰ ﴿١٨﴾ وَأَهْدِيَكَ إِلَىٰ رَبِّكَ فَتَخْشَىٰ ﴿١٩﴾﴾[6]، فقال رحمه الله تعالى: (فقولا له قولاً لينا ـ أي سهلاً لطيفاً برفق ولين وأدب في اللفظ من دون فحش ولا صلف ولا غلظة في المقال أو فظاظة في الأفعال (لعله) بسبب

---

(١) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، جـ: ٤، ص: ١٠٧.
(٢) سورة الإسراء: الآية ٣٤.
(٣) سورة النساء: الآية ٦.
(٤) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، جـ: ٤، ص: ١٣٦.
(٥) سورة طه: الآية ٤٤.
(٦) سورة النازعات: الآيتان ١٨، ١٩.

القول اللين (يتذكر) ما ينفعه فيأتيه (أو يخشى) ما يضره فيتركه، فإن القول اللين داع لذلك، والقول الغليظ منفر عن صاحبه، وقد فسر القول اللين في قوله: ﴿فَقُلْ هَل لَّكَ إِلَىٰٓ أَن تَزَكَّىٰ ﴿١٨﴾ وَأَهْدِيَكَ إِلَىٰ رَبِّكَ فَتَخْشَىٰ ﴿١٩﴾﴾[1].

السابع والعشرون: عند تفسير قوله تعالى: ﴿أَمِ ٱتَّخَذُوٓاْ ءَالِهَةً مِّنَ ٱلْأَرْضِ هُمْ يُنشِرُونَ ﴿٢١﴾﴾[2] فسر رحمه الله هذه الآية بآيات أخرى هي قوله تعالى: ﴿وَٱتَّخَذُواْ مِن دُونِهِۦٓ ءَالِهَةً لَّا يَخْلُقُونَ شَيْـًٔا وَهُمْ يُخْلَقُونَ وَلَا يَمْلِكُونَ لِأَنفُسِهِمْ ضَرًّا وَلَا نَفْعًا وَلَا يَمْلِكُونَ مَوْتًا وَلَا حَيَوٰةً وَلَا نُشُورًا ﴿٣﴾﴾[3]، ﴿وَٱتَّخَذُواْ مِن دُونِ ٱللَّهِ ءَالِهَةً لَّعَلَّهُمْ يُنصَرُونَ ﴿٧٤﴾ لَا يَسْتَطِيعُونَ نَصْرَهُمْ وَهُمْ لَهُمْ جُندٌ مُّحْضَرُونَ ﴿٧٥﴾﴾[4].

فقال رحمه الله تعالى: (لما بين تعالى كمال اقتداره وعظمته وخضوع كل شيء له، أنكر على المشركين الذين اتخذوا من دون الله آلهة من الأرض في غاية العجز وعدم القدرة: ﴿هُمْ يُنشِرُونَ﴾ استفهام بمعنى النفي، أي لا يقدرون على نشرهم وحشرهم، يفسرها قوله تعالى: ﴿وَٱتَّخَذُواْ مِن دُونِهِۦٓ ءَالِهَةً لَّا يَخْلُقُونَ شَيْـًٔا وَهُمْ يُخْلَقُونَ . . .﴾ الآية[5].

الثامن والعشرون: عند تفسير قوله تعالى: ﴿وَنَضَعُ ٱلْمَوَٰزِينَ ٱلْقِسْطَ لِيَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ فَلَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْـًٔا وَإِن كَانَ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِّنْ خَرْدَلٍ أَتَيْنَا بِهَا وَكَفَىٰ بِنَا حَٰسِبِينَ ﴿٤٧﴾﴾[6].

فسر رحمه الله هذه الآية بآيتين أخريين، هما قوله تعالى ﴿فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُۥ ﴿٧﴾ وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُۥ ﴿٨﴾﴾[7] وقوله تعالى: ﴿يَٰوَيْلَتَنَا مَالِ هَٰذَا ٱلْكِتَٰبِ لَا يُغَادِرُ صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً إِلَّآ أَحْصَىٰهَا

---

(١) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، جـ: ٥، ص: ٧٩.
(٢) سورة الأنبياء: الآية ٢١.
(٣) سورة الفرقان: الآية ٣.
(٤) سورة يس: الآيتان ٧٤، ٧٥.
(٥) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، جـ: ٥، ص: ١٠٩.
(٦) سورة الأنبياء: الآية ٤٧.
(٧) سورة الزلزلة: الآيتان ٧، ٨.

وَوَجَدُواْ مَا عَمِلُواْ حَاضِرًا وَلَا ﴾[1]، فقال رحمه الله: (يخبر تعالى عن حكمه العدل وقضائه القسط بين عباده إذا جمعهم يوم القيامة، وأنه يضع لهم الموازين العادلة التي يبين فيها مثاقيل الذر الذي توزن به الحسنات والسيئات، فلا تظلم نفس مسلمة ولا كافرة شيئاً بأن تنقص من حسناتها أو يزاد في سيئاتها، وإن كان مثقال ذرة من خردل التي هي أصغر الأشياء وأحقرها من خير أو شر أتينا بها، وأحضرناها ليجازى بها صاحبها كقوله تعالى: ﴿فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ ۝٧ وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ ۝٨ ﴾ ﴿يَٰوَيْلَتَنَا مَالِ هَٰذَا ٱلْكِتَٰبِ لَا يُغَادِرُ صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً إِلَّآ أَحْصَىٰهَا ۚ وَوَجَدُواْ مَا عَمِلُواْ حَاضِرًا ۗ وَلَا . . .﴾ الآية[2].

التاسع والعشرون: عند تفسير قوله تعالى: ﴿وَزَكَرِيَّآ إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُۥ رَبِّ لَا تَذَرْنِى فَرْدًا وَأَنتَ خَيْرُ ٱلْوَٰرِثِينَ ۝٨٩﴾[3] فسر نداء زكريا لربه بآيات أخرى هي قوله تعالى: ﴿قَالَ رَبِّ إِنِّى وَهَنَ ٱلْعَظْمُ مِنِّى وَٱشْتَعَلَ ٱلرَّأْسُ شَيْبًا وَلَمْ أَكُنۢ بِدُعَآئِكَ رَبِّ شَقِيًّا ۝٤ وَإِنِّى خِفْتُ ٱلْمَوَٰلِىَ مِن وَرَآءِى وَكَانَتِ ٱمْرَأَتِى عَاقِرًا فَهَبْ لِى مِن لَّدُنكَ وَلِيًّا ۝٥ يَرِثُنِى وَيَرِثُ مِنْ ءَالِ يَعْقُوبَ ۖ وَٱجْعَلْهُ رَبِّ رَضِيًّا ۝٦﴾[4].

فقال رحمه الله: (أي واذكر عبدنا ورسولنا زكريا منوهاً بذكره، ناشراً لمناقبه وفضائله التي من جملتها هذه المنقبة العظيمة المتضمنة لنصحه الخلق ورحمة الله إياه، وأنه ﴿نَادَىٰ رَبَّهُۥ رَبِّ لَا تَذَرْنِى فَرْدًا﴾ أي ﴿قَالَ رَبِّ إِنِّى وَهَنَ ٱلْعَظْمُ مِنِّى وَٱشْتَعَلَ ٱلرَّأْسُ شَيْبًا وَلَمْ أَكُنۢ بِدُعَآئِكَ رَبِّ شَقِيًّا ۝٤ وَإِنِّى خِفْتُ ٱلْمَوَٰلِىَ مِن وَرَآءِى وَكَانَتِ ٱمْرَأَتِى عَاقِرًا فَهَبْ لِى مِن لَّدُنكَ وَلِيًّا ۝٥ يَرِثُنِى وَيَرِثُ مِنْ ءَالِ يَعْقُوبَ ۖ وَٱجْعَلْهُ رَبِّ رَضِيًّا﴾ من هذه الآيات علمنا أن قوله ﴿نَادَىٰ رَبَّهُۥ رَبِّ لَا تَذَرْنِى فَرْدًا﴾ أنه لما تقارب أجله خاف أن لا يقوم أحد بعده مقامه في الدعوة إلى الله، والنصح لعباد الله، وأن يكون وقته فرداً، ولا يخلف من يسعفه ويعينه على ما قام به[5].

---

(١) سورة الكهف: الآية ٤٩.

(٢) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، ج: ٥، ص: ١١٧.

(٣) سورة الأنبياء: الآية ٨٩.

(٤) سورة مريم: الآيات ٤ ـ ٦.

(٥) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، ج: ٥، ص: ١٢٨.

الثلاثون: عند قوله تعالى: ﴿لِكُلِّ أُمَّةٍ جَعَلْنَا مَنسَكًا هُمْ نَاسِكُوهُ﴾[1]، أوضح معنى المنسك بآية أخرى هي قوله تعالى: ﴿لِكُلٍّ جَعَلْنَا مِنكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَجَعَلَكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلَكِن لِّيَبْلُوَكُمْ فِي مَا آتَاكُمْ﴾[2] فقال رحمه الله تعالى:

(يخبر الله تعالى أنه جعل لكل أمة ﴿مَنسَكًا﴾ أي معبداً وعبادة قد تختلف في بعض الأمور، مع اتفاقها على العدل والحكمة كما قال تعالى: ﴿لِكُلٍّ جَعَلْنَا مِنكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا ...﴾ إلخ)[3].

الحادي والثلاثون: عند قوله تعالى: ﴿وَإِنَّ لَكُمْ فِي الْأَنْعَامِ لَعِبْرَةً نُّسْقِيكُم مِّمَّا فِي بُطُونِهَا وَلَكُمْ فِيهَا مَنَافِعُ كَثِيرَةٌ وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ ﴿٢١﴾ وَعَلَيْهَا وَعَلَى الْفُلْكِ تُحْمَلُونَ ﴿٢٢﴾﴾[4] أوضح معنى هذه الآية بآيات أخرى هي قوله تعالى: ﴿وَإِنَّ لَكُمْ فِي الْأَنْعَامِ لَعِبْرَةً نُّسْقِيكُم مِّمَّا فِي بُطُونِهِ مِن بَيْنِ فَرْثٍ وَدَمٍ لَّبَنًا خَالِصًا سَائِغًا لِّلشَّارِبِينَ ﴿٦٦﴾﴾[5]، وقوله تعالى: ﴿وَجَعَلَ لَكُم مِّن جُلُودِ الْأَنْعَامِ بُيُوتًا تَسْتَخِفُّونَهَا يَوْمَ ظَعْنِكُمْ وَيَوْمَ إِقَامَتِكُمْ وَمِنْ أَصْوَافِهَا وَأَوْبَارِهَا وَأَشْعَارِهَا أَثَاثًا وَمَتَاعًا إِلَى حِينٍ﴾[6].

فقال رحمه الله تعالى: (أي من نعمه عليكم أن سخر لكم الأنعام والإبل والبقر والغنم، فيها عبرة للمعتبرين، ومنافع للمنتفعين، ﴿نُّسْقِيكُم مِّمَّا فِي بُطُونِهَا﴾ من لبن يخرج من بين فرث ودم خالص سائغ للشاربين ﴿وَلَكُمْ فِيهَا مَنَافِعُ كَثِيرَةٌ﴾ من أصوافها وأوبارها وأشعارها ﴿وَجَعَلَ لَكُم مِّن جُلُودِ الْأَنْعَامِ بُيُوتًا تَسْتَخِفُّونَهَا يَوْمَ ظَعْنِكُمْ وَيَوْمَ إِقَامَتِكُمْ﴾ ومنها تأكلون أفضل المآكل من لحم وشحم)[7].

---

(١) سورة الحج: الآية ٣٤.
(٢) سورة المائدة: الآية ٤٨.
(٣) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، جـ: ٥، ص: ١٥٨.
(٤) سورة المؤمنون: الآية ٢١.
(٥) سورة النحل: الآية ٦٦.
(٦) سورة النحل: الآية ٨٠.
(٧) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، جـ: ٥، ص: ١٦٨.

الثاني والثلاثون: عند قوله تعالى: ﴿فَكَذَّبُوهُ فَأَهْلَكْنَٰهُمْ ۗ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَةً ۖ وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُم مُّؤْمِنِينَ ﴿١٣٩﴾﴾[1] في آخر قصة عاد من سورة الشعراء بين رحمه الله نوع العذاب الذي أهلك الله به عاد بآية أخرى هي قوله تعالى: ﴿وَأَمَّا عَادٌ فَأُهْلِكُوا۟ بِرِيحٍ صَرْصَرٍ عَاتِيَةٍ ﴿٦﴾ سَخَّرَهَا عَلَيْهِمْ سَبْعَ لَيَالٍ وَثَمَٰنِيَةَ أَيَّامٍ حُسُومًا ۙ فَتَرَى ٱلْقَوْمَ فِيهَا صَرْعَىٰ كَأَنَّهُمْ أَعْجَازُ نَخْلٍ خَاوِيَةٍ ﴿٧﴾﴾[2].

فقال رحمه الله ﴿فَكَذَّبُوهُ﴾ أي صار التكذيب سجية لهم وخلقا لا يردعهم عنه رادع ﴿وَأَمَّا عَادٌ فَأُهْلِكُوا۟ بِرِيحٍ صَرْصَرٍ عَاتِيَةٍ ﴿٦﴾ سَخَّرَهَا عَلَيْهِمْ سَبْعَ لَيَالٍ وَثَمَٰنِيَةَ أَيَّامٍ حُسُومًا ۙ فَتَرَى ٱلْقَوْمَ فِيهَا صَرْعَىٰ كَأَنَّهُمْ أَعْجَازُ نَخْلٍ خَاوِيَةٍ ﴿٧﴾ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَةً﴾ على صدق نبينا هود عليه السلام وصحة ما جاء به، وبطلان ما عليه قومه من الشرك والجبروت[3].

الثالث والثلاثون: عند قوله تعالى: ﴿قُل لَّا يَعْلَمُ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ٱلْغَيْبَ إِلَّا ٱللَّهُ ۚ وَمَا يَشْعُرُونَ أَيَّانَ يُبْعَثُونَ ﴿٦٥﴾﴾[4].

بيّن بعضاً من الغيوب التي لا يعلمها إلا الله بآيات أخرى هي قوله تعالى: ﴿۞ وَعِندَهُۥ مَفَاتِحُ ٱلْغَيْبِ لَا يَعْلَمُهَآ إِلَّا هُوَ ۚ وَيَعْلَمُ مَا فِى ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ ۚ وَمَا تَسْقُطُ مِن وَرَقَةٍ إِلَّا يَعْلَمُهَا وَلَا حَبَّةٍ فِى ظُلُمَٰتِ ٱلْأَرْضِ وَلَا رَطْبٍ وَلَا يَابِسٍ إِلَّا فِى كِتَٰبٍ مُّبِينٍ ﴿٥٩﴾﴾[5].

وقوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ عِندَهُۥ عِلْمُ ٱلسَّاعَةِ وَيُنَزِّلُ ٱلْغَيْثَ وَيَعْلَمُ مَا فِى ٱلْأَرْحَامِ ۖ وَمَا تَدْرِى نَفْسٌ مَّاذَا تَكْسِبُ غَدًا ۖ وَمَا تَدْرِى نَفْسٌۢ بِأَىِّ أَرْضٍ تَمُوتُ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ ﴿٣٤﴾﴾[6].

فقال رحمه الله تعالى: (يخبر تعالى المنفرد بعلم غيب السماوات

---

(١) سورة الشعراء: الآية ١٣٩.
(٢) سورة الحاقة: الآيتان ٦، ٧.
(٣) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، جـ: ٥، ص: ٢٦٠.
(٤) سورة النمل: الآية ٦٥.
(٥) سورة الأنعام: الآية ٥٩.
(٦) سورة لقمان: الآية ٣٤.

والأرض، كقوله تعالى: ﴿وَعِندَهُۥ مَفَاتِحُ ٱلْغَيْبِ لَا يَعْلَمُهَآ إِلَّا هُوَ ...﴾ الآية وكقوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ عِندَهُۥ عِلْمُ ٱلسَّاعَةِ وَيُنَزِّلُ ٱلْغَيْثَ ...﴾ الآية، فهذه الغيوب ونحوها اختص الله بعلمها فلم يعلمها ملك مقرب ولا نبي مرسل وإذا كان هو المنفرد بعلم ذلك المحيط علمه بالسرائر والبواطن والخفايا فهو الذي لا تنبغي العبادة إلا له)[1].

الرابع والثلاثون: عند قوله تعالى: ﴿وَلَمَّا رَءَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلْأَحْزَابَ قَالُوا۟ هَٰذَا مَا وَعَدَنَا ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ وَصَدَقَ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ ۖ وَمَا زَادَهُمْ إِلَّآ إِيمَٰنًا وَتَسْلِيمًا ﴿٢٢﴾﴾[2] أوضح معنى الآية بآية أخرى هي قوله تعالى: ﴿أَمْ حَسِبْتُمْ أَن تَدْخُلُوا۟ ٱلْجَنَّةَ وَلَمَّا يَأْتِكُم مَّثَلُ ٱلَّذِينَ خَلَوْا۟ مِن قَبْلِكُم ۖ مَّسَّتْهُمُ ٱلْبَأْسَآءُ وَٱلضَّرَّآءُ وَزُلْزِلُوا۟ حَتَّىٰ يَقُولَ ٱلرَّسُولُ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مَعَهُۥ مَتَىٰ نَصْرُ ٱللَّهِ ۗ أَلَآ إِنَّ نَصْرَ ٱللَّهِ قَرِيبٌ ﴿٢١٤﴾﴾[3].

فقال رحمه الله تعالى: (ولما رأى المؤمنون الأحزاب ـ الذين تحزبوا ونزلوا منازلهم وانتهى الخوف ـ قالوا هذا ما وعدنا الله ورسوله في قوله: ﴿أَمْ حَسِبْتُمْ أَن تَدْخُلُوا۟ ٱلْجَنَّةَ وَلَمَّا يَأْتِكُم مَّثَلُ ٱلَّذِينَ خَلَوْا۟ مِن قَبْلِكُم ۖ مَّسَّتْهُمُ ٱلْبَأْسَآءُ وَٱلضَّرَّآءُ وَزُلْزِلُوا۟ حَتَّىٰ يَقُولَ ٱلرَّسُولُ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مَعَهُۥ مَتَىٰ نَصْرُ ٱللَّهِ ۗ أَلَآ إِنَّ نَصْرَ ٱللَّهِ قَرِيبٌ ﴿٢١٤﴾﴾، ﴿وَصَدَقَ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ ﴾ فإنا رأينا ما أخبرنا به ﴿وَمَا زَادَهُمْ ﴾ ذلك الأمر ﴿إِلَّآ إِيمَٰنًا ﴾ في قلوبهم ﴿وَتَسْلِيمًا ﴾ في جوارحهم، وانقياداً لأمر الله)[4].

الخامس والثلاثون: عند قوله تعالى: ﴿وَقَالُوا۟ رَبَّنَآ إِنَّآ أَطَعْنَا سَادَتَنَا وَكُبَرَآءَنَا فَأَضَلُّونَا ٱلسَّبِيلَا۠ ﴿٦٧﴾﴾[5] بين معنى ﴿ٱلسَّبِيلَا۠ ﴾ الذي أضلهم الكبراء إياه وهو ما ذكره الله بآية أخرى هي قوله تعالى: ﴿وَيَوْمَ يَعَضُّ ٱلظَّالِمُ عَلَىٰ يَدَيْهِ يَقُولُ يَٰلَيْتَنِى ٱتَّخَذْتُ مَعَ ٱلرَّسُولِ سَبِيلًا ﴿٢٧﴾ يَٰوَيْلَتَىٰ لَيْتَنِى لَمْ أَتَّخِذْ فُلَانًا خَلِيلًا ﴿٢٨﴾ لَّقَدْ

---

(١) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، ج: ٥، ص: ٢٨٥.
(٢) سورة الأحزاب: الآية ٢٢.
(٣) سورة البقرة: الآية ٢١٤.
(٤) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، ج: ٦، ص: ١٠٢.
(٥) سورة الأحزاب: الآية ٦٧.

أَضَلَّنِي عَنِ ٱلذِّكْرِ بَعْدَ إِذْ جَآءَنِيۗ وَكَانَ ٱلشَّيْطَٰنُ لِلْإِنسَٰنِ خَذُولًا ﴿٢٩﴾ ﴾[1].

قال رحمه الله تعالى: ﴿وَقَالُوا۟ رَبَّنَآ إِنَّآ أَطَعْنَا سَادَتَنَا وَكُبَرَآءَنَا ﴾ وقلدناهم على ضلالهم، ﴿فَأَضَلُّونَا ٱلسَّبِيلَا۠ ﴾، كقوله تعالى: ﴿وَيَوْمَ يَعَضُّ ٱلظَّالِمُ عَلَىٰ يَدَيْهِ . . .﴾ الآيات[2].

السادس والثلاثون: عند قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ نَادَىٰنَا نُوحٌ فَلَنِعْمَ ٱلْمُجِيبُونَ ﴿٧٥﴾﴾[3]، فسّر نداء نوح عليه السلام لربه بآية أخرى هي قوله تعالى: ﴿وَقَالَ نُوحٌ رَّبِّ لَا تَذَرْ عَلَى ٱلْأَرْضِ مِنَ ٱلْكَٰفِرِينَ دَيَّارًا ﴿٢٦﴾ ﴾[4].

فقال رحمه الله تعالى: (يخبر تعالى عن عبده ورسوله نوح عليه السلام أول الرسل، أنه لما دعا قومه إلى الله تلك المدة الطويلة لم يزدهم دعاؤه إلاّ فراراً، نادى ربه فقال: ﴿رَبِّ لَا تَذَرْ عَلَى ٱلْأَرْضِ مِنَ ٱلْكَٰفِرِينَ دَيَّارًا ﴾ الآية، وقال: ﴿رَبِّ ٱنصُرْنِي عَلَى ٱلْقَوْمِ ٱلْمُفْسِدِينَ ﴾، فاستجاب الله دعاءه)[5].

السابع والثلاثون: عند قوله تعالى ﴿وَمَا نُرِيهِم مِّنْ ءَايَةٍ إِلَّا هِىَ أَكْبَرُ مِنْ أُخْتِهَاۖ وَأَخَذْنَٰهُم بِٱلْعَذَابِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴿٤٨﴾﴾[6] بين العذاب الذي أخذهم الله به بآية أخرى هي قوله تعالى: ﴿فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمُ ٱلطُّوفَانَ وَٱلْجَرَادَ وَٱلْقُمَّلَ وَٱلضَّفَادِعَ وَٱلدَّمَ ءَايَٰتٍ مُّفَصَّلَٰتٍ ﴾[7].

فقال رحمه الله تعالى: ﴿وَمَا نُرِيهِم مِّنْ ءَايَةٍ إِلَّا هِىَ أَكْبَرُ مِنْ أُخْتِهَاۖ ﴾ أي الآية المتأخرة أعظم من السابقة ﴿وَأَخَذْنَٰهُم بِٱلْعَذَابِ ﴾ كالجراد والقمل والضفادع والدم آيات مفصلات ﴿لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴾ إلى الإسلام، ويذعنون له ليزول شركهم وشرهم)[8].

---

(١) سورة الفرقان: الآيات ٢٧ ـ ٢٩.
(٢) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، جـ: ٦، ص: ١٢٣.
(٣) سورة الصافات: الآية ٧٥.
(٤) سورة نوح عليه السلام: الآيتان ٢٦ ـ ٢٧.
(٥) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، جـ: ٦، ص: ١٨٨.
(٦) سورة الزخرف: الآية ٤٨.
(٧) سورة الأعرف: الآية ١٣٣.
(٨) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، جـ: ٧، ص: ١٢٣.

الثامن والثلاثون:

عن قوله تعالى: ﴿إِنَّآ أَعْتَدْنَا لِلْكَٰفِرِينَ سَلَٰسِلَا۠ وَأَغْلَٰلًا وَسَعِيرًا ﴿٤﴾﴾[1] بين مقدار هذه السلاسل التي يغل بها الكفار في نار جهنم بآية أخرى هي قوله تعالى: ﴿ثُمَّ فِى سِلْسِلَةٍ ذَرْعُهَا سَبْعُونَ ذِرَاعًا فَٱسْلُكُوهُ ﴿٣٢﴾﴾[2].

فقال رحمه الله تعالى: (إنا هيأنا وأرصدنا لمن كفر بالله وكذب رسله، وتجرأ على معاصيه (سلاسل) في نار جهنم، كما قال تعالى: ﴿ثُمَّ فِى سِلْسِلَةٍ ذَرْعُهَا سَبْعُونَ ذِرَاعًا فَٱسْلُكُوهُ ﴿٣٢﴾﴾ ﴿وَأَغْلَٰلًا﴾ تغل بها أيديهم إلى أعناقهم، ويوثقون بها ﴿وَسَعِيرًا﴾ أي نارا تستعر بها أجسامهم، وتحرق بها أبدانهم، كلما نضجت جلودهم بدلناهم جلودا غيرها ليذوقوا العذاب، وهذا العذاب الدائم مؤبد لهم مخلدون فيه سرمدا)[3].

التاسع والثلاثون:

عند قوله تعالى: ﴿وَإِذَا ٱلسَّمَآءُ كُشِطَتْ ﴿١١﴾﴾[4] بين معنى كشط السماء، وهو إزالتها بآيات أخرى، هي قوله تعالى: ﴿وَيَوْمَ تَشَقَّقُ ٱلسَّمَآءُ بِٱلْغَمَٰمِ﴾[5] وقوله تعالى: ﴿يَوْمَ نَطْوِى ٱلسَّمَآءَ كَطَىِّ ٱلسِّجِلِّ لِلْكُتُبِ﴾[6]، وقوله تعالى: ﴿وَٱلْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ وَٱلسَّمَٰوَٰتُ مَطْوِيَّٰتُۢ بِيَمِينِهِۦ﴾[7].

هذه بعض من النماذج التي عرضها الشيخ عبد الرحمن بن سعدي في تفسيره الموسوم بتيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان: لتفسير القرآن بالقرآن، ولولا خشية الإطالة، لأوردت نماذج أخرى، ولكن اقتصرت على هذا المقدار اختصاراً للبحث، وإلاّ فهو رحمه الله أشار في كثير من المواضع إلى

---

(١) سورة الإنسان: الآية ٤.
(٢) سورة الحاقة: الآية ٣٢.
(٣) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، جـ: ٨، ص: ١٩٩.
(٤) سورة التكوير: الآية ١١.
(٥) سورة الفرقان: الآية ٢٥.
(٦) سورة الأنبياء: الآية ١٠٤.
(٧) سورة الزمر: الآية ٦٧.

ربط الآيات بعضها ببعض، وإيضاح بعضها ببعض، خصوصاً عندما ترد آيات مجملة، ولها تفصيل بآيات آخرى، فإنه يورد الآيات المفصلة للآيات المجملة، عندما يعرض لتفسير الآيات المجملة، كما في قصة إبراهيم عليه السلام في سورة الذاريات حيث أورد أثناء تفسيرها بعضاً من الآيات الواردة في سورة هود عليه السلام، والتي لها تعلق بقصة أبينا إبراهيم عليه السلام[1].

وهكذا يسلك الشيخ رحمه الله هذا المسلك في تفسيره لكتاب الله عز وجل، مما يدل دلالة واضحة على فهمه لكتاب الله، وسعة اطلاعه على قصصه وأحكامه ومواعظه، فرحمه الله رحمة واسعة، وجمعنا به في دار كرامته.

(١) انظر: تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، ج: ٨، ص: ٢٥٢.

المبحث الثالث

تفسير القرآن بالسنة

* مقدمة:

السنة هي الأصل الثاني الذي يجب الرجوع إليه، والتعويل عليه بعد كتاب الله عز وجل، فهي توضح القرآن، وتبين المراد منه، تفصل مجمله وتقيد مطلقه، وتخصص عمومه، كما قال تعالى: ﴿وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ﴾[1]، وقوله تعالى: ﴿وَمَآ أَنزَلْنَا عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ إِلَّا لِتُبَيِّنَ لَهُمُ ٱلَّذِى ٱخْتَلَفُوا۟ فِيهِ وَهُدًى وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿٦٤﴾﴾[2]، وقوله تعالى: ﴿إِنَّآ أَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ لِتَحْكُمَ بَيْنَ ٱلنَّاسِ بِمَآ أَرَىٰكَ ٱللَّهُ وَلَا تَكُن لِّلْخَآئِنِينَ خَصِيمًا ﴿١٠٥﴾﴾[3].

ولما أخرجه أبو داود من حديث المقدام بن معدي كرب الكندي مرفوعاً أن رسول الله ﷺ قال: «ألا إني أوتيت الكتاب ومثله معه، لا يوشك رجل شبعان على أريكته يقول عليكم بهذا القرآن فما وجدتم فيه من حلال فأحلوه، وما وجدتم فيه من حرام فحرموه»[4].

ولما أخرجه أبو داود عن معاذ بن جبل رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ لما أراد أن يبعثه إلى اليمن، قال: كيف تقضي إذا عرض لك قضاء؟ قال:

---

(١) سورة النحل: الآية ٤٤.
(٢) سورة النحل: الآية ٦٤.
(٣) سورة النساء: الآية ١٠٥.
(٤) سنن أبي داود، جـ: ٢، ص: ٢٦٠.

أقضي بكتاب الله، قال: فإن لم تجد في كتاب الله؟، قال: فبسنة رسول الله ﷺ، قال: فإن لم تجد في سنة رسول الله ﷺ؟ ولا في كتاب الله قال: أجتهد رأي، ولا آلو، فضرب رسول الله ﷺ صدره، وقال: الحمد لله الذي وفق رسول رسول الله ﷺ لما يرضي رسول الله ﷺ)[1].

قال الإمام أبو عبد الله محمد بن إدريس الشافعي: (وما سن رسول[2] الله ﷺ فيما ليس لله فيه حكم فبحكم الله سنه، وكذلك أخبرنا في قوله: ﴿وَإِنَّكَ لَتَهْدِيٓ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ صِرَٰطِ ٱللَّهِ﴾[3].

وقد استدل الإمام الشافعي رحمه الله بأدلة كثيرة غير هذه الآية ليس هذا موضع ذكرها[4].

يقول شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: (والسنة أيضاً تنزل عليه بالوحي، كما ينزل القرآن، لا أنها تتلى كما يتلى القرآن)[5].

أما الشيخ عبد الرحمن بن سعدي فقد تضلع من علم الحديث، ويعتبر علماً بارزاً في الحديث بين علماء عصره، فقد انتقى مائه من أحاديث الرسول ﷺ الجامعة، وقام بشرح كل حديث، واستنبط منه فوائد عديدة، جمع هذه الآحاديث في كتاب أسماه «بهجة قلوب الأبرار وقرة عيون الأخيار في شرح جوامع الأخبار».

وقد ترك اهتمامه الكبير وشغفه العظيم بأحاديث الرسول ﷺ سمة في تفسيره، فجاء تفسيره «تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان» تفسيراً حافلاً بالنصوص الحديثية، والذي يؤكد اهتمامه بالحديث إدراكه للصلة الوثيقة بين الكتاب والسنة، فهو يقول في مقدمه التفسير (فالنظر لسياق الآيات مع العلم بأحوال الرسول وسيرته مع أصحابه وأعدائه وقت نزوله من أعظم ما يعين

---

(١) سنن أبي داود، ج: ٢، ص: ٢٦١.
(٢) الرسالة للإمام الشافعي، ص: ٨٨، تحقيق أحمد محمد شاكر.
(٣) سورة الشورى: الآيتان ٥٢ ـ ٥٣.
(٤) من أراد مزيداً من الأدلة، فليرجع لكتاب الرسالة للإمام الشافعي، ص: ٨٨ وما بعدها.
(٥) مقدمة في أصول التفسير لابن تيمية، ص: ٩٤، تحقيق عدنان زرزور.

على معرفته، وفهم المراد منه)[1].

ويتميز الشيخ في تفسيره بجودة اختياره وانتخابه للأحاديث التي يوردها في تفسيره، وتحريه وحرصه على الصحيح منها، وبعده وإعراضه كلياً عن الضعيف والمنكر من الأحاديث، مما لا يتناسب ولا يتفق مع تفسير كتاب الله تعالى، يلحظ هذا المتتبع للأحاديث التي أوردها في تفسيره ورده بشدة للقصص الإسرائيلية التي يوردها المفسرون في تفاسيرهم، يراجع كمثال على ذلك تفسيره لقصة بني إسرائيل في سورة البقرة.

ولا غرابة أن نجد من الشيخ عبد الرحمن بن سعدي هذه العناية الكبيرة بالحديث، فهو ذو قدم راسخة، وذو اهتمام أصيل بالحديث النبوي فقد تلقى الحديث عن شيخه علي بن ناصر أبو وادي، فأخذ عنه الصحاح الستة، وأجازه فيها وفي غيرها من المسانيد، وقد سلك الشيخ ابن سعدي طريق العلماء المتأخرين في إيراده الحديث المختصر الإسناد، فعند إيراده للحديث يسنده إلى الرسول ﷺ، دون ذكر من رواه من الصحابة، وقد يذكر اسم الصحابي الذي رواه عن رسول الله ﷺ، ولذلك فالملاحظ عليه أنه لم يخرج الأحاديث التي ذكرها في تفسيره، وإن كان يعزو بعضها إلى أصلها من الصحاح.

وهذه نماذج لبعض الأحاديث التي أوردها في تفسيره:

١ ـ قال عند تفسير قوله تعالى: ﴿فَاذْكُرُونِيٓ أَذْكُرْكُمْ﴾[2]، فأمر تعالى[3] بذكره ووعد عليه أفضل جزاء، وهو ذكره لمن ذكره، كما قال تعالى على لسان رسول الله ﷺ: (ومن ذكرني في نفسه ذكرته في نفسي ومن ذكرني في ملأ ذكرته في ملأ خير منهم)[4].

---

(١) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، جـ: ١، ص: ٤.

(٢) سورة البقرة: الآية ١٥٢.

(٣) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، جـ: ١، ص: ٨٤.

(٤) جزء من حديث أخرجه البخاري عن أبي هريرة في باب قول الله تعالى: ﴿ويحذركم الله نفسه﴾ انظر: فتح الباري جـ: ١٣، ص: ٧٨٤، وأخرجه مسلم في باب الحث على ذكر الله تعالى، من حديث أبي هريرة صحيح مسلم، جـ: ٨، ص: ٦٢.

٢ ـ عند تفسير قوله تعالى: ﴿وَلَا يَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ يَبْخَلُونَ بِمَآ ءَاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ هُوَ خَيْرًا لَّهُمْ ۖ بَلْ هُوَ شَرٌّ لَّهُمْ ۖ سَيُطَوَّقُونَ مَا بَخِلُوا۟ بِهِۦ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ ﴾[1].

قال رحمه الله تعالى: (أي ولا يظن الذين يبخلون أي يمنعون ما عندهم مما آتاهم الله من فضله من المال والجاه والعلم، وغير ذلك مما منحهم الله وأحسن إليهم به، وأمرهم ببذل ما لا يضرهم منه لعباده فبخلوا بذلك وأمسكوه وضنوا به على عباد الله، وظنوا أنه خير لهم بل هو شر لهم في دينهم ودنياهم، وعاجلهم وآجلهم، وسيطوقون ما بخلوا به يوم القيامة أي يجعل ما بخلوا به طوقاً في أعناقهم يعذبون به، كما ورد في الحديث الصحيح أن البخيل يمثل له ماله يوم القيامة شجاعاً أقرع له زبيبتان، يأخذ بلهزمته يقول: أنا مالك أنا كنزك، وتلا رسول الله ﷺ مصداق ذلك هذه الآية)[2]

٣ ـ عند تفسير قوله تعالى: ﴿۞ لَّا خَيْرَ فِى كَثِيرٍ مِّن نَّجْوَىٰهُمْ إِلَّا مَنْ أَمَرَ بِصَدَقَةٍ أَوْ مَعْرُوفٍ أَوْ إِصْلَـٰحٍۭ بَيْنَ ٱلنَّاسِ ۚ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ ٱبْتِغَآءَ مَرْضَاتِ ٱللَّهِ فَسَوْفَ نُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا ﴿١١٤﴾﴾[3].

قال رحمه الله تعالى: (أي لا خير في كثير مما يتناجى به الناس، ويتخاطبون، وإذا لم يكن فيه خير، فأما لا فائدة فيه كفضول الكلام المباح، وإما شر ومضرة محضة، كالكلام المحرم بجميع أنواعه، ثم استثنى تعالى فقال: ﴿إِلَّا مَنْ أَمَرَ بِصَدَقَةٍ ﴾ من مال أو علم أو أي نفع كان، بل لعله يدخل فيه العبادات القاصرة كالتسبيح والتحميد ونحوه، كما قال ﷺ: «إن بكل

---

(١) سورة آل عمران: الآية ١٨٠.

(٢) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، جـ: ١، ص: ٢٢٠ والحديث أخرجه البخاري في صحيحه في مواضع منها في باب آثم مانع الزكاة، جـ: ٣، ص: ٢٦٨ من الفتح، وفي باب ﴿ولا يحسبن الذي يبخلون بما آتاهم الله من فضله﴾ من كتاب التفسير، جـ: ٢، ص: ٢٣٠ الفتح، وفي باب ﴿والذين يكنزون الذهب والفضة﴾، من كتاب التفسير، جـ: ٨، ص: ٣٢٢، وفي باب في الزكاة وأن لا يفرق بين مجتمع ولا يجمع بين مفترق، جـ: ١٢، ص: ٣٣٠، وأخرجه مسلم في باب آثم مانع الزكاة، جـ: ٣، ص: ٧٤.

(٣) سورة النساء: الآية ١١٤.

تسبيحة صدقة، وكل تكبيرة صدقة، وكل تهليلة صدقة، وأمر بالمعروف صدقة، ونهي عن المنكر صدقة، وفي بضع أحدكم صدقة... الحديث)[1].

٤ ـ عند تفسير قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَٱبْتَغُوٓاْ إِلَيْهِ ٱلْوَسِيلَةَ وَجَٰهِدُواْ﴾[2] ضمن تفسيره لهذه الآية الحديث الوارد عن النبي ﷺ في محبة الله لعبده الذي يتقرب إليه بالأعمال الصالحة حتى يحبه، فإذا أحبه كان سمعه الذي يسمع به، وبصره الذي يبصر به، ويده التي يبطش بها، ورجله التي يمشي بها، دون أن يسند الحديث إلى الرسول ﷺ وإنما اقتبسه اقتباساً، وهذا الحديث أخرجه البخاري في باب التواضع عن أبي هريرة رضي الله عنه[3].

وقد سلك الشيخ عبد الرحمن السعدي في تفسيره هذا المسلك كثيراً، فهو يقتبس معنى الحديث أو لفظه، يورده أثناء تفسيره الآية أو الآيات دون إسناده إلى رسول الله ﷺ، مما يدل دلالة واضحة على حفظه لكثير من الأحاديث النبوية.

٥ ـ عند تفسير قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَن يَرْتَدَّ مِنكُمْ عَن دِينِهِۦ فَسَوْفَ يَأْتِى ٱللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُۥٓ أَذِلَّةٍ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ يُجَٰهِدُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَلَا يَخَافُونَ لَوْمَةَ لَآئِمٍ ...﴾ الآية[4].

أورد عند تفسيره لمحبة الله حديثاً صحيحاً، فقال رحمه الله (فإن محبة الله للعبد هي أجل نعمة أنعم بها عليه، وأفضل فضيلة تفضل الله بها عليه، وإذا أحب الله عبداً يسر له الأسباب، وهون عليه كل عسير ووفقه لفعل الخيرات وترك المنكرات، وأقبل بقلوب عباده إليه بالمحبة والوداد، ومن لوازم

---

(١) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، جـ: ٢، ص: ٧٧، والحديث الذي أورده الشيخ في تفسير آية سورة النساء أخرجه الإمام مسلم في باب بيان أن اسم الصدقة يقع على كل نوع من المعروف، جـ: ٣، ص: ٨٢.

(٢) سورة المائدة: الآية ٣٥.

(٣) انظر: فتح الباري، جـ: ١١، ص: ٣٤٠.

(٤) سورة المائدة: الآية ٥٤.

محبة العبد لربه أنه لا بد أن يتصف بمتابعة الرسول ﷺ ظاهراً وباطناً في أقواله وأعماله، وجميع أحواله، كما قال تعالى: ﴿قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِى يُحْبِبْكُمُ ٱللَّهُ﴾[1].

كما أن من لوازم محبة الله للعبد أن يكثر العبد من التقرب إلى الله بالفرائض والنوافل، كما قال النبي ﷺ في الحديث الصحيح عن الله (وما تقرب إليّ عبدي بشيء أحب إليّ مما افترضته عليه، ولا يزال عبدي يتقرب إليّ بالنوافل حتى أحبه، فإذا أحببته كنت سمعه الذي يسمع به، وبصره الذي يبصر به، ويده التي يبطش بها.. الحديث)[2].

٦ ـ عند تفسير قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَسْـَٔلُوا۟ عَنْ أَشْيَآءَ إِن تُبْدَ لَكُمْ تَسُؤْكُمْ وَإِن تَسْـَٔلُوا۟ عَنْهَا حِينَ يُنَزَّلُ ٱلْقُرْءَانُ تُبْدَ لَكُمْ عَفَا ٱللَّهُ عَنْهَا وَٱللَّهُ غَفُورٌ حَلِيمٌ ﴿١٠١﴾ قَدْ سَأَلَهَا قَوْمٌ مِّن قَبْلِكُمْ ثُمَّ أَصْبَحُوا۟ بِهَا كَٰفِرِينَ ﴿١٠٢﴾﴾[3].

أورد حديثاً صحيحاً بين فيه النهي عن كثرة المسائل فقال رحمه الله تعالى: (﴿قَدْ سَأَلَهَا قَوْمٌ مِّن قَبْلِكُمْ﴾ أي جنسها وشبهها سؤال تعنت لا استرشاد، فلما بينت لهم وجاءتهم ﴿أَصْبَحُوا۟ بِهَا كَٰفِرِينَ﴾ كما قال النبي ﷺ في الحديث الصحيح: (ما نهيتكم عنه فاجتنبوه وما أمرتكم به فأتوا منه ما استطعتم، فإنما أهلك من كان قبلكم كثرة مسائلهم واختلافهم على أنبيائهم))[4].

٧ ـ عند تفسير قوله تعالى: ﴿هَلْ يَنظُرُونَ إِلَّآ أَن تَأْتِيَهُمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ أَوْ يَأْتِىَ

---

(١) سورة آل عمران: الآية ٣١.

(٢) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، جـ: ٢، ص: ١٤٤ والحديث أخرجه البخاري في صحيحه في باب التواضع عن أبي هريرة جـ: ١١، ص: ٣٤٠، فتح الباري.

(٣) سورة المائدة: الآيتان ١٠١، ١٠٢.

(٤) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، جـ: ٢، ص: ١٦٤، والحديث أخرجه البخاري في صحيحه في باب الاقتداء بسنة الرسول ﷺ، من حديث أبي هريرة.
انظر: الفتح جـ: ١٣، ص: ٢٥١، وأخرجه مسلم في باب فرض الحج مرة في العمر، جـ: ٤، ص: ١٠٢.

رَبُّكَ أَوْ يَأْتِيَ بَعْضُ ءَايَٰتِ رَبِّكَ يَوْمَ يَأْتِي بَعْضُ ءَايَٰتِ رَبِّكَ لَا يَنفَعُ نَفْسًا إِيمَٰنُهَا لَمْ تَكُنْ ءَامَنَتْ مِن قَبْلُ أَوْ كَسَبَتْ فِيٓ إِيمَٰنِهَا خَيْرًا قُلِ ٱنتَظِرُوٓا۟ إِنَّا مُنتَظِرُونَ ﴿١٥٨﴾﴾[1].

ذكر أن بعض الآيات هو طلوع الشمس من مغربها، كما جاء في الحديث الصحيح، فقال رحمه الله تعالى: (﴿أَوْ يَأْتِيَ بَعْضُ ءَايَٰتِ رَبِّكَ﴾ الدالة على قرب الساعة ﴿يَوْمَ يَأْتِي بَعْضُ ءَايَٰتِ رَبِّكَ﴾ الخارقة للعادة التي يعلم بها أن الساعة قد دنت، وأن القيامة قد اقتربت ﴿بَعْضُ ءَايَٰتِ رَبِّكَ لَا يَنفَعُ نَفْسًا إِيمَٰنُهَا لَمْ تَكُنْ ءَامَنَتْ مِن قَبْلُ أَوْ كَسَبَتْ فِيٓ إِيمَٰنِهَا خَيْرًا قُلِ ٱنتَظِرُوٓا۟ إِنَّا مُنتَظِرُونَ﴾ أي إذا وجد بعض آيات الله لم ينفع الكافر إيمانه أن آمن، ولا المؤمن المقصر أن يزداد خيره بعد ذلك، بل ينفعه ما كان معه من الإيمان قبل ذلك، وما كان له من الخير الموجود قبل أن يأتي بعض الآيات والحكمة في هذا ظاهرة، فإنه إنما كان الإيمان ينفع إذا كان إيماناً بالغيب، وكان اختياراً من العبد، فأما إذا وجدت الآيات صار الأمر شهادة، ولم يبق للإيمان فائدة، لأنه يشبه الإيمان الضروري، كإيمان الغريق والحريق ونحوهما ممن إذا رأى الموت أقلع عما هو فيه، كما قال تعالى: ﴿فَلَمَّا رَأَوْا۟ بَأْسَنَا قَالُوٓا۟ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَحْدَهُۥ وَكَفَرْنَا بِمَا كُنَّا بِهِۦ مُشْرِكِينَ ﴿٨٤﴾ فَلَمْ يَكُ يَنفَعُهُمْ إِيمَٰنُهُمْ لَمَّا رَأَوْا۟ بَأْسَنَا ۖ سُنَّتَ ٱللَّهِ ٱلَّتِي قَدْ خَلَتْ فِي عِبَادِهِۦ﴾[2].

وقد تكاثرت الأحاديث الصحيحة عن النبي ﷺ أن المراد ببعض آيات الله طلوع الشمس من مغربها، وأن الناس إذا رأوها آمنوا فلم ينفعهم إيمانهم، ويغلق حينئذ باب التوبة)[3].

---

(١) سورة الأنعام: الآية ١٥٨.

(٢) سورة غافر: الآيتان ٨٤، ٨٥.

(٣) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، جـ: ٢، ص: ٢٣٥ والحديث الذي أشار إليه أخرجه البخاري في باب ﴿لا ينفع نفساً إيمانها﴾، من كتاب التفسير من صحيحه، جـ: ٨، ص: ٢٩٧، الفتح، وفي كتاب الرقاق جـ: ١١، ص: ٣٥٢ الفتح، وفي كتاب الفتن، جـ: ١٣، ص: ١٨٠ الفتح وأخرجه مسلم في صحيحه في باب الزمن الذي لا يقبل فيه الإيمان جـ: ١، ص: ٩٥.

٨ ـ عند تفسير قوله تعالى: ﴿وَأَعِدُّوا لَهُم مَّا ٱسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ﴾[١]، أورد أثناء تفسيره لهذه الآية الحديث الصحيح عن الرسول ﷺ بأن القوة الرمي، فقال رحمه الله تعالى: أي: ﴿وَأَعِدُّوا﴾ لأعدائكم الكفار الساعين في هلاككم، وإبطال دينكم، ﴿مَّا ٱسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ﴾ أي كل ما تقدرون عليه من القوة العقلية والبدنية، وأنواع الأسلحة ونحو ذلك مما يعين على قتالهم، فدخل في ذلك أنواع الصناعات التي تعمل فيها أصناف الأسلحة والآلات من المدافع والرشاشات والبنادق والطيارات الجوية والمراكب البرية والبحرية والقلاع والخنادق، وآلات الدفاع والرأي والسياسة التي بها يتقدم المسلمون، ويندفع به عنهم شر أعدائهم، وتعلم الرمي والشجاعة والتدابير، ولهذا قال النبي ﷺ: «ألا إن القوة الرمي» ومن ذلك الاستعداد بالمراكب المحتاج إليها عند القتال)[٢].

٩ ـ عند تفسير قوله تعالى: ﴿وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ طَرَفَيِ ٱلنَّهَارِ وَزُلَفًا مِّنَ ٱلَّيْلِ ۚ إِنَّ ٱلْحَسَنَٰتِ يُذْهِبْنَ ٱلسَّيِّـَٔاتِ ۚ﴾[٣].

أورد أثناء تفسيره لهذه الآية الحديث الصحيح عن الرسول ﷺ بأن الصلوات الخمس والجمعة إلى الجمعة ورمضان إلى رمضان مكفرات لما بينهن ما اجتنبت الكبائر، فقال رحمه الله تعالى:

(يأمر تعالى بإقامة الصلاة كاملة ﴿طَرَفَيِ ٱلنَّهَارِ﴾: أي أوله وآخره، ويدخل في هذا صلاة الفجر وصلاة الظهر والعصر ﴿وَزُلَفًا مِّنَ ٱلَّيْلِ﴾ ويدخل في ذلك صلاة المغرب والعشاء، ويتناول ذلك قيام الليل، فإنها مما تزلف العبد وتقربه إلى الله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلْحَسَنَٰتِ يُذْهِبْنَ ٱلسَّيِّـَٔاتِ﴾ أي فهذه الصلوات الخمس وما ألحق بها من التطوعات من أكبر الحسنات، وهي مع أنها حسنات

---

(١) سورة الأنفال: الآية ٦٠.

(٢) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، جـ: ٣، ص: ٨٨، والحديث أخرجه مسلم في باب فضل الرمي والحث عليه، جـ: ٦، ص: ٥٢، من حديث عقبة بن عامر، وأخرجه أبو داود في باب في الرمي من حديث عقبة بن عامر أيضاً.

(٣) سورة هود: الآية ١١٤.

تقرب إلى الله، وتوجب الثواب، فإنها تذهب السيئات وتمحوها، والمراد بذلك الصغائر، كما قيدتها الأحاديث الصحيحة عن النبي ﷺ، مثل قوله: الصلوات الخمس والجمعة إلى الجمعة ورمضان إلى رمضان، مكفرات لما بينهن، ما اجتنبت الكبائر)[1].

فالشيخ رحمه الله يفسر السيئات من هذه الآية بأن المراد بها صغائر الذنوب، ويدلل على تفسيره بهذا الحديث الذي أورده بل إنه رحمه الله يورد آية أخرى تفيد بأن المراد بالسيئات الصغائر وهي قوله تعالى: ﴿إِن تَجْتَنِبُوا۟ كَبَآئِرَ مَا تُنْهَوْنَ عَنْهُ نُكَفِّرْ عَنكُمْ سَيِّـَٔاتِكُمْ وَنُدْخِلْكُم مُّدْخَلًا كَرِيمًا ﴿٣١﴾﴾[2].

١٠ ـ عند تفسير قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ سَيَجْعَلُ لَهُمُ ٱلرَّحْمَٰنُ وُدًّا ﴿٩٦﴾﴾[3].

أورد حديثاً صحيحاً في محبة الله لعبده المؤمن، فقال رحمه الله تعالى: (هذا من نعمه على عباده الذين جمعوا بين الإيمان والعمل الصالح أن وعدهم أن يجعل لهم ودا، أي محبة ووداداً في قلوب أوليائه وأهل السماء والأرض، وإذا كان لهم في القلوب ود تيسر لهم كثير من أمورهم، وحصل لهم من الخبرات والدعوات والإرشاد والقبول والإمامة ما حصل، ولهذا ورد في الحديث الصحيح: «أن الله إذا أحب عبداً نادى جبريل أني أحب فلاناً فأحبه، فيحبه جبريل، ثم ينادي في أهل السماء: إن الله يحب فلاناً فأحبوه فيحبه أهل السماء، ثم يوضع له القبول في الأرض»، وإنما جعل لهم ودا لأنهم ودوه وأحبوه، فوددهم إلى أوليائه وأحبابه)[4].

---

(١) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، جـ: ٣، ص: ٢١٩، والحديث الذي أورده أخرجه الإمام مسلم في صحيحه من حديث أبي هريرة في باب الصلوات الخمس والجمعة إلى الجمعة ورمضان إلى رمضان مكفرات لما بينهن ما اجتنبت الكبائر، جـ: ١، ص: ١٤٤.

(٢) سورة النساء: الآية ٣١.

(٣) سورة مريم: الآية ٩٦.

(٤) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، جـ: ٥، ص: ٦٩، والحديث أخرجه=

١١ ـ عند تفسير قوله تعالى: ﴿اقْتَرَبَ لِلنَّاسِ حِسَابُهُمْ وَهُمْ فِي غَفْلَةٍ مُعْرِضُونَ ۝١﴾[1].

ذكر الحديث الصحيح عن النبي ﷺ: «بعثت أنا والساعة كهاتين» وقرن بين أصبعيه السبابة والتي تليها، فقال رحمه الله تعالى:

(وفي معنى قوله تعالى: ﴿اقْتَرَبَ لِلنَّاسِ حِسَابُهُمْ﴾ قولان:

أحدهما: أن هذه الأمة هي آخر الأمم ورسولها آخر الرسل، وعلى أمته تقوم الساعة، فقد قرب الحساب منها، بالنسبة لما قبلها من الأمم، لقوله ﷺ: بعثت أنا والساعة كهاتين، وقرن بين أصبعيه السبابة والتي تليها.

والقول الثاني: أن المراد بقرب الحساب الموت، وأن من مات قامت قيامته، ودخل في دار الجزاء على الأعمال، وأن هذا تعجب من كل غافل معرض لا يدري متى يفجأه الموت صباحاً أو مساءاً فهذه حالة الناس كلهم، إلاّ من أدركته العناية الربانية فاستعد للموت وما بعده)[2].

١٢ ـ عند تفسير قوله تعالى: ﴿الزَّانِي لَا يَنكِحُ إِلَّا زَانِيَةً أَوْ مُشْرِكَةً وَالزَّانِيَةُ لَا يَنكِحُهَا إِلَّا زَانٍ أَوْ مُشْرِكٌ وَحُرِّمَ ذَٰلِكَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ ۝٣﴾[3].

أورد الحديث الصحيح عن النبي ﷺ أنه قال: «لا يزني الزاني حين يزني

= البخاري في صحيحه في مواضع منها: في باب المقة من الله، من حديث أبي هريرة، جـ: ١٠، ص: ٥٦٥ الفتح، وفي باب كلام الرب مع جبريل، جـ: ١٣، ص: ٤٦١ الفتح، وأخرجه مسلم في صحيحه في باب إذا أحب الله عبداً حببه لعباده، جـ: ٨، ص: ٤٠.

(١) سورة الأنبياء: الآية ١.

(٢) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، جـ: ٥، ص: ١٠٣، والحديث أخرجه البخاري في صحيحه من حديث سهل بن سعد وأنس وأبي هريرة في باب قول النبي ﷺ: بعثت أنا والساعة كهاتين، جـ: ١١، ص: ٣٤٧، الفتح، وفي باب اللعان: جـ: ٩، ص: ٤٣٩، وفي تفسير سورة النازعات، جـ: ٨، ص: ٦٩١، والإمام مسلم في باب قرب الساعة، جـ: ٨، ص: ٢٠٨.

(٣) سورة النور: الآية ٣.

وهو مؤمن» فقال رحمه الله تعالى: (هذا بيان لرذيلة الزنا، وأنه يدنس عرض صاحبه، وعرض من قارنه ومازجه ما لا يفعله بقية الذنوب، فأخبر أن الزاني لا يقدم على نكاحه من النساء إلاّ أنثى زانية تناسب حاله حالها، أو مشركة بالله لا تؤمن ببعث ولا جزاء ولا تلتزم أمر الله، والزانية كذلك لا ينكحها إلاّ زان أو مشرك ﴿وَحُرِّمَ ذَٰلِكَ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ أي حرم عليهم أن ينكحوا زانياً أو ينكحوا زانية، إلى أن قال: وفي هذا دليل أن الزاني ليس مؤمنا، كما قال النبي ﷺ: «لا يزني الزاني حين يزني وهو مؤمن» فهو وإن لم يكن مشركاً فلا يطلق عليه اسم المدح الذي هو الإيمان المطلق[1].

١٣ ـ عند تفسير قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَدْخُلُواْ بُيُوتًا غَيْرَ بُيُوتِكُمْ حَتَّىٰ تَسْتَأْنِسُواْ وَتُسَلِّمُواْ عَلَىٰٓ أَهْلِهَا ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴿٢٧﴾﴾[2].

أثناء تفسيره لهذه الآية، أورد حديثين:.

أحدهما: في الحكمة من الاستئذان، وأنه إنما جعل الاستئذان من أجل البصر.

والحديث الثاني: في صفة السلام على أهل البيوت المراد دخولها بعد الاستئذان.

---

(١) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، جـ: ٥، ص: ١٩٢، والحديث الذي أورده أخرجه البخاري في مواضع من صحيحه منها: في باب النهي من كتاب المظالم عن أبي هريرة، جـ: ٥، ص: ١١٩ الفتح وفي كتاب الأشربة، باب في قوله تعالى: **﴿إنما الخمر والميسر والأنصاب والأزلام رجس﴾**، جـ: ١٠، ص: ٣٠، الفتح، وفي كتاب الحدود، باب الزنا وشرب الخمر، جـ: ١٢، ص: ٥٨ الفتح وفي باب إثم الزناة، جـ: ١٢، ص: ١١٢، عن ابن عباس.
ورواه مسلم في صحيحه من حديث أبي هريرة رضي الله عنه في باب بيان أنه لا يدخل الجنة إلاّ المؤمنون، من كتاب الإيمان، جـ: ١، ص: ٥٥، ورواه أبو داود في سننه عن أبي هريرة رضي الله عنه في باب الزيادة والنقصان من كتاب السنة، جـ: ٢، ص: ٢٧٠.

(٢) سورة النور: الآية ٢٧.

قال رحمه الله تعالى:

(يرشد الباري عباده المؤمنين أن لا يدخلوا بيوتاً غير بيوتهم بغير استئذان، فإن في ذلك عدة مفاسد، منها ما ذكره الرسول ﷺ، حيث قال: «إنما جعل الاستئذان من أجل البصر فبسبب الإخلال به يقع البصر على العورات التي داخل البيوت، فإن البيت للإنسان في ستر عورة ما وراءه بمنزلة الثوب في ستر عورة جسده ومنها أن ذلك يوجب الريبة من الداخل ويتهم بالشر سرقة أو غيرها، لأن الدخول خفية يدل على الشر.

ومنع الله المؤمنين من دخول غير بيوتهم ﴿حَتَّىٰ تَسْتَأْنِسُوا۟﴾ أي تستأذنوا، سمي الاستئذان استئناساً لأن به يحصل الاستئناس، وبعدمه تحصل الوحشة ﴿وَتُسَلِّمُوا۟ عَلَىٰٓ أَهْلِهَآ﴾ وصفة ذلك ما جاء في الحديث: «السلام عليكم. أأدخل» ﴿ذَٰلِكُمْ﴾ أي الاستئذان المذكور ﴿خَيْرٌ لَّكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾ لاشتماله على عدة مصالح وهو من مكارم الأخلاق الواجبة)[1].

١٤ ـ عند تفسير قوله تعالى: ﴿فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّآ أُخْفِىَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَآءًۢ بِمَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿١٧﴾﴾[2].

ذكر أثناء تفسيره لهذه الآية الحديث الذي فسر به رسول الله ﷺ هذه الآية، وهو قوله عليه الصلاة والسلام، عن ربه في الحديث القدسي: «أعددت

---

(١) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، ج: ٥، ص: ١٩٩.
وحديث «إنما جعل الاستئذان من أجل البصر» أخرجه البخاري في صحيحه في ثلاثة أبواب في باب الامتشاط من كتاب اللباس، ج: ١٠، ص: ٣٦٧، الفتح، وفي باب الاستئذان من أجل البصر، ج: ١١، ص: ٢٤، الفتح، وفي باب من اطلع في بيت قوم ففقأوا عينه فلا دية له، من كتاب الديات، ج: ١٢، ص: ٢٤٣.
وأخرجه مسلم في صحيحه في باب تحريم النظر في بيت غيره، ج: ٦، ص: ١٨١، وأخرجه أبو داود في سننه في باب: في الاستئذان، ج: ٢، ص: ٣٣٩، كلهم عن سهل بن سعد الساعدي، وحديث: «السلام عليكم. أأدخل» أخرجه أبو داود في سننه في باب: في الاستئذان عن كلدة ابن حنبل الجمحي، ج: ٢، ص: ٣٣٩، والترمذي في باب التسليم قبل الاستئذان، ج: ٧، ص: ٢٩٠ تحفة الأحوذي.

(٢) سورة السجدة: الآية ١٧.

لعبادي الصالحين ما لا عين رأت ولا أذن سمعت، ولا خطر على قلب بشر»، فقال رحمه الله تعالى: ﴿فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ﴾ يدخل فيه جميع نفوس الخلق لكونه نكرة في سياق النفي، أي فلا يعلم أحد ﴿مَّآ أُخْفِىَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ﴾ من الخير الكثير والنعيم الغزير، والفرح والسرور واللذة والحبور كما قال تعالى على لسان رسوله (أعددت لعبادي الصالحين ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر)، فكما صلوا في الليل ودعوا وأخفوا العمل، جازاهم من جنس عملهم، فأخفي أجرهم، ولهذا قال: ﴿جَزَآءًۢ بِمَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ﴾[1].

١٥ ـ عند تفسير قوله تعالى: ﴿وَٱلشُّهَدَآءُ عِندَ رَبِّهِمْ لَهُمْ أَجْرُهُمْ وَنُورُهُمْ ۖ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَكَذَّبُوا۟ بِـَٔايَـٰتِنَآ أُو۟لَـٰٓئِكَ أَصْحَـٰبُ ٱلْجَحِيمِ﴾[2].

بين رحمه الله الأجر والنور الذي أعده الله للشهداء بالحديث الصحيح الوارد عن النبي ﷺ: (إن في الجنة مائة درجة، ما بين كل درجتين كما بين السماء والأرض أعدها الله للمجاهدين في سبيله». فقال رحمه الله تعالى:

﴿وَٱلشُّهَدَآءُ عِندَ رَبِّهِمْ لَهُمْ أَجْرُهُمْ وَنُورُهُمْ ۖ﴾ كما ورد في الحديث الصحيح: إن في الجنة مائة درجة ما بين كل درجتين كما بين السماء والأرض، أعدها الله للمجاهدين في سبيله، وهذا يقتضي شدة علوهم ورفعتهم وقربهم من الله تعالى.

﴿وَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَكَذَّبُوا۟ بِـَٔايَـٰتِنَآ أُو۟لَـٰٓئِكَ أَصْحَـٰبُ ٱلْجَحِيمِ﴾ فهذه الآية

---

(١) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، جـ: ٦، ص: ٩١.
والحديث أخرجه البخاري في صحيحه في مواضع، في باب صفة الجنة وأنها مخلوقة من كتاب بدأ الخلق، من حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «أعددت لعبادي الصالحين ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر فاقرؤوا إن شئتم ﴿فلا تعلم نفس ما أخفي لهم من قرة أعين﴾» جـ: ٦، ص: ٣١٦، الفتح. وفي باب ﴿فلا تعلم نفس ما أخفي لهم من قرة أعين﴾ من كتاب التفسير، جـ: ٨، ص: ٥١٥، وفي كتاب التوحيد باب قول الله تعالى ﴿يريدون أن يبدلوا كلام الله﴾، جـ: ١٣، ص: ٤٦٥، الفتح، وأخرجه مسلم في صحيحه في كتاب الجنة وصفة نعيمها وأهلها جـ: ٨، ص: ١٤٣.

(٢) سورة الحديد: الآية ١٩.

جمعت أصناف الخلق المتصدقين والصديقين والشهداء وأصحاب الجحيم، فالمتصدقون الذين جُل عملهم الإحسان إلى الخلق، وبذل النفع لهم بغاية ما يمكنهم، خصوصاً بالنفع بالمال في سبيل الله، والصديقون هم الذين كملوا مراتب الإيمان والعمل الصالح والعلم النافع واليقين الصادق، والشهداء هم الذين قاتلوا في سبيل الله لإعلاء كلمة الله، وبذلوا أنفسهم وأموالهم فقتلوا. وأصحاب الجحيم هم الكفار الذين كذبوا بآيات الله، وبقي قسم ذكرهم الله في سورة فاطر، وهم المقتصدون الذين أدوا الواجبات وتركوا المحرمات، إلاّ أنهم حصل منهم بعض التقصير بحقوق الله، وحقوق عباده، فهؤلاء مآلهم الجنة، وإن حصل لبعضهم عقوبة ببعض ما فعل)[1].

هذه بعض الأحاديث التي أوردها الشيخ عبد الرحمن بن سعدي في تفسيره. أكتفى منها بهذا القدر، وهو كاف لمعرفة منهجه في تفسير القرآن بالسنة، وأنه رحمه الله تعالى حريص كل الحرص على إيضاح القرآن بالسنة، يعرف هذا المطلع على تفسيره.

---

(١) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، ج: ٨، ص: ٨٢.
وحديث: «إن في الجنة مائة درجة» أخرجه البخاري في صحيحه في موضعين:
الموضع الأول: في باب درجات المجاهدين في سبيل الله من كتاب الجهاد، من حديث أبي هريرة رضي الله عنه، ج: ٦، ص: ١١ الفتح.
والموضع الثاني: في باب: وكان عرشه على الماء وهو رب العرش العظيم من كتاب التوحيد، ج: ١٣، ص: ٤٠٤ الفتح.
وأخرجه الترمذي في باب ما جاء في صفة الجنة من حديث أبي هريرة ومعاذ بن جبل وعبادة بن الصامت رضي الله عنهم، وذلك دون إضافة هذه الدرجات للمجاهدين في سبيل الله. تحفة الأحوذي شرح جامع الترمذي، ج: ٧، ص: ٢٣٤ ـ ٢٣٧.

المبحث الرابع

منهجه في تفسير آيات الصفات

*** مقدمة:**

جرى الشيخ عبد الرحمن السعدي في تفسيره لآيات الصفات على مذهب السلف الصالح، وهو إثبات الصفات لله جلّ وعلا، على ما يليق به، وذلك بإجرائها على ظاهرها، ونفي الكيفية عنها، وجعل رحمه الله الكلام في الصفات فرع عن الكلام في الذات، ومعلوم أن إثبات الذات لرب العالمين إنما هو إثبات وجود لا إثبات كيفية، وتمثيل، فكذلك إثبات الصفات، إنما هو إثبات وجود لا إثبات تحديد وتكييف، فإذا قلنا لله يد وسمع وبصر، فإنما هي صفات أثبتها الله تعالى لنفسه، ولا نقول إن معنى اليد القدرة، ولا أن معنى السمع والبصر العلم، ولا نقول إنها جوارح، ولا نشبهها بصفات خلقه، وإنما نجريها على ظاهرها مع اعتقاد حقيقتها بغير تمثيل ولا تعطيل، ومن دون تكييف ولا تأويل، ومؤلفات الشيخ عبد الرحمن بن سعدي تؤكد ذلك، وسوف ترى ذلك عند العرض لنماذج من تفسيره لبعض صفات الله جلّ وعلا.

*** الصفة الأولى صفة الاستواء:**

التي دل عليها قوله تعالى: ﴿هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَ لَكُم مَّا فِى ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا ثُمَّ ٱسْتَوَىٰٓ إِلَى ٱلسَّمَآءِ﴾[1].

١ ـ قال ابن سعدي ﴿ٱسْتَوَىٰٓ﴾ ترد في القرآن على ثلاثة معاني، فتارة لا

(١) سورة البقرة: الآية ٢٩.

تعدى بالحرف فيكون معناها الكمال والتمام، كما في قوله تعالى عن موسى: ﴿وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُۥ وَٱسْتَوَىٰٓ﴾[1]، وتارة تكون بمعنى علا وارتفع، وذلك إذا عديت بعلى، كقوله تعالى: ﴿ٱلرَّحْمَٰنُ عَلَى ٱلْعَرْشِ ٱسْتَوَىٰ ۝٥﴾[2]، وتارة بمعنى قصد، كما إذا عديت بإلى كما في قوله تعالى: ﴿ثُمَّ ٱسْتَوَىٰٓ إِلَى ٱلسَّمَآءِ وَهِىَ دُخَانٌ﴾، أي لما خلق تعالى الأرض قصد إلى خلق السماوات، فسواهن سبع سماوات، فخلقها وأحكمها وأتقنها، وهو بكل شيء عليم، فيعلم ما يلج في الأرض ما يخرج منها، وما ينزل من السماء وما يعرج فيها ويعلم ما تسرون وما تعلنون، يعلم السر وأخفى، وكثيراً ما يقرن بين خلقه وإثبات علمه، كما في هذه الآية، وكما في قوله تعالى: ﴿أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ ٱللَّطِيفُ ٱلْخَبِيرُ ۝١٤﴾[3] لأن خلقه للمخلوقات أول دليل على علمه وحكمته وقدرته[4].

فالشيخ عبد الرحمن بن سعدي تبع في تفسيره هذه الآية الإمام ابن كثير رحمه الله، إذ يقول ابن كثير: (أي قصد إلى السماء والاستواء هنا مضمن معنى القصد والإقبال لأنه عدي بإلى ﴿فَسَوَّىٰهُنَّ﴾ أي فخلق السماء سبعاً، والسماء ههنا اسم جنس، فلهذا قال: ﴿فَسَوَّىٰهُنَّ سَبْعَ سَمَٰوَٰتٍ وَهُوَ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ﴾[5].

٢ ـ قال عند تفسيره لآية سورة الأعراف:

﴿إِنَّ رَبَّكُمُ ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ يُغْشِى ٱلَّيْلَ ٱلنَّهَارَ يَطْلُبُهُۥ حَثِيثًا﴾ الآية[6].

(يقول تعالى مبيناً أنه الرب المعبود وحده لا شريك له ﴿إِنَّ رَبَّكُمُ ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ﴾ وما فيهما على عظمهما وسعتهما وإحكامهما

---

(١) سورة القصص: الآية ١٤.
(٢) سورة طه: الآية ٥.
(٣) سورة الملك: الآية ١٤.
(٤) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، جـ: ١، ص: ٣١، ٣٢.
(٥) تفسير ابن كثير، جـ: ١، ص: ١١٧.
(٦) سورة الأعراف: الآية ٥٤.

وإتقانهما وبديع خلقهما ﴿فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ﴾ أولها يوم الأحد وآخرها يوم الجمعة، فلما قضاهما وأودع فيهما من أمره ما أودع (استوى) تبارك وتعالى على ﴿ٱلْعَرْشِ ٱلْعَظِيمِ﴾ الذي يسع السماوات والأرض وما فيهما وما بينهما، استوى استواءاً يليق بجلاله وعظمته وسلطانه، فاستوى على العرش، واحتوى على الممالك، وأجرى عليهم أحكامه الكونية وأحكامه الدينية)[1].

٣ ـ قال عند تفسيره لآية سورة يونس:

﴿إِنَّ رَبَّكُمُ ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ يُدَبِّرُ ٱلْأَمْرَ مَا مِن شَفِيعٍ إِلَّا مِنۢ بَعْدِ إِذْنِهِۦ ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمْ فَٱعْبُدُوهُ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴿٣﴾﴾[2].

قال رحمه الله تعالى: (يقول تعالى مبيناً لربوبيته وإلهيته وعظمته ﴿إِنَّ رَبَّكُمُ ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ﴾ مع أنه قادر على خلقها في لحظة واحدة، ولكن لما له في ذلك من الحكمة الإلهية ولأنه رفيق في أفعاله، ومن جملة حكمته فيها أنه خلقها بالحق وللحق، ليعرف بأسمائه وصفاته، ويفرد بالعبادة ﴿ثُمَّ﴾ بعد خلق السماوات والأرض ﴿ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ﴾ استواءاً يليق بعظمته ﴿يُدَبِّرُ ٱلْأَمْرَ﴾ في العالم العلوي والسفلي، من الإماتة والإحياء وإنزال الأرزاق، ومداولة الأيام بين الناس، وكشف الضر عن المضرورين وإجابة سؤال السائلين، فأنواع التدابير نازلة منه وصاعدة إليه، وجميع الخلق مذعنون لعزته، خاضعون لعظمته وسلطانه)[3].

٤ ـ قال عند تفسيره لآية سورة الرعد:

﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِى رَفَعَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَا ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ وَسَخَّرَ ٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ كُلٌّ يَجْرِى لِأَجَلٍ مُّسَمًّى يُدَبِّرُ ٱلْأَمْرَ يُفَصِّلُ ٱلْءَايَٰتِ لَعَلَّكُم بِلِقَآءِ رَبِّكُمْ تُوقِنُونَ ﴿٢﴾﴾[4].

---

(١) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، جـ: ٣، ص: ١٩.
(٢) سورة يونس: الآية ٣.
(٣) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، جـ: ٣، ص: ١٥٢.
(٤) سورة الرعد: الآية ٢.

قال رحمه الله تعالى: (يخبر تعالى عن انفراده بالخلق والتدبير والعظمة والسلطان، الدال على أنه وحده المعبود الذي لا تنبغي العبادة إلاّ له، فقال: ﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِى رَفَعَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ﴾ على عظمها واتساعها بقدرته العظيمة ﴿بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَا﴾ أي ليس لها عمد من تحتها، فإنه لو كان لها عمد لرأيتموها ﴿ثُمَّ﴾ بعد ما خلق السماوات والأرض، ﴿ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ﴾ العظيم استواءاً يليق بجلاله ويناسب كماله)[1].

٥ ـ قال عند تفسيره لآية سورة طه:

﴿ٱلرَّحْمَٰنُ عَلَى ٱلْعَرْشِ ٱسْتَوَىٰ ۝٥﴾[2].

قال رحمه الله تعالى: ﴿ٱلرَّحْمَٰنُ عَلَى ٱلْعَرْشِ﴾ الذي هو أرفع المخلوقات وأعظمها وأوسعها ﴿ٱسْتَوَىٰ﴾ استواءاً يليق بجلاله ويناسب عظمته وجماله، فاستوى على العرش واحتوى على الملك»[3].

٦ ـ قال في تفسير الآية من سورة (ألم) السجدة:

﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ مَا لَكُم مِّن دُونِهِۦ مِن وَلِىٍّ وَلَا شَفِيعٍ أَفَلَا تَتَذَكَّرُونَ ۝٤﴾[4].

(يخبر تعالى عن كمال قدرته، بأنه ﴿ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ﴾ أولها يوم الأحد، وآخرها يوم الجمعة مع قدرته على خلقها في لحظة، ولكنه تعالى رفيق حكيم ﴿ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ﴾ الذي هو سقف المخلوقات استواءاً يليق بجلاله)[5].

٧ ـ قال في تفسيره لآية سورة الحديد:

﴿هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ يَعْلَمُ مَا

---

(١) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، جـ: ٤، ص: ٤٢.
(٢) سورة طه: الآية ٥.
(٣) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، جـ: ٥، ص: ٧١.
(٤) سورة السجدة: الآية ٤.
(٥) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، جـ: ٦، ص: ٨٨.

يَلِجُ فِي ٱلْأَرْضِ وَمَا يَخْرُجُ مِنْهَا وَمَا يَنزِلُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ وَمَا يَعْرُجُ فِيهَا ۖ وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ ۚ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿٤﴾﴾[1].

قال رحمه الله تعالى: (﴿هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ﴾ وأولها يوم الأحد وآخرها يوم الجمعة ﴿ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ﴾ استواء يليق بجلاله فوق جميع خلقه)[2].

* الصفة الثانية: رؤية الله سبحانه وتعالى:

١ ـ قال عند تفسيره لآية سورة الأنعام:

﴿لَّا تُدْرِكُهُ ٱلْأَبْصَٰرُ وَهُوَ يُدْرِكُ ٱلْأَبْصَٰرَ ۖ وَهُوَ ٱللَّطِيفُ ٱلْخَبِيرُ ﴿١٠٣﴾﴾[3].

قال رحمه الله تعالى: (﴿لَّا تُدْرِكُهُ ٱلْأَبْصَٰرُ وَهُوَ يُدْرِكُ ٱلْأَبْصَٰرَ ۖ﴾ لعظمته وجلاله وكماله أي لا تحيط به الأبصار، وإن كانت تراه في الآخرة، وتفرح بالنظر إلى وجهه الكريم، فنفي الإدراك لا ينفي الرؤية، بل يثبتها بالمفهوم فإنه إذا نفي الإدراك الذي هو أخص أوصاف الرؤية دل على أن الرؤية ثابتة فإنه لو أراد نفي الرؤية لقال لا تراه الأبصار، ونحو ذلك، فعلم أنه ليس في الآية حجة لمذهب المعطلة الذين ينفون رؤية ربهم في الآخرة، بل فيها ما يدل على نقيض قولهم)[4].

٢ ـ قال عند تفسيره لآية سورة الأعراف:

﴿قَالَ رَبِّ أَرِنِىٓ أَنظُرْ إِلَيْكَ ۚ قَالَ لَن تَرَىٰنِى وَلَٰكِنِ ٱنظُرْ إِلَى ٱلْجَبَلِ فَإِنِ ٱسْتَقَرَّ مَكَانَهُۥ فَسَوْفَ تَرَىٰنِى ۚ فَلَمَّا تَجَلَّىٰ رَبُّهُۥ لِلْجَبَلِ جَعَلَهُۥ دَكًّا وَخَرَّ مُوسَىٰ صَعِقًا ۚ فَلَمَّآ أَفَاقَ قَالَ سُبْحَٰنَكَ تُبْتُ إِلَيْكَ وَأَنَا۠ أَوَّلُ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾[5].

﴿قَالَ رَبِّ أَرِنِىٓ أَنظُرْ إِلَيْكَ ۚ﴾ قال الله: ﴿لَن تَرَىٰنِى﴾ أي لن تقدر الآن

---

(١) سورة الحديد: الآية ٤.
(٢) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، جـ: ٨، ص: ٧٦.
(٣) سورة الأنعام: الآية ١٠٣.
(٤) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، جـ: ٢، ص: ٢٠٩.
(٥) سورة الأعراف: الآية ١٤٣.

على رؤيتي، فإن الله تبارك وتعالى أنشأ الخلق في هذه الدار على نشأة لا يقدرون بها، ولا يثبتون لرؤية الله، وليس في هذا دليل على أنهم لا يرونه في الجنة، فإنه قد دلّت النصوص القرآنية والأحاديث النبوية على أن أهل الجنة يرون ربهم تبارك وتعالى، ويتمتعون بالنظر إلى وجهه الكريم، وأنه ينشئهم نشأة كاملة، يقدرون معها على رؤية الله تبارك وتعالى، ولهذا رتب الله الرؤية في هذه الآية على ثبوت الجبل، فقال مقنعاً لموسى في عدم إجابته للرؤية، ﴿وَلَٰكِنِ ٱنظُرْ إِلَى ٱلْجَبَلِ فَإِنِ ٱسْتَقَرَّ مَكَانَهُۥ فَسَوْفَ تَرَىٰنِى﴾[1].

٣ ـ قال عند تفسيره لآية سورة يونس:

﴿۞ لِّلَّذِينَ أَحْسَنُوا۟ ٱلْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ ۖ وَلَا يَرْهَقُ وُجُوهَهُمْ قَتَرٌ وَلَا ذِلَّةٌ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلْجَنَّةِ ۖ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿٢٦﴾﴾[2].

﴿لِّلَّذِينَ أَحْسَنُوا۟ ٱلْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ ۖ﴾ أي للذين أحسنوا في عبادة الخالق، بأن عبدوه على وجه المراقبة والنصيحة في عبوديته، وقاموا بما قدروا عليه منها، وأحسنوا إلى عباد الله بما يقدرون عليه من الإحسان القولي والفعلي، من بذل الإحسان المالي، والإحسان البدني، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وتعليم الجاهلين، ونصيحة المعرضين، وغير ذلك من وجوه البر والإحسان، فهؤلاء الذين أحسنوا لهم الحسنى وهي الجنة الكاملة في حسنها وزيادة، وهي النظر إلى وجهه الكريم، وسماع كلامه، والفوز برضاه، والبهجة بقربه، فبهذا حصل لهم أعلى ما يتمناه المتمنون ويسأله السائلون»[3].

٤ ـ قال عند تفسيره لآيتي سورة القيامة:

﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ ﴿٢٢﴾ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ ﴿٢٣﴾﴾[4].

(أي ينظرون إلى ربهم، حسب مراتبهم، منهم من ينظره كل يوم بكرة

---

(١) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، جـ: ٣، ص: ٤٦.
(٢) سورة يونس: الآية ٢٦.
(٣) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، جـ: ٣، ص: ١٦٠.
(٤) سورة القيامة: الآيتان ٢٢، ٢٣.

وعشياً، ومنهم من ينظره كل جمعة مرة واحدة، فيتمتعون بالنظر إلى وجهه الكريم، وجماله الباهر الذي ليس كمثله شيء، فإذا رأوه نسوا ما هم فيه من النعيم، وحصل لهم من اللذة والسرور ما لا يمكن التعبير عنه، ونضرت وجوههم فازدادوا جمالاً إلى جمالهم، فنسأل الله الكريم أن يجعلنا معهم)[1].

٥ ـ قال عند تفسيره لآية سورة المطففين:

﴿كَلَّآ إِنَّهُمْ عَن رَّبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَّمَحْجُوبُونَ ﴿١٥﴾﴾[2].

(فذكر لهم ثلاثة أنواع من العذاب عذاب الجحيم، وعذاب التوبيخ وعذاب الحجاب عن رب العالمين، المتضمن لسخطه وغضبه عليهم، وهو أعظم عليهم من عذاب النار، ودل مفهوم الآية على أن المؤمنين يرون ربهم يوم القيامة، وفي الجنة، ويتلذذون بالنظر إليه أعظم من سائر اللذات ويبتهجون بخطابه ويفرحون بقربه، كما ذكر الله ذلك في عدة آيات من القرآن، وتواتر فيه النقل عن رسول الله ﷺ)[3].

* الصفة الثالثة: صفة العلو:

١ ـ قال عند تفسيره لآية سورة البقرة:

﴿وَسِعَ كُرْسِيُّهُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ ۖ وَلَا يَـُٔودُهُۥ حِفْظُهُمَا ۚ وَهُوَ ٱلْعَلِىُّ ٱلْعَظِيمُ﴾[4].

(ثم أخبر عن عظمته وجلاله، وأن كرسيه وسع السماوات والأرض، وأنه قد حفظهما ومن فيهما من العوالم بالأسباب والنظامات التي جعلها الله في المخلوقات، ومع ذلك فلا يؤوده، أي يثقله حفظهما لكمال عظمته واقتداره وسعة حكمته في أحكامه ﴿وَهُوَ ٱلْعَلِىُّ﴾ بذاته على جميع مخلوقاته، وهو العلي بعظمة صفاته، وهو العلي الذي قهر المخلوقات، ودانت له الموجودات،

---

(١) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، ج: ٨، ص: ١٩٦.
(٢) سورة المطففين: الآية ١٥.
(٣) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، ج: ٨، ص: ٢٢٥.
(٤) سورة البقرة: الآية ٢٥٥.

وخضعت له الصعاب، وذلّت له الرقاب «العظيم» الجامع لجميع صفات العظمة والكبرياء والمجد والبهاء)[1].

فالشيخ ابن سعدي يفسر علو الله على خلقه بأنه علو قدر، وعلو قهر، وعلو ذات، على ما يليق بجلال الله وعظمته، دون الخوض في المسائل الكلامية حول هذا الموضوع، وهذا هو مذهب السلف في أسماء الله وصفاته.

يقول الإمام ابن كثير رحمه الله تعالى عند تفسيره لآية الكرسي ما نصه (فقوله: ﴿وَهُوَ ٱلْعَلِيُّ ٱلْعَظِيمُ﴾ كقوله: وهو ﴿ٱلْكَبِيرُ ٱلْمُتَعَالِ﴾ وهذه الآيات وما في معناها من الأحاديث الصحاح الأجود فيها طريقة السلف الصالح، أمروها كما جاءت من غير تكييف ولا تشبيه)[2].

كما أن محيي السنة البغوي فسر هذه الجملة من آية الكرسي على مذهب السلف الصالح، فقال رحمه الله ما نصه: (﴿وَهُوَ ٱلْعَلِيُّ﴾ الرفيع فوق خلقه، والمتعالي عن الأشباه والأنداد، وقيل العلي بالملك والسلطنة)[3].

٢ ـ قال عند تفسير قوله تعالى من سورة النحل:

﴿يَخَافُونَ رَبَّهُم مِّن فَوْقِهِمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ ۩ ﴿٥٠﴾﴾[4].

(لما مدحهم بكثرة الطاعة والخضوع لله، مدحهم بالخوف من الله الذي هو فوقهم بالذات والقهر، وكمال الأوصاف، فهم أذلاء تحت قهره)[5].

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله عند تفسير قوله تعالى: ﴿سَبِّحِ ٱسْمَ رَبِّكَ ٱلْأَعْلَى ﴿١﴾﴾[6] (وإن سألت فقلت أين هو؟ فجوابنا أنه فوق السماء كما أخبر في التنزيل عن نفسه، بذلك، فقال ـ عز من قائل ـ: ﴿ءَأَمِنتُم مَّن فِي ٱلسَّمَآءِ﴾[7]، وإشارة المسلمين بأيديهم عند الدعاء في رفعها إليه وأنك لو سألت

---

(١) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، جـ: ١، ص: ١٥٢.
(٢) تفسير ابن كثير، جـ: ١، ص: ٥٥١.
(٣) تفسير البغوي، هامش على تفسير الخازن، جـ: ١، ص: ٢٢٨.
(٤) سورة النحل: الآية ٥٠.
(٥) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، جـ: ٤، ص: ١٠٢.
(٦) سورة الأعلى: الآية ١.
(٧) سورة الملك: الآية ١٦.

صغيرهم وكبيرهم فقلت: أين الله؟ لقالوا: إنه في السماء ولم ينكروا لفظ السؤال بأين، لأن النبي ﷺ سأل الجارية التي عرضت للعتق، فقال: أين الله؟ فقالت: في السماء، مشيرة بأصبعها فقال النبي ﷺ: «أعتقها فإنها مؤمنة»[1].

ولو كان ذلك قولا منكراً لم يحكم بإيمانها، ولأنكره عليها، ومعنى ذلك أنه فوق السماء، لأن في بمعنى فوق، قال الله تعالى: ﴿فَسِيحُواْ فِي ٱلْأَرْضِ﴾[2] أي فوقها، وهو سبحانه وصف نفسه بالعلو، وهو من صفات المدح له بذلك والتعظيم، ولأنه من صفات الكمال، كما مدح نفسه بأنه العظيم والعليم والقدير والحليم، ونحو ذلك، وأنه الحي القيوم ونحو ذلك من أسمائه الحسنى، فلا يجوز أن يتصف بأضداد هذه.

فلا يجوز أن يوصف بضد الحياة والقيومية والعلم والقدرة، مثل الموت والنوم والجهل والعجز واللغوب، ولا بضد العزة وهو الذل، ولا بضد الحكمة وهو السفه، فكذلك لا يوصف بضد العلو وهو السفل، ولا بضد العظيم وهو الحقير، بل هو سبحانه منزه عن هذه النقائص المنافية لصفات الكمال الثابتة له، فثبوت صفات الكمال له ينفي اتصافه بأضدادها وهي النقائص، وهو سبحانه ليس كمثله شيء فيما وصف به من صفات الكمال فهو منزه عن النقص المضاد لكماله، ومنزه عن أن يكون له مثل في شيء من صفاته، ومعاني التنزيه ترجع إلى هذين الأصلين، وقد دل عليهما سورة الإخلاص التي تعدل ثلث القرآن، بقوله: ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ۝١ ٱللَّهُ ٱلصَّمَدُ ۝٢﴾[3]، فاسمه الصمد، يجمع معاني صفات الكمال المستوجب لصفات السؤدد، العليم الذي قد كمل في علمه، الحكيم الذي قد كمل في حكمته، إلى غير ذلك من أوصاف الكمال.

---

(١) حديث أخرجه الإمام مسلم في كتاب الصلاة، في باب تحريم الكلام في الصلاة ونسخ ما كان من إباحته، وأخرجه أبو داود في سننه في كتاب الصلاة باب تشميت العاطس في الصلاة من حديث معاوية بن الحكم السلمي.

(٢) سورة التوبة: الآية ٢.

(٣) سورة الإخلاص: الآيتان ١، ٢.

والمقصود أن علوه سبحانه من صفات المدح اللازمة له، فلا يجوز اتصافه بضد العلو البتة، ولهذا قال النبي ﷺ في الحديث الصحيح (أنت الأول فليس قبلك شيء، وأنت الآخر فليس بعدك شيء، وأنت الظاهر فليس فوقك شيء، وأنت الباطن فليس دونك شيء)[1] ولم يقل تحتك، وإذا كان كذلك، فالمخالفون للكتاب والسنة، وما كان عليه السلف لا يجعلونه متصفاً بالعلو دون السفول، بل إما أن يصفوه بالعلو والسفول، أو بما يستلزم ذلك، وإما أن ينفوا عنه العلو والسفول وهم نوعان:

فالجهمية القائلون بأنه بذاته في كل مكان، أو بأنه لا داخل العالم ولا خارجه، ولا يصفونه بالعلو دون السفول، فإنه إذا كان في مكان فالأمكنة فيها عال وسافل، فهو في العالي عال، وفي السافل سافل، بل إذا قالوا إنه في كلّ مكان فجعلوا الأمكنة كلّها محال له ظروفاً وأوعية، جعلوها في الحقيقة أعلى منه، فإن المحل يحوي الحال والظرف والوعاء يحوي المظروف الذي فيه، والحاوي فوق المحوي.

والسلف والأئمة وسائر علماء السنة إذا قالوا إنه فوق العرش، وأنه في السماء فوق كل شيء، لا يقولون إن هناك شيئاً يحويه أو يحصره، أو يكون محلاً أو ظرفاً ووعاء، سبحانه وتعالى عن ذلك، بل هو فوق كل شيء، وهو مستغن عن كل شيء، وكل شيء مفتقر إليه، وهو عال على كل شيء، وهو الحامل للعرش ولحملة العرش بقوته وقدرته وكّل مخلوق مفتقر إليه، وهو غني عن العرض، وعن كل مخلوق، وما في الكتاب والسنة من قوله: ﴿ءَأَمِنتُم مَّن فِي ٱلسَّمَآءِ﴾[2]، ونحو ذلك، قد يفهم منه بعضهم أن السماء وهي نفس المخلوق العالي، العرش فما دونه، فيقولون قوله في السماء بمعنى على السماء، وكما قال: ﴿وَلَأُصَلِّبَنَّكُمْ فِي جُذُوعِ ٱلنَّخْلِ﴾[3] أي على جذوع النخل وكما

---

(١) الحديث أخرجه الإمام مسلم في كتاب الذكر والدعاء، باب ما يقول عند النوم، وأخذ المضجع، جـ: ٨، ص: ٧٨.

(٢) سورة الملك: الآية ١٦.

(٣) سورة طه: الآية ٧١.

قال: ﴿فَسِيرُواْ فِي ٱلْأَرْضِ﴾[1] أي على الأرض، ولا حاجة إلى هذا، بل السماء اسم جنس للعالي لا يخص شيئاً، فقوله: ﴿فِي ٱلسَّمَآءِ﴾ أي في العلو دون السفل وهو العلي الأعلى، فله أعلى العلو، وهو ما فوق العرش، وليس هناك غيره العلي)[2]، الأعلى سبحانه وتعالى.

* الصفة الرابعة: صفة الكلام لله سبحانه وتعالى:

١ ـ قال بعد تفسيره لآية سورة البقرة:

﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَٰٓئِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي ٱلْأَرْضِ خَلِيفَةً قَالُوٓاْ أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ ٱلدِّمَآءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ﴾ الآية[3].

قال رحمه الله تعالى: (وفي هذه الآيات من العبر والآيات إثبات الكلام لله تعالى، وأنه لم يزل متكلماً يقول ما شاء، ويتكلم بما شاء، وأنه عليم حكيم)[4].

٢ ـ قال عند تفسيره لآية سورة البقرة:

﴿تِلْكَ ٱلرُّسُلُ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ مِّنْهُم مَّن كَلَّمَ ٱللَّهُ﴾[5].

(يخبر الباري أنه فاوت بين الرسل في الفضائل الجليلة والتخصيصات الجميلة بحسب ما من الله به عليهم، وقاموا به من الإيمان الكامل واليقين الراسخ، والأخلاق العالية، والآداب السامية، والدعوة والتعليم والنفع العميم، فمنهم من اتخذه خليلاً، ومنهم من كلمه تكليماً ومنهم من رفعه فوق الخلائق درجات)[6].

---

(١) سورة آل عمران: الآية ١٣٧، وسورة: النحل الآية٣٦.
(٢) مجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية، جـ: ١٦، ص: ٣٦ ـ ١٠١.
(٣) سورة البقرة: الآية ٣٠.
(٤) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، جـ: ١، ص: ٣٤.
(٥) سورة البقرة: الآية ٢٥٣.
(٦) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، جـ: ١، ص: ١٥٠.

٣ ـ قال عند تفسيره لآية سورة النساء:

﴿وَرُسُلًا قَدْ قَصَصْنَٰهُمْ عَلَيْكَ مِن قَبْلُ وَرُسُلًا لَّمْ نَقْصُصْهُمْ عَلَيْكَ ۚ وَكَلَّمَ ٱللَّهُ مُوسَىٰ تَكْلِيمًا ﴿١٦٤﴾﴾[1].

قال رحمه الله تعالى: (ولما ذكر اشتراكهم بوحيه، ذكر تخصيص بعضهم فقال: إنه تعالى آتى داود الزبور، وهو الكتاب المعروف المزبور الذي خص به داود عليه السلام لفضله وشرفه، وأنه كلم موسى تكليماً أي مشافهة منه إليه لا بواسطة، حتى اشتهر بهذا عند العالمين فيقال موسى كليم الرحمن)[2].

٤ ـ قال بعد تفسير قوله تعالى من سورة التوبة:

﴿وَإِنْ أَحَدٌ مِّنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ٱسْتَجَارَكَ فَأَجِرْهُ حَتَّىٰ يَسْمَعَ كَلَٰمَ ٱللَّهِ﴾[3].

(وفي هذا حجة صريحة لمذهب أهل السنة والجماعة القائلين بأن القرآن كلام الله غير مخلوق، لأنه تعالى هو المتكلم به، وأضافه إلى نفسه إضافة الصفة إلى موصوفها، وبطلان مذهب المعتزلة ومن أخذ بقولهم أن القرآن مخلوق، وكم من الأدلة الدالة على بطلان هذا القول ليس هذا محل ذكرها»[4].

٥ ـ قال أثناء تفسيره لآية سورة مريم.

﴿وَٱذْكُرْ فِى ٱلْكِتَٰبِ مُوسَىٰٓ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ مُخْلَصًا وَكَانَ رَسُولًا نَّبِيًّا ﴿٥١﴾ وَنَٰدَيْنَٰهُ مِن جَانِبِ ٱلطُّورِ ٱلْأَيْمَنِ وَقَرَّبْنَٰهُ نَجِيًّا ﴿٥٢﴾﴾[5].

(وفي هذا إثبات الكلام لله تعالى، وأنواعه من النداء والنجاء كما هو مذهب أهل السنة والجماعة، خلافاً لمن أنكر ذلك من الجهمية والمعتزلة ومن نحا نحوهم)[6].

---

(١) سورة النساء: الآية ١٦٤.

(٢) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، جـ: ٢، ص: ١٠٣.

(٣) سورة التوبة: الآية ٦.

(٤) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، جـ: ٣، ص: ٩٧.

(٥) سورة مريم: الآيتان ٥١، ٥٢.

(٦) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، جـ: ٥، ص: ٥٧.

فمذهب السلف من أهل السنة والجماعة في آيات الصفات يتلخص في أمرين:

أحدهما: تنزيه الله جل وعلا عن مشابهة الحوادث في صفاتهم سبحانه وتعالى علوا كبيرا.

الثاني: الإيمان بكل ما وصف الله به نفسه في كتابه أو وصفه به رسوله، لأنه لا يصف الله أعلم بالله من الله ﴿ءَأَنتُمْ أَعْلَمُ أَمِ ٱللَّهُ﴾[1].

ولا يصف الله بعد الله أعلم بالله من رسول الله ﷺ الذي قال فيه: ﴿وَمَا يَنطِقُ عَنِ ٱلْهَوَىٰٓ ۝٣ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْىٌ يُوحَىٰ ۝٤﴾[2].

فالله تعالى لم يزل متكلماً إذا شاء، والكلام صفة له قائمة بذاته سبحانه وتعالى، ويتكلم بمشيئته وقدرته، فهو لم يزل ولا يزال متكلماً إذا شاء، وما تكلم الله به فهو قائم به ليس مخلوقاً منفصلاً عنه، ولا لازماً لذاته لزوم الحياة، بل هو تابع لمشيئته وقدرته، والله نادى موسى بصوت ونادى آدم وحواء بصوت، وينادي عباده يوم القيامة بصوت ويتكلم بالوحي بصوت، ولكن الحروف والأصوات التي تكلم الله بها صفة له غير مخلوقة، ولا تشبه أصوات المخلوقين وحروفهم، كما أن علم الله القائم بذاته ليس مثل علم عباده، فإن الله لا يماثل المخلوقين في شيء من صفاته.

ولهذا قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله تعالى: (والقول في مسألة كلام الله تعالى واضطراب الناس فيها مبني على هذا الأصل[3]، فإنها من مسائل الصفات، وقد اضطرب الناس فيها اضطراباً كثيراً قد بيناه في غير هذا الموضع، وبينا أن سلف الأمة وأئمتها كانوا على الإيمان الذي بعث الله به نبيه ﷺ، يصفون الله بما وصف به نفسه، وبما وصفه به رسوله من غير

---

(١) سورة البقرة: الآية ١٤٠.

(٢) سورة النجم: الآيتان ٣، ٤.

(٣) الأصل الذي أشار إليه شيخ الإسلام هو قوله في كلام سبق، وجماع القول في إثبات الصفات هو أن يوصف الله بما وصف به نفسه، وما وصفه به رسوله.
مجموع الفتاوي، ج: ٦، ص: ٥١٥.

تحريف ولا تعطيل، ومن غير تكييف ولا تمثيل، ويقولون القرآن كلام الله تعالى، ويصفون الله بما وصف به نفسه من التكليم والمناجاة والمناداة، وما جاءت به السنن والآثار موافقة لكتاب الله تعالى، فلم يكن في الصحابة والتابعين لهم بإحسان إلى يوم الدين، وسائر أئمة المسلمين من قال إن كلام الله مخلوق خلقه في غيره، ولم يقم به كلام، كما قالته الجهمية من المعتزلة وغيرهم، بل لما أظهروا هذه البدعة اشتد نكير السلف والأئمة لها، وعرفوا أن حقيقتها أن الله لا يتكلم ولا يأمر ولا ينهى، إذ كان الكلام وسائر الصفات إنما يعود حكمها إلى من قامت به، فلو خلق كلاما في الشجرة ﴿إِنَّنِيٓ أَنَا ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا﴾[1] لكان ذلك كلاماً للشجرة، وكانت هي القائلة: ﴿إِنَّنِيٓ أَنَا ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا فَٱعْبُدْنِي﴾ بمنزلة الكلام الذي تنطق به الجلود حين قال لها أصحابها: ﴿لِمَ شَهِدتُّمْ عَلَيْنَا قَالُوٓاْ أَنطَقَنَا ٱللَّهُ ٱلَّذِيٓ أَنطَقَ كُلَّ شَيْءٍ﴾[2].

وكذلك قوله تعالى: ﴿وَسَخَّرْنَا مَعَ دَاوُۥدَ ٱلْجِبَالَ﴾[3] فلو كان تكلمه بمعنى أنه خلق كلاماً في غيره لكان كل كلام في الوجود كلامه، لأنه خالقه، وكذلك صرح بذلك الحلولية من الجهمية، كما يذكر عن ابن عربي صاحب الفصوص والفتوحات»[4].

* الصفة الخامسة: صفة المجيء لله تعالى:

١ ـ قال عند تفسيره لآية سورة البقرة:

﴿هَلْ يَنظُرُونَ إِلَّآ أَن يَأْتِيَهُمُ ٱللَّهُ فِي ظُلَلٍ مِّنَ ٱلْغَمَامِ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَقُضِيَ ٱلْأَمْرُ ۚ وَإِلَى ٱللَّهِ تُرْجَعُ ٱلْأُمُورُ ﴿٢١٠﴾﴾[5].

---

(١) سورة طه: الآية ١٤.

(٢) سورة فصلت: الآية ٢١.

(٣) سورة الأنبياء: الآية ٧٩.

(٤) مجموع فتاوي شيخ الإسلام ابن تيمية، جمع عبد الرحمن بن قاسم، طبعة الرياض، جـ: ٦، ص: ٥١٨.

(٥) سورة البقرة: الآية ٢١٠.

(وهذه الآية وما أشبهها، دليل لمذهب أهل السنة والجماعة، المثبتين للصفات الاختيارية، كالاستواء والنزول والمجيء، ونحو ذلك من الصفات التي أخبر بها تعالى عن نفسه، وأخبر بها عنه رسول الله ﷺ، فيثبتونها على وجه يليق بجلال الله وعظمته من غير تشبيه ولا تحريف خلافاً للمعطلة على اختلاف أنواعهم من الجهمية والمعتزلة والأشعرية ونحوهم، ممن ينفي هذه الصفات، ويتأول لأجلها الآيات بتأويلات ما أنزل الله بها من سلطان، بل حقيقتها القدح في بيان الله، وبيان رسوله والزعم بأن كلامهم هو الذي تحصل به الهداية في هذا الباب.

فهؤلاء ليس معهم دليل نقلي، بل ولا دليل عقلي، أما النقلي فقد اعترفوا أن النصوص الواردة في الكتاب والسنة ظاهرها بل صريحها دال على مذهب أهل السنة والجماعة، وأنها تحتاج لدلالتها على مذهبهم الباطل أن تخرج عن ظاهرها، ويزاد فيها وينقص، وهذا كما ترى لا يرتضيه من في قلبه مثقال ذرة من إيمان.

وأما العقل: فليس في العقل ما يدل على نفي هذه الصفات، بل العقل دل على أن الفاعل أكمل من الذي لا يقدر على الفعل، وأن فعله تعالى المتعلق بنفسه والمتعلق بخلقه، هو كمال، فإن زعموا أن إثباتها يدل على التشبيه بخلقه، قيل لهم: الكلام على الصفات يتبع الكلام على الذات، فكما أن لله ذاتا لا تشبهها الذوات فلله صفات لا تشبهها الصفات، فصفاته تبع لذاته، وصفات خلقه تبع لذواتهم، فليس في إثباتها ما يقتضي التشبيه بوجه.

ويقال أيضاً لمن أثبت بعض الصفات ونفى بعضاً، أو أثبت الأسماء دون الصفات، إما أن تثبت الجميع كما أثبته الله لنفسه، وأثبته رسوله، وإما أن تنفي الجميع، وتكون منكراً لرب العالمين، وأما إثباتك بعض ذلك ونفيك لبعضه، فهذا تناقض، ففرق بين ما أثبته وبين ما نفيته، ولن تجد إلى الفرق سبيلاً.

فإن قلت: ما أثبته لا يقتضي تشبيها، قال لك أهل السنة والإثبات لما نفيته لا يقتضي تشبيها.

فإن قلت: لا أعقل من الذي نفيته إلاّ التشبيه، قال لك النفاة: ونحن لا

نعقل من الذي أثبته إلاّ التشبيه، فما أجبت به النفاة أجابك به أهل السنة لما نفيته.

والحاصل أن من نفى شيئاً وأثبت شيئاً مما دل الكتاب والسنة على إثباته فهو متناقض لا يثبت له دليل شرعي ولا عقلي، بل قد خالف المعقول والمنقول[1].

٢ ـ قال عند تفسير قوله تعالى من سورة الأنعام:

﴿هَلْ يَنظُرُونَ إِلَّآ أَن تَأْتِيَهُمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ أَوْ يَأْتِىَ رَبُّكَ أَوْ يَأْتِىَ بَعْضُ ءَايَٰتِ رَبِّكَ ۗ يَوْمَ يَأْتِى بَعْضُ ءَايَٰتِ رَبِّكَ لَا يَنفَعُ نَفْسًا إِيمَٰنُهَا﴾[2].

(وفي هذه الآية دليل لمذهب أهل السنة والجماعة في إثبات الأفعال الاختيارية لله تعالى، كالاستواء والنزول والإتيان لله تبارك وتعالى من غير تشبيه له بصفات المخلوقين، وفي الكتاب والسنة من هذا شيء كثير)[3].

٣ ـ قال عند تفسيره لآية سورة الفجر:

﴿وَجَآءَ رَبُّكَ وَٱلْمَلَكُ صَفًّا صَفًّا ﴿٢٢﴾﴾[4].

(ويجيء الله لفصل القضاء بين عباده في ظلل من الغمام، وتجيء الملائكة الكرام أهل السماوات كلهم صفاً صفا، أي صفاً بعد صف، كل سماء يجيء ملائكتها صفاً يحيطون بمن دونهم من الخلق)[5].

فالشيخ عبد الرحمن بن سعدي يفسر مجيء الله بهذه الآيات، بأنه مجيء حقيقة، ويرد على المخالفين من الجهمية والمعطلة، وهذا مذهب السلف الصالح في أسماء الله وصفاته، ففي صفة المجيء يقرون بأن الله سبحانه يجيء حقيقة يوم القيامة لفصل القضاء والملائكة صفوف إجلالا وتعظيماً له، وعند

---

(١) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، ج: ١، ص: ١٢٣.
(٢) سورة الأنعام: الآية ١٥٨.
(٣) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، ج: ٣، ص: ٢٣٦
(٤) سورة الفجر: الآية ٢٢.
(٥) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، ج: ٨، ص: ٢٤٢.

مجيئه تنشق السماء بالغمام كما أفادته الآية ﴿وَيَوْمَ تَشَقَّقُ ٱلسَّمَآءُ بِٱلْغَمَٰمِ وَنُزِّلَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ تَنزِيلًا ﴿٢٥﴾﴾[1].

فهو سبحانه يجيء ويأتي وينزل ويدنو، وهو فوق العرش بائن من خلقه، واعتقاد أن مجيئه وإتيانه من جنس مجيء المخلوقين وإتيانهم نزوع إلى التشبيه، ربما أفضى إلى الإنكار والتعطيل.

* الصفة السادسة: صفة المشيئة والإرادة:

١ ـ قال عند تفسيره لآية سورة الأنعام:

﴿سَيَقُولُ ٱلَّذِينَ أَشْرَكُوا۟ لَوْ شَآءَ ٱللَّهُ مَآ أَشْرَكْنَا وَلَآ ءَابَآؤُنَا وَلَا حَرَّمْنَا مِن شَىْءٍ ۚ كَذَٰلِكَ كَذَّبَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ حَتَّىٰ ذَاقُوا۟ بَأْسَنَا ۗ قُلْ هَلْ عِندَكُم مِّنْ عِلْمٍ فَتُخْرِجُوهُ لَنَآ ۖ إِن تَتَّبِعُونَ إِلَّا ٱلظَّنَّ وَإِنْ أَنتُمْ إِلَّا تَخْرُصُونَ ﴿١٤٨﴾ قُلْ فَلِلَّهِ ٱلْحُجَّةُ ٱلْبَٰلِغَةُ ۖ فَلَوْ شَآءَ لَهَدَىٰكُمْ أَجْمَعِينَ ﴿١٤٩﴾﴾[2].

(هذا إخبار من الله أن المشركين سيحتجون على شركهم، وتحريمهم ما أحل الله بالقضاء والقدر، ويجعلون مشيئة الله الشاملة لكل شيء من الخير والشر حجة لهم في دفع اللوم عنهم، وقد قالوا ما أخبر الله أنهم سيقولون كما قال في الآية الأخرى: ﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ أَشْرَكُوا۟ لَوْ شَآءَ ٱللَّهُ مَا عَبَدْنَا مِن دُونِهِۦ مِن شَىْءٍ نَّحْنُ وَلَآ ءَابَآؤُنَا وَلَا حَرَّمْنَا مِن دُونِهِۦ مِن شَىْءٍ ۚ كَذَٰلِكَ فَعَلَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ ۚ فَهَلْ عَلَى ٱلرُّسُلِ إِلَّا ٱلْبَلَٰغُ ٱلْمُبِينُ ﴿٣٥﴾﴾[3].

فأخبر تعالى أن هذه الحجة لم تزل الأمم المكذبة تدفع بها عنهم دعوة الرسل، ويحتجون بها، فلم تجد فيهم شيئاً، ولم تنفعهم فلم يزل هذا دأبهم، حتى أهلكهم الله وأذاقهم بأسه، فلو كانت حجة صحيحة لدفعت عنهم العقاب، ولما أحل الله بهم العذاب، لأنه لا يحل بأسه إلاّ بمن استحقه، فعلم أنها حجة فاسدة وشبهة كاسدة من عدة أوجه:

---

(١) سورة الفرقان: الآية ٢٥.
(٢) سورة الأنعام: الآيتان ١٤٨، ١٤٩.
(٣) سورة النحل: الآية ٣٥.

منها ما ذكر الله من أنها لو كانت صحيحة لم تحل بهم العقوبة. ومنها أن الحجة لا بد أن تكون حجة مستندة إلى العلم والبرهان فأما إذا كانت مستندة إلى مجرد الظن والخرص الذي لا يغني من الحق شيئاً فإنها باطلة، ولهذا قال: ﴿قُلْ هَلْ عِندَكُم مِّنْ عِلْمٍ فَتُخْرِجُوهُ لَنَآ﴾ فلو كان لهم علم وهم خصوم ألداء لأخرجوه، فلما لم يخرجوه علم أنه لا علم عندهم: ﴿إِن تَتَّبِعُونَ إِلَّا ٱلظَّنَّ وَإِنْ أَنتُمْ إِلَّا تَخْرُصُونَ﴾.

ومن بنى حججه على الخرص والظن، فهو مبطل خاسر، فكيف إذا بناها على البغي والعناد والشر والفساد.

ومنها أن الحجة لله البالغة التي لم تبق لأحد عذرا، والتي اتفقت عليها الأنبياء والرسل والكتب الإلهية والآثار النبوية والعقول الصحيحة والفطر المستقيمة، والأخلاق القويمة، فعلم بذلك أن كلّ ما خالف هذه الآية القاطعة باطل، لأن نقيض الحق لا يكون إلاّ باطلاً.

ومنها أن الله تعالى أعطى كل مخلوق قدرة، وإرادة يتمكن بها من فعل ما كلف به، فلا أوجب الله على أحد ما لا يقدر على فعله ولا حرم على أحد ما لا يتمكن من تركه، فالاحتجاج بعد هذا بالقضاء والقدر ظلم محض وعناد صرف.

ومنها أن الله تعالى لم يجبر العباد على أفعالهم، بل جعل أفعالهم تبعاً لاختيارهم، فإن شاؤوا فعلوا، وإن شاؤوا كفوا، وهذا أمر مشاهد لا ينكره إلاّ من كابر وأنكر المحسوسات، فإن كل أحد يفرق بين الحركة الاختيارية والحركة القسرية، وإن كان الجميع داخلاً في مشيئة الله، ومندرجاً تحت إرادته.

ومنها أن المحتجين على المعاصي بالقضاء والقدر يتناقضون في ذلك، فإنهم لا يمكنهم أن يطردوا ذلك، بل لو أساء إليهم مسيء بضرب أو أخذ مال، أو نحو ذلك، واحتج بالقضاء والقدر لما قبلوا منه هذا الاحتجاج، ولغضبوا من ذلك أشد الغضب، فيا عجبا كيف يحتجون به على معاصي الله ومساخطه، ولا يرضون من أحد أن يحتج به في مقابلة مساخطهم.

ومنها أن احتجاجهم بالقضاء والقدر ليس مقصوداً، ويعلمون أنه ليس بحجة، وإنما المقصود منه دفع الحق، ويرون أن الحق بمنزلة الصائل فهم يدفعونه بكل ما يخطر ببالهم من الكلام المصيب عندهم والمخطئ»[1].

٢ ـ قال عند تفسيره لآية سورة النحل:

﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ أَشْرَكُوا۟ لَوْ شَآءَ ٱللَّهُ مَا عَبَدْنَا مِن دُونِهِۦ مِن شَىْءٍ نَّحْنُ وَلَآ ءَابَآؤُنَا وَلَا حَرَّمْنَا مِن دُونِهِۦ مِن شَىْءٍ كَذَٰلِكَ فَعَلَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ ۚ فَهَلْ عَلَى ٱلرُّسُلِ إِلَّا ٱلْبَلَٰغُ ٱلْمُبِينُ ﴿٣٥﴾﴾[2].

«أي احتج المشركون على شركهم بمشيئة الله، وأن الله لو شاء ما أشركوا، ولا حرموا شيئاً من الأنعام التي أحلها، كالبحيرة والوصيلة والحام ونحوها ﴿مِن دُونِهِۦ﴾ وهذه حجة باطلة فإنها لو كانت حقاً ما عاقب الله الذين من قبلهم، حيث أشركوا به، فعاقبهم أشد العقاب، فلو كان يحب ذلك منهم لما عذبهم، وليس قصدهم بذلك إلاّ رد الحق الذي جاء به الرسل، وإلاّ فعندهم علم أنه لا حجة لهم على الله، فإن الله أمرهم ونهاهم ومكنهم من القيام بما كلفهم، وجعل لهم قوة ومشيئة تصدر عنها أفعالهم.

فاحتجاجهم بالقضاء والقدر من أبطل الباطل، هذا وكل أحد يعلم بالحس قدرة الإنسان على كل فعل يريده من غير أن ينازعه منازع، فجمعوا بين تكذيب الله، وتكذيب رسله، وتكذيب الأمور العقلية والحسية»[3].

٣ ـ قال عند تفسيره لآية سورة المدثر:

﴿وَمَا يَذْكُرُونَ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ ۚ هُوَ أَهْلُ ٱلتَّقْوَىٰ وَأَهْلُ ٱلْمَغْفِرَةِ ﴿٥٦﴾﴾[4].

«فإن مشيئة الله نافذة عامة، لا يخرج عنها حادث قليل ولا كثير، ففيها

---

(١) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، جـ: ٢، ص: ٢٣٠.
(٢) سورة النحل: الآية ٣٥.
(٣) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، جـ: ٤، ص: ٩٨.
(٤) سورة المدثر: الآية ٥٦.

رد على القدرية الذين لا يدخلون أفعال العباد تحت مشيئة الله، والجبرية الذين يزعمون أنه ليس للعبد مشيئة ولا فعل حقيقة، وإنما هو مجبور على أفعاله، فأثبت تعالى للعباد مشيئة حقيقة، وفعلاً جعل ذلك تابعاً لمشيئته»[1].

٤ ـ قال عند تفسيره لآية سورة التكوير:

﴿وَمَا تَشَآءُونَ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٢٩﴾﴾[2].

(أي فمشيئته نافذة لا يمكن أن تعارض أو تمانع، وفي هذه الآية وأمثالها رد على فرقتي القدرية النفاة، والقدرية المجبرة كما تقدم من أمثالها والله أعلم، والحمد لله)[3].

ففي تفسيره لهذه الآيات نراه رحمه الله تعالى فصل الحديث عن القضاء والقدر، لأن الإيمان بالقدر خيره وشره أحد الأركان الستة التي يدور عليها فلك الإيمان، كما دل على ذلك حديث جبريل وغيره وكما دلّت عليه الآيات الصريحة من كتاب الله عز وجل.

* الصفة السابعة: صفة الساق لله سبحانه وتعالى:

قال في تفسيره لآية سورة (ن):

﴿يَوْمَ يُكْشَفُ عَن سَاقٍ وَيُدْعَوْنَ إِلَى ٱلسُّجُودِ فَلَا يَسْتَطِيعُونَ ﴿٤٢﴾﴾[4].

(أي إذا كان يوم القيامة، وانكشف فيه من القلاقل والزلازل والأهوال ما لا يدخل تحت الوهم، وأتى الباري لفصل القضاء بين عباده ومجازاتهم، فكشف عن ساقه الكريمة التي لا يشبهها شيء ورأى الخلائق من جلال الله وعظمته ما لا يمكن التعبير عنه، فحينئذ يدعون إلى السجود لله، فيسجد المؤمنون الذين كانوا يسجدون لله طوعاً واختياراً، ويذهب الفجار المنافقون

---

(١) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، ج: ٨، ص: ١٩٣.
(٢) سورة التكوير: الآية ٢٩.
(٣) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، ج: ٨، ص: ٢٢٢.
(٤) سورة ن: الآية ٤٢.

ليسجدوا فلا يقدرون على السجود، وتكون ظهورهم كصياصي البقر، لا يستطيعون الانحناء وهذا الجزاء من جنس عملهم، فإنهم كانوا يدعون في الدنيا إلى السجود لله وتوحيده وعبادته وهم سالمون، لا علة فيهم، فيستكبرون عن ذلك ويأبون)[1].

بهذا التفسير لصفة الساق لله سبحانه، يتضح لنا أن الشيخ عبد الرحمن بن سعدي رحمه الله سلفي العقيدة، يجري الصفات مجرى الذات، كما يجريها أهل السنة والجماعة، من سلف هذه الأمة رحمهم الله تعالى.

وبهذا التفسير لصفة الساق يكون رحمه الله مقتدياً برسول الله ﷺ في تفسيره لهذه الصفة، فقد أخرج البخاري في صحيحه من حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «يكشف ربنا عن ساقه فيسجد له كل مؤمن ومؤمنة، ويبقى من كان يسجد في الدنيا رياء وسمعة فيذهب ليسجد، فيعود ظهره طبقاً واحداً»[2].

وبعد:

فهذه أمثلة من تفسير الشيخ عبد الرحمن بن سعدي رحمه الله تعالى في تفسيره لبعض آيات صفات الله سبحانه وتعالى، جرى فيها على مذهب أهل السنة والجماعة، وقد اكتفى في بيانه بوجيز العبارة من غير تطويل ممل، ولا إيجاز مخل، وهو رحمه الله وإن لم يتعرض لكثير من آراء أهل السنة والجماعة بالشرح والبيان، لأنه يعتقد رحمه الله كما أوضح ذلك في مقدمة تفسيره (أن المفسرين قد كفوا من بعدهم)، ومع هذا فتفسيره جاء وسطاً بين حاجة العلماء، وحاجة من دونهم من العامة، فهو ليس بالصعب الذي لا ترتقي إليه أفهام العامة، ولا بالسهل الذي لا يجد فيه العلماء بعض بغيتهم، بل جمع بين هذا وذاك، وأظن أنه حين لم يفصل الحديث في العقائد إنما كان يخاطب طائفة من أهل السنة والجماعة، لم يكن بينهم منازع أو خصم، فيكتفي رحمه الله بالعبارة الوجيزة، والإشارة الدقيقة.

---

(١) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، جـ: ٨، ص: ١٦٠.

(٢) أخرجه البخاري في كتاب التفسير، باب يوم يكشف عن ساق، جـ: ٨، ص: ٦٦٣ الفتح، وأخرجه مسلم في صحيحه، باب معرفة طريق الرؤية، جـ: ١، ص: ١١٥.

المبحث الخامس

مباحث علوم القرآن في تفسيره

*** مقدمة:**

أشرت فيما سبق أثناء الكلام على منهج ابن سعدي في تفسيره أنه تعرض لكثير من مباحث علوم القرآن، وهي المباحث المتعلقة بكتاب الله عز وجل، من حيث أسباب النزول، والمكي والمدني، والناسخ والمنسوخ، والمحكم والمتشابه.

ومما لا شك فيه أن كل تفسير يعتمد على هذه المباحث، ذلك أن العلم بها من شروط المفسر الذي يرغب في تفسير كتاب الله، وهي من تمام تفسير كتاب الله تعالى، وقد تفاوتت درجة اهتمام الشيخ ابن سعدي بتلك العلوم بين التناول السريع والوقوف الطويل.

ولكن المهم أنه عرض لها، وعني ببعضها في مواضعها المناسبة، وهو رحمه الله قد اعتمد في عرضه لهذه العلوم على المأثور من أقوال الصحابة دون مناقشة.

فمن هذه المباحث التي أشار إليها، مبحث أول ما نزل من القرآن، حيث قال رحمه الله عند تفسيره لسورة العلق، ما نصه:

(وهذه السورة أوّل السور القرآنية نزولاً على رسول الله ﷺ، فإنها نزلت في مبادئ النبوة، إذ كان لا يدري ما الكتاب ولا الإيمان فجاءه جبريل عليه السلام بالرسالة، وأمره أن يقرأ فاعتذر، وقال: ما أنا بقارئ، فلم يزل به حتى

قرأ، فأنزل الله: ﴿اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ ۝١﴾[1] عموم الخلق، ثم خص الإنسان، وذكر ابتداء خلقه ﴿مِنْ عَلَقٍ ﴾[2] هذا بالنسبة لأول ما نزل، أما آخر ما نزل فلم يتطرق إليه الشيخ بتفسيره.

ومباحث علوم القرآن واسعة، ولا يمكن الوقوف عليها واستقصاؤها كلها، ولهذا سأقف على أبرز موضوعات علوم القرآن التي تعرض لها الشيخ ابن سعدي في تفسيره.

أولاً: أسباب النزول

نزل القرآن الكريم على رسول الله ﷺ منجماً حسب الحوادث والوقائع، وحاجات المسلمين، وإجابة على أسئلتهم، وهذا النوع من الآيات والسور مرتبط بأسباب خاصة نزل بسببها، والعبرة كما هو الصحيح من أقوال العلماء بعموم اللفظ لا بخصوص السبب، فإذا نزلت الآية بسبب خاص، فإن لفظها يعم هذا السبب، وما يندرج تحت عموم اللفظ.

وهناك قسم آخر من القرآن الكريم نزل من الله ابتداءاً من غير سبب نزول خاص، وإنما نزل هداية للخلق وإرشاداً لهم، وتوجيها لما فيه سعادتهم في الدنيا والآخرة، وذلك كثير في القرآن الكريم، كالآيات التي اشتملت على الآداب، وقصص الأنبياء والمرسلين.

وقد اهتم بهذا القسم ـ أسباب النزول ـ بعض العلماء منذ وقت مبكر، وذكر السيوطي أهم من ألفوا فيه، فقال رحمه الله تعالى:

(أفرده بالتصنيف جماعة أقدمهم علي بن المديني شيخ البخاري، ومن أشهر الكتب المؤلفة فيه كتاب الواحدى على ما فيه من إعواز، وقد اختصره الجعبري، فحذف أسانيده، ولم يزد عليه شيئاً، وألف فيه شيخ الإسلام أبو الفضل ابن حجر كتاباً، مات عنه مسودة، فلم نقف عليه كاملاً، وقد ألفت فيه

---

(١) سورة العلق: الآية ١.

(٢) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، جـ: ٨، ص: ٢٥٤.

كتاباً حافلاً موجزاً محرراً لم يؤلف مثله في هذا النوع، سميته لباب النقول في أسباب النزول)[1].

وطريق معرفة سبب النزول النقل الصحيح بالرواية والسماع ممن شهدوا التنزيل من الصحابة رضي الله عنهم، ومن أخذ منهم من التابعين، ولذلك يقول الإمام الواحدي:

(ولا يحل القول في أسباب نزول الكتاب إلاّ بالرواية والسماع ممن شاهدوا التنزيل، ووقفوا على الأسباب، وبحثوا عن علمها، وجدوا في الطلاب، وقد ورد الشرع بالوعيد للجاهل ذي العثار في هذا العلم بالنار)[2].

ثم ذكر بسنده الأثر المروي عن ابن سيرين (قال: سألت عبيدة عن آية في القرآن فقال اتق الله، وقل سداداً، ذهب الذين يعلمون فيما أنزل القرآن)[3].

وسبب النزول مهم، لأن بعض الآيات لا يفهم تفسيرها إلاّ بمعرفة سبب نزولها، كما أن سبب النزول يعين على فهم الحكمة التي اشتمل عليها التشريع، يقول شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله:

(ومعرفة سبب النزول يعين على فهم الآية، فإن العلم بالسبب يورث العلم بالمسبب)[4].

بعد هذا كله طبعي أن نجد الشيخ ابن سعدي رحمه الله عالماً بأسباب النزول للآيات والسور التي ترتبط بسبب خاص في نزولها، لأنها كما أوضحنا من لوازم التفسير، وبيان المراد من تلك الآيات والسور، وقد تميز تفسير ابن سعدي بذكر كثير من أسباب النزول، وهو أمر يتفق مع منهجه رحمه الله بالتفسير بالمأثور، واعتماده في أسباب النزول على الأحاديث النبوية، والمأثور من أقوال الصحابة رضي الله عنهم.

---

(١) الإتقان في علوم القرآن، جـ: ١، ص: ٨٢.
(٢) أسباب النزول للواحدى، ص: ٤.
(٣) أسباب النزول للواحدى، ص: ٤.
(٤) مقدمة في أصول التفسير لابن تيمية، ص: ٤٧.

ونورد بعض الأمثلة لتوضيح طريقة ابن سعدي في ذكره لأسباب النزول:

١ ـ أورد الشيخ عبد الرحمن بن سعدي في تفسير قوله تعالى: ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ﴾[١].

قال رحمه الله إن هذه الآية نزلت جواب سؤال، سأل النبي ﷺ بعض أصحابه، فقالوا: يا رسول الله.. أقريب ربنا فنناجيه، أم بعيد فنناديه؟، فنزلت[٢].

وذلك دون أن يسند هذا الأثر عن الصحابي الذي رواه، وقد ذكره ابن جرير بسنده عن الصلت بن حكيم عن أبيه عن جده، أن سائلاً سأل النبي ﷺ فقال: يا محمد، أقريب ربنا فنناجيه أم بعيد فنناديه فنزلت»[٣].

وذكر ابن كثير رحمه الله أن ابن أبي حاتم أخرجه، وأن أعرابياً قال: يا رسول الله، أقريب ربنا فنناجيه أم بعيد فنناديه؟ فسكت النبي ﷺ، فأنزل الله: ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ ...﴾[٤].

٢ ـ وفي سبب نزول قوله تعالى: ﴿لَيْسَ لَكَ مِنَ الْأَمْرِ شَيْءٌ أَوْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ أَوْ يُعَذِّبَهُمْ فَإِنَّهُمْ ظَالِمُونَ ﴿١٢٨﴾﴾[٥].

يورد الشيخ عبد الرحمن بن سعدي، أنه لما أصيب ﷺ يوم أحد، وكسرت رباعيته، وشج في رأسه، جعل يقول كيف يفلح قوم شجوا وجه نبيهم، وكسروا رباعيته، فأنزل الله تعالى هذه الآية[٦].

والسبب الذي أشار إليه الشيخ في نزول الآية أخرجه البخاري في صحيحه معلقاً عن أنس بن مالك، ووصله الإمام مسلم رحمه الله عن طريق

---

(١) سورة البقرة: الآية ١٨٦.
(٢) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، جـ: ١، ص: ١٠٨.
(٣) تفسير ابن جرير، جـ: ٢، ص: ١٥٨.
(٤) تفسير ابن كثير، جـ: ١، ص: ٣٨٤.
(٥) سورة آل عمران: الآية ١٢٨.
(٦) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، جـ: ١، ص: ١٩٨.

ثابت عن أنس، كما وصله الترمذي عن طريق حميد عن أنس بن مالك رضي الله عنه.

فقال الإمام مسلم رحمه الله: (حدثنا عبد الله بن مسلمة بن قعنب[1] حدثنا حماد بن سلمة[2] عن ثابت[3] عن أنس بن مالك، أن رسول الله ﷺ كسرت رباعيته يوم أحد وشج في رأسه، فجعل يسلت الدم عن وجهه، ويقول: «كيف يلفح قوم شجوا نبيهم وكسروا رباعيته، وهو يدعوهم إلى الله، فأنزل الله عز وجل: ﴿لَيْسَ لَكَ مِنَ ٱلْأَمْرِ شَيْءٌ﴾[4].

٣ ـ وفي قوله تعالى: ﴿وَلَوْلَا فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكَ وَرَحْمَتُهُۥ لَهَمَّت طَّآئِفَةٌ مِّنْهُمْ أَن يُضِلُّوكَ وَمَا يُضِلُّونَ إِلَّآ أَنفُسَهُمْ وَمَا يَضُرُّونَكَ مِن شَيْءٍ﴾ الآية[5].

ذكر الشيخ رحمه الله أن سبب نزولها أن أهل بيت سرقوا في المدينة فلما اطلع على سرقتهم خافوا الفضيحة، وأخذوا سرقتهم فرموها ببيت من هو بريء من ذلك، فاستعان السارق بقومه أن يأتوا رسول الله ﷺ ويطلبوا منه أن

---

(١) عبد الله بن مسلمة بن قعنب القعنبي الحارثي، أبو عبد الرحمن البصري أصله من المدينة وسكنها مدة، ثقة عابد، كان ابن معين وابن المديني لا يقدمان عليه في الموطأ أحداً، من صغار التاسعة، مات في أول سنة إحدى وعشرين ومائة بمكة، وحديثه عند البخاري ومسلم والترمذي وأبو داود والنسائي، ا.هـ. تقريب التهذيب، جـ: ١، ص: ٤٥١.

(٢) حماد بن سلمة بن دينار البصري أبو سلمة، ثقة عابد، أثبت الناس في ثابت، وتغير حفظه بآخرهُ، من كبار الثامنة، مات سنة سبع وستين ومائة، وحديثه عن البخاري معلقاً، وعند مسلم، وعند الجماعة، سوى الشيخين، ا.هـ. من تقريب التهذيب، جـ: ١، ص: ١٩٧.

(٣) ثابت بن أسلم البناني بضم الموحدة، ونونين مخففتين، أبو محمد البصري، ثقة عابد، من الرابعة، مات سنة بضع وعشرين ومائة، وله ست وثمانون، وحديثه عند الجماعة. ا.هـ. من تقريب التهذيب، جـ: ١، ص: ١١٥.

(٤) انظر: صحيح البخاري، باب ليس لك من الأمر شيء، من كتاب المغازي، جـ: ٧، ص: ٣٦٥، الفتح، وصحيح مسلم، باب غزوة أحد، جـ: ٥، ص: ١٧٩، وتحفة الأحوذي شرح جامع الترمذي، تفسير سورة آل عمران جـ: ٨، ص: ٣٥٥.

(٥) سورة النساء: الآية ١١٣.

يبرئ صاحبهم على رؤوس الناس وقالوا: إنه لم يسرق، وإنما الذي سرق من وجدت السرقة ببيته وهو البريء، فهم رسول الله ﷺ أن يبرئ صاحبهم فأنزل الله هذه الآيات تذكيراً وتبييناً لتلك الواقعة، وتحذيراً للرسول ﷺ من المخاصمة عن الخائنين[1].

هذا ما ذكره الشيخ السعدي في سبب نزول هذه الآية وما قبلها من الآيات، من قوله تعالى: ﴿إِنَّآ أَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ لِتَحْكُمَ بَيْنَ ٱلنَّاسِ بِمَآ أَرَىٰكَ ٱللَّهُ وَلَا تَكُن لِّلْخَآئِنِينَ خَصِيمًا ﴿١٠٥﴾﴾... إلى قوله تعالى: ﴿وَلَوْلَا فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكَ وَرَحْمَتُهُۥ لَهَمَّت طَّآئِفَةٌ مِّنْهُمْ أَن يُضِلُّوكَ﴾.

وهذا السبب الذي أورده ابن سعدي أخرجه الترمذي في جامعه في تفسير سورة النساء، كما أخرجه الحاكم في مستدركه وقال في آخره «هذا حديث صحيح على شرط مسلم ولم يخرجاه وأخرجه ابن جرير في تفسيره[2].

٤ ـ أورد الشيخ عبد الرحمن بن سعدي في سبب نزول قوله تعالى من سورة المائدة: ﴿لَيْسَ عَلَى ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ جُنَاحٌ فِيمَا طَعِمُوٓا۟ إِذَا مَا ٱتَّقَوا۟ وَّءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ ثُمَّ ٱتَّقَوا۟ وَّءَامَنُوا۟ ثُمَّ ٱتَّقَوا۟ وَّأَحْسَنُوا۟ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٩٣﴾﴾[3].

فقال رحمه الله: (لما نزل تحريم الخمر والنهي الأكيد والتشديد فيه، تمنى أناس من المؤمنين أن يعلموا حال إخوانهم الذين ماتوا على الإسلام قبل تحريم الخمر، وهم يشربونها، فأنزل الله هذه الآية، وأخبر تعالى أنه: ﴿لَيْسَ عَلَى ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ جُنَاحٌ﴾ أي حرج فيما طعموا من الخمر والميسر قبل تحريمها...)[4].

---

(١) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، ج: ٢، ص: ٧٦.

(٢) تحفة الأحوذي شرح جامع الترمذي، ج: ٨، ص: ٣٩٥ وما بعدها، ومستدرك الحاكم على الصحيحين، ج: ١، ص: ٣٨٥، وما بعدها، وتفسير ابن جرير الطبري، ج: ٥، ص: ٢٦٥.

(٣) سورة المائدة: الآية ٩٣.

(٤) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، ج: ٢، ص: ١٦.

أقول إن السبب الذي أشار إليه الشيخ في نزول هذا الآية أخرجه البخاري في صحيحه في مواضع، والإمام مسلم، كلاهما عن أنس بن مالك رضي الله عنه، ولفظ البخاري: قال أنس رضي الله عنه: كنت ساقي القوم في منزل أبي طلحة، وكان خمرهم الفضيخ، فأمر رسول الله ﷺ منادياً ينادي ألا إن الخمر قد حرمت، قال: فقال لي أبو طلحة: اخرج فأهرقها، فخرجت فهرقتها، فجرت في سكك المدينة، فقال بعض القوم قد قتل قوم وهي في بطونهم، فأنزل الله: ﴿لَيْسَ عَلَى ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ جُنَاحٌ فِيمَا طَعِمُوٓا۟ ...﴾ الآية[1].

٥ ـ أورد الشيخ رحمه الله سبباً لنزول قوله تعالى في سورة المائدة: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ شَهَٰدَةُ بَيْنِكُمْ إِذَا حَضَرَ أَحَدَكُمُ ٱلْمَوْتُ حِينَ ٱلْوَصِيَّةِ ٱثْنَانِ ذَوَا عَدْلٍ مِّنكُمْ أَوْ ءَاخَرَانِ مِنْ غَيْرِكُمْ إِنْ أَنتُمْ ضَرَبْتُمْ فِى ٱلْأَرْضِ فَأَصَٰبَتْكُم مُّصِيبَةُ ٱلْمَوْتِ تَحْبِسُونَهُمَا مِنۢ بَعْدِ ٱلصَّلَوٰةِ فَيُقْسِمَانِ بِٱللَّهِ إِنِ ٱرْتَبْتُمْ لَا نَشْتَرِى بِهِۦ ثَمَنًا وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَىٰ﴾ الآية[2].

فقال رحمه الله تعالى: (وهذه الآيات الكريمة نزلت في قصة تميم الداري وعدي بن بداء المشهورة، حين أوصى لهما العدوي، والله أعلم)[3].

أقول ذكر الشيخ رحمه الله هذا السبب دون الإشارة إلى مصدره وهذه غالب طريقته رحمه الله في تفسيره، ولعله في عدم ذكره لمصدر أسباب النزول التي يوردها لأنه غالباً لا يذكر إلاّ السبب الذي اشتهرت روايته ولم يختلف فيه ولم يرد ما يعارضه، وهذا السبب الذي أشار إليه في نزول هذه الآيات رواه الترمذي في جامعه والإمام ابن جرير في تفسيره، واللفظ للترمذي قال: «عن

---

(١) أخرجه البخاري في مواضع من صحيحه، منها في باب صب الخمر في الطريق، من كتاب المظالم، جـ: ٥، ص: ١١٢ الفتح، وفي كتاب التفسير في تفسير سورة المائدة، وفي كتاب الأشربة، وأخرجه مسلم في صحيحه في باب تحريم الخمر، جـ: ٦، ص: ٨٨.

(٢) سورة المائدة: الآية ١٠٦.

(٣) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، جـ: ٢، ص: ١٦٧.

ابن عباس رضي الله عنهما قال: خرج رجل من بني سهم مع تميم الداري وعدي بن بداء[1]، فمات السهمي بأرض ليس بها مسلم، فلما قدما بتركته فقدوا جاماً[2] من فضة مخوصاً بالذهب، فأحلفهما رسول الله ﷺ، ثم وجدوا الجام بمكة، فقيل اشتريناه من تميم وعدي، فقام رجلان من أولياء السهمي فحلفا بالله لشهادتنا أحق من شهادتهما، وإن الجام لصاحبهم، قال وفيهم نزلت: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ شَهَٰدَةُ بَيۡنِكُمۡ﴾ هذا حديث حسن غريب، وهو حديث ابن أبي زائدة»[3].

٦ ـ وفي قوله تعالى من سورة الأنعام:

﴿وَلَا تَطۡرُدِ ٱلَّذِينَ يَدۡعُونَ رَبَّهُم بِٱلۡغَدَوٰةِ وَٱلۡعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجۡهَهُۥۖ مَا عَلَيۡكَ مِنۡ حِسَابِهِم مِّن شَيۡءٖ وَمَا مِنۡ حِسَابِكَ عَلَيۡهِم مِّن شَيۡءٖ فَتَطۡرُدَهُمۡ فَتَكُونَ مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ٥٢﴾[4].

يشير رحمه الله إلى أن سبب نزول هذه الآيات، أن أناساً من قريش أو من أجلاف العرب قالوا للنبي ﷺ إن أردت أن نؤمن لك ونتبعك، فاطرد فلاناً وفلاناً، أناساً من فقراء الصحابة فإنا نستحي أن ترانا العرب جالسين مع هؤلاء الفقراء، فحمله حبه لإسلامهم واتباعهم له، فحدثته نفسه بذلك، فعاتبه الله بهذه الآية ونحوها[5].

يشير الشيخ عبد الرحمن بن سعدي رحمه الله إلى روايتين في سبب نزول هذه الآية:

---

(١) عدي بن بداء بتشديد الدال قبلها موحدة مفتوحة، قال ابن حبان له صحبة، وأنكر ذلك أبو نعيم. ا.هـ. من الإصابة في تمييز الصحابة، جـ: ٢، ص: ٤٦٠.

(٢) الجام: إناء من فضة. القاموس، جـ: ٤، ص: ٩٢.

(٣) تحفة الأحوذي شرح جامع الترمذي، جـ: ٨، ص: ٤٣٢، وانظر: تفسير الطبراني، جـ: ٧، ص: ١١٥، وأخرجه البخاري في صحيحه في كتاب الوصايا، باب قول الله عز وجل: ﴿**يا أيها الذين آمنوا شهادة بينكم**﴾ جـ: ٥، ص: ٤٠٩.

(٤) سورة الأنعام: الآية ٥٢.

(٥) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، جـ: ٢، ص: ١٨٨.

الرواية الأولى:

«أن أناساً من قريش قالوا للنبي ﷺ إن أردت أن نؤمن لك ونتبعك، فاطرد فلاناً وفلاناً، لأناس من فقراء الصحابة، وهذه الرواية أخرجها الحاكم في مستدركه عن سعد بن أبي وقاص في هذه الآية: ﴿وَلَا تَطْرُدِ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم بِٱلْغَدَوٰةِ وَٱلْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُۥ﴾ قال: نزلت في خمسة من قريش أنا وابن مسعود فيهم، فقالت قريش للنبي ﷺ: لو طردت هؤلاء عنك جالسناك، تدني هؤلاء دوننا، فنزلت: ﴿وَلَا تَطْرُدِ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم بِٱلْغَدَوٰةِ وَٱلْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُۥ ... إلى قوله بِٱلشَّٰكِرِينَ﴾ هذا حديث صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه»[1].

ورواية ابن جرير في تفسيره عن ابن مسعود قال: مر الملأ من قريش بالنبي ﷺ وعنده صهيب وعمار وبلال وخباب ونحوهم من ضعفاء المسلمين، فقالوا: يا محمد رضيت بهؤلاء من قومك، أهؤلاء الذين منَّ الله عليهم من بيننا، أنحن نكون تبعاً لهؤلاء، اطردهم عنك، فلعلك إن طردتهم أن نتبعك، فنزلت هذه الآية: ﴿وَلَا تَطْرُدِ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم بِٱلْغَدَوٰةِ وَٱلْعَشِيِّ﴾[2].

وهناك روايات أخرى رواها ابن جرير، كلها تدور حول هذا المعنى، إلاَّ أن فيها اختلافاً في أسماء الفقراء الذين كان يجلس معهم، فرواية عن مجاهد تذكر أن قريشاً طلبوا من رسول الله ﷺ أن يطرد بلالاً وابن أم عبد[3].

الرواية الثانية:

التي أشار إليها الشيخ عبد الرحمن بن سعدي في سبب نزول هذه الآيات أن ناساً من أجلاف العرب قالوا للنبي ﷺ: إن أردت أن نؤمن لك ونتبعك، فاطرد فلاناً وفلاناً، لأناس من فقراء الصحابة.

---

(١) المستدرك على الصحيحين للحاكم، جـ: ٣، ص: ٣١٩، كتاب معرفة الصحابة «مناقب عبد الله بن مسعود رضي الله عنه».

(٢) تفسير ابن جرير الطبري، جـ: ٧، ص: ٢٠.

(٣) ابن أم عبد: هو عبد الله بن مسعود رضي الله عنه.

وهذه الرواية أخرجها ابن جرير في تفسيره عن خباب في قول الله تعالى: ﴿وَلَا تَطْرُدِ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم بِٱلْغَدَوٰةِ وَٱلْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُۥ ... إلى قوله: فَتَكُونَ مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ قال: جاء الأقرع بن حابس التميمي وعيينه بن حصن الفزاري فوجدوا النبي ﷺ مع بلال وصهيب وعمار وخباب في أناس من ضعفاء المؤمنين، فلما رأوهم حوله حقروهم، فأتوه فقالوا: إنا نحب أن تجعل لنا منك مجلساً تعرف لنا العرب به فضلنا، فإن وفود العرب تأتيك، فنستحيي أن ترانا العرب مع هؤلاء الأعبد، فإذا نحن جئناك فأقمهم عنا، فإذا نحن فرغنا فاقعد معهم إن شئت، قال: نعم، قالوا: فاكتب لنا عليك بذلك كتاباً، قال: فدعا بالصحيفة، ودعا علياً ليكتب، قال: ونحن قعود في ناحية، إذ نزل جبريل بهذه الآية ﴿وَلَا تَطْرُدِ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم بِٱلْغَدَوٰةِ وَٱلْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُۥ ... إلى قوله تعالى: فَتَكُونَ مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ ثم قال: ﴿وَكَذَٰلِكَ فَتَنَّا بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لِّيَقُولُوٓا۟ أَهَٰٓؤُلَآءِ مَنَّ ٱللَّهُ عَلَيْهِم مِّنۢ بَيْنِنَآ ۗ أَلَيْسَ ٱللَّهُ بِأَعْلَمَ بِٱلشَّٰكِرِينَ ﴿٥٣﴾﴾[1].

ثم قال: ﴿وَإِذَا جَآءَكَ ٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِـَٔايَٰتِنَا فَقُلْ سَلَٰمٌ عَلَيْكُمْ كَتَبَ رَبُّكُمْ عَلَىٰ نَفْسِهِ ٱلرَّحْمَةَ﴾[2].

فألقى رسول الله ﷺ الصحيفة من يده ثم دعانا، فأتيناه وهو يقول: ﴿كَتَبَ رَبُّكُمْ عَلَىٰ نَفْسِهِ ٱلرَّحْمَةَ﴾ فكنا نقعد معه، فإذا أراد أن يقوم قام فتركنا، فأنزل الله: ﴿وَٱصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم بِٱلْغَدَوٰةِ وَٱلْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُۥ وَلَا تَعْدُ عَيْنَاكَ عَنْهُمْ تُرِيدُ زِينَةَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا﴾[3] قال: فكان رسول الله ﷺ يقعد معنا بعد، فإذا بلغ الساعة التي يقوم فيها قمنا وتركناه حتى يقوم»[4].

وقد رواه ابن أبي حاتم، ثم أشار إلى ذلك الإمام ابن كثير رحمه الله تعالى، وقال ابن كثير بعد سياقه رواية ابن أبي حاتم.

---

(١) سورة الأنعام: الآية ٥٣.

(٢) سورة الأنعام: الآية ٥٤.

(٣) سورة الكهف: الآية ٢٨.

(٤) تفسير ابن جرير الطبري، جـ: ٧، ص: ٢٠١.

(وهذا حديث غريب جداً، فإن هذه الآية مكية، والأقرع بن حابس وعيينة إنما أسلماً بعد الهجرة بدهر)[1].

٧ ـ ذكر الشيخ سبباً لقوله تعالى من سورة الأنفال:

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ قُل لِّمَن فِيٓ أَيۡدِيكُم مِّنَ ٱلۡأَسۡرَىٰٓ إِن يَعۡلَمِ ٱللَّهُ فِي قُلُوبِكُمۡ خَيۡرٗا يُؤۡتِكُمۡ خَيۡرٗا مِّمَّآ أُخِذَ مِنكُمۡ وَيَغۡفِرۡ لَكُمۡۚ وَٱللَّهُ غَفُورٞ رَّحِيمٞ ٧٠﴾[2].

فقد أشار إلى أن سبب نزول هذه الآية في أسارى يوم بدر حيث قال رحمه الله: (وهذه نزلت في أسارى يوم بدر، وكان من جملتهم العباس عم رسول الله ﷺ، فلما طلب منه الفداء ادعى أنه مسلم قبل ذلك، فلم يسقطوا عنه الفداء، فأنزل الله تعالى جبرا لخاطره ومن كان على مثل حاله ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ قُل لِّمَن فِيٓ أَيۡدِيكُم مِّنَ ٱلۡأَسۡرَىٰٓ إِن يَعۡلَمِ ٱللَّهُ فِي قُلُوبِكُمۡ خَيۡرٗا يُؤۡتِكُمۡ خَيۡرٗا مِّمَّآ أُخِذَ مِنكُمۡ﴾[3].

أقول: إن هذا السبب الذي أشار إليه الشيخ ابن سعدي ولم يذكر من أخرجه، وقد أخرجه ابن جرير بسنده (عن ابن عباس في قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ قُل لِّمَن فِيٓ أَيۡدِيكُم مِّنَ ٱلۡأَسۡرَىٰٓ﴾ الآية وكان العباس أسر يوم بدر فافتدى نفسه بأربعين أوقية من ذهب فقال العباس حين نزلت هذه الآية: لقد أعطاني الله خصلتين ما أحب أن لي بهما الدنيا، إني أسرت يوم بدر ففديت نفسي بأربعين أوقية، فآتاني الله أربعين عبداً، وأنا أرجو المغفرة التي وعدنا الله)[4].

٨ ـ وقال عند تفسيره لقوله تعالى من سورة التوبة:

﴿۞ وَمِنۡهُم مَّنۡ عَٰهَدَ ٱللَّهَ لَئِنۡ ءَاتَىٰنَا مِن فَضۡلِهِۦ لَنَصَّدَّقَنَّ وَلَنَكُونَنَّ مِنَ

---

(١) تفسير ابن كثير، جـ: ٣، ص: ٣٧.
(٢) سورة الأنفال: الآية ٧٠.
(٣) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، جـ: ٣، ص: ٩٢.
(٤) تفسير ابن جرير الطبري، جـ: ١٢، ص: ٤٩.

ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿٧٥﴾ فَلَمَّآ ءَاتَىٰهُم مِّن فَضْلِهِۦ بَخِلُوا۟ بِهِۦ وَتَوَلَّوا۟ وَّهُم مُّعْرِضُونَ ﴿٧٦﴾ فَأَعْقَبَهُمْ نِفَاقًا فِى قُلُوبِهِمْ إِلَىٰ يَوْمِ يَلْقَوْنَهُۥ بِمَآ أَخْلَفُوا۟ ٱللَّهَ مَا وَعَدُوهُ وَبِمَا كَانُوا۟ يَكْذِبُونَ ﴿٧٧﴾ ﴾[1].

ذكر الشيخ عبد الرحمن بن سعدي (أن هذه الآيات نزلت في رجل من المنافقين، يقال له ثعلبة، جاء إلى النبي ﷺ وسأله أن يدعو الله له أن يعطيه من فضله، وأنه إن أعطاه ليتصدقن ويصل الرحم ويعين على نوائب الحق، فدعا النبي ﷺ له، فكان له غنم، فلم تزل تتنامى حتى خرج بها عن المدينة، فكان لا يحضر بعض الصلوات، ثم أبعد، فكان لا يحضر إلاّ صلاة الجمعة، ثم كثرت فأبعدها فكان لا يحضر جمعة ولا جماعة، ففقده النبي ﷺ، فأخبر بحاله، فبعث من يأخذ الصدقات من أهلها، فمروا على ثعلبة، فقال: ما هذه إلاّ جزية، ما هذه إلاّ أخت الجزية، فلما لم يعطهم جاؤوا فأخبروا بذلك النبي ﷺ، فقال: «يا ويح ثعلبة» ثلاثاً، فلما نزلت هذه الآية فيه وفي أمثاله، ذهب بها بعض أهله فبلغه إياها، فجاء بزكاته فلم يقبلها النبي ﷺ، ثم جاء بها إلى أبي بكر بعد وفاة النبي ﷺ فلم يقبلها، ثم جاء بها بعد أبي بكر إلى عمر فلم يقبلها فيقال: إنه هلك في زمن عثمان)[2].

سبب نزول هذه الآيات الذي أشار إليه الشيخ رحمه الله ورد في كثير من الكتب المصنفة في التفسير والحديث والسير والتاريخ، وسأورد بعضاً من المصنفات التي ورد فيها هذا الأثر وما علقه صاحب المصنف الذي أورده على هذا الأثر.

أورده الطبراني في المعجم الكبير فقال: حدثنا أبو يزيد القراطيسي[3]

---

(١) سورة التوبة: الآيات (٧٥ ـ ٧٧).

(٢) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، جـ: ٣، ص: ١٢٧.

(٣) أبو يزيد القراطيسي، اسمه يوسف بن يزيد بن كامل القراطيسي، مولى بني أمية، ثقة، من الحادية عشرة، مات سنة سبع وثمانين ومائتين، ويقال: أنه عاش مائة سنة، وحديثه عند النسائي.
تقريب التهذيب، جـ: ٢، ص: ٣٨٣.

حدثنا أسد بن موسى[1]، حدثنا الوليد بن مسلم[2]، حدثنا معان بن رفاعة[3]، عن علي بن يزيد[4]، عن القاسم[5]، عن أبي أمامة أن ثعلبة بن حاطب الأنصاري أتى رسول الله ﷺ فقال: يا رسول الله، ادع الله أن يرزقني مالاً، قال: ويحك يا ثعلبة، قليل تؤدي شكره خير من كثير لا تطيقه، ثم رجع إليه فقال: يا رسول الله، ادع الله أن يرزقني مالاً، قال: ويحك يا ثعلبة، أما تريد أن تكون مثل رسول الله ﷺ والله لو سألت الله أن يسيل لي الجبال ذهباً وفضة لسالت، ثم رجع إليه، فقال: يا رسول الله، ادع الله أن يرزقني مالاً، والله لئن آتاني مالاً لأوتين كل ذي حق حقه، فقال رسول الله ﷺ: «اللهم ارزق ثعلبة مالاً» فاتخذ غنما، فنمت كما ينمو الدود حتى ضاقت عنها أزقة المدينة، فتنحى بها، وكان يشهد الصلاة مع رسول الله ﷺ، ثم يخرج إليها، ثم نمت حتى تعذرت عليه مراعي المدينة، فتنحى بها، فكان يشهد الجمعة مع رسول الله ﷺ، ثم يخرج إليها، ثم نمت فتنحى بها، فترك الجمعة والجماعة،

---

(١) أسد بن موسى بن إبراهيم بن الوليد بن عبد الملك بن داود الأموي، أسد السنة، صدوق يغرب، وفيه نصب، من التاسعة، مات سنة اثنتي عشرة ومائتين، وله ثمانون سنة، وحديثه عند البخاري معلقاً، وعند أبي داود والنسائي. تقريب التهذيب، ج: ١، ص: ٦٣.

(٢) الوليد بن مسلم القرشي مولاهم، أبو العباس الدمشقي، ثقة، لكنه كثير التدليس والتسوية، من الثامنة، مات آخر سنة أربع أو أول سنة خمس وتسعين مائة.

(٣) معان بضم أوله وتخفيف المهملة، ابن رفاعة السلامي بتخفيف اللام الشامي، لين الحديث، كثير الإرسال، من السابعة، مات بعد الخمسين والمائة، وحديثه عن ابن ماجه.
تقريب التهذيب، ج: ٢، ص: ٢٥٨.

(٤) علي بن يزيد بن أبي زياد الألهاني، أبو عبد الملك الدمشقي، صاحب القاسم بن عبد الرحمن، ضعيف، من السادسة، مات سنة بضع عشرة ومائة، وحديثه عند الترمذي وابن ماجه.
تقريب التهذيب، ج: ٢، ص. ٤٦.

(٥) القاسم بن عبد الرحمن الدمشقي، أبو عبد الرحمن صاحب أبي أمامة، صدوق يرسل كثيراً، من الثالثة، مات سنة اثنتي عشرة ومائة، وحديثه عند البخاري في الأدب المفرد، وللجماعة سوى الشيخين.
تقريب التهذيب، ج: ٢، ص: ١١٨.

فكان يتلقى الركبان ويقول: ماذا عندكم من الخبر؟ وما كان من أمر الناس؟ فأنزل الله على رسوله ﷺ: ﴿خُذْ مِنْ أَمْوَٰلِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِم بِهَا﴾[1].

قال: فاستعمل رسول الله ﷺ على الصدقات رجلين، رجل من الأنصار، ورجل من بني سليم، وكتب لهما سنة الصدقة وأسنانها، وأمرهما أن يصدقا الناس، وأن يمرا بثعلبة فيأخذا منه صدقة ماله، ففعلا، حتى ذهبا إلى ثعلبة، فأقرآه كتاب رسول الله ﷺ، فقال: صدقا الناس، فإذا فرغتما فمرا بي، ففعلا، فقال: والله ما هذه إلاّ أخية الجزية، فانطلقا حتى لحقا برسول الله ﷺ، وأنزل الله على رسوله ﷺ: ﴿وَمِنْهُم مَّنْ عَٰهَدَ ٱللَّهَ لَئِنْ ءَاتَىٰنَا مِن فَضْلِهِۦ . . . إلى قوله تعالى: يَكْذِبُونَ﴾ قال: فركب رجل من الأنصار قريب لثعلبة راحلة، حتى أتى ثعلبة، فقال: ويحك يا ثعلبة، هلكت، أنزل الله عز وجل فيك من القرآن كذا، فأقبل ثعلبة ووضع التراب على رأسه وهو يبكي ويقول: يا رسول الله، يا رسول الله، فلم يقبل منه رسول الله ﷺ صدقته، حتى قبض الله رسوله ﷺ، ثم أتى أبا بكر رضي الله عنه بعد رسول الله ﷺ، فقال: يا أبا بكر، قد عرفت موقعي من قومي ومكاني من رسول الله ﷺ، فاقبل مني، فأبى أن يقبله، ثم أتى عمر رضي الله عنه فأبى أن يقبل منه، ثم أتى عثمان رضي الله عنه فأبى أن يقبل منه، ثم مات ثعلبة في خلافة عثمان رضي الله عنه[2].

وأورده البيهقي في دلائل النبوة، في باب قصة ثعلبة بن حاطب وما ظهر فيها من الآثار، وساق القصة بسنده إلى أبي أمامة الباهلي وقال بعد سياقه القصة:

(هذا حديث مشهور فيما بين أهل التفسير، وإنما يروى موصولاً بأسانيد ضعاف، فإن كان امتناعه من قبول توبته وقبول صدقته محفوظاً، فكأنه عرف نفاقه قديماً، ثم زيادة نفاقه وموته عليه، ثم أنزل الله تعالى عليه من الآية

---

(١) سورة براءة: الآية ١٠٣.

(٢) المعجم الكبير للطبراني، ج: ٨، ص: ٢٦٠.

حديثاً، فلم ير كونه من أهل الصدقة فلم يأخذها منه، والله أعلم)[1].

كما أن ابن جرير أورد هذا الأثر في تفسيره قريباً من سياق الطبراني عن المثنى[2] قال: حدثنا هشام بن عمار[3] قال: حدثنا محمد بن شعيب[4]، وبقية رجال سنده هم رجال سند الطبراني ولم يعلق ابن جرير على هذا الأثر شيئاً[5].

وأورد ابن كثير رحمه الله هذا الأثر، وعزاه إلى ابن جرير وابن أبي حاتم، عن أبي أمامة الباهلي، وقال رحمه الله: «قد ذكر كثير من المفسرين منهم ابن عباس والحسن البصري أن سبب نزول هذه الآية الكريمة في ثعلبة بن حاطب الأنصاري»[6].

وذكر الكيا الهراسي الطبري في كتابه أحكام القرآن، أنها نزلت في حاطب بن أبي بلتعة، وقيل نزلت في شأن المنافقين الذين عاهدوا ثم أخلفوا[7].

---

(١) دلائل النبوة للبيهقي، جـ: ٥، ص: ٢٩٢ وما بعدها.

(٢) المثنى بن إبراهيم الآملي، صرح ابن جرير باسم أبي المثنى في تاريخه جـ: ١، ص: ٤٤، ويروي عنه الطبري كثيراً في التفسير والتاريخ، ويبدو أنه من علماء بلده، وانظر: كلام أحمد شاكر في التفسير، جـ: ١، ص: ١٧٦.

(٣) هشام بن عمار بن نصير بنون مصغراً، السلمي الدمشقي، الخطيب، صدوق، مقرئ، كبر فصار يتلقن، فحديثه القديم أصح، من كبار العاشرة، وقد سمع ابن معروف الخياط، لكن معروف ليس بثقة، مات سنة خمس وأربعين ومائتين، وله اثنتان وتسعون سنة، وحديثه عند البخاري، وعند الجماعة سوى الشيخين.
تقريب التهذيب، جـ: ٢، ص: ٣٢٠.

(٤) محمد بن شعيب بن شابور بالمعجمة والموحدة، الأموي مولاهم الدمشقي نزيل بيروت، صدوق، صحيح الكتاب، من كبار التاسعة، مات سنة مائتين، وله أربع وثمانون، وحديثه عند الجماعة سوى الشيخين.
تقريب التهذيب، جـ: ٢، ص: ١٧٠.

(٥) تفسير الطبري، جـ: ١٠، ص: ١٨٩.

(٦) تفسير ابن كثير، جـ: ٣، ص: ٤٢٧.

(٧) أحكام القرآن للكيا الهراسي، جـ: ٤، ص: ١٠٠.

وذكرها الزمخشري بطولها في كشافه[1] ولم يعقب عليها بشيء أما الحافظ في تخريجه لأحاديث الكشاف فقال: رواه الطبراني والبيهقي في الدلائل والشعب، وابن أبي حاتم والطبري وابن مردويه كلهم من طريق علي بن يزيد عن القاسم بن عبد الرحمن عن أبي أمامة وهذا إسناد ضعيف جداً.

فقال السهيلي عن ابن إسحاق: أما ثعلبة فمن البدريين وعن ابن إسحاق أيضاً في المنافقين، وذكر هذه الآية، فلعلهما اثنان»[2].

وقال أبو بكر بن العربي المالكي في أحكام القرآن، هذه الآية اختلف في شأن نزولها على أقوال ثلاثة:

- قيل إنها نزلت في شأن مولى لعمر قتل حميماً لثعلبة، فوعد إن وصلت إليه الدية أن يخرج حق الله فيها، فلما وصلت إليه الدية لم يفعل.

- وقيل إن ثعلبة كان له مال بالشام، فنذر إن وصل من الشام أن يتصدق منه، فلما قدم له لم يفعل.

- وقيل وهو أصح الروايات أن ثعلبة بن حاطب الأنصاري المذكور قال للنبي ﷺ ادع الله أن يرزقني مالاً، وذكر القصة، ثم قال: وهذا الحديث مشهور[3].

وذكر الفخر الرازي أنها نزلت في حاطب بن أبي بلتعة، حيث قال رحمه الله: (قال ابن عباس رضي الله عنهما، إن حاطب بن أبي بلتعة أبطأ عنه ماله بالشام، فلحقه شدة، فحلف بالله وهو واقف ببعض مجالس الأنصار، لئن آتانا من فضله لأصدقن ولأؤدين منه حق الله.. إلى آخر الآية، والمشهور في سبب نزول هذه الآية أن ثعلبة بن حاطب قال: يا رسول الله، ادع الله أن يرزقني مالاً، فقال عليه السلام: «يا ثعلبة قليل تؤدي شكره، خير من كثير لا تطيقه»، وذكر القصة بطولها، ثم افترض سؤالاً، فقال: فإن قيل: إن الله تعالى

---

(١) الكشاف للزمخشري، جـ: ٢، ص: ١٦٣.
(٢) الكافي الشافي في تخريج أحاديث الكشاف، ملحق بالجزء الرابع من الكشاف، ص٧٧.
(٣) أحكام القرآن لابن العربي، جـ: ٢، ص: ٩٨١.

أمر بإخراج الصدقة، فكيف يجوز من الرسول عليه السلام أن لا يقبلها منه؟

قلنا: لا يبعد أن يقال: إنه تعالى منع الرسول عليه الصلاة والسلام عن قبول الصدقة منه على سبيل الإهانة له، ليعتبر غيره به، فلا يمتنع عن أداء الصدقات، ولا يبعد أيضاً أنه أتى بتلك الصدقة على وجه الرياء لا على وجه الإخلاص، وأعلم الله الرسول عليه السلام ذلك، فلم يقبل تلك الصدقة لهذا السبب.

ويحتمل أنه تعالى لما قال: ﴿خُذْ مِنْ أَمْوَٰلِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِم بِهَا﴾ وكان هذا المقصود غير حاصل في ثعلبة، فلهذا السبب امتنع رسول الله ﷺ من أخذ تلك الصدقة.

ثم قال في المسألة الثانية:

(ظاهر الآية يدل على أن بعض المنافقين عاهد الله في أنه لو آتاه مالاً لصرف بعضه إلى مصارف الخيرات، ثم إنه تعالى آتاه المال، وذلك الإنسان ما وفى بذلك العهد)[1].

وذكر ابن الجوزي في زاد المسير أربعة أقوال في سبب نزول الآية وكانت قصة ثعلبة بن حاطب ضمن الأسباب التي ذكرها[2].

وأما الإمام القرطبي، فقد ذكر عن قتادة أن هذا رجل من الأنصار، قال: لئن رزقني الله شيئاً لأؤدين فيه حقه ولأتصدقن فلما آتاه الله ذلك، فعل ما قص عليكم، فاحذروا من الكذب، فإنه يؤدي إلى الفجور، ثم ذكر الأثر الذي رواه أبو أمامة الباهلي ثم أعقبه بقوله: وما جاء فيمن شهد بدراً يعارضه قوله تعالى: ﴿فَأَعْقَبَهُمْ نِفَاقًا فِى قُلُوبِهِمْ إِلَىٰ يَوْمِ يَلْقَوْنَهُۥ . . .﴾ الآية[3].

---

(١) مفاتيح الغيب، للرازي، جـ: ١٦، ص: ١٤١، ١٤٢.

(٢) زاد المسير، جـ: ٣، ص: ٤٧٢.

(٣) الجامع لأحكام القرآن، جـ: ٨، ص: ٢٠٩، ويقصد القرطبي في قوله: «وما جاء فيمن شهد بدراً» الأحاديث الواردة في فضل أهل بدر مثل قوله عليه الصلاة السلام في قصة حاطب بن أبي بلتعة حينما قال عمر رضي الله عنه: دعني أضرب عنقه، فقال عليه الصلاة والسلام: إنه شهد بدرا، وما يدريك لعل الله اطلع على أهل بدر، فقال: =

وقال الإمام البيضاوي: نزلت في ثعلبة بن حاطب، ولم يعقب بشيء[1].

وأشار إليها الإمام أبو السعود في تفسيره فقال:

(قيل إنها نزلت في ثعلبة بن حاطب، وقيل نزلت فيه، وفي سهل بن الحارث، وجد بن قيس، ومعتب بن قشير، والأول أشهر)[2].

وذكر الإمام الألوسي رحمه الله أن سبب نزولها في ثعلبة بن حاطب على اختلاف في الروايات، فرواية أبي أمامة الباهلي تشير إلى أنه طلب من رسول الله ﷺ أن يدعو الله له أن يرزقه مالاً، ورواية ابن عباس تفيد أن ثعلبة أتى مجلساً من مجالس الأنصار فأشهدهم لئن آتاني الله تعالى من فضله مالاً، فلم يف بما عاهد الله عليه.

وعن الحسن أنها نزلت في ثعلبة ومعتب بن قشير، وعن السائب أن حاطب بن أبي بلتعة كان له مال بالشام فأبطأ عليه، فجهد لذلك جهداً شديداً، فحلف بالله لئن آتاه الله من فضله، يعني ذلك المال لأصدقن ولأصلن، فلما آتاه ذلك، لم يف بما عاهد الله تعالى عليه، والأول أشهر، وهو الصحيح في سبب النزول.

وقبل ذلك قال الألوسي رحمه الله: والآية نزلت في ثعلبة بن حاطب ويقال له ابن أبي حاطب، وهو من بني أمية بن زيد، وليس هو البدري، لأنه قد استشهد ـ بأحد رضي الله عنه[3].

وقد أورد الشوكاني القصة في تفسيره، دون التعقيب عليها[4].

= «اعملوا ما شئتم، فقد غفرت لكم». أخرجه البخاري ومسلم وغيرهما من أئمة الحديث.

وسيأتي تفصيل القصة إن شاء الله في أسباب نزول سورة الممتحنة، وحاطب أبي بلتعة ممن شهد بدراً باتفاق أهل السير والله أعلم.

(١) تفسير البيضاوي، هامش على القرآن الكريم، ص: ١٢٣.

(٢) إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم، جـ: ٤، ص: ٨٥.

(٣) روح المعاني للألوسي، جـ: ١٠، ص: ١٤٣، ١٤٤.

(٤) فتح القدير، جـ: ٢، ص: ٣٦٧، ٣٦٨.

وأوردها صديق حسن خان القنوجي في تفسيره فتح البيان ولم يعقب عليها بشيء[1].

كما أن جمال الدين القاسمي رحمه الله قد ارتاح إلى هذه القصة، فراح يعلل فعل النبي ﷺ في ثعلبة حتى استغرق اكثر من ثلاث صفحات في تفسيره[2].

وقد أخرجها الواحدي في أسباب النزول بسنده إلى أبي أمامة الباهلي، فذكر القصة ولم يعقب عليها بشيء[3].

هذه أهم أقوال المفسرين، سواء كانوا ممن ينقل آثار السابقين بالسند، أو ينقلونها بدون سند، هذا فيما اطلعت عليه من كتب التفسير، وهم كما ترى سلكوا فيها مسلكين:

ـ طائفة نقلت هذه القصة ولم تتعرض لنقدها.

ـ وطائفة أخرى نقلتها وضعفتها، أو نقلت تضعيفها، كما فعل البيهقي، وكما فعل ابن حجر في تخريج أحاديث الكشاف، وكما فعل القرطبي في قوله السابق: (وما جاء فيمن شهد بدراً يعارضه قوله تعالى في الآية: ﴿فَأَعْقَبَهُمْ نِفَاقًا فِي قُلُوبِهِمْ إِلَىٰ يَوْمِ يَلْقَوْنَهُ﴾.

بقي اثنان من المفسرين المتأخرين تناولا القصة بشيء من التشكيك، وهما:

١ ـ محمد رشيد رضا في تفسير المنار، فقد ذكر قصة ثعلبة بتمامها كما رواها الطبراني وغيره، ثم عقب عليها بقوله: «وفي الحديث إشكالات تتعلق بسبب نزول الآيات، وظاهر سياق القرآن، أنه كان في سفر غزوة تبوك، وظاهره أنها نزلت عقب فرضية الزكاة والمشهور أنها فرضت في السنة الثانية، وفيه خلاف، وبعدم قبول توبة ثعلبة.

---

(١) فتح البيان في مقاصد القرآن، ج: ٤، ص: ١٦٧.
(٢) محاسن التأويل للقاسمي، ج: ٨، ص: ٢٦٧ وما بعدها.
(٣) أسباب النزول للواحدي، ص: ١٤٥، ١٤٦.

وظاهر الحديث ولا سيما بكاؤه أنها توبة صادقة، وكان العمل جارياً على معاملة المنافقين بظواهرهم، وظاهر الآيات أنه يموت على نفاقه ولا يتوب عن بخله وإعراضه، وأن النبي ﷺ وخليفتيه عاملاه بذلك لا بظاهر الشريعة وهذا لا نظير له في الإسلام»[1].

٢ ـ المفسر الثاني الذي تناول القصة بشيء من التشكيك هو سيد قطب في تفسيره في ظلال القرآن، فقد قال عند تفسير هذه الآيات «وقد وردت روايات عن سبب نزول الآيات الثلاث، فذكر منها رواية ابن جرير وابن أبي حاتم من حديث معان عن أبي أمامة الباهلي»، ثم ساق القصة، وقال بعد سياقها: «وسواء كانت هذه الواقعة مصاحبة لنزول الآيات أو كان غيرها، فإن النص عام، وهو يصور حالة عامة، ويرسم نموذجاً مكرراً للنفوس التي لم تستيقن، ولم يبلغ الإيمان فيها أن يتمكن، وإذا كانت الرواية صحيحة في ربط الحادثة بنزول الآيات، فإن علم الرسول ﷺ أن نقض العهد والكذب على الله قد أورث المخلفين نفاقاً في قلوبهم إلى يوم يلقونه، يكون هو الذي منعه من قبول صدقة ثعلبة وتوبته التي ظهر بها ولم يعامله بالظاهر حسب الشريعة، إنما عامله بعلمه بحاله الذي لا شك فيه، لأنه إخبار من العليم الخبير، وكان تصرفه ﷺ تصرفاً تأديبياً برد صدقته، مع عدم اعتباره مرتداً، فيؤخذ بعقوبة الردة، ولا مسلماً فتقبل منه زكاته، ولا يعني هذا إسقاط الزكاة عن المنافقين شريعة.

إن الشريعة تأخذ الناس بظاهرهم، فيما ليس فيه علم يقيني، كالذي كان في هذا الحادث الخاص فلا يقاس عليه»[2].

فسيد قطب رحمه الله يرى أن هذه الآيات عامة، تصور نفوساً مريضة تتكرر صورها في كل عصر ومصر، وأن سبب نزولها في ثعلبة إن صحت الرواية، فإن الرسول ﷺ لم يعامله حسب ظاهر الشريعة، وإنما كانت معاملته ﷺ لثعلبة درساً تأديبياً له.

---

(١) تفسير المنار، ج: ٣، ص: ٦٥٠.

(٢) في ظلال القرآن، ج: ١٠، ص: ٢٦١.

بقي: أن أشير إلى علماء أجلاء تناولوا هذه القصة في مؤلفاتهم منهم:

* الإمام السيوطي أورد هذه القصة في عدد من مؤلفاته، فقد تناولها في كتابه الحاوي للفتاوى[1]، ونقل كلام ابن جرير في الإصابة وسيأتي قريباً، ولم يعقب السيوطي على كلام ابن حجر بشيء، ونقل في تفسير الدر المنثور في التفسير[2] بالمأثور ما روي في هذه القصة من آثار ولم يتكلم فيها بشيء، واستنبط منها أحكاماً عديدة في الإكليل في استنباط الأحكام من التنزيل[3]، وأوردها في لباب النقول في أسباب النزول[4]، ثم قال: إن سندها ضعيف، وفي الجامع الصغير[5] أورد قطعة منها، وهو قوله ﷺ: «قليل تؤدي شكره خير من كثير لا تطيقه» ثم رمز لهذا الحديث بالصحة، إلاّ أن شارح الجامع وهو المناوي نقل في شرحه كلام البيهقي الذي أوردناه سابقاً عن دلائل النبوة، وهو قوله: «وفي إسناد هذا الحديث نظر، وهو مشهور بين أهل التفسير».

كما أوردها السيوطي في الخصائص[6] الكبرى في ذكر المعجزات في إجابة الدعوات ولم يعقب عليها بشيء.

٢ ـ أبو محمد علي بن حزم الأندلسي: تناولها في كتابه المحلى، ذكر سند القصة، فضعف رواته ومتنها فأبطله، فصار متن القصة وسندها واهيين عنده، فلنستمع إلى ابن حزم حيث يقول: قال تعالى: ﴿وَمِنْهُم مَّنْ عَٰهَدَ ٱللَّهَ لَئِنْ ءَاتَىٰنَا مِن فَضْلِهِۦ﴾... إلى قوله: ﴿يَكْذِبُونَ﴾ قال: «وهذه أيضاً صفة أوردها الله تعالى، يعرفها كل من فعل ذلك من نفسه، وليس فيها نص ولا دليل على أن صاحبها معروف بعينه، على أنه قد روينا أثراً لا يصح، وفيه أنها نزلت في ثعلبة بن حاطب، وهذا باطل لأن ثعلبة بدري معروف، ثم ساق

---

(١) الحاوي للفتاوى، جـ: ٢، ص: ٩٦.
(٢) الدر المنثور في التفسير بالمأثور، جـ: ٣، ص: ٢٦٠.
(٣) الإكليل، ص: ١٢٣.
(٤) لباب النقول، ص: ٤٥٨، هامش على تفسير الجلالين.
(٥) الجامع الصغير مع شرحه للمناوي، جـ: ٤، ص: ٥٢٦.
(٦) الخصائص الكبرى للسيوطي، جـ: ٢، ص: ١٧٣، ١٧٤.

بسنده عن أبي أمامة قال: جاء ثعلبة بن حاطب بصدقته إلى عمر فلم يقبلها، وقال: لم يقبلها النبي ﷺ ولا أبو بكر ولا أقبلها.

قال أبو محمد: وهذا باطل بلا شك، لأن الله تعالى أمر بقبض زكوات أموال المسلمين، وأمر عليه السلام عند موته أن لا يبقي في جزيرة العرب دينان، فلا يخلو ثعلبة من أن يكون مسلماً، ففرض على أبي بكر وعمر قبض زكاته ولا بد ولا فسحة في ذلك، وإن كان كافراً ففرض أن لا يقر في جزيرة العرب، فسقط هذا الأثر بلا شك، وفي رواته معان بن رفاعة والقاسم بن عبد الرحمن وعلي بن يزيد وهو أبو عبد الملك الألهاني، وكلهم ضعفاء، ومسكين بن بكير ليس بالقوى»[1].

٣ ـ ابن عبد البر: تناول هذه القصة في كتابه الاستيعاب في أسماء الأصحاب، فترجم لثعلبة بن حاطب، ثم قال: «آخى رسول الله ﷺ بين حاطب هذا وبين معتب بن عوف بن الحمراء، شهد بدراً وأحداً، وهو مانع الصدقة فيما قال قتادة وسعيد بن جبير، وفيه نزلت: ﴿۞ وَمِنْهُم مَّنْ عَٰهَدَ ٱللَّهَ لَئِنْ ءَاتَىٰنَا مِن فَضْلِهِۦ لَنَصَّدَّقَنَّ وَلَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿٧٥﴾﴾ إلى آخر القصة، توفي في خلافة عمر، وقيل في خلافة عثمان»[2].

٤ ـ الحافظ ابن حجر العسقلاني: في كتابه الإصابة في تمييز الصحابة تناول القصة عندما ترجم لثعلبة بن حاطب، أو ابن أبي حاطب الأنصاري، فقال: ذكره ابن إسحاق فيمن بنى مسجد الضرار ثم قال: وروى الباوردي وابن السكن وابن شاهين وغيرهم في ترجمة الذي قبله (ثعلبة بن حاطب) من طريق معان بن رفاعة عن علي بن يزيد عن القاسم عن أبي أمامة، فذكر بعضاً من القصة ثم قال: وفي كون صاحب هذه القصة إن صح الخبر ولا أظنه يصح، هو البدري المذكور قبله ـ نظر، وقد تأكدت المغايرة بينهما.

يقول ابن الكلبي: (إن البدري استشهد بأحد، ويقوي ذلك أيضاً أن ابن

---

(١) المحلى لابن حزم، جـ: ١١، ص: ٢٥١.

(٢) الاستيعاب في معرفة الأصحاب لابن عبد البر، هامش على الإصابة، جـ: ١، ص: ٢٠٣.

مردويه، روى في تفسيره من طريق عطية عن ابن عباس في الآية المذكورة قال: «وذلك أن رجلاً يقال له ثعلبة بن أبي حاطب من الأنصار، أتى مجلساً فأشهدهم، فقال: لئن آتانا من فضله، فذكر القصة بطولها، فقال: إنه ثعلبة بن أبي حاطب، والبدري اتفقوا على أنه ثعلبة بن حاطب)[1].

وفي كتابه فتح الباري شرح صحيح البخاري، عندما ذكر الخلاف في بدء فرض الزكاة، تطرق إلى هذه القصة قائلاً: «وقوى بعضهم ما ذهب إليه ابن الأثير من أن فرض الزكاة في السنة التاسعة بما وقع في قصة ثعلبة بن حاطب المطولة، ففيها لما أنزلت آية الصدقة، بعث النبي ﷺ عاملاً إلى حاطب، فقال: ما هذه إلاّ جزية، أو أخت الجزية، والجزية إنما وجبت في التاسعة، فتكون الزكاة في التاسعة لكنه حديث ضعيف لا يحتج به»[2].

٥ ـ ابن الأثير: في أسد الغابة أورد القصة، وساقها بسنده إلى معان بن رفاعة عن علي بن يزيد عن القاسم عن أبي أمامة الباهلي، ثم قال بعد سياقه القصة، وقال ابن الكلبي: ثعلبة بن حاطب بن عمرو بن عبيد بن أمية، يعني ابن زيد بن مالك بن عوف بن عمرو بن عوف الأنصاري من الأوس، شهد بدراً، وقتل يوم أحد، فإن كان هذا الذي في هذه الترجمة، فإما أن يكون ابن الكلبي قد وهم في قتله، أو تكون القصة غير صحيحة، أو يكون غيره، وهو هو لا شك فيه»[3].

٦ ـ أشار إلى القصة الواقدي في مغازيه، عندما ذكر الآيات التي نزلت في غزوة تبوك، فقال عند قوله: ﴿وَمِنْهُم مَّنْ عَٰهَدَ ٱللَّهَ لَئِنْ ءَاتَىٰنَا مِن فَضْلِهِۦ﴾... إلى: ﴿وَبِمَا كَانُوا۟ يَكْذِبُونَ﴾ نزلت في ثعلبة بن حاطب، وكان محتاجاً لا يجد ما يتصدق به، فقال: والله لئن آتاني الله مالاً لأتصدقن ولأكونن من الصالحين فأصاب دية اثني عشر ألف درهم، فلم يتصدق، ولم يكن من الصالحين»[4].

---

(١) الإصابة في تمييز الصحابة، جـ: ١، ص: ١٩٩ ـ ٢٠٠.
(٢) فتح الباري شرح صحيح البخاري، جـ: ٣، ص: ٢٦٦.
(٣) أسد الغابة في معرفة الصحابة، جـ: ١، ص: ٢٣٧، ٢٣٨.
(٤) المغازي للواقدي، جـ: ٣، ص: ١٠٦٨.

هذا ملخص ما اطلعت عليه من كلام أهل العلم حول سند هذه القصة ومتنها، وهم كما ترى بين مضعف لسندها، وبين منكر لمتنها أو مصحح لسندها، كما رمز لذلك السيوطي في الجامع الصغير، أو مورد لها وساكت عن نقدها كما هو صنيع ابن جرير في تفسيره، وابن كثير والطبراني في معجمه الكبير.

ويمكن الجمع بين أقوال العلماء، بأن أصل القصة صحيح، إلاّ أنها ليست في ثعلبة بن حاطب البدري، وإنما هي في ثعلبة بن حاطب رجل من المنافقين، لم تصل إلينا معلومات كافية عن ترجمته، فكثيرة من أسماء الصحابة لم تصل إلينا، ومما يؤيد هذا القول ما نقله ابن حجر في مقدمة الإصابة، إذ يقول رحمه الله: (فجمعت كتاباً كبيراً في ذلك، ميزت فيه الصحابة من غيرهم)، ومع ذلك فلم يحصل لنا من ذلك الوقوف على العشر من أسامي الصحابة بالنسبة إلى ما جاء عن أبي زرعة الرازي قال: (توفي النبي ﷺ ومن رآه وسمع منه زيادة على مائة ألف إنسان من رجل وامرأة، كلهم قد روى عنه سماعاً أو رؤية).

قال ابن فتحون في ذيل الاستيعاب بعد أن ذكر ذلك: أجاب أبو زرعة بهذا سؤال من سأله عن الرواة خاصة، فكيف بغيرهم ومع هذا فجميع من في الاستيعاب يعني من ذكر فيه باسم أو كنية وهما ثلاثة آلاف وخمسمائة.

ومما يؤيد قول أبي زرعة ما ثبت في الصحيحين عن كعب بن مالك في قصة تبوك، والناس كثير لا يحصيهم ديوان، وثبت عن الثوري فيما أخرجه الخطيب بسنده الصحيح إليه قال: من قدم علياً على عثمان فقد أزرى على اثني عشر ألفاً مات رسول الله ﷺ وهو عنهم راض، وقال النووي: ذلك بعد وفاة النبي ﷺ باثني عشر عاماً، بعد أن مات في خلافة أبي بكر والردة والفتوح الكثير ممن لا تضبط أسماؤهم، ثم مات في خلافة عمر في الفتوح وفي الطاعون العام، وفي طاعون عمواس وغير ذلك ممن لا يحصى كثرة وسبب خفاء أسمائهم أن أكثرهم أعراب، وأكثرهم حضروا حجة الوداع والله

أعلم)[1]، هذا في صحابة رسول الله ﷺ فما بالك بالمنافقين الذين يتسترون.

ويؤيد هذا القول أيضاً أن ابن هشام نقل في سيرته أسماء الذين بنوا مسجد الضرار، فعد منهم ثعلبة بن حاطب من بني أمية بن زيد[2].

ومما يؤيد هذا القول وقوع التشابه في أسماء الصحابة، فقد نقل الحافظ السيوطي في الحاوي للفتاوى بعد نقله لقصة ثعلبة بن حاطب قوله: (ونظير هذا ما روي في سبب نزول قوله تعالى: ﴿وَمَا كَانَ لَكُمْ أَن تُؤْذُواْ رَسُولَ اللَّهِ وَلَآ أَن تَنكِحُوٓاْ أَزْوَٰجَهُۥ مِنۢ بَعْدِهِۦٓ﴾[3] أن طلحة بن عبيد الله قال: يتزوج محمد بنات عمنا ويحجبهن عنا لئن مات لأتزوجن عائشة من بعده، فنزلت، وقد كنت في وقفة شديدة من صحة هذا الخبر، لأن طلحة أحد العشرة، أجلّ مقاماً من أن يصدر منه ذلك، حتى رأيت بعد ذلك أنه رجل آخر شاركه في اسمه واسم أبيه ونسبه، فإن طلحة المشهور الذي هو أحد العشرة طلحة بن عبيد الله بن عثمان بن عمرو بن كعب بن سعد بن تيم التيمي وطلحة صاحب القصة طلحة بن عبيد الله بن مسافع بن عياض بن صخر بن عمر بن كعب بن سعد بن تيم التيمي، قال أبو موسى في الذيل عن ابن شاهين في ترجمته: وهو الذي نزل فيه: ﴿وَمَا كَانَ لَكُمْ أَن تُؤْذُواْ رَسُولَ اللَّهِ وَلَآ أَن تَنكِحُوٓاْ أَزْوَٰجَهُۥ مِنۢ بَعْدِهِۦٓ أَبَدًا﴾ وذلك أنه قال لئن مات رسول الله ﷺ لأتزوجن عائشة، وقال: إن جماعة من المفسرين غلطوا وظنوا أنه طلحة أحد العشرة)[4] ومما يؤيد هذا القول أيضاً كلام ابن حجر في تخريجه لأحاديث الكشاف عندما ضعف سند القصة ونقل كلام السهيلي أن ابن إسحاق ذكر ثعلبة بن حاطب في المنافقين، وذكر أن نزول هذه الآيات فيه، قال ابن حجر: (فلعلهما اثنان)[5].

---

(١) الإصابة في تمييز الصحابة، جـ: ١، ص: ٤ فما بعدها.

(٢) سيرة ابن هشام، جـ: ٤، ص: ١٧٤.

(٣) سورة الأحزاب: الآية ٥٣.

(٤) الحاوي للفتاوى، جـ: ٢، ص: ٩٧.

(٥) الكافي الشاف في تخريج أحاديث الكشاف، ملحق بالجزء الرابع من الكشاف، ص: ٧٧.

ومما يؤيد هذا القول أن القصة رويت بثلاث طرق، أوردها ابن جرير في تفسيره:

الطريق الأولى:

عن أبي أمامة الباهلي، وسبقت.

الطريق الثاني:

قال ابن جرير حدثني محمد بن سعد[1] قال حدثني أبي[2]، قال حدثني عمي[3] قال حدثني أبي[4] عن ابن عباس فذكره.

---

(١) محمد بن سعد بن محمد بن الحسن بن عطية العوفي، عن يزيد بن هارون، وروح وعبد الله بن بكر، وعنه ابن صاعد وأحمد بن كامل والخراساني، قال الخطيب: كان ليناً في الحديث، وروى الحاكم عن الدارقطني أنه لا بأس به، توفي سنة ست وسبعين ومائتين.
ا.هـ. من تاريخ بغداد، جـ: ٥، ص: ٢٢٢.

(٢) أبوه: سعد بن محمد بن الحسن بن عطية بن سعد العوفي، حدث عن أبيه، وعن فليح بن سليمان ومحمد بن طلحة بن مصرف وسليمان بن قرم، روى عنه ابنه محمد ومحمد بن غالب التمتام وأبو بكر ابن أبي الدنيا، قال الأثرم: قلت لأبي عبد الله، أخبرني اليوم إنسان بشيء عجيب، زعم أن فلاناً أمر بالكتاب عن سعد العوفي، وقال هو أوثق الناس في الحديث، فاستعظم ذاك أبو عبد الله جداً وقال لا إله إلاّ الله، سبحان الله، ذاك جهمي امتحن أول شيء قبل أن يخوفوا، وقبل أن يكون ترهيب فأجابهم، قلت: لأبي عبد الله فهذا جهمي إذاً، فقال: فأي شيء؟ ثم قال أبو عبد الله: لو لم يكن هذا أيضاً، لم يكن ممن يستأهل أن يكتب عنه، ولا كان موضعاً لذاك.
ا.هـ. تاريخ بغداد، جـ: ٦، ص: ١٢٦، ١٢٧.

(٣) عم أبيه: الحسن بن الحسن بن عطية أبو عبد الله العوفي، عن أبيه والأعمش ضعفه يحيى بن معين وغيره، وقال ابن حبان: يروي أشياء لا يتابع عليها، لا يجوز الاحتجاج بخبره، قال الخطيب: ولي قضاء الشرقية ببغداد، بعد حفص بن غياث، ثم نقل إلى قضاء عسكر المهدي، وقال النسائي: ضعيف، توفي سنة إحدى ومائتين ا.هـ. من ميزان الاعتدال، جـ: ١، ص: ٥٣٢، ٥٣٣.

(٤) أبو الحسين بن الحسن: هو الحسن بن عطية بن سعد العوفي الكوفي، ضعيف من السادسة، وحديثه عند أبي داود.
ا.هـ. من تقريب التهذيب، جـ: ١، ص: ١٦٨.

والطريق الثالث:

قال ابن جرير: حدثنا ابن حميد[1]، قال: حدثنا سلمة[2] عن ابن إسحاق[3] عن عمرو بن عبيد[4] عن الحسن[5] ﴿وَمِنْهُم مَّنْ عَٰهَدَ ٱللَّهَ لَئِنْ ءَاتَىٰنَا مِن فَضْلِهِۦ . . .﴾ الآية، كان الذي عاهد الله منهم ثعلبة بن حاطب ومعتب بن قشير وهما من بني عمرو بن عوف.

فهذه ثلاثة طرق رويت فيها القصة، يقوي بعضها بعضاً بأن القصة لها أصل، وأنها نزلت في رجل اسمه ثعلبة بن حاطب أو ثعلبة بن أبي حاطب رجل من المنافقين.

كما أن كثيراً من المنافقين لم يعرفوا، ولذلك كان حذيفة بن اليمان رضي الله عنه يعرف كثيراً منهم، لأنه صاحب سر رسول الله ﷺ، وقد استشهده عمر بن الخطاب، هل سماه رسول الله ﷺ في المنافقين، فقال له حذيفة: لا، ولا أزكي غيرك أحداً.

---

(١) محمد بن حميد بن حيان الرازي، حافظ ضعيف، وكان ابن معين حسن الرأي فيه، من العاشرة، مات سنة ثلاثين ومائتين، وحديثه عند أبي داود والترمذي وابن ماجه. ا.هـ. من تقريب التهذيب، جـ: ٢، ص: ١٥٦.

(٢) سلمة بن الفضل الأبرش بالمعجمة، مولى الأنصار، قاضي الري، صدوق كثير الخطأ، من التاسعة، مات بعد التسعين والمائة وقد جاوز المائة، وحديثه عند أبي داود والترمذي، وعند ابن ماجه في التفسير. ا.هـ. من تقريب التهذيب، جـ: ١، ص: ٣١٨.

(٣) محمد بن إسحاق بن يسار، أبو بكر المطلبي مولاهم المدني، نزيل العراق، إمام المغازي، صدوق يدلس ورمي بالتشيع والقدر، من صغار الخامسة، مات سنة خمسين ومائة، ويقال بعدها، وحديثه عند البخاري معلقاً، وعند مسلم وعند الجماعة سوى الشيخين.
ا.هـ. من تقريب التهذيب، جـ: ٢، ص: ١٤٤.

(٤) عمرو بن عبيد بن باب بموحدتين التميمي، مولاهم أبو عثمان البصري المعتزلي المشهور، كان داعية إلى بدعة، اتهمه جماعة مع أنه كان عابداً، من السابعة، مات سنة ثلاث وأربعين ومائة أو قبلها، وحديثه عند أبي داود في القدر، وعند ابن ماجه في التفسير.
ا.هـ. من تقريب التهذيب، جـ: ٢، ص: ٧٤.

(٥) الحسن بن أبي الحسن البصري: سبقت ترجمته.

والمنافقون كثير في عهد رسول الله ﷺ، يدل على ذلك مقالة عبد الله بن أبي ابن سلول، حينما طلب الرسول ﷺ من يهود بني النضير أن يخرجوا من المدينة، وأجلهم عشرا، فمن وجد بعد ذلك ضرب الرسول ﷺ عنقه، فأقاموا أياماً يتجهزون، فأرسل إليهم المنافق عبد الله بن أبي أن لا تخرجوا من دياركم، فإن معي ألفين يدخلون معكم حصنكم، فيموتون دونكم، ولعلّ الشيخ عبد الرحمن بن سعدي لحظ هذا الخلاف في الرجل الذي نزلت فيه هذه الآيات، فقال: نزلت في رجل من المنافقين يقال له ثعلبة، ولم ينسبه.

٩ ـ وفي قوله تعالى من سورة النور:

﴿وَلَا يَأْتَلِ أُوْلُواْ ٱلْفَضْلِ مِنكُمْ وَٱلسَّعَةِ أَن يُؤْتُوٓاْ أُوْلِي ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينَ وَٱلْمُهَٰجِرِينَ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ وَلْيَعْفُواْ وَلْيَصْفَحُوٓاْ﴾[1].

أشار الشيخ إلى سبب نزول هذه الآية فقال:

(كان من جملة الخائضين في الإفك مسطح بن أثاثة، وهو قريب لأبي بكر الصديق رضي الله عنه، وكان مسطح فقيراً من المهاجرين في سبيل الله، فحلف أبو بكر أن لا ينفق عليه لقوله الذي قاله، فنزلت هذه الآية ينهاهم عن هذا الحلف المتضمن لقطع النفقة عنه، ويحثه على العفو والصفح، ويعده بمغفرة الله إن غفر له، فقال: ﴿أَلَا تُحِبُّونَ أَن يَغْفِرَ ٱللَّهُ لَكُمْ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ إذا عاملتم عبيده بالعفو والصفح، عاملكم بذلك.

فقال أبو بكر: لما سمع هذه الآية (بلى والله، إني لأحب أن يغفر لي، فرجع النفقة إلى مسطح)[2].

هذا السبب الذي أورده الشيخ سبباً لنزول هذه الآية، أخرجه البخاري رحمه الله في مواضع من صحيحه، وهو قطعة من حديث الإفك فأخرجه في الجهاد وفي الشهادات وفي التفسير والأيمان والنذر وفي التوحيد[3].

---

(١) سورة النور: الآية ٢٢.

(٢) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، ج: ٥، ص: ١٩٨.

(٣) فتح الباري، ج: ٨، ص: ٤٥٤.

وأخرجه الإمام مسلم رحمه الله في صحيحه في كتاب التوبة (باب في حديث الإفك وقبول توبة القاذف)[1].

وحديث الإفك حديث مشهور بين أهل العلم، وقد أخرجه كل من ألف في السنة وفي السيرة، وهو حديث طويل، تركت إيراده هنا لشهرته واختصاراً للبحث.

١٠ ـ وفي قوله تعالى أول سورة الممتحنة:

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّخِذُواْ عَدُوِّى وَعَدُوَّكُمْ أَوْلِيَآءَ تُلْقُونَ إِلَيْهِم بِٱلْمَوَدَّةِ وَقَدْ كَفَرُواْ بِمَا جَآءَكُم مِّنَ ٱلْحَقِّ يُخْرِجُونَ ٱلرَّسُولَ وَإِيَّاكُمْ . . .﴾ الآيات[2].

بين الشيخ رحمه الله أن سبب نزول هذه الآيات (ما ذكره كثير من المفسرين رحمهم الله في قصة حاطب بن أبي بلتعة حين غزا النبي ﷺ غزاة الفتح، فكتب حاطب إلى المشركين من أهل مكة يخبرهم بسير رسول الله ﷺ ليتخذ بذلك يداً عندهم لا شكاً ونفاقاً، وأرسله مع امرأة، فأخبر النبي ﷺ بشأنه، فأرسل إلى المرأة قبل وصولها، وأخذ منها الكتاب، وعاتب حاطباً، فاعتذر بعذر قبله النبي ﷺ)[3].

سبب نزول هذه الآيات الذي ذكره الشيخ عبد الرحمن بن سعدي في قصة حاطب بن أبي بلتعة حديث أخرجه البخاري ومسلم وغيرهما من أئمة الحديث.

قال البخاري رحمه الله في صحيحه من كتاب الجهاد والسير (باب الجاسوس، وقول الله عز وجل: ﴿لَا تَتَّخِذُواْ عَدُوِّى وَعَدُوَّكُمْ﴾ ثم ساق بسنده عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه قال: «بعثني رسول الله ﷺ أنا والزبير والمقداد بن الأسود وقال: انطلقوا حتى تأتوا روضة خاخ[4]، فإن بها

---

(١) صحيح مسلم، ج: ٨، ص: ١١٢.

(٢) سورة الممتحنة: الآية ١.

(٣) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، ج: ٨، ص: ١٠٩.

(٤) مكان بين مكة والمدينة بالقرب من ذي الحليفة، على بريد من المدينة وقيل على اثني عشر ميلا من المدينة.

ظعينة[1]، ومعها كتاب فخذوه منها، فانطلقنا تعادي بنا خيلنا حتى انتهينا إلى الروضة، فإذا نحن بالظعينة، فقلنا: أخرجي الكتاب، فقالت: ما معي من كتاب، فقلنا: لتخرجن الكتاب أو لنلقين الثياب، فأخرجته من عقاصها[2]، فأتينا به رسول الله ﷺ، فإذا فيه من حاطب بن أبي بلتعة إلى أناس من أهل مكة يخبرهم ببعض أمر رسول الله ﷺ، فقال رسول الله ﷺ: «يا حاطب ما هذا؟»، قال: يا رسول الله، لا تعجل إني كنت امرءاً ملصقاً في قريش، ولم أكن من أنفسها، وكان من معك من المهاجرين لهم قرابات بمكة يحمون بها أهليهم وأموالهم فأحببت إذ فاتني ذلك من النسب فيهم أن أتخذ عندهم يدا يحمون بها قرابتي، وما فعلت كفراً ولا ارتداداً ولا رضا بالكفر بعد الإسلام، فقال رسول الله ﷺ: «قد صدقكم فقال عمر: يا رسول الله دعني أضرب عنق هذا المنافق. قال: إنه شهد بدراً، وما يدريك لعلّ الله أن يكون قد اطلع على أهل بدر، فقال اعملوا ما شئتم فقد غفرت لكم»[3].

وأخرجه أيضاً في باب إذا اضطر الرجل إلى النظر في شعور أهل الذمة والمؤمنات إذا عصين الله وتجريدهن؛ من كتاب الجهاد والسير[4].

وفي باب فضل من شهد بدراً من كتاب المغازي[5].

وفي باب غزوة الفتح وما بعث به حاطب بن أبي بلتعة إلى مكة يخبرهم بغزو النبي ﷺ، وفي آخره التصريح بأن الله أنزل السورة الممتحنة: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّخِذُواْ عَدُوِّى وَعَدُوَّكُمْ أَوْلِيَآءَ﴾... إلى قوله تعالى: ﴿فَقَدْ ضَلَّ سَوَآءَ ٱلسَّبِيلِ﴾[6].

وأخرجه في كتاب التفسير باب لا تتخذوا عدوي وعدوكم أولياء[7].

---

(١) الظعينة: هي المرأة في الهودج، ولا يقال لها ظعينة إلاّ إذا كانت في الهودج.
(٢) عقاص المرأة: هي ذوائبها المضفورة.
(٣) فتح الباري، جـ: ٦، ص: ١٤٣.
(٤) فتح الباري، جـ: ٦، ص: ١٩٠.
(٥) فتح الباري، جـ: ٧، ص: ٣٠٤.
(٦) فتح الباري، جـ: ٧، ص: ٥١٩.
(٧) فتح الباري، جـ: ٨، ص: ٦٣٣.

وفي كتاب الاستئذان باب من نظر في كتاب من يحذر على المسلمين ليستبين أمره[1].

وفي كتاب استتابة المرتدين والمعاندين وقتالهم، باب ما جاء في المتأولين[2].

وأخرجه الإمام مسلم في صحيحه في باب من فضائل أهل بدر رضي الله عنهم، وقصة حاطب بن أبي بلتعة[3].

١١ ـ وفي قوله تعالى من سورة المدثر:

﴿ذَرْنِي وَمَنْ خَلَقْتُ وَحِيدًا ﴿١١﴾ وَجَعَلْتُ لَهُ مَالًا مَّمْدُودًا ﴿١٢﴾ وَبَنِينَ شُهُودًا ﴿١٣﴾ وَمَهَّدتُّ لَهُ تَمْهِيدًا ﴿١٤﴾ ثُمَّ يَطْمَعُ أَنْ أَزِيدَ ﴿١٥﴾ كَلَّآ ۖ إِنَّهُ كَانَ لِآيَاتِنَا عَنِيدًا ﴿١٦﴾ سَأُرْهِقُهُ صَعُودًا ﴿١٧﴾ إِنَّهُ فَكَّرَ وَقَدَّرَ ﴿١٨﴾ فَقُتِلَ كَيْفَ قَدَّرَ ﴿١٩﴾ ثُمَّ قُتِلَ كَيْفَ قَدَّرَ ﴿٢٠﴾ ثُمَّ نَظَرَ ﴿٢١﴾ ثُمَّ عَبَسَ وَبَسَرَ ﴿٢٢﴾ ثُمَّ أَدْبَرَ وَاسْتَكْبَرَ ﴿٢٣﴾ فَقَالَ إِنْ هَٰذَآ إِلَّا سِحْرٌ يُؤْثَرُ ﴿٢٤﴾ إِنْ هَٰذَآ إِلَّا قَوْلُ الْبَشَرِ ﴿٢٥﴾ سَأُصْلِيهِ سَقَرَ ﴿٢٦﴾ وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا سَقَرُ ﴿٢٧﴾ لَا تُبْقِي وَلَا تَذَرُ ﴿٢٨﴾ لَوَّاحَةٌ لِّلْبَشَرِ ﴿٢٩﴾ عَلَيْهَا تِسْعَةَ عَشَرَ ﴿٣٠﴾﴾[4].

بين الشيخ عبد الرحمن بن سعدي أن هذه الآيات نزلت في الوليد بن المغيرة المعاند للحق، المبارز لله ولرسوله بالمحاربة والمشاقة، فذمه الله ذماً لم يذم به غيره، وهذا جزاء كل من عاند الحق ونابذه، أن له الخزي في الدنيا، ولعذاب الآخرة أخزى[5].

وما أشار إليه الشيخ رحمه الله من سبب لنزول هذه الآيات أورده الإمام ابن جرير الطبري رحمه الله في تفسيره بروايات مختلفة عن عكرمة وابن عباس وابن زيد، كلّ هذه الروايات تنص على أن الذي نزلت فيه هذه الآيات هو

---

(١) فتح الباري، جـ: ١١، ص: ٤٦.
(٢) فتح الباري، جـ: ١٢، ص: ٣٠٤.
(٣) صحيح مسلم، جـ: ٧، ص: ١٦٧.
(٤) سورة المدثر: الآيات ١١ ـ ٣٠.
(٥) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، جـ: ٨، ص: ١٨٩.

الوليد بن المغيرة، وسأورد رواية ابن عباس رضي الله عنهما قال ابن جرير رحمه الله:

(قوله: ﴿إِنَّهُۥ فَكَّرَ وَقَدَّرَ ﴿١٨﴾﴾ إلى قوله: ﴿ثُمَّ عَبَسَ وَبَسَرَ ﴿٢٢﴾﴾ قال: دخل الوليد بن المغيرة على أبي بكر ابن أبي قحافة رضي الله عنه يسأله عن القرآن، فلما أخبره، خرج على قريش، فقال: يا عجبا لما يقول ابن أبي كبشة[1]، فوالله ما هو بشعر ولا بسحر ولا بهذى من الجنون، وإن قوله لمن كلام الله، فلما سمع بذلك النفر من قريش، ائتمروا وقالوا: والله لئن صبأ الوليد لتصبأن قريش، فلما سمع بذلك أبو جهل قال: أنا والله أكفيكم شأنه، فانطلق حتى دخل عليه بيته، فقال للوليد: ألم تر قومك قد جمعوا لك الصدقة قال: ألست أكثرهم مالاً وولدا، فقال له أبو جهل: يتحدثون أنك إنما تدخل على ابن أبي قحافة لتصيب من طعامه، قال الوليد: أقد تحدثت به عشيرتي، فلا يقصر عن سائر بني قصي، لا أقرب أبا بكر ولا عمر ولا ابن أبي كبشة، وما قوله إلاّ سحر يؤثر، فأنزل الله على نبيه ﷺ: ﴿ذَرْنِى وَمَنْ خَلَقْتُ وَحِيدًا ﴿١١﴾﴾... إلى قوله تعالى: ﴿لَا تُبْقِى وَلَا تَذَرُ ﴿٢٨﴾﴾[2].

١٢ ـ وفي قوله تعالى من سورة عبس:

﴿عَبَسَ وَتَوَلَّىٰٓ ﴿١﴾ أَن جَآءَهُ ٱلْأَعْمَىٰ ﴿٢﴾ وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّهُۥ يَزَّكَّىٰٓ ﴿٣﴾ أَوْ يَذَّكَّرُ فَتَنفَعَهُ ٱلذِّكْرَىٰٓ ﴿٤﴾ أَمَّا مَنِ ٱسْتَغْنَىٰ ﴿٥﴾ فَأَنتَ لَهُۥ تَصَدَّىٰ ﴿٦﴾ وَمَا عَلَيْكَ أَلَّا يَزَّكَّىٰ ﴿٧﴾ وَأَمَّا مَن جَآءَكَ يَسْعَىٰ ﴿٨﴾ وَهُوَ يَخْشَىٰ ﴿٩﴾ فَأَنتَ عَنْهُ تَلَهَّىٰ ﴿١٠﴾﴾[3].

ذكر الشيخ عبد الرحمن بن سعدي رحمه الله سبب نزول هذه الآيات فقال: (سبب نزول هذه الآيات الكريمات، أنه جاء رجل من المؤمنين أعمى، يسأل النبي ﷺ، ويتعلم منه، وجاءه رجل من الأغنياء، وكان ﷺ حريصاً على

---

(١) ابن أبي كبشة: هو محمد ﷺ، وكبشة أحد أجداده، وعادة العرب إذا انتقصت نسبت إلى جد غامض.
فتح الباري شرح صحيح البخاري، جـ: ١، ص: ٤٠.

(٢) تفسير الإمام الطبري، جـ: ٢٩، ص: ١٥٦، ١٥٧.

(٣) سورة عبس: الآيات ١ ـ ١٠.

هداية الخلق، فمال ﷺ، وأصغى إلى الغني، وصد عن الأعمى، الفقير، رجاء لهداية ذلك الغني، وطمعاً في تزكيته، فعاتبه الله بهذا العتاب اللطيف)[1].

ما أشار إليه الشيخ عبد الرحمن السعدي من سبب لنزول هذه الآيات، أورده الإمام ابن جرير الطبري في تفسيره موضحاً فيه الأعمى الذي جاء إلى رسول الله ﷺ، وأعرض عنه الرسول هذا الأعمى هو ابن أم مكتوم، فقد روى ابن جرير بسنده (عن عائشة رضي الله عنها قالت: نزلت ﴿عَبَسَ وَتَوَلَّىٰٓ ۝١﴾ في ابن أم مكتوم، قالت: أتى رسول الله ﷺ، فجعل يقول أرشدني، قالت: وعند رسول الله ﷺ من عظماء المشركين، قالت: فجعل النبي ﷺ يعرض عنه، ويقبل على الآخر، ويقول: أترى بما أقوله بأساً، فيقول: لا)[2].

وأخرجه الترمذي في جامعه في كتاب التفسير[3]، والحاكم في مستدركه على الصحيحين، وقال في آخره: هذا حديث صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه، فقد أرسله جماعة عن هشام بن عروة»[4].

وقد أشارت رواية أخرى عن ابن عباس، أخرجها الإمام الطبري في تفسيره إلى أسماء العظماء من المشركين الذين أقبل إليهم الرسول ﷺ طمعاً في إسلامهم، حينما أعرض عن ابن أم مكتوم، تقول الرواية: عن ابن عباس قوله: ﴿عَبَسَ وَتَوَلَّىٰٓ ۝١ أَن جَآءَهُ ٱلۡأَعۡمَىٰ ۝٢﴾ قال: بينما رسول الله ﷺ يناجي عتبة بن ربيعة وأبا جهل بن هشام والعباس بن عبد المطلب، وكان يتصدى لهم كثيراً، ويحرص عليهم أن يؤمنوا، فأقبل إليه رجل أعمى يقال له: عبد الله بن أم مكتوم، يمشي وهو يناجيهم، فجعل عبد الله يستقرئ النبي ﷺ آية من القرآن وقال: يا رسول الله، علمني مما علمك الله، فأعرض عنه رسول الله ﷺ، وعبس في وجهه، وتولى وكره كلامه، وأقبل على الآخرين الحديث)[5].

---

(١) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، ج: ٨، ص: ٢١٦.
(٢) تفسير ابن جرير، ج: ٣٠، ص: ٥٠.
(٣) تحفة الأحوذي شرح جامع الترمذي، ج: ٩، ص: ٥٠.
(٤) مستدرك الحاكم، ج: ٢، ص: ٥١٤ تفسير سورة عبس.
(٥) تفسير ابن جرير، ج: ٣٠، ص: ٥١.

١٣ ـ وفي تفسير قوله تعالى من سورة الليل:

﴿فَأَمَّا مَنْ أَعْطَىٰ وَاتَّقَىٰ ۝٥ وَصَدَّقَ بِالْحُسْنَىٰ ۝٦ فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْيُسْرَىٰ ۝٧ ﴾... إلى قوله تعالى: ﴿وَمَا لِأَحَدٍ عِندَهُ مِن نِّعْمَةٍ تُجْزَىٰ ۝١٩﴾[١].

بين رحمه الله تعالى أن نزول هذه الآيات كان في أبي بكر الصديق رضي الله عنه، فقال:

(وهذه الآيات، وإن كانت متناولة لأبي بكر الصديق رضي الله عنه، بل قد قيل إنها نزلت بسببه، فإنه رضي الله عنه ما لأحد عنده من نعمة تجزى، حتى ولا رسول الله ﷺ إلاّ نعمة الرسول التي لا يمكن جزاؤها وهي نعمة الدعوة إلى دين الإسلام وتعليم الهدى، ودين الحق، فإن لله ورسوله المنة على كل أحد، منة لا يمكن لها جزاء ولا مقابلة، فإنها متناولة لكل من اتصف بهذا الوصف الفاضل)[٢].

سبب نزول هذه الآيات الذي أورده الشيخ عبد الرحمن السعدي بصيغة التمريض، حيث قال: (بل قد قيل إنها نزلت بسببه).

ذكره الإمام ابن جرير الطبري في تفسيره، فقد أخرج بسنده عن عامر بن عبد الله بن الزبير[٣] قال: «كان أبو بكر الصديق يعتق على الإسلام بمكة، فكان يعتق عجائز ونساء إذا أسلمن، فقال له أبوه: أي بني.. أراك تعتق أناساً ضعفاء، فلو أنك أعتقت رجالاً جلداً، يقومون معك ويمنعونك ويدفعون عنك، فقال: أي أبت إنما أريد ـ أظنه قال ـ ما عند الله، قال: فحدثني بعض أهل بيتي أن هذه الآية نزلت فيه: ﴿فَأَمَّا مَنْ أَعْطَىٰ وَاتَّقَىٰ ۝٥ وَصَدَّقَ بِالْحُسْنَىٰ ۝٦ فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْيُسْرَىٰ ۝٧ ﴾[٤].

---

(١) سورة الليل: الآيات ٥ ـ ١٩.

(٢) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، جـ: ٨، ص: ٢٤٩.

(٣) عامر بن عبد الله بن الزبير بن العوام الأسدي، أبو الحارث المدني، ثقة عابد، من الرابعة، مات سنة إحدى وعشرين ومائة، وحديثه عند الجماعة.
تقريب التهذيب، جـ: ١، ص: ٣٨٨.

(٤) تفسير الطبري، جـ: ٣٠، ص: ٢٢١.

ومن طريق قتادة[1] في قوله تعالى: ﴿وَمَا لِأَحَدٍ عِندَهُۥ مِن نِّعْمَةٍ تُجْزَىٰٓ ﴿١٩﴾﴾ قال: «نزلت في أبي بكر، أعتق ناساً لم يلتمس منهم جزاء ولا شكورا ستة أو سبعة، منهم بلال وعامر بن فهيرة»[2].

وأخرجه الحاكم في مستدركه عن عامر بن عبد الله بن الزبير عن أبيه قال: (قال أبو قحافة لأبي بكر: أراك تعتق رقاباً ضعافاً فلو أنك إذا فعلت ما فعلت أعتقت رجالاً جلدا يمنعونك، ويقومون دونك، فقال أبو بكر: يا أبت، إني إنما أريد ما أريد، لما نزلت هذه الآيات فيه: ﴿فَأَمَّا مَنْ أَعْطَىٰ وَٱتَّقَىٰ ﴿٥﴾ وَصَدَّقَ بِٱلْحُسْنَىٰ ﴿٦﴾﴾.. إلى قوله عز وجل: ﴿وَمَا لِأَحَدٍ عِندَهُۥ مِن نِّعْمَةٍ تُجْزَىٰٓ ﴿١٩﴾﴾[3].

ثم قال الحاكم: هذا حديث صحيح على شرط مسلم ولم يخرجاه.

وقال ابن كثير رحمه الله تعالى عند تفسير قوله تعالى: ﴿وَسَيُجَنَّبُهَا ٱلْأَتْقَى ﴿١٧﴾ ٱلَّذِى يُؤْتِى مَالَهُۥ يَتَزَكَّىٰ ﴿١٨﴾﴾: «وقد ذكر غير واحد من المفسرين أن هذه الآيات نزلت في أبي بكر الصديق رضي الله عنه، حتى أن بعضهم حكى الإجماع من المفسرين على ذلك»[4].

١٤ ـ وفي تفسير قوله تعالى من سورة العلق:

﴿كَلَّا لَئِن لَّمْ يَنتَهِ لَنَسْفَعًۢا بِٱلنَّاصِيَةِ ﴿١٥﴾ نَاصِيَةٍ كَٰذِبَةٍ خَاطِئَةٍ ﴿١٦﴾ فَلْيَدْعُ نَادِيَهُۥ ﴿١٧﴾ سَنَدْعُ ٱلزَّبَانِيَةَ ﴿١٨﴾ كَلَّا لَا تُطِعْهُ وَٱسْجُدْ وَٱقْتَرِب ﴿١٩﴾﴾[5].

أشار الشيخ عبد الرحمن بن سعدي رحمه الله إلى أن هذه الآيات نزلت في أبي جهل حيث قال رحمه الله:

(وهذا عام لكل ناه عن الخير، ولكل منهي عنه، وإن كانت نازلة في

---

(١) قتادة بن دعامة السدوسي، من أئمة التفسير.
(٢) تفسير الطبري، ج: ٣٠، ص: ٢٢٨.
(٣) مستدرك الحاكم، تفسير سورة الليل، ج: ٢، ص: ٥٢٥، ٥٢٦.
(٤) تفسير ابن كثير، ج: ٧، ص: ٣١٠.
(٥) سورة العلق: الآيات ١٥ ـ ١٩.

شأن أبي جهل، حين نهى رسول الله ﷺ عن الصلاة، وعذبه وآذاه)[1].

هذا السبب الذي ذكره الشيخ ابن سعدي أخرجه البخاري في صحيحه عن ابن عباس رضي الله عنهما في كتاب التفسير، باب (كلا لئن لم ينته لنسفعا بالناصية، ناصية كاذبة خاطئة)، قال ابن عباس: قال أبو جهل: لئن رأيت محمداً يصلي عند الكعبة لأطأن على عنقه، فبلغ النبي ﷺ فقال: لو فعله لأخذته الملائكة[2]، ثم قال البخاري: تابعه عمرو بن خالد[3]، عن عبيد الله[4]، عن عبد الكريم[5].

وأخرجه الترمذي في جامعه في كتاب التفسير[6] عن عبد الله بن عباس رضي الله عنهما، وأورده الإمام الطبري[7] في تفسيره عن ابن عباس رضي الله عنهما.

وبعد.. فهذه بعض من النماذج لأسباب النزول التي أوردها الشيخ عبد الرحمن بن ناصر السعدي في تفسيره، وهناك أسباب نزول تطرق إليها ابن سعدي أعرضت عنها خشية الإطالة، وفيما أوردته كفاية إن شاء الله لا يضاح منهجه في أسباب النزول.

---

(١) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، جـ: ٨، ص: ٢٥٥.

(٢) فتح الباري شرح صحيح البخاري، جـ: ٨، ص: ٧٢٤.

(٣) عمرو بن خالد بن فروخ بن سعيد التميمي، ويقال الخزاعي أبو الحسن الحراني، نزيل مصر، ثقة، من العاشرة، مات سنة تسع وعشرين ومائتين، وحديثه عند البخاري وعند ابن ماجه، تقريب التهذيب، جـ: ٢، ص: ٦٩.

(٤) عبيد الله بن عمرو بن أبي الوليد الرقي أبو وهب الأموي، ثقة، فقيه ربما وهم، من الثالثة، مات سنة ثمانين بعد المائة عن ثمانين إلاّ سنة وحديثه عند الجماعة.
تقريب التهذيب، جـ: ١، ص: ٥٣٧.

(٥) عبد الكريم بن مالك الجزري أبو سعيد، مولى بني أمية، وهو الخضري نسبة إلى قرية من اليمامة، ثقة من السادسة، مات سنة سبع وعشرين ومائة، وحديثه عند الجماعة.
تقريب التهذيب، جـ: ١، ص: ٥١٦.

(٦) تحفة الأحوذي شرح جامع الترمذي، جـ: ٩، ص: ٢٧٧.

(٧) تفسير ابن جرير الطبري، جـ: ٣٠، ص: ٢٥٦.

ثانياً: المكي والمدني

للعلماء في تعريف المكي والمدني اصطلاحات ثلاثة:

١ ـ منهم من لحظ المكان، فقال المكي ما نزل بمكة، ولو بعد الهجرة والمدني ما نزل بالمدينة.

٢ ـ ومنهم من لحظ الزمان، فقال ما نزل قبل الهجرة فهو مكي، وما نزل بعد الهجرة فهو مدني، ولو نزل بمكة.

٣ ـ ومنهم من لحظ الخطاب فقال: ما نزل خطاباً لأهل مكة فهو مكي، وما نزل خطاباً لأهل المدينة فهو مدني.

وأهل هذا الاصطلاح يقولون: لما كان الغالب على أهل مكة الكفر خوطبوا بيا أيها الناس، وإن كان غيرهم داخلاً فيهم[1]، وكان الغالب على أهل المدينة الإيمان خوطبوا بيا أيها الذين آمنوا، وإن كان غيرهم داخلاً فيها.

وأما فائدة معرفة المكي من المدني، فهي معرفة المتقدم من المتأخر فيكون المتأخر ناسخاً للمتقدم عند تعارض الآيات وعدم التوفيق بينها أو مخصصاً له.

* أنواع ما نزل من السور:

أما أنواع ما نزل من السور، فأربعة أنواع:

١ ـ مدني خالص.

٢ ـ مكي خالص.

٣ ـ مدني بعضه مكي.

٤ ـ مكي بعضه مدني.

والشيخ عبد الرحمن بن سعدي في تفسيره لم يحدد إلاّ النوعين الأولين، أما النوعان الأخيران وهما المدني الذي بعضه مكي، والمكي الذي بعضه مدني، فلم يتحدث عنهما.

وقد حدّد رحمه الله أول كل سورة نوعها هل هي مكية أو مدنية، فكان المدني عنده خمسا وعشرين سورة هي: (البقرة ـ آل عمران ـ النساء ـ المائدة ـ

---

(١) راجع البرهان في علوم القرآن للزركشي، جـ: ١، ص: ١٨٧، والإتقان في علوم القرآن للسيوطي، جـ: ١، ص: ٢٢.

الأنفال ـ التوبة ـ مريم ـ النور ـ الأحزاب ـ القتال ـ الفتح ـ الحجرات ـ الحديد ـ المجادلة ـ الحشر ـ الممتحنة ـ الصف ـ الجمعة ـ المنافقون ـ الطلاق ـ التحريم ـ الإنسان ـ المطففين ـ البينة ـ الزلزلة).

وهناك سور اختلف فيها، فقيل إنها مكية، وقيل إنها مدنية، وهذه السور أربع هي:

(الرعد ـ الحج ـ الفرقان مكية عند الجمهور ـ الشعراء مكية عند الجمهور).

أما بقية سور القرآن، وهي خمس وثمانون سورة فهي مكية عند الشيخ عبد الرحمن بن ناصر السعدي.

والملاحظ في تحديد الشيخ لنوع السور أنه يذكر نوع السورة مكية أو مدنية دون الإشارة إلى مصدره، كما أنه لم يعط أي إشارة إلى الآيات التي في سور مكية وهي مدنية، أو الآيات المكية وهي في سور مدنية.

وعندي ملحوظتان هامتان على الشيخ في هذا المبحث:

*** الملحوظة الأولى:**

أنه جعل سورة مريم مدنية، ولم أطلع على قول سبقه على ذلك، بل الأقوال التي اطلعت عليها تنص على أنها مكية بالإجماع، وقد حكى الإجماع على مكيتها الإمام القرطبي في تفسيره، حيث قال عند تفسير أولها «وهي مكية بإجماع»[1].

وحكى الإجماع على مكيتها ابن الجوزي في تفسيره زاد المسير في علم التفسير، حيث قال رحمه الله أول تفسير سورة مريم «وهي مكية بإجماعهم من غير خلاف علمناه»[2].

---

(١) الجامع لأحكام القرآن للقرطبي، جـ: ١١، ص: ٧٢.

(٢) زاد المسير في علم التفسير لابن الجوزي، جـ: ٥، ص: ٢٠٤.

* الملحوظة الثانية:

عد الشيخ عبد الرحمن بن سعدي سورة النصر مكية، ولا أدري ما هو مستنده في هذا القول، فما بين يدي من كتب التفسير وكتب علوم القرآن تنص على أنها مدنية، بل إن كثيراً من كتب التفسير حكى مؤلفوها بأنها من آخر ما نزل من سور القرآن، وقد حكى الإجماع على مدنيتها الإمام ابن الجوزي، حيث قال رحمه الله عند أول تفسيرها «وهي مدنية بإجماعهم»[1].

وفي أفراد مسلم من حديث ابن عباس أنها آخر سورة نزلت جميعاً[2].

وحكى الإجماع على مدنيتها الإمام القرطبي فقال: «عند أول تفسيرها «وهي مدنية بإجماع، وتسمى سورة التوديع، وهي ثلاث آيات، وهي آخر سورة نزلت جميعاً، قاله ابن عباس في صحيح مسلم»[3].

فلعل الشيخ عبد الرحمن بن سعدي حصل منه سهو في ذلك. أو حصل الخطأ من الناسخ.

ثالثاً: المحكم والمتشابه عند ابن سعدي

أولاً: لقد اعتنى العلماء بهذا الفن، وتناولوه بالتأليف، أو وضعوه في مؤلفاتهم التي ألفوها في علوم القرآن.

ومن أوائل من تناوله القاضي عبد الجبار[4] المعتزلي، ألف كتاباً اسمه «متشابه القرآن»[5]، ومن ذلك كتاب «البرهان في توجيه متشابه

---

(١) زاد المسير في علم التفسير لابن الجوزي، ج: ٥، ص: ٢٥٥.

(٢) صحيح الإمام مسلم، ج: ٨، ص: ٢٤٣.

(٣) الجامع لأحكام القرآن للقرطبي، ج: ٢، ص: ٢٢٩.

(٤) هو عبد الجبار بن أحمد بن عبد الجبار بن أحمد الخليل، القاضي أبو الحسن الهمذاني الأسد آباذي، وهو الذي تلقبه المعتزلة قاضي القضاة، ولا يطلقون هذا اللقب على سواه، ولا يعنون به عند الإطلاق غيره، كان إمام أهل الاعتزال في زمانه، وكان ينتحل مذهب الشافعي في الفروع، له التصانيف السائرة منها: التفسير، عاش دهراً طويلاً ورحلت إليه الطلاب، وولي قضاء الري وأعمالها، توفي في ذي القعدة سنة خمس عشرة وأربعمائة بالري، ودفن بها. طبقات المفسرين للداوودي، ج: ١، ص: ٢٦٢.

(٥) طبع الكتاب عام ١٩٦٦ بتحقيق الدكتور عدنان زرزور.

القرآن»[1]، لما فيه من الحجة والبيان للكرماني[2]، وألف الإمام ابن تيمية رسالة صغيرة بعنوان «الإكليل في المتشابه والتأويل»[3]. وكتاب «تأويل مشكل القرآن»[4] لابن قتيبة[5]. هؤلاء وغيرهم، تناولوا الإحكام والتشابه بمؤلفات مستقلة.

أما الذين جعلوه ضمن المباحث التي ألفوها في علوم القرآن، فمنهم الزركشي في كتابه «البرهان في علوم القرآن» حيث حصر الإحكام والتشابه في النوع السادس والثلاثين الجزء الثاني، والسيوطي في النوع الثالث والأربعين من «الإتقان في علوم القرآن»، أول الجزء الثالث، والزرقاني في كتابه «مناهل العرفان في علوم القرآن» المبحث الخامس عشر في الجزء الثاني.

---

(١) طبع الكتاب مرتين، الأولى باسم «أسرار التكرار في القرآن» وذلك عام ١٣٩٤هـ، والثاني باسم «البرهان في توجيه متشابه القرآن» عام ١٤٠٦هـ، والطبعتان بتحقيق أحمد عطا.

(٢) هو محمود حمزة بن نصر، أبو القاسم الكرماني، النحوي، المعروف بتاج القراء، قال ياقوت: هو تاج القراء وأحد العلماء الفهماء النبلاء صاحب التصانيف والفضل، كان عجباً في دقة الفهم، وحسن الاستنباط لم يفارق وطنه، ولا رحل، وكان في حدود الخمسمائة، صنف: لباب التفسير، وكتاب البرهان في متشابه القرآن، وكتاب خط المصاحف، كان في حدود المائة الخامسة، ومات بعدها.
طبقات المفسرين للداوودي، جـ: ٢، ص: ٣١٢.

(٣) طبعت الرسالة مستقلة مراراً، وطبعت مع مجموع الفتاوى جمع عبد الرحمن بن قاسم.

(٤) طبع الكتاب باسم «القرطين» لابن مطرف الكناني، كما طبع الكتاب باسمه عام ١٣٩٣هـ بتحقيق أحمد صقر، وأعيد طبعه للمرة الثالثة عام ١٤٠١هـ.

(٥) أبو محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدينوري، النحوي اللغوي الكاتب نزيل بغداد، قال الخطيب: كان رأساً في العربية واللغة والأخبار، وأيام الناس، ثقة دينا فاضلاً، حدث عن إسحاق بن راهوية وأبي حاتم السجستاني، وعنه ابنه القاضي أحمد وابن درستويه، صنف إعراب القرآن، ومعاني القرآن ومشكل القرآن وغريب القرآن، والرد على القائل بخلق القرآن، ولد سنة ثلاث عشرة ومائتين، ومات سنة سبع وستين ومائتين. طبقات المفسرين للداوودي، جـ: ١، ص: ٢٥١.

ثانياً: تعريف المحكم والمتشابه لغة واصطلاحاً:

أ ـ المحكم:

يرى ابن فارس[1] في معجم مقاييس اللغة[2] أن الحاء والكاف والميم أصل واحد، وهو المنع وَأَوْلُ ذلك الحكم وهو المنع من الظلم، وسميت حكمة الدابة لأنها تمنعها من الجماح، وتذللها لصاحبها، ويقال: حكمت السفيه وأحكمته إذا أخذت على يديه، والحكمة هذا قياسها لأنها تمنع من الجهل.

وكذا يرى الفيومي[3] في المصباح المنير[4]، ويضيف الراغب[5] في مفرداته[6] إلى أنه منع لإصلاح.

وقد قالوا الحكم والحاكم، لأنه يمنع الظلم، وسميت الحكمة بذلك

---

(١) هو: أبو الحسين أحمد بن فارس بن زكريا بن محمد بن حبيب الرازي اللغوي، كان إماماً في علوم شتى، وخصوصاً اللغة، فإنه أتقنها وألف كتاب المجمل في اللغة، وله كتاب حلية الفقهاء، وله رسائل أنيقة ومسائل في اللغة، وكان مقيماً بهمذان، وعليه اشتغل بديع الزمان الهمذاني صاحب المقامات، توفي سنة تسعين وثلاثمائة رحمه الله بالري. وفيات الأعيان لابن خلكان، ج: ١، ص: ١١٨.

(٢) معجم مقاييس اللغة، ج: ٢، ص: ٩١.

(٣) هو: أحمد بن محمد الفيومي، ثم الحموي، نشأ بالفيوم، واشتغل ومهر وتميز وجمع في العربية عند أبي حيان، فارتحل إلى حماة فقطنها ولما بنى الملك المؤيد إسماعيل جامع الدهشة قرره في خطابتها، وكان فاضلاً عارفاً باللغة والفقه، وجمع في ذلك كتاباً أسماه «المصباح المنير في غريب الشرح الكبير» وكأنه عاش إلى بعد سنة سبعين وسبعمائة.

الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة، ج: ١، ص: ٣٣٤.

(٤) المصباح المنير، ج: ١، ص: ١٧٦.

(٥) هو: الحسن بن محمد بن المفضل أبو القاسم الأصفهاني، المعروف بالراغب، كان في أوائل المائة الخامسة، له مفردات القرآن، وجامع التفاسير، أخذ عنه البيضاوي في تفسيره وحل متشابهات القرآن، وسماه السيوطي المفضل بن محمد.

بغية الوعاة للسيوطي، ج: ٢، ص: ٢٩٧.

(٦) المفردات في غريب القرآن، ص: ١٢٦.

لأنها تمنع صاحبها من أخلاق الأنذال، وعلى هذا تدور مادة الأحكام، فهو مصدر أحكم، وهي في القرآن بمعنى الإتقان.

ب ـ المتشابه:

يقول ابن فارس في مادة شبه: الشين والباء والهاء أصل واحد يدل على تشابه الشيء وتشاكله لوناً ووصفاً.

والمشبهات من الأمور المشكلات، واشتبه الأمران إذا أشكلا[1].

ويقول الفيومي: شبهت الشيء بالشيء إذا أقمته مقامه بصفة جامعة بينهما، وتكون الصفة ذاتية ومعنوية، فالذاتية نحو هذا الدرهم كهذا الدرهم، وهذا السواد كهذا السواد، والمعنوية نحو زيد كالأسد أو كالحمار في شدته وبلادته، واشتبهت الأمور وتشابهت التبست فلم تتميز ولم تظهر، فالمشابهة المشاركة في معنى من المعاني والاشتباه الالتباس[2].

وأورد الراغب في مفرداته مادة شبه فقال: الشبه والشبه والشبيه حقيقتها في المماثلة في جهة الكيفية، كاللون والطعم، وكالعدالة والظلم، والشبهة هو أن لا يتميز أحد الشيئين عن الآخر لما بينهما من التشابه، قال تعالى: ﴿وَأُتُوا۟ بِهِۦ مُتَشَٰبِهًا﴾[3] أي يشبه بعضه بعضاً لوناً لا طعماً وحقيقة، وقيل متماثلاً في الكمال والجودة، ثم أورد الراغب كلاماً جمع فيه خلاصة للمتشابه، فقد عرف المتشابه من القرآن، وبين أضربه في ذاته ومن حيث العلم به وعدمه[4].

جـ ـ تحديد العلماء للمحكم والمتشابه:

أورد السيوطي رحمه الله في كتابه الإتقان في علوم القرآن جملة من أقوال العلماء في تحديد المحكم والمتشابه[5]، نذكر ما تيسر منها:

---

(١) معجم مقاييس اللغة، جـ: ٣، ص: ٢٤٣.
(٢) المصباح المنير، جـ: ١، ص: ٣٥٨.
(٣) سورة البقرة: جزء من الآية ٢٥.
(٤) المفردات للراغب، ص: ٢٥٤.
(٥) الاتقان في علوم القرآن، جـ: ٣، ص: ٣، ٤.

١ ـ فقيل: المحكم الواضح الدلالة الظاهر الذي لا يحتمل النسخ، والمتشابه الخفي الذي لا يدرك معناه عقلاً ولا نقلاً، وهو ما استأثر الله بعلمه كقيام الساعة، والحروف المقطعة، وعزاه الألوسي إلى الحنفية.

٢ ـ وقيل: المحكم ما لا يحتمل إلاّ وجهاً واحداً من أوجه التأويل، والمتشابه ما يحتمل أوجها، ويعزى هذا الرأي لابن عباس وعليه أكثر الأصوليين، قاله الزرقاني في مناهل العرفان.

٣ ـ وقيل: المحكم ما استقل بنفسه ولم يحتج إلى بيان، والمتشابه هو الذي لا يستقل بنفسه، بل يحتاج إلى بيان، فتارة يبين بكذا، وتارة يبين بكذا، لحصول الاختلاف في تأويله، وهو قول الإمام أحمد قاله الزرقاني.

٤ ـ وقيل: المحكم السديد النظم والترتيب، ويعرف معناه لغة دون قرينة، والمتشابه ما لا يفهم بقرينة ولا يحيط العلم بمعناه من حيث اللغة، وينسب هذا القول لإمام الحرمين.

٥ ـ وقيل: المحكم الواضح المعنى الذي لا يتطرق إليه إشكال، والمتشابه عكسه، وهو رأي الطيبي، حكاه السيوطي والزرقاني.

٦ ـ وقيل: المحكم ما عرف المراد منه، إما بالظهور، وإما بالتأويل، والمتشابه ما استأثر الله بعلمه كقيام الساعة، والحروف المقطعة، وينسب هذا القول لأهل السنة، حكاه الزرقاني.

٧ ـ وقيل: المحكم ما كانت دلالته راجحة، والمتشابه ما كانت دلالته غير راجحة، وينسب هذا القول للرازي قاله الزرقاني.

٨ ـ وقيل: المحكم الذي يعمل به، والمتشابه يؤمن به ولا يعمل به ونسب السيوطي هذا القول إلى قتادة.

٩ ـ وقيل: المحكم ما كان معقول المعنى، والمتشابه عكسه، ما عدى الصلوات الخمس، وينسب هذا القول للماوردي، حكاه السيوطي.

١٠ ـ وقيل: المحكم ما لم يتكرر لفظه، والمتشابه ما تكرر لفظه.

١١ ـ وقيل: المحكم ما لم ينسخ، والمتشابه ما نسخ، وينسب هذا القول للضحاك، حكاه السيوطي.

هذه أهم الأقوال التي عرضها السيوطي في الإتقان، وهناك أقوال أخرى، أعرضت عنها خشية الإطالة ولعدم أهميتها.

والآن.. مع الشيخ عبد الرحمن بن سعدي، لنرى رأيه في المحكم والمتشابه:

* قال في تفسير قوله تعالى من سورة آل عمران:

﴿هُوَ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ مِنْهُ ءَايَٰتٌ مُّحْكَمَٰتٌ هُنَّ أُمُّ ٱلْكِتَٰبِ وَأُخَرُ مُتَشَٰبِهَٰتٌ﴾ الآية[1].

قال رحمه الله: (وإن هذا الكتاب يحتوي على المحكم الواضح المعاني البين، الذي لا يشتبه بغيره، ومنه آيات متشابهات، تحتمل بعض المعاني، ولا يتعين منها واحد من الاحتمالين بمجردها حتى تضم إلى المحكم فالذين في قلوبهم مرض وزيغ وانحراف لسوء قصدهم، يتبعون المتشابه منه، فيستدلون به على مقالاتهم الباطلة وآرائهم الزائفة، طلباً للفتنة وتحريفاً لكتابه وتأويلاً له على مشاربهم ومذاهبهم، ليضلوا ويضلوا.

وأما أهل العلم الراسخون فيه، الذين وصل العلم واليقين إلى أفئدتهم، فأثمر لهم العمل والمعارف، فيعلمون أن القرآن كله من عند الله، وأنه كله حق محكمه ومتشابهه، وأن الحق لا يتناقض ولا يختلف، فلعلمهم أن المحكمات معناها في غاية الصراحة والبيان، يردون إليها المشتبه الذي تحصل فيه الحيرة لناقص العلم وناقص المعرفة، فيردون المتشابه إلى المحكم، فيعود كله محكماً، ويقولون: ﴿ءَامَنَّا بِهِۦ كُلٌّ مِّنْ عِندِ رَبِّنَا﴾ وَمَا يَذَّكَّرُ ﴾ للأمور النافعة والعلوم الصائبة ﴿إِلَّآ أُوْلُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ ﴾ أي أهل العقول الرزينة.

ففي هذا دليل على أن هذا من علامة أولي الألباب، وأن اتباع المتشابه

---

(١) سورة آل عمران: الآية ٧.

من أوصاف أهل الآراء السقيمة، والعقول الواهية، والقصود السيئة، وقوله: ﴿وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُۥٓ إِلَّا ٱللَّهُ﴾ إن أريد بالتأويل معرفة عاقبة الأمور وما تنتهي وتؤول إليه تعين الوقف على ﴿إِلَّا ٱللَّهُ﴾ حيث هو تعالى المتفرد بالتأويل بهذا المعنى، وإن أريد بالتأويل معنى التفسير ومعرفة معنى الكلام، كان العطف أولى، فيكون هذا مدحاً للراسخين في العلم، أنهم يعلمون كيف ينزلون نصوص الكتاب والسنة، محكمها ومتشابهها»[1].

فالشيخ ابن سعدي، يرى أن المتشابه هو الذي يحتمل أكثر من معنى، ولا يتعين واحد منها، حتى يضم إلى المحكم، وقد أوضح هذا المعنى أكثر في كتابه القواعد الحسان لتفسير القرآن، حيث قال رحمه الله حول هذا الموضوع ما نصه:

(القاعدة العشرون: القرآن كله محكم، وكله متشابه، باعتبار، وبعضه محكم وبعضه متشابه باعتبار ثالث، وقد وصفه الله تعالى بكل واحدة من هذه الأوصاف الثلاثة، فوصفه بأنه محكم في عدة آيات، وأنه ﴿كِتَٰبٌ أُحْكِمَتْ ءَايَٰتُهُۥ ثُمَّ فُصِّلَتْ مِن لَّدُنْ حَكِيمٍ خَبِيرٍ﴾[2].

ومعنى ذلك أنه في غاية الإحكام وقوة الاتساق، وأنه بالغ في الحكمة أقصى غاية، فأخباره كلها حق وصدق لا تناقض فيها ولا اختلاف، وأوامره كلها خير وهدى وبركة وصلاح، ونواهيه عن كل ما يعود على الإنسان بالشرور والضرر والأخلاق الرذيلة والأعمال السيئة، فهذا إحكامه.

ووصفه بأنه متشابه في قوله من سورة الزمر: ﴿ٱللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ ٱلْحَدِيثِ كِتَٰبًا مُّتَشَٰبِهًا﴾[3]، أي متشابها في الحسن والصدق والهدى والحق، وروده بالمعاني المزكية للعقول المطهرة للقلوب، المصلحة للأحوال، فألفاظه أحسن الألفاظ، ومعانيه أحسن المعاني.

---

(١) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، جـ: ١، ص: ١٧٢.
(٢) سورة هود: الآية ١.
(٣) سورة الزمر: الآية ٢٣.

ثم يقول بعد ذلك:

ووصفه بأن: ﴿مِنْهُ ءَايَٰتٌ مُّحْكَمَٰتٌ هُنَّ أُمُّ ٱلْكِتَٰبِ وَأُخَرُ مُتَشَٰبِهَٰتٌ﴾[1] فهنا وصفه بأن بعضه هكذا، وبعضه هكذا، وأن الذين رسخت قلوبهم وثبتت بالفقه والفهم عن الله، فثبتوا ثبات الجبال الراسخة، لا تزلزلهم الشبهات ولا الشهوات، لأنهم يردون المتشابه منه إلى المحكم، فيصير كله محكماً، ويقولون: ﴿كُلٌّ مِّنْ عِندِ رَبِّنَا﴾ أي وما كان من عنده فلا تناقض فيه، فما اشتبه منه في موضع فسره الموضع الآخر المحكم، فحصل العلم وزال الإشكال، ولهذا أمثلة:

١ ـ منها ما تقدم من الأخبار، بأنه على كل شيء قدير، وأنه ما شاء كان وما لم يشأ لم يكن، وأنه يهدي من يشاء، ويضل من يشاء، فإذا اشتبهت آيات على من ظن به خلاف الحكمة، وأن هدايته وإضلاله جزافاً لغير سبب، كشفت هذا الاشتباه، وجلته الآيات الأخر الدالة على أن هدايته لها أسباب، يفعلها العبد، ويتصف بها، مثل قوله في سورة المائدة: ﴿يَهْدِى بِهِ ٱللَّهُ مَنِ ٱتَّبَعَ رِضْوَٰنَهُۥ سُبُلَ ٱلسَّلَٰمِ﴾[2]، وأن إضلاله لعبده له أسباب في العبد، وهو توليه للشيطان.

قال في سورة الأعراف: ﴿فَرِيقًا هَدَىٰ وَفَرِيقًا حَقَّ عَلَيْهِمُ ٱلضَّلَٰلَةُ إِنَّهُمُ ٱتَّخَذُوا۟ ٱلشَّيَٰطِينَ أَوْلِيَآءَ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَيَحْسَبُونَ أَنَّهُم مُّهْتَدُونَ ﴿٣٠﴾﴾[3]، وقال في سورة الصف: ﴿فَلَمَّا زَاغُوٓا۟ أَزَاغَ ٱللَّهُ قُلُوبَهُمْ﴾[4] وإذا اشتبهت آيات على الجبري الذي يرى أن العباد مجبورون على أفعالهم، بينتها الآيات الأخر الكثيرة الدالة على أن الله لم يجبر العباد، وأن أعمالهم واقعة باختيارهم وقدرتهم وأضافها إليهم في آيات غير منحصرة)[5].

---

(١) سورة آل عمران: الآية ٧.
(٢) سورة المائدة: الآية ١٦.
(٣) سورة الأعراف: الآية ٣٠.
(٤) سورة الصف: الآية ٥.
(٥) القواعد الحسان لتفسير القرآن بتلخيص، ص: ٦٩ ـ ٧٢.

وهكذا يسوق الشيخ أمثلة كثيرة غير التي ذكرتها، تركتها خشية الإطالة، وبهذه المناقشة والتركيز يكون الشيخ قد عرض موقفه من المحكم والمتشابه بأمانة وصدق، ودلل على ذلك أعظم تدليل فامتطى جادة الورع، وسلك الصراط السوي، مع أن كثيراً من المفسرين الذين سبقوه يرون الرأي الذي سلكه الشيخ رحمه الله.

ونورد هنا **رأي إمام من أئمة التفسير ممن سبقه، ذلك هو الإمام ابن كثير** رحمه الله إذ يقول عند تفسيره لهذه الآية (يخبر الله تعالى أن في القرآن آيات محكمات هن أم الكتاب أي بينات واضحات الدلالة، لا التباس فيها على أحد، ومنه آيات أخر فيها اشتباه في الدلالة على كثير من الناس، أو بعضهم، فمن رد ما اشتبه إلى الواضح منه، وحكَم محكمه على متشابهه عنده فقد اهتدى، ومن عكس انعكس، ولهذا قال تعالى: ﴿هُنَّ أُمُّ ٱلْكِتَٰبِ﴾ أي أصله الذي يرجع إليه عند الاشتباه ﴿وَأُخَرُ مُتَشَٰبِهَٰتٌ﴾ أي تحتمل دلالتها موافقة المحكم وقد تحتمل شيئاً آخر من حيث اللفظ والتركيب، لا من حيث المراد، وقد اختلفوا في المحكم والمتشابه)[1].

ثم أخذ ابن كثير رحمه الله، يورد عبارات السلف في المراد بالمحكم والمتشابه، فنجد أن الشيخ ابن سعدي رحمه الله يتفق مع الإمام ابن كثير رحمه الله في أن المتشابه هو الذي فيه اشتباه في الدلالة على كثير من الناس، وأن من رد ما اشتبه إلى المحكم فقد اهتدى، ومن لم يفعل ذلك فهو من مبتغي الفتنة، كما أشارت إلى ذلك آية آل عمران.

رابعاً: الناسخ والمنسوخ[2]

هذا النوع من علوم القرآن أفرده بالتصنيف جماعة لا يحصون منهم أبو

---

(١) تفسير ابن كثير، جـ: ٢، ص: ٥.

(٢) راجع في هذا المبحث البرهان في علوم القرآن للزركشي، جـ: ٢، ص: ٢٨ وما بعدها، والإتقان في علوم القرآن، جـ: ٢، ص: ٥٩ وما بعدها ومناهل العرفان، جـ: ٢، ص: ٦٩ وما بعدها.

عبيد القاسم بن سلام[1]، وأبو داود السجستاني[2]، وأبو جعفر النحاس[3]، وابن الأنباري[4]، ومكي بن أبي طالب[5]، وابن العربي[6] وآخرون.

والنسخ في اللغة: إزالة الشيء وإعدامه، ومنه قوله تعالى: ﴿فَيَنسَخُ ٱللَّهُ مَا يُلْقِي ٱلشَّيْطَٰنُ ثُمَّ يُحْكِمُ ٱللَّهُ ءَايَٰتِهِۦ﴾[7].

وفي الاصطلاح: رفع الحكم الشرعي بدليل شرعي آخر متراخ[8].

والحكمة في نسخ الحكم تدريب وترويض النفوس في قبول الأحكام الشرعية والتدرج من السهل إلى الصعب، ومن الصعب إلى الأصعب، كموقف الإسلام من تحريم الخمر، والحكمة في نسخ الحكم بمساويه للابتلاء والاختبار، ليعلم المؤمن من المنافق.

---

(١) القاسم بن سلام بالتشديد البغدادي أبو عبيد، الإمام المشهور، ثقة فاضل، مصنف، من العاشرة، مات سنة أربع وعشرين ومائتين، ولم أر له في الكتب حديثاً مسنداً بل من أقواله في شرح الغريب.
تقريب التهذيب، جـ: ٢، ص: ١١٧.

(٢) أبو داود صاحب السنن.

(٣) هو: أحمد بن محمد بن إسماعيل بن يونس المرادي، أبو جعفر النحاس أحد أئمة العلم واللغة بمصر، وكتابه الناسخ والمنسوخ ذكره القفطي وأثنى عليه، وتوفي سنة ثمان وثلاثين وثلاثمائة.
طبقات المفسرين للداوودي، جـ: ١، ص: ٦٨.

(٤) هو: أبو بكر محمد بن القاسم بن محمد بن بشار بن الأنباري، النحوي الحنبلي، صاحب كتاب الوقف والابتداء، توفي سنة ثمان وعشرين وثلاثمائة.
طبقات المفسرين للداوودي، جـ: ٢، ص: ١٢٧.

(٥) هو: مكي بن أبي طالب حموش بن محمد بن مختار القيسي، المقرئ المتوفى سنة ثلاث عشر وثلاثمائة، صاحب المصنفات الكثيرة، منها: الإيضاح لناسخ القرآن ومنسوخه في ثلاثة أجزاء، وكتاب الإيجاز في ناسخ القرآن ومنسوخه، في جزء وغيرها من الكتب.
طبقات المفسرين، جـ: ٢، ص: ٣٣١ وما بعدها.

(٦) هو: أبو بكر محمد بن عبد الله بن أحمد المعروف بابن العربي، صاحب كتاب أحكام القرآن، توفي على مرحلة من فاس سنة ست وأربعين وخمسمائة.
طبقات المفسرين للداوودي، جـ: ٢، ص: ١٦٧ وما بعدها.

(٧) سورة الحج: الآية ٥٢.

(٨) مختصر التحرير شرح الكوكب المنير، وذكر أن هذا رأي ابن الحاجب.

وأما الحكمة في نسخ الصعب بما هو أسهل منه فتخفيف على الناس وإظهار لفضل الله ورحمته.

* والنسخ في القرآن يقع على ثلاثة أقسام:

أولاً: نسخ الحكم دون التلاوة، وقد وقع هذا القسم كثيراً، مثل نسخ تقديم الصدقة أمام مناجاة الرسول ﷺ في قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا نَٰجَيْتُمُ ٱلرَّسُولَ فَقَدِّمُواْ بَيْنَ يَدَيْ نَجْوَىٰكُمْ صَدَقَةً﴾[1]، ونسخت هذه الآية بقوله تعالى: ﴿ءَأَشْفَقْتُمْ أَن تُقَدِّمُواْ بَيْنَ يَدَيْ نَجْوَىٰكُمْ صَدَقَٰتٍ فَإِذْ لَمْ تَفْعَلُواْ وَتَابَ ٱللَّهُ عَلَيْكُمْ فَأَقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُواْ ٱلزَّكَوٰةَ وَأَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ﴾[2].

ثانياً: نسخ التلاوة والحكم معاً، مثل الحديث الذي رواه مسلم عن عائشة قالت: (كان فيما أنزل من القرآن عشر رضعات معلومات يحرمن، ثم نسخن بخمس معلومات، فتوفي رسول الله ﷺ، وهن فيما يقرأ من القرآن)[3]، فقول عائشة وهن فيما يقرأ من القرآن يحمل على أن بعض الصحابة لم يعلم بنسخ تلاوتها فكان يقرأها على أنها غير منسوخة لعدم علمه بالنسخ.

ثالثاً: نسخ التلاوة دون الحكم، مثل ما ورد عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه في الحديث الذي رواه ابن عباس رضي الله عنهما أن عمر بن الخطاب، قال وهو جالس على منبر رسول الله ﷺ: (إن الله قد بعث محمداً ﷺ، وأنزل عليه الكتاب، فكان مما أنزل عليه آية الرجم، قرأناها ووعيناها وعقلناها، فرجم رسول الله ﷺ، ورجمنا بعده، فأخشى إن طال بالناس زمان أن يقول قائل ما نجد الرجم في كتاب الله فيضلوا بترك فريضة أنزلها الله... الحديث)[4].

---

(١) سورة المجادلة: الآية ١٢.

(٢) سورة المجادلة: الآية ١٣.

(٣) أخرجه الإمام مسلم في حديث عائشة في باب التحريم بخمس رضعات، جـ: ٤، ص: ١٦٧.

(٤) أخرجه الإمام مسلم في صحيحه في باب رجم الثيب بالزنى، جـ: ٥، ص: ١١٦، والبخاري في صحيحه في مواضع منها في كتاب الحدود، وفي باب رجم الحبلى من الزنى إذا أحصنت.

وآية الرجم هي قوله: (الشيخ والشيخة إذا زنيا ارجموهما البتة) ذكر نصها ابن ماجه في سننه[1].

والإمام مالك في موطئه، ولفظه: (عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه لولا أن يقول الناس زاد عمر بن الخطاب في كتاب الله تعالى لكتبتها الشيخ والشيخة إذا زنيا فارجموهما البتة، فإنا قد قرأناها)[2].

وذكرها الحاكم في مستدركه من حديث أبي بن كعب قال: (لقد رأيتها - يعني سورة الأحزاب -، وإنها لتعدل البقرة، ولقد قرأنا فيما قرأنا فيها الشيخ والشيخة إذا زنيا فارجموهما البتة، نكالاً من الله والله عزيز حكيم).

وقال الحاكم صحيح الإسناد، ولم يخرجاه، وأخرج الحاكم في حديث سهل بن حنيف أن خالته أخبرته قالت: «لقد أقرأنا رسول الله ﷺ آية الرجم الشيخ والشيخة إذا زنيا فارجموهما البتة بما قضيا من اللذة، ثم قال الحاكم صحيح الإسناد ولم يخرجاه»[3].

وقد تكلم الشيخ عبد الرحمن بن سعدي عن النسخ خلال تفسيره لكتاب الله فقال عند تفسير قوله تعالى من سورة البقرة:

﴿مَا نَنسَخْ مِنْ ءَايَةٍ أَوْ نُنسِهَا نَأْتِ بِخَيْرٍ مِّنْهَآ أَوْ مِثْلِهَآ﴾[4]، فأورد المعنى اللغوي للنسخ مقتضباً، فقال: «هو النقل»، ثم بين معنى النسخ في الاصطلاح فقال:

فحقيقة النسخ نقل المكلفين من حكم مشروع إلى حكم آخر، أو إلى إسقاطه، ثم ذكر مذهب اليهود في إنكارهم للنسخ، ورد عليهم بأنه مذكور في التوراة فإنكارهم له كفر وهوى محض، فيقول:

---

(١) سنن ابن ماجه، باب الرجم، جـ: ٢، ص: ٨٥٣.

(٢) موطأ الإمام مالك، جـ: ٢، ص: ٨٢٤، باب ما جاء في الرجم.

(٣) هذا الحديث والذي قبله أخرجهما الحاكم في المستدرك في كتاب الحدود، جـ: ٤، ص: ٣٥٩.

(٤) سورة البقرة: الآية ١٠٦.

(وكان اليهود ينكرون النسخ، ويزعمون أنه لا يجوز، وهو مذكور عندهم في التوراة، فإنكارهم له كفر وهوى محض، فأخبر الله تعالى عن حكمته في النسخ فقال: ﴿مَا نَنسَخْ مِنْ ءَايَةٍ أَوْ نُنسِهَا﴾ أي ننسها العباد فنزيلها من قلوبهم: ﴿نَأْتِ بِخَيْرٍ مِّنْهَآ﴾ وأنفع لكم ﴿أَوْ مِثْلِهَآ﴾ فدل على أن النسخ لا يكون لأقل مصلحة لكم من الأول لأن فضله تعالى يزداد خصوصاً على هذه الأمة التي سهل عليها دينها غاية التسهيل، وأخبر أن من قدح في النسخ قدح في ملكه وقدرته، فقال: ﴿أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ أَلَمْ تَعْلَمْ [1] أَنَّ ٱللَّهَ لَهُۥ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾[2].

فمن هذا يتضح أن مذهب الشيخ عبد الرحمن بن سعدي في النسخ هو مذهب أئمة السلف الصالح والخلف الذين اتبعوهم بإحسان، ولم يترك التنبيه على بطلان مذهب الذين خالفوا الحق من اليهود ومن شايعهم.

وقد تحدث الشيخ بن سعدي أثناء تفسيره عن الآيات التي دخلها النسخ كما أنه يتعرض للأقوال في نسخ الآية أو عدمه، كالتخصيص مثلاً، ويرجح ما يراه.

*** ومن الأمثلة التي تطرق إليها ما يلي:**

١ ـ أن الاتجاه إلى بيت المقدس في الصلاة، واتخاذه قبلة، كان في أول الإسلام، ثم نسخ ذلك بالتوجه إلى الكعبة المشرفة، حيث قال رحمه الله تعالى عند تفسير قوله تعالى من سورة البقرة: ﴿سَيَقُولُ ٱلسُّفَهَآءُ مِنَ ٱلنَّاسِ مَا وَلَّىٰهُمْ عَن قِبْلَتِهِمُ ٱلَّتِى كَانُوا۟ عَلَيْهَا﴾... إلى قوله تعالى: ﴿وَيَكُونَ ٱلرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا﴾[3].

(وقد اشتملت الآية على معجزة وتسلية وتطمين[4] قلوب المؤمنين

---

(١) سورة البقرة: الآية ١٠٧.

(٢) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، ج: ١، ص: ٥٨.

(٣) سورة البقرة: الآيتان ١٤٢، ١٤٣.

(٤) هكذا ورد في أسلوب الشيخ، والتعبير الصحيح أن يقول وطمأنة قلوب المؤمنين، لأن مصدر الفعل الرباعي يأتي على وزن فعلله لا على وزن تفعيل.

واعتراض، وجوابه من ثلاثة أوجه، وصفة المعترض وصفة المسلم لحكم الله دينه، فأخبر تعالى أنه سيعترض السفهاء من الناس وهم الذي لا يعرفون مصالح أنفسهم، بل يضيعونها ويبيعونها بأبخس ثمن، وهم اليهود والنصارى، ومن أشبههم من المعترضين على أحكام الله وشرائعه، وذلك أن المسلمين كانوا مأمورين باستقبال بيت المقدس مدة مقامهم بمكة، ثم بعد الهجرة إلى المدينة نحو سنة ونصف، لما لله في ذلك من الحكم التي سيشير إلى بعضها وكانت حكمته تقتضي أمرهم باستقبال الكعبة، فأخبرهم أنه لا بد أن يقول السفهاء من الناس: ﴿مَا وَلَّىٰهُمْ عَن قِبْلَتِهِمُ ٱلَّتِى كَانُوا۟ عَلَيْهَا﴾ وهي استقبال بيت المقدس. . . .) إلخ[1].

ثم قال عند تفسير قوله تعالى: ﴿قَدْ نَرَىٰ تَقَلُّبَ وَجْهِكَ فِى ٱلسَّمَآءِ ۖ فَلَنُوَلِّيَنَّكَ قِبْلَةً تَرْضَىٰهَا ۚ فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ ۚ﴾[2].

يقول الله تعالى لنبيه: ﴿قَدْ نَرَىٰ تَقَلُّبَ وَجْهِكَ فِى ٱلسَّمَآءِ ۖ﴾ أي كثرة تردده في جميع جهاته شوقاً وانتظاراً لنزول الوحي باستقبال الكعبة، وقال: وجهك ولم يقل بصرك لزيادة اهتمامه ولأن تقليب الوجه مستلزم لتقليب البصر ﴿فَلَنُوَلِّيَنَّكَ﴾ أي نوجهك لولايتنا إياك ﴿قِبْلَةً تَرْضَىٰهَا ۚ﴾ أي تحبها وهي الكعبة، وفي هذا بيان لفضله وشرفه ﷺ، حيث إن الله تعالى يسارع في رضاه، ثم صرح له باستقبالها، فقال: ﴿فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ ۚ﴾ والوجه ما أقبل من بدن الإنسان)[3].

ثانياً: ومن المنسوخ الذي نبه عليه الشيخ في تفسيره مصابرة الواحد من المسلمين لعشرة من المشركين في القتال المذكور في قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِىُّ حَرِّضِ ٱلْمُؤْمِنِينَ عَلَى ٱلْقِتَالِ ۚ إِن يَكُن مِّنكُمْ عِشْرُونَ صَٰبِرُونَ يَغْلِبُوا۟ مِاْئَتَيْنِ ۚ وَإِن يَكُن مِّنكُم مِّاْئَةٌ يَغْلِبُوٓا۟ أَلْفًا مِّنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَّا يَفْقَهُونَ ﴿٦٥﴾﴾[4].

---

(١) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، ج: ١، ص: ٧٤.

(٢) سورة البقرة: الآية ١٤٤.

(٣) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، ج: ١، ص: ٧٨.

(٤) سورة الأنفال: الآية ٦٥.

يقول رحمه الله: (ثم إن هذا الحكم خففه الله على العباد فقال: ﴿ٱلْـَٰٔنَ خَفَّفَ ٱللَّهُ عَنكُمْ وَعَلِمَ أَنَّ فِيكُمْ ضَعْفًا﴾ فلذلك اقتضت رحمته التخفيف ﴿فَإِن يَكُن مِّنكُم مِّاْئَةٌ صَابِرَةٌ يَغْلِبُوا۟ مِاْئَتَيْنِ وَإِن يَكُن مِّنكُمْ أَلْفٌ يَغْلِبُوٓا۟ أَلْفَيْنِ بِإِذْنِ ٱللَّهِ وَٱللَّهُ مَعَ ٱلصَّـٰبِرِينَ﴾[1] بعونه وتأييده، وهذه الآيات صورتها صورة الإخبار عن المؤمنين بأنهم إذا بلغوا هذا المقدار المعين يغلبون ذلك المقدار المعين في مقابلته من الكفار، وأن الله يمتن عليهم بما جعل فيهم من الشجاعة الإيمانية، ولكن معناها وحقيقتها الأمر، وأن الله أمر المؤمنين أول الأمر أن الواحد لا يجوز له أن يفر من العشرة، والعشرة من المائة، والمائة من الألف، ثم إن الله خفف ذلك... إلخ)[2].

والمنسوخ في القرآن مما اختلف فيه العلماء، قد يشير إليه الشيخ عبد الرحمن بن سعدي، ثم يرجح ويختار.

فمن ذلك ما أورده حول قوله تعالى: ﴿كُتِبَ عَلَيْكُمْ إِذَا حَضَرَ أَحَدَكُمُ ٱلْمَوْتُ إِن تَرَكَ خَيْرًا ٱلْوَصِيَّةُ لِلْوَٰلِدَيْنِ وَٱلْأَقْرَبِينَ بِٱلْمَعْرُوفِ ۖ حَقًّا عَلَى ٱلْمُتَّقِينَ ﴿١٨٠﴾ فَمَنۢ بَدَّلَهُۥ بَعْدَمَا سَمِعَهُۥ فَإِنَّمَآ إِثْمُهُۥ عَلَى ٱلَّذِينَ يُبَدِّلُونَهُۥٓ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿١٨١﴾ فَمَنْ خَافَ مِن مُّوصٍ جَنَفًا أَوْ إِثْمًا فَأَصْلَحَ بَيْنَهُمْ فَلَآ إِثْمَ عَلَيْهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١٨٢﴾﴾[3]، فقد ذكر فيها أقوالاً ثلاثة، هي قوله رحمه الله:

«واعلم أن جمهور المفسرين يرون أن هذه الآية منسوخة بآية المواريث.

وبعضهم يرى أنها في الوالدين والأقربين غير الوارثين، مع أنه لم يدل على التخصيص بذلك دليل.

والأحسن في هذا أن يقال إن هذه الوصية للوالدين والأقربين مجملة ردها الله تعالى إلى العرف الجاري، ثم إن الله تعالى قدر للوالدين الوارثين وغيرهما من الأقارب الوارثين هذا المعروف في آيات المواريث بعد أن كان

---

(١) سورة الأنفال: الآية ٦٦.

(٢) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، جـ: ٣، ص: ٩٠.

(٣) سورة البقرة: الآيات ١٨٠ ـ ١٨٢.

مجملاً، وبقي الحكم فيمن لم يرثوا من الوالدين الممنوعين من الإرث وغيرهما ممن حجب بشخص أو وصف، فإن الإنسان مأمور بالوصية لهؤلاء وهم أحق الناس ببره.

وهذا القول تتفق عليه الأمة، ويحصل الجمع بين القولين المتقدمين، لأن كلاً من القائلين بهما كل منهم لحظ ملحظاً، واختلف المورد، فهذا الجمع يحصل به الاتفاق، والجمع بين الآيات، فإنه مهما أمكن الجمع كان أحسن من ادعاء النسخ الذي لم يدل عليه دليل صحيح»[1].

وفي بعض الأحيان يكتفي الشيخ ابن سعدي بذكر الخلاف في حكم الآية نسخاً أو إحكاماً دون الترجيح أو الاختيار، كما فعل في حكم القتال في الأشهر الحرم الوارد في قوله تعالى في سورة المائدة: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تُحِلُّواْ شَعَٰٓئِرَ ٱللَّهِ وَلَا ٱلشَّهْرَ ٱلْحَرَامَ وَلَا ٱلْهَدْىَ . . .﴾ الآية[2].

فقد ذكر خلاف العلماء في إباحة القتال في الأشهر الحرم أو تحريمه ولم يرجح، إذ يقول رحمه الله تعالى:

(﴿وَلَا ٱلشَّهْرَ ٱلْحَرَامَ﴾ أي لا تنتهكوه بالقتال فيه وغيره من أنواع الظلم، كما قال تعالى: ﴿إِنَّ عِدَّةَ ٱلشُّهُورِ عِندَ ٱللَّهِ ٱثْنَا عَشَرَ شَهْرًا فِى كِتَٰبِ ٱللَّهِ يَوْمَ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ مِنْهَآ أَرْبَعَةٌ حُرُمٌ ذَٰلِكَ ٱلدِّينُ ٱلْقَيِّمُ فَلَا تَظْلِمُواْ فِيهِنَّ أَنفُسَكُمْ﴾[3].

والجمهور من العلماء على أن القتال في الأشهر الحرم منسوخ بقوله تعالى: ﴿فَإِذَا ٱنسَلَخَ ٱلْأَشْهُرُ ٱلْحُرُمُ فَٱقْتُلُواْ ٱلْمُشْرِكِينَ حَيْثُ وَجَدتُّمُوهُمْ﴾[4] وغير ذلك من العمومات التي فيها الأمر بقتال الكفار مطلقاً والوعيد في التخلف عن قتالهم مطلقاً، وبأن النبي ﷺ قاتل أهل الطائف في ذي القعدة وهو من الأشهر الحرم.

---

(١) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، جـ: ١، ص: ١٠٥.
(٢) سورة المائدة: الآية ٢.
(٣) سورة التوبة: الآية ٣٦.
(٤) سورة التوبة: الآية ٥.

وقال آخرون إن النهي عن القتال في الأشهر الحرم غير منسوخ لهذه الآية ﴿وَلَا ٱلشَّهۡرَ ٱلۡحَرَامَ﴾ وغيرها مما فيه النهي عن ذلك بخصوصه وحملوا النصوص المطلقة الواردة على ذلك، وقالوا المطلق يحمل على المقيد.

وفصل بعضهم فقال: لا يجوز ابتداء القتال في الأشهر الحرم، وأما استدامته وتكميله إذا كان أوله في غيرهما، فإنه يجوز، وحملوا قتال النبي ﷺ لأهل الطائف على ذلك، لأن أول قتالهم في حنين كان في شهر شوال، وكل هذا في القتال الذي ليس المقصود منه الدفع، فأما قتال الدفع إذا ابتدأ الكفار المسلمين بالقتال فإنه يجوز للمسلمين القتال دفعاً عن أنفسهم في الشهر الحرام وغيره بإجماع العلماء)[1].

خامساً: العام والخاص

العام لغة الشامل واصطلاحاً هو اللفظ الذي يستغرق جميع ما يصلح له من غير حصر.

والخاص يقابل العام، فهو اللفظ الذي لا يستغرق الصالح له من غير حصر[2].

والعام المخصوص أمثلته في القرآن كثيرة جداً، وهو أكثر من المنسوخ، إذ ما من عام إلاّ وقد خصص[3].

وقد تحدث الشيخ عبد الرحمن السعدي أثناء تفسيره لبعض الآيات العامة التي خص عمومها بآية أخرى أو بحديث، ويرجح أن الآية إذا نزلت بسبب خاص ولفظها عام، فإن العبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب.

وسأورد بعض الأمثلة التي تعرض لها الشيخ أثناء تفسيره.

---

(١) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، جـ: ٢، ص: ١١١.

(٢) التعريف للعام مقتبس من الإتقان في علوم القرآن، جـ: ٣، ص: ٤٣، وتعريف الخاص مقتبس من كتاب مباحث في علوم القرآن، للشيخ مناع القطان، ص: ٢٢٦.

(٣) الإتقان في علوم القرآن، جـ: ٣، ص: ٤٦.

١ ـ تخصيص عموم آية بآية أخرى كقوله تعالى: ﴿وَٱلْمُطَلَّقَٰتُ يَتَرَبَّصْنَ بِأَنفُسِهِنَّ ثَلَٰثَةَ قُرُوٓءٍ﴾[١].

فقد أشار الشيخ عبد الرحمن بن سعدي إلى أنه يخرج من عموم هذه الآية الحوامل، فعدتهن وضع الحمل، واللائي لم يدخل بهن فليس لهن عدة[٢]، أما اللائي لم يدخل بهن فلقوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا نَكَحْتُمُ ٱلْمُؤْمِنَٰتِ ثُمَّ طَلَّقْتُمُوهُنَّ مِن قَبْلِ أَن تَمَسُّوهُنَّ فَمَا لَكُمْ عَلَيْهِنَّ مِنْ عِدَّةٍ تَعْتَدُّونَهَا فَمَتِّعُوهُنَّ وَسَرِّحُوهُنَّ سَرَاحًا جَمِيلًا ﴿٤٩﴾﴾[٣].

وأما الحوامل فلقوله تعالى: ﴿وَأُوْلَٰتُ ٱلْأَحْمَالِ أَجَلُهُنَّ أَن يَضَعْنَ حَمْلَهُنَّ﴾[٤].

ومثل قوله تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ يُتَوَفَّوْنَ مِنكُمْ وَيَذَرُونَ أَزْوَٰجًا يَتَرَبَّصْنَ بِأَنفُسِهِنَّ أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ وَعَشْرًا﴾[٥] أشار الشيخ رحمه الله أثناء تفسيرها (بأن هذا العام مخصوص بالحوامل، فإن عدتهن بوضع الحمل)[٦].

٢ ـ وعند تفسير قوله تعالى من سورة المائدة:

﴿وَلَآ ءَآمِّينَ ٱلْبَيْتَ ٱلْحَرَامَ يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّن رَّبِّهِمْ وَرِضْوَٰنًا﴾[٧].

قال رحمه الله: (وهذه الآية الكريمة مخصوصة بقوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِنَّمَا ٱلْمُشْرِكُونَ نَجَسٌ فَلَا يَقْرَبُواْ ٱلْمَسْجِدَ ٱلْحَرَامَ بَعْدَ عَامِهِمْ هَٰذَا﴾[٨]. فالمشرك لا يمكن من الدخول إلى الحرم)[٩].

٣ ـ تخصيص عموم آية بحديث، ذلك مثل قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا

---

(١) سورة البقرة: الآية ٢٢٨.
(٢) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، جـ: ١، ص: ١٣٧.
(٣) سورة الأحزاب: الآية ٤٩.
(٤) سورة الطلاق: الآية ٤.
(٥) سورة البقرة: الآية ٢٣٤.
(٦) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، جـ: ١، ص: ١٤٢.
(٧) سورة المائدة: الآية ٢.
(٨) سورة التوبة: الآية ٢٨.
(٩) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، جـ: ٢، ص: ١١٢.

كُتِبَ عَلَيْكُمُ ٱلْقِصَاصُ فِى ٱلْقَتْلَى ٱلْحُرُّ بِٱلْحُرِّ وَٱلْعَبْدُ بِٱلْعَبْدِ وَٱلْأُنثَىٰ بِٱلْأُنثَىٰ فَمَنْ عُفِىَ لَهُۥ مِنْ أَخِيهِ شَىْءٌ فَٱتِّبَاعٌۢ بِٱلْمَعْرُوفِ وَأَدَآءٌ إِلَيْهِ بِإِحْسَٰنٍ ﴾[1].

فقال رحمه الله: (خرج من عموم هذه الآية الأبوان وإن علوا فلا يقتلان بالولد لورود السنة بذلك)[2].

فالسنة التي أشار إليها هي حديث أخرجه ابن ماجه عن ابن عباس رضي الله عنهما: «لا يقتل بالولد الوالد»، وعن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال: «سمعت رسول الله ﷺ يقول: لا يقتل الوالد بالولد»[3].

٤ ـ تخصيص عموم آية بقول الصحابة، كقوله تعالى: ﴿وَٱلْمُطَلَّقَٰتُ يَتَرَبَّصْنَ بِأَنفُسِهِنَّ ثَلَٰثَةَ قُرُوٓءٍ ﴾.

فقد أشار الشيخ عبد الرحمن السعدي إلى أن عموم هذه الآية مخصص بعدة الأمة، إذ إن عدتها قرآن، كما هو قول الصحابة رضي الله عنهم.

٥ ـ ويشير رحمه الله إلى أن العبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب عند تفسيره لقوله تعالى: ﴿أَن كَانَ ذَا مَالٍ وَبَنِينَ ﴿١٤﴾ إِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِ ءَايَٰتُنَا قَالَ أَسَٰطِيرُ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿١٥﴾ ﴾[4].

فيقول: (وهذه الآيات وإن كانت نزلت في بعض المشركين كالوليد بن المغيرة أو غيره، فإنها عامة في كل من اتصف بهذا الوصف، لأن القرآن نزل لهداية الخلق كلهم، ويدخل فيه أول الأمة وآخرهم وربما نزل بعض الآيات في سبب أو شخص من الأشخاص لتتضح به القاعدة العامة، ويعرف به أمثال الجزئيات الداخلة في القضايا العامة)[5].

---

(١) سورة البقرة: الآية ١٧٨.

(٢) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، ج: ١، ص: ١٠٣.

(٣) سنن ابن ماجه، ج: ٢، ص: ٨٨٨، وأخرجه الترمذي في كتاب الديات باب ما جاء في الرجل يقتل ابنه يقاد منه أم لا، من حديث سراقة بن مالك وعمر بن الخطاب وعبد الله بن عباس، تحفة الأحوذي شرح جامع الترمذي، ج: ٤، ص: ٦٥٥.

(٤) سورة ن: الآيتان ١٤، ١٥.

(٥) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، ج: ٨، ص: ١٥٨.

استنباط بعض الأحكام الشرعيّة والفوائد

يمتاز تفسير الشيخ عبد الرحمن بن سعدي رحمه الله بأنه عند انتهائه من تفسير الآية أو الآيات أو السورة، يستنبط بعضاً من الأحكام الشرعية أو الفوائد أو الآداب التي تضمنتها الآية أو الآيات.

كما يستخلص من القصص العبر والإشارات الدقيقة التي يعسر فهمها على غير المتأمل لكتاب الله سبحانه وتعالى، وسأورد هنا بعض الأمثلة على ذلك:

١ ـ بعد تفسيره لقوله تعالى من سورة البقرة:

﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَٰٓئِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي ٱلْأَرْضِ خَلِيفَةً ... إلى قوله تعالى: إِلَّآ إِبْلِيسَ أَبَىٰ وَٱسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ ٱلْكَٰفِرِينَ﴾[1].

قال رحمه الله: (وفي هذه الآيات من العبر، والآيات، إثبات الكلام لله)، ثم أخذ رحمه الله يسرد الفوائد المستنبطة من هذه الآيات[2].

٢ ـ وفي قوله تعالى من سورة البقرة: ﴿وَأَتِمُّوا ٱلْحَجَّ وَٱلْعُمْرَةَ لِلَّهِ﴾[3].

قال رحمه الله: (ويستدل بقوله تعالى: ﴿وَأَتِمُّوا ٱلْحَجَّ وَٱلْعُمْرَةَ﴾ على أمور:

أحدها: وجوب الحج والعمرة وفرضيتهما.

الثاني: وجوب إتمامهما بأركانهما وواجباتهما التي قد دل عليها فعل النبي ﷺ، وقوله: «خذوا عني مناسككم»[4].

ثم أخذ رحمه الله يستنبط الأحكام الشرعية من هذه الآية جملة جملة، مبيناً مأخذ الحكم من الآية منطوقاً أو مفهوماً.

٣ ـ وفي قوله تعالى: ﴿فَإِذَآ أَفَضْتُم مِّنْ عَرَفَٰتٍ فَٱذْكُرُوا ٱللَّهَ عِندَ ٱلْمَشْعَرِ ٱلْحَرَامِ﴾[5].

---

(١) سورة البقرة: الآيات ٣٠ ـ ٣٤.
(٢) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، جـ: ١، ص: ٣٣.
(٣) سورة البقرة: الآية ١٩٦.
(٤) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، جـ: ١، ص: ١١٥.
(٥) سورة البقرة: الآية ٢٠٠.

قال رحمه الله: (دلّت على أمور، ثم استنبط منها سبعة من أحكام الحج، إذ يقول:

وفي قوله: ﴿فَإِذَآ أَفَضْتُم مِّنْ عَرَفَٰتٍ فَٱذْكُرُوا۟ ٱللَّهَ عِندَ ٱلْمَشْعَرِ ٱلْحَرَامِ﴾ دلالة على أمور: أحدها: الوقوف بعرفة، وأنه كان معروفاً أنه ركن من أركان الحج، إلى أن قال: السادس: أن مزدلفة في الحرم، كما قيده بالحرام. السابع: أن عرفه في الحل كما هو مفهوم التقييد بمزدلفة)[1].

٤ ـ وعند تفسيره لقوله تعالى من سورة البقرة ـ آية الدين ـ:

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِذَا تَدَايَنتُم بِدَيْنٍ إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى ... إلى قوله تعالى: وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ﴾[2].

يقول رحمه الله تعالى: (احتوت هذه الآية على إرشاد الباري عباده في معاملاتهم إلى حفظ حقوقهم بالطرق النافعة والإصلاحات التي لا تقترح العقلاء أعلى ولا أكمل منها، فإن فيها فوائد كثيرة، ثم أخذ رحمه الله يستنبط ما فتح الله عليه من فوائد حتى إنه استنبط منها أكثر من سبع وثلاثين ما بين حكم وفائدة)[3].

٥ ـ بعد انتهائه من تفسير آيات الفرائض في سورة النساء التي بدأها الله بقوله تعالى: ﴿يُوصِيكُمُ ٱللَّهُ فِىٓ أَوْلَٰدِكُمْ لِلذَّكَرِ مِثْلُ حَظِّ ٱلْأُنثَيَيْنِ ... إلى قوله تعالى: وَصِيَّةً مِّنَ ٱللَّهِ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَلِيمٌ﴾[4].

قال رحمه الله تعالى: (فإن قيل فهل يستفاد حكم ميراث القاتل والرقيق والمخالف في الدين والمبغض والخنثى والجد مع الإخوة لغير أم والعول والرد وذوي الأرحام، وبقية العصبة والأخوات لغير أم مع البنات، أو بنات الابن من القرآن أم لا.

---

(١) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، جـ: ١، ص: ١١٩.
(٢) سورة البقرة: الآية ٢٨٢.
(٣) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، جـ: ١، ص: ١٦٤.
(٤) سورة النساء: الآيتان ١١، ١٢.

قيل: نعم فيه تنبيهات وإشارات دقيقة يعسر فهمها على غير المتأمل، تدل على جميع المذكورات.

ثم ذهب رحمه الله يبين كيف يستفاد حكم هؤلاء المذكورين من القرآن فاستغرق هذا الاستنباط أكثر من خمس صفحات)[1].

٦ ـ بعد تفسيره لآية سورة المائدة، وهي قوله تعالى: ﴿يَسْـَٔلُونَكَ مَاذَآ أُحِلَّ لَهُمْ قُلْ أُحِلَّ لَكُمُ ٱلطَّيِّبَٰتُ وَمَا عَلَّمْتُم مِّنَ ٱلْجَوَارِحِ . . .﴾ الآية[2].

قال رحمه الله: (دلّت هذه الآية على أمور، ثم أخذ يستنبط منها أحكاماً عدة أوصلها إلى عشرة أحكام)[3].

٧ ـ عند تفسيره لآية الوضوء، وهي قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا قُمْتُمْ إِلَى ٱلصَّلَوٰةِ فَٱغْسِلُواْ وُجُوهَكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ إِلَى ٱلْمَرَافِقِ وَٱمْسَحُواْ بِرُءُوسِكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ إِلَى ٱلْكَعْبَيْنِ . . . إلى قوله تعالى: وَلِيُتِمَّ نِعْمَتَهُۥ عَلَيْكُمْ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾[4].

قال رحمه الله تعالى: (هذه آية عظيمة قد اشتملت على أحكام كثيرة، نذكر منها ما يسره الله وسهله، أحدها: أن هذه المذكورات فيها، امتثالها والعمل بها من لوازم الإيمان الذي لا يتم إلاّ به، لأنه صدرها بقوله: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ﴾ إلى آخرها أي: يا أيها الذين آمنوا اعملوا بمقتضى إيمانكم بما شرعناه لكم) حتى أنه رحمه الله أوصل الأحكام المستنبطة إلى خمسين حكماً، فقال في آخر ما استنبطه (الخمسون: أنه ينبغي للعبد أن يتدبر الحكم والأسرار في شرائع الله في الطهارة وغيرها، ليزداد معرفة وعلماً، ويزداد شكراً لله ومحبة له على ما شرع من الأحكام التي توصل العبد إلى المنازل العالية الرفيعة)[5].

٨ ـ بعد انتهائه من تفسير قصة شعيب عليه السلام في سورة هود التي

---

(١) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، جـ: ٢، ص: ١٣ وما بعدها.
(٢) سورة المائدة: الآية ٤.
(٣) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، جـ: ٢، ص: ١١٦.
(٤) سورة المائدة: الآية ٦.
(٥) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، جـ: ٤، ص: ٣٣.

بدأها الله بقوله تعالى: ﴿وَإِلَىٰ مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْبًا ... وختمها بقوله تعالى: أَلَا بُعْدًا لِّمَدْيَنَ كَمَا بَعِدَتْ ثَمُودُ ﴾[1].

قال رحمه الله تعالى: (وفي قصته من الفوائد والعبر شيء كثير، منها أن الكفار كما يعاقبون ويخاطبون بأصل الإسلام فكذلك بشرائعه وفروعه، لأن شعيباً دعا قومه إلى التوحيد، وإلى إيفاء المكيال والميزان، وجعل الوعيد مرتباً على مجموع ذلك.

وذهب رحمه الله يستنبط العبر والفوائد حتى أوصلها إلى أربعة عشرة فائدة أو أكثر)[2].

٩ ـ بعد أن ختم تفسير سورة يوسف عليه السلام، عقد فصلاً في ذكر شيء من العبر والفوائد التي اشتملت عليها قصة يوسف عليه السلام التي قال الله في أولها: ﴿نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ أَحْسَنَ الْقَصَصِ ﴾[3] وقال: ﴿۞ لَّقَدْ كَانَ فِي يُوسُفَ وَإِخْوَتِهِ آيَاتٌ لِّلسَّائِلِينَ ۝٧﴾[4]، وقال في آخرها: ﴿لَقَدْ كَانَ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِّأُولِي الْأَلْبَابِ ﴾[5].

ثم ذهب يستنبط الفوائد والعبر حسب ما فتح الله عليه، حتى استغرق هذا الفصل تسع صفحات من تفسيره رحمه الله[6].

١٠ ـ بعد أن أنهى تفسير الآيات الواردة في قصة الخضر مع موسى عليه السلام التي أوردها الله في سورة الكهف[7]، قال رحمه الله: (وفي هذه القصة العجيبة الجليلة من الفوائد والأحكام والقواعد شيء كثير، ننبه على بعضه بعون الله، ثم استمر يستنبط ما أشار إليه من الأحكام والفوائد والقواعد، حتى استنبط أكثر من خمس وثلاثين قاعدة أو حكماً أو فائدة، استغرقت أربع

---

(١) سورة هود: الآيات ٨٤ ـ ٩٥.
(٢) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، جـ: ٧، ص: ٢١٣ وما بعدها.
(٣) سورة يوسف: الآية ٢.
(٤) سورة يوسف: الآية ٧.
(٥) سورة يوسف: الآية ١١١.
(٦) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، جـ: ٤، ص: ٣٣ وما بعدها.
(٧) سورة الكهف: الآيات ٦٠ ـ ٨٢.

صفحات تقريباً)[1]، من الفوائد التي استنبطها قوله (منها فضيلة العلم والرحلة في طلبه وانه أهم الأمور فإن موسى عليه السلام رحل مسافة طويلة ولقي النصب في طلبه وترك القعود عند بني إسرائيل لتعليمهم وإرشادهم واختار السفر لزيادة العلم على ذلك ومنها جواز أخذ الخادم في الحضر والسفر لكفاية المؤنة وطلب الراحة كما فعل موسى).

١١ ـ عندما انتهى من تفسير قصة موسى عليه السلام التي أوردها الله في سورة القصص[2]، وخروج موسى عليه السلام من مصر إلى مدين، ثم عودته إلى مصر، ودعوته بني إسرائيل، وتسلط فرعون على بني إسرائيل، عقد فصلاً في ذكر بعض الفوائد والعبر في هذه القصة العجيبة، فقال رحمه الله:

(منها أن الأمة المستضعفة ولو بلغت في الضعف ما بلغت لا ينبغي لها أن يستولي عليها الكسل عن طلب حقها، ولا الإياس من ارتقائها إلى أعلى الأمور خصوصاً إذا كانوا مظلومين، كما استنقذ الله بني إسرائيل الأمة الضعيفة من أسر فرعون وملئه، ومكنهم في الأرض وملكهم بلادهم)[3].

١٢ ـ أثناء تفسيره لآية سورة الأحزاب، وهي قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا نَكَحْتُمُ ٱلْمُؤْمِنَٰتِ ثُمَّ طَلَّقْتُمُوهُنَّ مِن قَبْلِ أَن تَمَسُّوهُنَّ فَمَا لَكُمْ عَلَيْهِنَّ مِنْ عِدَّةٍ تَعْتَدُّونَهَا ۖ فَمَتِّعُوهُنَّ وَسَرِّحُوهُنَّ سَرَاحًا جَمِيلًا ﴿٤٩﴾﴾[4].

استنبط رحمه الله من هذه الآية أحكاماً عشرة، بدأها بقوله: (ويستدل بهذه الآية على أن الطلاق لا يكون إلاّ بعد النكاح، فلو طلقها قبل أن ينكحها أو علق طلاقها على نكاحها لم يقع، لقوله تعالى: ﴿إِذَا نَكَحْتُمُ ٱلْمُؤْمِنَٰتِ ثُمَّ طَلَّقْتُمُوهُنَّ﴾ إلى أن قال: وعلى أن من عدا غير المدخول بها من المفارقات من الزوجات بموت أو حياة عليهن العدة)[5].

---

(١) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، جـ: ٥، ص: ٣٢ وما بعدها.

(٢) سورة القصص: الآيات ٢ ـ ٤٨.

(٣) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، جـ: ٦، ص: ١٨ وما بعدها.

(٤) سورة الأحزاب: الآية ٤٩.

(٥) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، جـ: ٦، ص: ١١٥ وما بعدها.

١٣ ـ استنبط من الآيات الواردة في سورة (ص)[١] التي قص الله فيها قصة داوود وسليمان عليهما السلام، فوائد وحكماً عديدة، حيث قال رحمه الله: (فصل فيما تبين لنا من الفوائد والحكم في قصة داوود وسليمان عليهما السلام، فمنها أن الله تعالى يقص على نبيه محمد ﷺ أخبار من قبله، ليثبت فؤاده، وتطمئن نفسه، ويذكر له من عبادتهم وشدة صبرهم وإنابتهم ما يشوقه إلى منافستهم، والتقرب إلى الله الذي تقربوا له، والصبر على أذى قومه ولهذا في هذا الموضع، لما ذكر الله ما ذكر من أذية قومه وكلامهم فيه، وفيما جاء به، أمره بالصبر، وأن يذكر عبده داوود، فيتأسى به، وهكذا يستنبط الفوائد والحكم من هذه القصة إلى أن أوصلها إلى أكثر من ست وعشرين فائدة، استغرقت ثلاث صفحات تقريباً)[٢].

١٤ ـ بعد أن فسر قصة أبينا إبراهيم عليه السلام الواردة في سورة الذاريات والمبدؤة بقوله تعالى: ﴿هَلْ أَتَىٰكَ حَدِيثُ ضَيْفِ إِبْرَٰهِيمَ ٱلْمُكْرَمِينَ ﴿٢٤﴾ . . . إلى قوله تعالى: وَتَرَكْنَا فِيهَآ ءَايَةً لِّلَّذِينَ يَخَافُونَ ٱلْعَذَابَ ٱلْأَلِيمَ ﴿٣٧﴾﴾[٣].

عقد فصلاً، ضمنه ذكر بعض ما تضمنته هذه القصة من الحكم والأحكام، فقال رحمه الله:

(منها أن من الحكمة أن قص الله على عباده نبأ الأخيار والفجار، ليعتبروا بهم، وأين وصلت بهم الأحوال، إلى أن ختم هذه الفوائد بقوله: ومنها ما أكرم الله به إبراهيم وزوجته سارة من البشارة بغلام حليم)[٤].

وبعد. . . فهذه النماذج غيض من فيض مما اشتمل عليه تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان للشيخ عبد الرحمن بن سعدي.

وقد أوردت في هذه النماذج الحكم والفوائد التي يستنبطها وتتجاوز العشر، استنباطاً، ولم أورد شيئاً مما قل استنباطه عن العشر، مع أنه رحمه الله

---

(١) سورة ص: الآيات ١٧ ـ ٤٠.

(٢) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، جـ: ٧، ص: ٩ وما بعدها.

(٣) سورة الذاريات: الآيات ٢٤ ـ ٣٧.

(٤) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، جـ: ٨، ص: ٢٥ وما بعدها.

أثناء تناوله للآية أو الآيات لا يتجاوزها إلاّ وينبه على ما فيها من فوائد أو أحكام أو عبر، قلّت هذه الفوائد أو كثرت، والله أعلم.

سادساً: موقفه من الإسرائيليات

الإسرائيليات جمع إسرائيلية، والأصل فيها النسبة إلى يعقوب الذي سماه الرب إسرائيل، أي عبد الله أو صفوت الله.

والمراد من الإسرائيليات ما يروى عن اليهود والنصارى من باب تغليب الأول على الثاني، وقد يدخل في ذلك كل ما ليس مصدره إسلامياً وعلى هذا يكون تعريف الإسرائيلية بأنها قصة أو حادثة أو عبرة تروى عن مصدر إسرائيلي أو نصراني أو كل ما كان مصدره غير إسلامي.

والملاحظ أن تفسير الشيخ عبد الرحمن السعدي يمتاز بخلوه من الإسرائيليات، ولا تكاد تجد فيه أثراً إسرائيلياً، إلاّ للرد عليه، والشيخ ابن سعدي من أشد المفسرين انتقاداً للإسرائيليات، فهو لم يدع فرصة تمر دون أن يوجه نقده إليها، وإليك نماذج من ذلك:

١ ـ في قصة ثمود مع نبيهم صالح عليه السلام والواردة في سورة الأعراف بدءاً بقوله تعالى: ﴿وَإِلَىٰ ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَٰلِحًا قَالَ يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥ ۖ قَدْ جَآءَتْكُم بَيِّنَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ ۖ هَٰذِهِۦ نَاقَةُ ٱللَّهِ لَكُمْ ءَايَةً ... إلى قوله تعالى: فَتَوَلَّىٰ عَنْهُمْ وَقَالَ يَٰقَوْمِ لَقَدْ أَبْلَغْتُكُمْ رِسَالَةَ رَبِّى وَنَصَحْتُ لَكُمْ وَلَٰكِن لَّا تُحِبُّونَ ٱلنَّٰصِحِينَ ﴿٧٩﴾﴾[1].

يقول رحمه الله تعالى: (فاعلم أن كثيراً من المفسرين يذكرون في هذه القصة أن الناقة قد خرجت من صخرة صماء ملساء اقترحوها على صالح، وأنها تمخضت تمخض الحامل، فخرجت الناقة، وهم ينظرون، وأن لها فصيلاً حين عقروها رغي ثلاث رغيات، فانفلق له الجبل، ودخل فيه، وأن صالحاً عليه السلام قال لهم آية نزول العذاب بكم أن تصبحوا في اليوم الأول من الأيام الثلاثة

---

(١) سورة الأعراف: الآيات ٧٣ ـ ٧٩.

ووجوهكم مصفرة، واليوم الثاني محمرة، والثالث مسودة، فكان كما قال.

هذا من الإسرائيليات التي لا ينبغي نقلها في تفسير كتاب الله وليس في القرآن ما يدل على شيء منها بوجه من الوجوه، بل لو كانت صحيحة لذكرها الله تعالى، لأن فيها من العجائب والعبر والآيات ما لا يهمله تعالى ويدع ذكره، حتى يأتي من طريق من لا يوثق بنقله بل القرآن يكذب بعض هذه المذكورات، فإن صالحاً قال لهم: ﴿تَمَتَّعُوا۟ فِى دَارِكُمْ ثَلَٰثَةَ أَيَّامٍ ۖ﴾ أي تنعموا وتلذذوا بهذا الوقت القصير جداً فإنه ليس لكم من المتاع واللذة سوى هذا، وأي لذة وتمتع لمن وعدهم نبيهم بوقوع العذاب، وذكر لهم وقوع مقدماته، فوقعت يوماً فيوماً على وجه يعمهم ويشملهم، لأن احمرار وجوههم واصفرارها واسوادها من العذاب، هل هذا إلاّ مناقض للقرآن ومضاد له، فالقرآن فيه الكفاية والهداية عما سواه.

نعم لو صح شيء عن رسول الله ﷺ بما لا يناقض كتاب الله فعلى الرأس والعين، وهو ما أمر القرآن باتباعه ﴿وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمْ عَنْهُ فَٱنتَهُوا۟ ﴾[1].

وقد تقدم أنه[2] لا يجوز تفسير كتاب الله بالأخبار الإسرائيلية، ولو على تجويز الرواية عنهم بالأمور التي لا يجزم بكذبها، فإن معاني كتاب الله يقينية، وتلك أمور لا تصدق ولا تكذب، فلا يمكن اتفاقهما)[3].

٢ ـ عند تفسير قوله تعالى من سورة يوسف: ﴿إِذْ قَالَ يُوسُفُ لِأَبِيهِ يَٰٓأَبَتِ إِنِّى رَأَيْتُ أَحَدَ عَشَرَ كَوْكَبًا وَٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ رَأَيْتُهُمْ لِى سَٰجِدِينَ ﴿٤﴾ ... إلى قوله تعالى: إِنَّ رَبَّكَ حَكِيمٌ عَلِيمٌ ﴾[4].

قال رحمه الله تعالى: (واعلم أن الله ذكر أنه يقص على رسوله ﷺ

---

(١) سورة الحشر: الآية ٧.

(٢) يشير في قوله: «وقد تقدم» إلى كلامه في الإسرائيليات في الجزء الأول ص: ٤٦، وقد نقلناه فيما مضى.

(٣) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، جـ: ٨، ص: ٢٨.

(٤) سورة يوسف: الآيات ٤ ـ ٦.

أحسن القصص في هذا الكتاب، ثم ذكر هذه القصة، وبسطها، وذكر ما جرى فيها، فعلم بذلك أنها قصة تامة كاملة حسنة، فمن أراد أن يكملها أو يحسنها بما يذكر في الإسرائيليات التي لا يعرف لها سند ولا ناقل، وأغلبها كذب، فهو مستدرك على الله ومكمل لشيء يزعم أنه ناقص، وحسبك بأمر ينتهي إلى هذا الحد قبحاً، فإن تضاعيف هذه السورة قد ملئت في كثير من التفاسير من الأكاذيب والأمور الشنيعة المناقضة لما قصه الله تعالى بشيء كثير فعلى العبد أن يفهم عن الله ما قصه، ويدع ما سوى ذلك مما ليس عن النبي ﷺ ينقل)[1].

٣ ـ قال عند تفسيره لآية سورة النمل في قصة سليمان عليه السلام: ﴿وَتَفَقَّدَ ٱلطَّيْرَ فَقَالَ مَالِيَ لَآ أَرَى ٱلْهُدْهُدَ أَمْ كَانَ مِنَ ٱلْغَآئِبِينَ ﴿٢٠﴾﴾[2].

قال رحمه الله: (دلّ هذا على كمال عزمه وحزمه، وحسن تنظيمه لجنوده، وتدبيره بنفسه للأمور الصغار والكبار، حتى إنه لم يهمل هذا الأمر، وهو تفقد الطيور والنظر هل هي موجودة كلها أم مفقود منها شيء، وهذا هو المعنى للآية. ولم يصنع شيئاً، من قال إنه تفقد الطير لينظر أين الهدهد منه ليدله على بعد الماء وقربه كما زعموا عن الهدهد، أنه يبصر الماء تحت الأرض الكثيفة، فإن هذا القول لا يدل عليه دليل، بل الدليل العقلي واللفظي دال على بطلانه.

أما العقلي فإنه قد عرف بالعادة والتجارب والمشاهدات أن هذه الحيوانات كلها ليس منها شيء يبصر هذا البصر الخارق للعادة وينظر الماء تحت الأرض الكثيفة، ولو كان كذلك لذكره الله لأنه من أكبر الآيات.

وأما الدليل اللفظي فلو أريد هذا المعنى لقال: وطلب الهدهد لينظر له الماء، فلما فقده قال ما قال أو فتش عن الهدهد أو بحث عنه ونحو ذلك من العبارات.

وإنما تفقد الطير لينظر الحاضر منها والغائب، ولزومها للمراكز والمواضع التي عينها لها، وأيضاً فإن سليمان عليه السلام لا يحتاج ولا يضطر إلى الماء

---

(١) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، جـ: ٤، ص: ٤.

(٢) سورة النمل: الآية ٢٠.

بحيث يحتاج لهندسة الهدهد فإن عنده من الشياطين والعفاريت ما يحفرون له الماء ولو بلغ في العمق ما بلغ، وسخر الله له الريح غدوها شهر ورواحها شهر، فكيف مع ذلك يحتاج إلى الهدهد.

وهذه التفاسير التي توجد وتشتهر بها أقوال لا يعرف غيرها تنقل هذه الأقوال عن بني إسرائيل مجردة، ويغفل الناقل عن مناقضتها للمعاني الصحيحة وتطبيقها على الأقوال، ثم لا تزال تتناقل وينقلها المتأخر مسلماً للمتقدم حتى يظن أنها الحق، فيقع من الأقوال الردية في التفاسير ما يقع، واللبيب الفطن يعرف أن هذا القرآن الكريم العربي المبين الذي خاطب الله به الخلف كلهم عالمهم وجاهلهم، وأمرهم بالتفكر في معانيه وتطبيقها على ألفاظه العربية المعروفة المعاني التي لا تجهلها العرب العرباء، وإذا وجد أقوالاً منقولة عن غير رسول الله ﷺ ردها إلى هذا الأصل، فإن وافقه قبلها لكون اللفظ دالاً عليها وإن خالفته لفظاً ومعنى، أو لفظاً أو معنى ردها وجزم ببطلانها لأن عنده أصلاً معلوماً مناقضاً لها، وهو ما يعرفه من معنى الكلام ودلالته والشاهد أن تفقد سليمان عليه السلام للطير وفقده للهدهد يدل على كمال حزمه وتدبيره للملك بنفسه، وكمال فطنته حتى فقد هذا الطائر الصغير)[1].

٤ ـ بعد أن انتهى من تفسير قصة سليمان عليه السلام مع ملكة سبأ والقصة واردة في سورة النمل، قال رحمه الله تعالى:

(فهذا ما قصه الله علينا من قصة ملكة سبأ، وما جرى لها مع سليمان عليه السلام، وما عدا ذلك من الفروع المولدة والقصص الإسرائيلية فإنه لا يتعلق بالتفسير لكلام الله، وهو من الأمور التي يتوقف الجزم بها على الدليل المعلوم، عن المعصوم والمنقولات في هذا الباب كلها أو أكثرها ليس كذلك، فالحزم كل الحزم الإعراض عنها، وعدم إدخالها في التفسير والله أعلم)[2].

٥ ـ قال بعد نهاية تفسير قصة أبينا إبراهيم عليه السلام، ودعوته لقومه

---

(١) تيسير الكريم الرحمان في تفسير كلام المنان جـ ٥، ص: ٢٧٥ ـ ٢٧٦.

(٢) المرجع السابق، نفسه الجزء، ص: ٢٨٠.

وجوابهم له، ثم هجرته عليه السلام عنهم، وذلك في سورة العنكبوت، قال رحمه الله تعالى:

(ولما اعتزلهم وفارقهم وهم بحالهم لم يذكر الله عنهم أنه أهلكهم بعذاب، بل ذكر اعتزاله إياهم وهجرته من بين أظهرهم.

فأما ما يذكر في الإسرائيليات أن الله فتح على قومه باب البعوض، فشرب دماءهم وأكل لحومهم، وأتلفهم عن آخرهم، فهذا يتوقف الجزم به على الدليل الشرعي، ولم يوجد، فلو كان الله استأصلهم بالعذاب لذكره كما ذكر إهلاك الأمم المكذبة)[1].

وبهذا نعرف أن الشيخ ابن سعدي يقف من الإسرائيليات موقف الناقد الحصيف، العارف، ويضع الأمور في مواضعها، ويوقعها في مواقعها، وقد سبق عند الحديث عن ميزات تفسيره أن قال عن الإسرائيليات عموماً ما يلي:

(واعلم أن كثيراً من المفسرين رحمهم الله قد أكثروا في حشو تفاسيرهم من قصص بني إسرائيل، ونزلوا عليها الآيات القرآنية وجعلوها تفسيراً لكتاب الله، محتجين بقوله ﷺ: «حدثوا عن بني إسرائيل ولا حرج»[2].

والذي أرى أنه وإن جاز نقل أحاديثهم على وجه تكون مفردة غير مقرونة ولا منزلة على كتاب الله، فإنه لا يجوز جعلها تفسيراً لكتاب الله قطعاً، إذا لم تصح عن رسول الله ﷺ، وذلك أن مرتبتها كما قال ﷺ: «لا تصدقوا أهل الكتاب ولا تكذبوهم»[3].

فإذا كانت مرتبتها أن تكون مشكوكاً فيها، وكان من المعلوم بالضرورة من دين الإسلام أن القرآن يجب الإيمان به أو القطع بألفاظه ومعانيه، فلا يجوز أن تجعل تلك القصص المنقولة بالروايات المجهولة التي يغلب على

---

(١) المرجع السابق، جـ: ٦، ص: ٤١.

(٢)(٣) سبق تخريج هذا الحديث أثناء الكلام على ميزات تفسير ابن سعدي.

الظن كذبها أو كذب أكثرها معاني لكتاب الله مقطوعاً بها ولا يستريب بهذا أحد)[1].

فهذا القول الذي قاله ابن سعدي مخالف لقول الحافظ ابن كثير الذي ذكره في مقدمة تفسيره، حيث قال:

ولكن في بعض الأحيان ينقل ابن عباس عنهم ما يحكونه من أقاويل أهل الكتاب التي أباحها رسول الله ﷺ، حيث قال: «بلغوا عني ولو آية، وحدثوا عن أهل الكتاب ولا حرج، ومن كذب علي متعمداً فليتبوأ مقعده من النار» رواه البخاري عن عبد الله بن عمرو[2].

فجعل ابن كثير رحمه الله الأمر عاماً، ولكن الشيخ ابن سعدي لم يجز كلامهم، ولا قصصهم في تفسير كلام الله، كما تقدم، وبهذا يظهر واضحاً أن الشيخ عبد الرحمن بن سعدي أشد في باب الإسرائيليات من الحافظ ابن كثير، مع أن ابن كثير رحمه الله من أئمة المفسرين ومن خير مفسري السلف من حيث انتقائه.

سابعاً: الجوانب اللغوية والنحوية في تفسير ابن سعدي

الملاحظ أن حظ تفسير الشيخ عبد الرحمن بن سعدي في اللغة والنحو معتدل، فهو لا يفصل أو يبالغ في تناوله للمسائل النحوية واللغوية، بل يتناول تلك الأمور بقدر ما يؤدي الغرض، ويبلغ الهدف في بيانه للمعنى، فكانت عنايته بالمسائل النحوية عناية سطحية، فهو يمس المسألة النحوية مساً خفيفاً، ولا يطيل الوقوف عليها، بل يعرضها بإيجاز واختصار.

أ ـ وكانت عنايته متجهة إلى معنى الحرف أو الاستفهام، أو مرجع الضمير، ولم يتعرض لإعراب الكلمات، وسأورد نماذج لما أشرت إليه:

ففي قوله تعالى: ﴿كَيْفَ تَكْفُرُونَ بِاللَّهِ وَكُنتُمْ أَمْوَاتًا فَأَحْيَاكُمْ﴾[3].

---

(١) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، جـ: ١، ص: ٤٦.

(٢) مقدمة تفسير ابن كثير، جـ: ١، ص: ٨.

(٣) سورة البقرة: الآية ٢٨.

قال رحمه الله تعالى: (هذا استفهام بمعنى التعجب والتوبيخ والإنكار)[1].

وفي قوله تعالى من سورة يونس: ﴿هَلْ مِن شُرَكَآئِكُم مَّن يَبْدَؤُا۟ ٱلْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُۥ﴾[2].

ذكر رحمه الله معنى الاستفهام، فقال: (قل هل من شركائكم من يبدأ الخلق) أي يبتديه ﴿ثُمَّ يُعِيدُهُۥ﴾ وهذا استفهام بمعنى النفي والتقرير، أي ما منهم أحد يبدأ الخلق ثم يعيده وهي أضعف من ذلك وأعجز[3].

وفي قوله تعالى من سورة يونس: ﴿أَفَأَنتَ تُسْمِعُ ٱلصُّمَّ وَلَوْ كَانُوا۟ لَا يَعْقِلُونَ﴾[4].

قال رحمه الله تعالى: (إن هذا استفهام بمعنى النفي المتقرر أي: لا تسمع الصم الذين لا يستمعون القول، ولو جهرت به، وخصوصاً إذا كان عقلهم معدوماً)[5].

وفي قوله تعالى من سورة الأنبياء: ﴿أَمِ ٱتَّخَذُوٓا۟ ءَالِهَةً مِّنَ ٱلْأَرْضِ هُمْ يُنشِرُونَ ﴿٢١﴾﴾[6].

قال رحمه الله تعالى: (إن الاستفهام بمعنى النفي، أي لا يقدرون على نشرهم وحشرهم، يفسرها قوله تعالى: ﴿وَٱتَّخَذُوا۟ مِن دُونِهِۦٓ ءَالِهَةً لَّا يَخْلُقُونَ شَيْـًٔا وَهُمْ يُخْلَقُونَ وَلَا يَمْلِكُونَ لِأَنفُسِهِمْ ضَرًّا وَلَا نَفْعًا وَلَا يَمْلِكُونَ مَوْتًا وَلَا حَيَوٰةً وَلَا نُشُورًا ﴿٣﴾﴾[7].

---

(١) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، ج: ١، ص: ٣١.
(٢) سورة يونس: الآية ٣٤.
(٣) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، ج: ٣، ص: ١٦٤.
(٤) سورة يونس: الآية ٤٢.
(٥) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، ج: ٣، ص: ١٦٦.
(٦) سورة الأنبياء: الآية ٢١.
(٧) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، ج: ٥، ص: ١٠٩، والآية المستشهد بها آية (٣) من سورة الفرقان.

وفي قوله تعالى من سورة الأنبياء: ﴿قَالُوٓاْ ءَأَنتَ فَعَلْتَ هَٰذَا بِـَٔالِهَتِنَا يَٰٓإِبْرَٰهِيمُ ﴿٦٢﴾﴾[1].

قال رحمه الله تعالى: «هذا استفهام تقرير أي فما الذي جرأك وما الذي أوجب لك الإقدام على هذا الأمر، فقال إبراهيم والناس مشاهدون: ﴿بَلْ فَعَلَهُۥ كَبِيرُهُمْ هَٰذَا﴾[2].

وفي قوله تعالى من سورة الحج: ﴿هَلْ يُذْهِبَنَّ كَيْدُهُۥ مَا يَغِيظُ﴾[3].

ذكر رحمه الله أن الاستفهام هنا للنفي، فقال: (وهذا استفهام بمعنى النفي، وأنه لا يقدر على شفاء غيظه بما يعمله من الأسباب)[4].

وفي قوله تعالى من سورة يس: ﴿قَالَ مَن يُحْىِ ٱلْعِظَٰمَ وَهِىَ رَمِيمٌ﴾[5].

قال رحمه الله: (استفهام إنكار، أي لا أحد يحييها بعد ما بليت وتلاشت، هذا وجه الشبهة والمثل)[6].

وفي قوله تعالى في سورة الصافات عن خليله إبراهيم: ﴿إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِۦ مَاذَا تَعْبُدُونَ ﴿٨٥﴾﴾[7].

(هذا استفهام على وجه الإنكار، وإلزام لهم بالحجة ﴿أَئِفْكًا ءَالِهَةً دُونَ ٱللَّهِ تُرِيدُونَ ﴿٨٦﴾﴾ أي أتعبدون من دون الله آلهة كذباً ليست بآلهة ولا تصلح للعبادة)[8].

وفي قوله تعالى من سورة الحاقة: ﴿فَهَلْ تَرَىٰ لَهُم مِّنۢ بَاقِيَةٍ ﴿٨﴾﴾[9].

---

(١) سورة الأنبياء: الآية ٦٢.
(٢) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، جـ: ٥، ص: ١٢١.
(٣) سورة الحج: الآية ١٥.
(٤) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، جـ: ٥، ص: ١٣٩.
(٥) سورة يس: الآية ٧٨.
(٦) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، جـ: ٦، ص: ١٧٨.
(٧) سورة الصافات: الآية ٨٥.
(٨) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، جـ: ٦، ص: ١٩٠.
(٩) سورة الحاقة: الآية ٨

قال: (وهذا استفهام بمعنى النفي المتقرر)[1].

وفي قوله تعالى من سورة المرسلات: ﴿لِأَيِّ يَوْمٍ أُجِّلَتْ ﴿١٢﴾﴾[2].

قال رحمه الله: (استفهام للتعظيم والتفخيم والتهويل، ثم أجاب بقوله: ﴿لِيَوْمِ الْفَصْلِ ﴿١٣﴾﴾[3].

ب ـ بحثه في الضمائر:

عند قوله تعالى من سورة النساء: ﴿وَإِن مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ إِلَّا لَيُؤْمِنَنَّ بِهِ قَبْلَ مَوْتِهِ ﴾[4].

أشار رحمه الله إلى أن الضمير هنا في قوله ﴿قَبْلَ مَوْتِهِ ﴾ يعود إلى أهل الكتاب، فيكون على هذا كل كتابي يحضره الموت ويعاين الأمر حقيقة، فإنه يؤمن بعيسى عليه السلام، ولكنه إيمان لا ينفع، لأنه إيمان اضطرار، ويحتمل أن الضمير عائد إلى عيسى عليه السلام، فيكون المعنى وما من أحد من أهل الكتاب إلاّ ليؤمنن بالمسيح عليه السلام قبل موت المسيح وذلك يكون عند اقتراب الساعة وظهور علاماتها الكبار، فإنها تكاثرت الأحاديث في نزوله عليه السلام في آخر هذه الأمة، يقتل الدجال ويضع الجزية)[5].

وفي قوله تعالى من سورة الأنعام: ﴿الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَعْرِفُونَهُ كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَاءَهُمُ ﴾[6].

ذكر أن الضمير في قوله: ﴿يَعْرِفُونَهُ ﴾ إما أن يكون عائداً على التوحيد أو على محمد ﷺ، فقال رحمه الله تعالى:

(﴿يَعْرِفُونَهُ ﴾ أي يعرفون صحة التوحيد، كما يعرفون أبناءهم أي لا شك

---

(١) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، جـ: ٨، ص: ١٦٣.
(٢) سورة المرسلات: الآية ١٢.
(٣) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، جـ: ٨، ص: ١٦٣.
(٤) سورة النساء: الآية ١٥٩.
(٥) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، جـ: ٢، ص: ١٠١.
(٦) سورة الأنعام: الآية ٢٠.

عندهم فيه بوجه، كما أنهم لا يشتبهون بأولادهم خصوصاً البنين الملازمين في الغالب لآبائهم.

ويحتمل أن الضمير عائد إلى الرسول محمد ﷺ، وأن أهل الكتاب لا يشتبهون بصحة رسالته، ولا يمترون بها، لما عندهم من البشارات به...)[1].

وفي قوله تعالى من سورة الأنعام: ﴿وَمِن ذُرِّيَّتِهِۦ دَاوُۥدَ وَسُلَيْمَٰنَ وَأَيُّوبَ وَيُوسُفَ وَمُوسَىٰ وَهَٰرُونَ ۚ وَكَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْمُحْسِنِينَ﴾[2].

أشار إلى أن الضمير في قوله: ﴿وَمِن ذُرِّيَّتِهِۦ﴾ يحتمل أن يعود إلى نوح، ويحتمل أن يعود إلى إبراهيم، فقال رحمه الله تعالى:

(﴿وَمِن ذُرِّيَّتِهِۦ﴾ يحتمل أن الضمير عائد إلى نوح، لأنه أقرب مذكور، ولأن الله ذكر مع من ذكر لوطاً، وهو من ذرية نوح لا من ذرية إبراهيم، لأنه ابن أخيه، ويحتمل أن الضمير يعود إلى إبراهيم لأن السياق في مدحه والثناء عليه، وإن لم يكن من ذريته، فإنه ممن آمن على يده...)[3].

وفي قوله تعالى من سورة الأعراف: ﴿وَتَرَىٰهُمْ يَنظُرُونَ إِلَيْكَ وَهُمْ لَا يُبْصِرُونَ﴾[4].

بين أن الضمير يحتمل أن يعود إلى الأصنام، ويحتمل أن يعود إلى المشركين، فقال رحمه الله تعالى:

(وهذا أيضاً في بيان عدم استحقاق هذه الأصنام التي يعبدونها من دون الله شيئاً من العبادة، لأنها ليس لها استطاعة ولا اقتدار في نصر أنفسها، ولا في نصر عابديها، وليس لها قوة العقل والاستجابة إلى أن قال: ﴿وَتَرَىٰهُمْ يَنظُرُونَ إِلَيْكَ وَهُمْ لَا يُبْصِرُونَ﴾ حقيقة لأنهم صوروها على صور الحيوانات من الآدميين أو غيرهم، وجعلوا لها أبصاراً وأعضاء، فإذا رأيتها قلت هذه حية، فإذا تأملتها عرفت أنها جمادات لا حراك بها ولا حياة.

---

(١) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، ج: ٢، ص: ١٧٩.
(٢) سورة الأنعام: الآية ٨٤.
(٣) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، ج: ٢، ص: ١٩٩.
(٤) سورة الأعراف: الآية ٣٥.

وقيل إن الضمير يعود إلى المشركين المكذبين لرسول الله ﷺ، فتحسبهم ينظرون إليك يا رسول الله، نظر اعتبار يتبين به الصادق من الكاذب، ولكنهم لا يبصرون حقيقتك، وما يتوسمه المتسمون فيك من الجمال والكمال والصدق)[1].

وفي قوله تعالى من سورة الأنفال: ﴿وَمَا كَانُوٓاْ أَوْلِيَآءَهُۥٓ﴾[2].

قال رحمه الله: (يحتمل أن الضمير يعود إلى الله، أي أولياء الله ويحتمل أن يعود إلى المسجد الحرام، أي وما كانوا أولى به من غيرهم)[3].

وفي قوله تعالى من سورة التوبة: ﴿فَلَا تَظْلِمُواْ فِيهِنَّ أَنفُسَكُمْ﴾[4].

قال رحمه الله: (يحتمل أن الضمير يعود إلى الاثني عشر شهراً وأن الله تعالى بين أنه جعلها مقادير للعباد، وأن تعمر بطاعته، ويشكر الله تعالى على منته بها وتقييضها لمصالح العباد، فلتحذروا من ظلم أنفسكم فيها، ويحتمل أن الضمير يعود إلى الأربعة الحرم، وأن هذا نهي لهم عن الظلم كل وقت، لزيادة تحريمها وكون الظلم فيها أشد منه في غيرها»[5].

وفي قوله تعالى من سورة هود عليه السلام:

﴿أَمْ يَقُولُونَ ٱفْتَرَىٰهُ قُلْ إِنِ ٱفْتَرَيْتُهُۥ فَعَلَيَّ إِجْرَامِى وَأَنَا۠ بَرِىٓءٌ مِّمَّا تُجْرِمُونَ ﴿٣٥﴾﴾[6].

أشار رحمه الله إلى أن الضمير في قوله: ﴿ٱفْتَرَىٰهُ﴾ إما أن يعود إلى نوح إو إلى محمد ﷺ، فقال رحمه الله:

﴿أَمْ يَقُولُونَ ٱفْتَرَىٰهُ﴾ هذا الضمير محتمل أن يعود إلى نوح، كما كان

---

(١) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، ج: ٣، ص: ٦٥.
(٢) سورة الأنفال: الآية ٣٤.
(٣) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، ج: ٣، ص: ٧٩.
(٤) سورة التوبة: جزء من الآية ٣٦.
(٥) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، ج: ٣، ص: ١١٠.
(٦) سورة هود: الآية ٣٥.

فالسياق في قصته مع قومه، وأن المعنى أن قومه يقولون افترى على الله كذباً وكذب بالوحي الذي يزعم أنه من الله، وأن الله أمره أن يقول: ﴿قُلْ إِنِ ٱفْتَرَيْتُهُۥ فَعَلَىَّ إِجْرَامِى وَأَنَا۠ بَرِىٓءٌ مِّمَّا تُجْرِمُونَ﴾ أي قل عليه وزره: ﴿وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ﴾[1].

ويحتمل أن الضمير عائد إلى النبي ﷺ، وتكون هذه الآية معترضة في أثناء قصة نوح وقومه، لأنها من الأمور التي لا يعلمها إلاّ الأنبياء، فلما شرع الله في قصها على رسوله، وكانت من جملة الآيات الدالة على صدقه ورسالته، ذكر تكذيب قومه له مع البيان التام، فقال: ﴿أَمْ يَقُولُونَ ٱفْتَرَىٰهُ﴾ أي هذا القرآن اختلقه محمد من تلقاء نفسه.. إلخ)[2].

وفي قوله تعالى في سورة يوسف:

﴿ذَٰلِكَ لِيَعْلَمَ أَنِّى لَمْ أَخُنْهُ بِٱلْغَيْبِ وَأَنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى كَيْدَ ٱلْخَآئِنِينَ ﴿٥٢﴾﴾[3].

أشار إلى أن الضمير في قوله: ﴿أَخُنْهُ﴾ إما أن يعود على زوجها وإما أن يعود إلى يوسف عليه السلام، فقال رحمه الله:

﴿لِيَعْلَمَ أَنِّى لَمْ أَخُنْهُ بِٱلْغَيْبِ﴾ يحتمل أن مرادها بذلك زوجها أي ليعلم أني حين أقررت أني راودت يوسف أني لم أخنه بالغيب، أي لم يجر مني إلاّ مجرد المراودة، ولم أفسد عليه فراشه.

ويحتمل أن المراد بذلك ليعلم يوسف حين أقررت أني أنا الذي راودته، وأنه صادق أني لم أخنه في حال غيبته عني»[4].

وفي قوله تعالى من سورة المؤمنون:

﴿مُسْتَكْبِرِينَ بِهِۦ سَٰمِرًا تَهْجُرُونَ ﴿٦٧﴾﴾[5].

---

(١) سورة الإسراء: الآية ١٥، سورة فاطر: الآية ١٨.
(٢) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، ج: ٣، ص: ١٩٩.
(٣) سورة يوسف: الآية ٥٢.
(٤) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، ج: ٤، ص: ١٩.
(٥) سورة المؤمنون: الآية ٦٧.

قال إن الضمير في ﴿بِهِۦ﴾ يعود إلى البيت المعهود عند المخاطبين أو الحرم أي متكبرين على الناس بسببه، يقولون نحن أهل الحرم، فنحن أفضل من غيرنا، وأعلى سامراً أي جماعة يتحدثون بالليل حول البيت ﴿تَهْجُرُونَ﴾ أي تقولون الكلام الهجر الذي هو القبيح في هذا القرآن)[1].

وفي قوله تعالى في سورة سبأ: ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا فُزِّعَ عَن قُلُوبِهِمْ﴾[2].

أشار إلى أن الضمير يعود على المشركين أو يعود على الملائكة، فقال: ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا فُزِّعَ عَن قُلُوبِهِمْ قَالُوا۟ مَاذَا قَالَ رَبُّكُمْ ۖ قَالُوا۟ ٱلْحَقَّ ۖ وَهُوَ ٱلْعَلِىُّ ٱلْكَبِيرُ﴾ يحتمل أن الضمير في هذا الموضوع يعود إلى المشركين لأنهم مذكورون في اللفظ والقاعدة في الضمائر أن تعود إلى أقرب مذكور.

ويحتمل أن الضمير يعود إلى الملائكة... إلخ»[3].

وفي قوله تعالى من سورة الجن: ﴿فَزَادُوهُمْ رَهَقًا﴾[4].

ذكر لمرجع الضمير وهو الواو في قوله: ﴿فَزَادُوهُمْ﴾ احتمالين فقال رحمه الله: أي كان الإنس يعوذون بالجن عند المخاوف والأفزاع ويعبدونهم، فزاد الإنس الجن رهقاً، أي طغياناً وتكبراً لما رأوا الإنس يعبدونهم ويستعيذون بهم.

ويحتمل أن الضمير وهو الواو يرجع إلى الجن، أي زاد الجن الإنس ذعراً وتخويفاً لما رأوهم يستعيذون بهم، ليلجؤوهم إلى الاستعاذة بهم والتمسك بما هم عليه»[5].

وفي قوله في سورة العاديات: ﴿وَإِنَّهُۥ عَلَىٰ ذَٰلِكَ لَشَهِيدٌ ۝٧﴾[6].

---

(١) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، ج: ٥، ص: ١٧٩.
(٢) سورة سبأ: الآية ٢٣.
(٣) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، ج: ٦، ص: ١٣٥.
(٤) سورة الجن: الآية ٦.
(٥) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، ج: ٨، ص: ١٨٠.
(٦) سورة العاديات: الآية ٧.

ذكر لمرجع الضمير احتمالين، فقال رحمه الله تعالى:

﴿وَإِنَّهُۥ عَلَىٰ ذَٰلِكَ لَشَهِيدٌ ۝٧﴾ أي أن الإنسان على ما يعرف من نفسه من المنع والكند، لشاهد بذلك لا يجحده ولا ينكره، لأن ذلك بين واضح.

ويحتمل أن الضمير عائد إلى الله، أي أن العبد لربه لكنود، والله شهيد على ذلك)[1].

وقد يذكر ابن سعدي أوزان بعض الكلمات، كما فعل في كلمة «ودود» في قوله تعالى من سورة هود عليه السلام: ﴿وَٱسْتَغْفِرُوا۟ رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوٓا۟ إِلَيْهِ إِنَّ رَبِّى رَحِيمٌ وَدُودٌ ۝٩٠﴾[2].

حيث قال رحمه الله تعالى: (ومعنى الودود من أسمائه تعالى أنه يحب عباده المؤمنين، ويحبونه، فهو فعول بمعنى فاعل ومعنى مفعول)[3].

كما أنه أحياناً يذكر الفرق بين الجملة الاسمية والجملة الفعلية كما فعل في قوله تعالى: (من سورة هود عليه السلام أثناء سياق قصة أبينا إبراهيم عليه السلام مع الملائكة الذين وكلوا بعذاب قوم لوط: ﴿وَلَقَدْ جَآءَتْ رُسُلُنَآ إِبْرَٰهِيمَ بِٱلْبُشْرَىٰ قَالُوا۟ سَلَٰمًا ۖ قَالَ سَلَٰمٌ فَمَا لَبِثَ أَن جَآءَ بِعِجْلٍ حَنِيذٍ ۝٦٩﴾[4]، حيث قال رحمه الله:

(وأنه ينبغي أن يكون الرد أبلغ من الابتداء، لأن سلام الملائكة بالجملة الفعلية الدالة على التجدد، ورده بالجملة الاسمية الدالة على الثبوت والاستمرار، وبينهما فرق كبير كما هو معلوم في علم العربية)[5].

كما أنه يبين معاني بعض الحروف، كما فعل في قوله تعالى من سورة البقرة حاكياً عن الملائكة عليهم السلام، أنهم قالوا: ﴿قَالُوٓا۟ أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ ٱلدِّمَآءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ ۖ﴾[6].

---

(١) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، جـ: ٨، ص: ٢٦٠.
(٢) سورة هود: الآية ٩٠.
(٣) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، جـ: ٣، ص: ٢١٢.
(٤) سورة هود: الآية ٦٩.
(٥) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، جـ: ٣، ص: ٢٠٨.
(٦) سورة البقرة: الآية ٣٠.

حيث قال رحمه الله: ﴿وَنُقَدِّسُ لَكَ﴾ يحتمل أن معناها ونقدسك، فتكون اللام مفيدة للتخصيص والإخلاص، ويحتمل أن يكون ﴿وَنُقَدِّسُ لَكَ﴾ أنفسنا أي نطهرها بالأخلاق الجميلة، كمحبة الله وخشيته وتعظيمه ونطهرها من الأخلاق الرذيلة)[1].

وكما في قوله تعالى من سورة البقرة: ﴿أَوَكُلَّمَا عَٰهَدُوا۟ عَهْدًا نَّبَذَهُۥ فَرِيقٌ مِّنْهُم﴾[2] حيث قال:

(وهذا فيه التعجب من كثرة معاهداتهم، وعدم صبرهم على الوفاء بها، فكما تفيد التكرار، فكلما وجد العهدُ ترتب عليه النقض)[3].

ويبين أفعل التفضيل، إذ ورد على غير بابه، كما فعل في قوله تعالى من سورة المائدة: ﴿أُو۟لَٰٓئِكَ شَرٌّ مَّكَانًا وَأَضَلُّ عَن سَوَآءِ ٱلسَّبِيلِ﴾[4] حيث قال: ﴿أُو۟لَٰٓئِكَ﴾ المذكورون بهذه الخصال القبيحة ﴿شَرٌّ مَّكَانًا﴾ من المؤمنين الذين رحمة الله قريب منهم ورضي الله عنهم وأثابهم في الدنيا والآخرة لأنهم أخلصوا له الدين، وهذا النوع من باب استعمال أفعل التفضيل في غير بابه، وكذلك قوله: ﴿وَأَضَلُّ عَن سَوَآءِ ٱلسَّبِيلِ﴾ أي وأبعد عن قصد السبيل)[5].

وكما في قوله تعالى من سورة العنكبوت: ﴿وَإِبْرَٰهِيمَ إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ وَٱتَّقُوهُ ۖ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿١٦﴾﴾[6].

حيث بين أن أفعل التفضيل في قوله: ﴿خَيْرٌ لَّكُمْ﴾ ليس على بابه فقال: (وهذا من باب إطلاق أفعل التفضيل بما ليس في الطرف الآخر منه شيء، فإن ترك عبادة الله وترك تقواه لا خير فيه بوجه، وإنما كانت عبادة الله وتقواه خيراً للناس لأنه لا سبيل إلى نيل كرامته في الدنيا والآخرة إلاّ بذلك)[7].

---

(١) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، جـ: ١، ص: ٣٢.
(٢) سورة البقرة: الآية ١٠٠.
(٣) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، جـ: ١، ص: ٥٥.
(٤) سورة المائدة: الآية ٦٠.
(٥) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، جـ: ٢، ص: ١٤٧.
(٦) سورة العنكبوت: الآية ١٦.
(٧) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، جـ: ٦، ص: ٣٨.

كما بين معنى (من) في قوله تعالى من سورة الحج: ﴿فَٱجْتَنِبُوا۟ ٱلرِّجْسَ مِنَ ٱلْأَوْثَٰنِ وَٱجْتَنِبُوا۟ قَوْلَ ٱلزُّورِ﴾[1] حيث قال رحمه الله تعالى: (والظاهر أن ﴿مِن﴾ هنا ليست لبيان الجنس كما قاله كثير من المفسرين، وإنما هي للتبعيض، وأن الرجس عام في جميع المنهيات من المحرمات، فيكون منهياً عنها عموماً، وعن الأوثان التي هي بعضها خصوصاً)[2].

وفي قوله تعالى من سورة الحج: ﴿ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَٱلصَّٰبِرِينَ عَلَىٰ مَآ أَصَابَهُمْ وَٱلْمُقِيمِى ٱلصَّلَوٰةِ وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ ﴿٣٥﴾﴾[3].

فذكر أن من للتبعيض، إذ يقول:

(وأتى بمن المفيدة للتبعيض، ليعلم سهولة ما أمر الله به، ورغب فيه، وأنه جزء يسير مما رزق الله، ليس للعبد في تحصيله قدرة لولا تيسير الله له ورزقه إياه، فيا أيها المرزوق من فضل الله أنفق مما رزقك الله ينفق الله عليك ويزدك من فضله)[4].

وفي قوله تعالى من سورة النور: ﴿قُل لِّلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا۟ مِنْ أَبْصَٰرِهِمْ﴾[5]، بين أن معنى من للتبعيض، إذ يقول:

(وتأمل كيف أمر بحفظ الفرج مطلقاً، لأنه لا يباح في حالة من الأحوال، وأما البصر فقال: ﴿يَغُضُّوا۟ مِنْ أَبْصَٰرِهِمْ﴾ بأداة من الدالة على التبعيض، فإنه يجوز النظر في بعض الأحوال، لحاجة، كنظر الشاهد والعامل والخاطب ونحو ذلك)[6].

وقد يقدر جواب الشرط إذا لم يكن مذكوراً كما قدره ابن سعدي في قوله تعالى من سورة النور: ﴿وَلَوْلَا فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُۥ وَأَنَّ ٱللَّهَ تَوَّابٌ حَكِيمٌ ﴿١٠﴾﴾[7] حيث قال رحمه الله:

---

(١) سورة الحج: الآية ٣٠.
(٢) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، جـ: ٥، ص: ١٤٤.
(٣) سورة الحج: الآية ٣٥.
(٤) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، جـ: ٥، ص: ١٤٥.
(٥) سورة النور: الآية ٣٠.
(٦) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، جـ: ٥، ص: ٢٠١.
(٧) سورة النور: الآية ١٠.

(وجواب الشرط محذوف، يدل عليه سياق الكلام، أي لأحلّ بأحد المتلاعنين الكاذب منهما ما دعا به على نفسه)[1].

ورجح أن لو في قوله تعالى من سورة الزمر: ﴿أَوْ تَقُولَ لَوْ أَنَّ ٱللَّهَ هَدَىٰنِى لَكُنتُ مِنَ ٱلْمُتَّقِينَ ﴿٥٧﴾﴾[2] بأنها للتمني، ورد كونها شرطية، يقول رحمه الله تعالى:

(ولو في هذا الموضع للتمني، وليست هنا شرطية، لأنها لو كانت شرطية لكانوا محتجين بالقضاء والقدر على ضلالهم، وهي حجة باطلة ويوم القيامة تضمحل كل حجة باطلة)[3].

ويبين رحمه الله أن تقديم الظرف يفيد الحصر، كما أشار لذلك في قوله تعالى من سورة الزخرف:

﴿وَتَبَارَكَ ٱلَّذِى لَهُۥ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا وَعِندَهُۥ عِلْمُ ٱلسَّاعَةِ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٨٥﴾﴾[4] حيث قال:

﴿وَعِندَهُۥ عِلْمُ ٱلسَّاعَةِ﴾ قدم الظرف ليفيد الحصر، أي لا يعلم متى تجيء الساعة إلاّ هو)[5].

ويبين أن في قوله تعالى: ﴿ٱلْمَجِيدِ﴾ من سورة البروج ﴿ذُو ٱلْعَرْشِ ٱلْمَجِيدُ ﴿١٥﴾﴾[6] قراءتين، قراءة بالرفع، وقراءة بالجر، وبين المعنى على كلا القراءتين، فيقول:

(وخص الله العرش بالذكر لعظمته، ولأنه أخص المخلوقات بالقرب منه، وهذا على قراءة الجر، يكون المجيد نعتا للعرش.

وأما على قراءة الرفع فإنه يكون نعتاً لله)[7].

---

(١) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، جـ: ٥، ص: ١٩٤.
(٢) سورة الزمر: الآية ٥٧.
(٣) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، جـ: ٧، ص: ٤٠.
(٤) سورة الزخرف: الآية ٨٥.
(٥) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، جـ: ٧، ص: ١٣١.
(٦) سورة البروج: الآية ١٥.
(٧) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، جـ: ٨، ص: ٢٣٢.

وأشار إلى أن (ما) في قوله تعالى من سورة والشمس وضحاها: ﴿وَٱلسَّمَآءِ وَمَا بَنَىٰهَا ۝٥﴾[1] لها معنيين: إما موصولة أو مصدرية، فقال:

(ويحتمل أن (ما) مصدرية، فيكون الإقسام بالسماء وبنيانها الذي هو غاية ما يقدر من الإحكام والإتقان والإحسان، ويحتمل أنها موصولة فيكون الإقسام بالسماء وبانيها وهو الله تعالى)[2].

ويوضح أحياناً معنى العطف، كما أشار لذلك في قوله تعالى من سورة الأنبياء: ﴿ٱلَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُم بِٱلْغَيْبِ وَهُم مِّنَ ٱلسَّاعَةِ مُشْفِقُونَ ۝٤٩﴾[3] فقال رحمه الله تعالى:

(والعطف هنا من باب عطف الصفات المتغايرات الواردة على شيء واحد وموصوف واحد)[4].

وهكذا نجد الشيخ عبد الرحمن بن سعدي قد اعتنى بمباحث علوم القرآن وغيرها من المباحث، كمباحث اللغة العربية ذات الصلة الوثيقة بتفسير كتاب الله، وذلك بمقدار ما يكشف عن المعنى، ويوضح مراد الله من كلامه جل وعز، متجنباً الإطالة والتفصيل، والدخول في مناقشات لا طائل تحتها ولا جدوى من البحث فيها، علماً بأنه قد أفرد في مقدمة تفسيره فوائد مهمة، تتعلق بتفسير القرآن، وقبل ذلك ألف كتابه «القواعد الحسان لتفسير القرآن» اشتمل على قواعد مهمة يحتاج لها المفسر، وسيأتي الكلام عن هذا الكتاب في الفصل القادم إن شاء الله تعالى.

---

(١) سورة الشمس: الآية ٥.

(٢) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، جـ: ٨، ص: ٢٤٥.

(٣) سورة الأنبياء: الآية ٤٩.

(٤) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، جـ: ٥، ص: ١١٨.

الباب الثاني

كتب أخرى في التفسير
للشيخ عبد الرحمن بن سعدي

مقدمة

للشيخ عبد الرحمن بن سعدي كغيره من العلماء العاملين عناية خاصة بعلوم القرآن، من تفسير وغيره من المباحث الأخرى، فهو لم يقتصر رحمه الله على تفسيره السابق للقرآن الكريم، بل قام بتأليف مجموعة من الكتب، كلها تدور حول تفسير القرآن وعلومه، علاوة على ما يستشهد به في مؤلفاته الأخرى من آيات قرآنية، تدل دلالة واضحة على رسوخ قدمه في معرفة كتاب الله سبحانه وتعالى، تفسيراً واستنباطاً واستشهاداً، يلحظ ذلك القارئ لكتاباته.

وقد أفرد هذا الباب بفصوله الأربعة للكتب التي ألفها في تفسير القرآن وأصوله وما يتعلق بهما من مباحث.

الفصل الأول
القواعد الحسان لتفسير القرآن

أولاً: التعريف بالكتاب:

هذا الكتاب الذي ألفه الشيخ، يشتمل على مقدمة وسبعين قاعدة، يحسن بمن يرغب تفسير كتاب الله وفهمه فهماً حقيقياً أن يتعرف على هذه القواعد، يقع هذا الكتاب في ثمان ومائتين من الصفحات، بما في ذلك الفهارس، وهو من القطع الصغير، وقد انتهى المؤلف من تأليفه في اليوم السادس من شهر شوال عام خمس وستين بعد الثلاثمائة والألف من الهجرة النبوية، طبع للمرة الأولى في مطبعة أنصار السنة المحمدية بمصر عام ١٣٦٦هـ، على نفقة المؤلف، ووزع مجاناً، وأعيد طبعه عام ١٤٠٠هـ على نفقة مكتبة المعارف في الرياض.

ثانياً: سبب تأليفه:

لم أقف على سبب لتأليفه هذا الكتاب فيما قرأت من كتبه، ولكن يمكن أن يستخلص من خطبة الكتاب سبب تأليفه، وهو قوله رحمه الله: (فعلم التفسير أجل العلوم على الإطلاق، وأفضلها وأوجبها وأحبها إلى الله، لأن الله أمر بتدبر كتابه والتفكر في معانيه، والاهتداء بآياته، وأثنى على القائمين بذلك، وجعلهم في أعلى المراتب ووعدهم أسنى المواهب، فلو أنفق العبد جواهر عمره في هذا الفن لم يكن ذلك كثيراً في جنب ما هو أفضل المطالب وأعظم المقاصد وأصل الأصول كلها، وقاعدة أساس السعادة في الدارين)[1].

(١) القواعد الحسان لتفسير القرآن، ص: ٤.

أقول لعلّ هذا هو السبب الذي دعاه إلى تأليف هذا الكتاب، وهو أن الاشتغال في القرآن وعلومه هو أجل العلوم وأفضلها إطلاقاً.

ثالثاً: منهجه فيه:

أما منهجه في الكتاب، فهو يذكر القاعدة، ثم يشرع في شرحها، ثم يورد عليها مثالاً أو أمثلة من القرآن، وقد ضمن رحمه الله هذا الكتاب قواعد مهمة نافعة، من هذه القواعد:

*** العبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب:**

ثم يقول بعد ذلك: وهذا الأصل اتفق عليه المحققون من أهل الأصول وغيرهم، ثم أخذ يشرح معنى هذه القاعدة قائلاً: (فمتى راعيت هذه القاعدة حق الرعاية، وعرفت أن ما قاله المفسرون من أسباب النزول، إنما هو على سبيل المثال لتوضيح الألفاظ، وليست معاني الألفاظ والآيات مقصورة عليها، فقولهم نزلت في كذا وكذا، معناه أن هذا مما يدخل فيها، ومن جملة ما يراد بها، فإن القرآن كما تقدم، إنما نزل لهداية أول الأمة وآخرها، حيث تكون، وأنى تكون، والله تعالى قد أمرنا بالتفكر والتدبر لكتابه، فإذا تدبرنا الألفاظ، وفهمنا أن معناها يتناول أشياء كثيرة، فلأي شيء نخرج بعض هذه المعاني، مع دخول ما هو مثلها ونظيرها فيها، ولهذا قال عبد الله بن مسعود رضي الله عنه: (إذا سمعت الله يقول يا أيها الذين آمنوا فارعها سمعك، فإنه إما خير تؤمر به وإما شر تنهى عنه، فمتى مر بك خبر عن صفات الله وأسمائه وعما يستحقه من الكمال، وما يتنزه عنه من النقص فاثبت له جميع ذلك المعنى الكامل الذي أثبته سبحانه لنفسه، ونزهه عن كل ما نزه نفسه عنه)[1].

* ومن القواعد المهمة التي أوردها الشيخ رحمه الله قاعدة:

الألف واللام الداخلة على الأوصاف وأسماء الأجناس تفيد الاستغراق بحسب ما دخلت عليه:

وأخذ يشرح هذه القاعدة مورداً الأمثلة عليها، فيقول: (وقد نص على

---

(١) القواعد الحسان لتفسير القرآن، ص: ٧، ٨.

ذلك أهل الأصول وأهل العربية، واتفق على اعتبار ذلك أهل العلم والإيمان، فمثل قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلْمُسْلِمِينَ وَٱلْمُسْلِمَٰتِ وَٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ . . . إلى قوله تعالى: ﴿أَعَدَّ ٱللَّهُ لَهُم مَّغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا ﴾[1] يدخل في هذه الأوصاف كل ما تناوله من معاني الإسلام والإيمان والقنوت والصدق إلى آخرها، وأن بكمال هذه الأوصاف يكمل لصاحبها ما رتب عليها من المغفرة والأجر العظيم، وبنقصانها ينقص وبعدمها يفقد، وهكذا كل وصف رتب عليه خير وأجر وثواب، وكذلك ما يقابل ذلك كل وصف نهى الله عنه ورتب عليه، وعلى الاتصاف به عقوبة وشراً ونقصاً، يكون له من ذلك بحسب ما قام به من الوصف المذكور)[2].

وهكذا أخذ يسرد الأمثلة على هذه القاعدة، فاستغرقت الأمثلة عليها أربع صفحات من الكتاب.

* ومن القواعد التي أوردها الشيخ في كتابه القاعدة الرابعة عشرة وهي:

حذف المتعلق المعمول فيه يفيد تعميم المعنى المناسب له:

فبين معنى هذه القاعدة، وأورد الأمثلة عليها، فقال: (وهذه قاعدة مفيدة جداً، متى اعتبرها الإنسان في الآيات القرآنية أكسبته فوائد جليلة، وذلك أن الفعل وما هو معناه متى قيد بشيء تقيد به، فإذا أطلقه الله تعالى وحذف المتعلق كان القصد من ذلك التعميم، ويكون الحذف هنا أحسن وأفيد كثيراً من التصريح بالمتعلقات، وأجمع للمعاني النافعة، ولذلك أمثلة كثيرة جداً:

منها أنه قال في عدة آيات ﴿وَلَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴾ ﴿لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴾ ﴿لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴾، فيدل ذلك على أن المراد لعلكم تعقلون عن الله كل ما أرشدكم إليه، وكل ما علمكموه، وكل ما أنزل عليكم من الكتاب والحكمة، ولعلكم تذكرون، فلا تنسون، ولا تغفلون، فتكونون دائماً متيقظين مرهفي الحواس، تحسون كل ما تمرون به من سنن الله وآياته، فتذكرون جميع

(١) سورة الأحزاب: الآية ٣٥

(٢) القواعد الحسان لتفسير القرآن، ص: ٩.

مصالحكم الدينية والدنيوية، ولعلكم تتقون جميع ما يجب اتقاؤه من الغفلة والجهل والتقليد، وكل ما يحاول عدوكم أن يوقعكم فيه من جميع الذنوب والمعاصي، ويدخل في ذلك ما كان سياق الكلام فيه، وهو فرد من أفراد هذا المعنى العام)[1].

ومضى الشيخ يورد أمثلة على هذه القاعدة، حتى أوفاها حقها.

* ومن القواعد التي أشار إليها الشيخ القاعدة السادسة والعشرون وهي:

الأحكام في الآيات المقيدة:

ثم بين معنى هذه القاعدة، مستشهداً على ذلك بإيراد الأمثلة التي توضح المعنى، فقال: (وهذه قاعدة لطيفة، فإن الله متى رتب في كتابه حكماً على شيء وقيده بقيد أو شرط لذلك شرطاً تعلق الحكم به على ذلك الوصف الذي وصفه الله تعالى، وهذا في القرآن لا حصر له، وإنما المقصود ذكر المستثنى من هذا الأصل الذي يقول كثير من المفسرين إذا تكلموا عليها، هذا قيد غير مراد، ففي هذه العبارة نظر، فإن كل لفظة في كتاب الله فإن الله أرادها لما فيها من فائدة قد تظهر للمتكلم وقد تخفى، وإنما مرادهم بقولهم: (غير مراد) ثبوت الحكم بها.

فاعلم أن الله تعالى يذكر الأحكام الشرعية من أصول وفروع، ويذكر أعلى حالة لها، ليبرزها لعباده، ليظهر لهم حسنها إن كانت مأموراً بها أو قبحها إن كانت منهياً عنها، وعند تأمل هذه الآيات التي بهذا الصدد يظهر لك منها هذا عياناً.

فمنها قوله تعالى: ﴿وَمَن يَدْعُ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ لَا بُرْهَٰنَ لَهُۥ بِهِۦ﴾[2]، ومن المعلوم أن من دعا مع الله إلهاً آخر، فإنه كافر، وأنه ليس له برهان مطلقاً، وإنما قيدها بهذا القيد بياناً لشناعة الشرك والمشرك، وأن المشرك ليس له دليل شرعي ولا عقلي، قطعاً، والمشرك ليس بيده ما يسوغ له شيئاً من

(١) القواعد الحسان لتفسير القرآن، ص: ٤٦، ٤٧.

(٢) سورة المؤمنون: الآية ١١٧.

ذلك، ففائدة هذا القيد التشنيع البليغ على المشركين بما تملكهم لغبائهم وبلادتهم التقليدية، من المعاندة ومخالفة البراهين الشرعية والعقلية، وأنه ليس بأيديهم إلاّ أغراض بهيمية ومقاصد سيئة وتقليد أعمى، كالأنعام، وأنهم لو التفتوا أدنى التفات، لعرفوا أن ما هم عليه لا يستسيغُه من له أدنى فهم وعقل.

ومنها قوله تعالى:

﴿وَرَبَٰٓئِبُكُمُ ٱلَّٰتِي فِي حُجُورِكُم مِّن نِّسَآئِكُمُ ٱلَّٰتِي دَخَلْتُم بِهِنَّ﴾[1] مع أن كونها في حجره أو غير حجره ليس شرطاً لتحريمها، فإنها تحرم مطلقاً، ولكن ذكر الله هذا القيد تشنيعاً لهذه الحالة، وأنه من أقبح القبيح؛ تزوج الربيبة التي هي في حجر الإنسان بمنزلة بنته، فذكر الله المسألة متجلية بثياب قبحها لينفر عنها ذوي الألباب، مع أن التحريم لم يعلق بمثل هذه الحالة، فالأنثى إما أن تكون مباحة مطلقاً، أو محرمة مطلقاً، سواء كانت عند الإنسان أم لا، كحالة بقية النساء المحللات والمحرمات)[2].

ومضى الشيخ يورد المثال تلو المثال لهذه القاعدة، فاستغرق قرابة السبع صفحات من الكتاب.

* ومن القواعد التي أوردها الشيخ في كتابه القاعدة الخامسة والستون، وهي:

المنع من المباح المفضي إلى ترك واجب:

وأورد أمثلة لهذه القاعدة، فيقول:

(وهذه القاعدة وردت في القرآن في مواضع منفردة، وهي من قاعدة الوسائل، لها أحكام المقاصد، فمنها قوله تعالى: ﴿وَلَا تَسُبُّواْ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ فَيَسُبُّواْ ٱللَّهَ عَدْوَۢا بِغَيْرِ عِلْمٍ﴾[3]، وقوله: ﴿وَلَا يَضْرِبْنَ بِأَرْجُلِهِنَّ لِيُعْلَمَ

(١) سورة النساء: الآية ٢٣.
(٢) القواعد الحسان لتفسير القرآن، ص: ٩٢ ـ ٩٤.
(٣) سورة الأنعام: الآية ١٠٨.

مَا يُخْفِينَ مِن زِينَتِهِنَّ ﴾[1]، وقوله تعالى: ﴿فَلَا تَخْضَعْنَ بِٱلْقَوْلِ فَيَطْمَعَ ٱلَّذِى فِى قَلْبِهِۦ مَرَضٌ ﴾[2]، وقوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِذَا نُودِىَ لِلصَّلَوٰةِ مِن يَوْمِ ٱلْجُمُعَةِ فَٱسْعَوْا۟ إِلَىٰ ذِكْرِ ٱللَّهِ وَذَرُوا۟ ٱلْبَيْعَ ﴾[3].

فالأمور المباحة هي بحسب ما يتوسل بها إليه، فإن توسل بها إلى فعل واجب أو مسنون، كانت مأموراً بها، وإن توسل بها إلى فعل محرم أو ترك واجب كانت محرمة منهياً عنها، وإنما الأعمال بالنيات الابتدائية والغائبة والله أعلم)[4].

وهكذا سلك الشيخ هذه الطريقة في إيراد القاعدة، وضرب الأمثلة، والشواهد عليها.

رابعا: نماذج من الكتاب:

قال رحمه الله في القاعدة الثالثة، وهي:

أن الألف واللام الداخلة على الأوصاف وأسماء الأجناس تفيد الاستغراق.

ومن ذلك قوله تعالى: ﴿وَتَعَاوَنُوا۟ عَلَى ٱلْبِرِّ وَٱلتَّقْوَىٰ ۖ وَلَا تَعَاوَنُوا۟ عَلَى ٱلْإِثْمِ وَٱلْعُدْوَٰنِ ﴾[5]، يشمل جميع أنواع البر والخير وتشمل التقوى جميع ما ينبغي، ويلزم اتقاؤه من أنواع المخاوف والمعاصي والمحرمات والإثم، اسم جامع لكل ما يؤثم ويوقع في المعصية، كما أن العدوان اسم جامع يدخل فيه جميع أنواع التعدي على الناس في الدماء والأموال والأعراض، والتعدي على مجموع الأمة، وعلى الحكومات، والتعدي لحدود الله، والمعروف في القرآن اسم جامع لكل ما عرف حسنه وجماله شرعاً وعقلاً، وعكسه المنكر والسوء والفاحشة.

---

(١) سورة النور: الآية ٣١.
(٢) سورة الأحزاب: الآية ٣٢.
(٣) سورة الجمعة: الآية ٩.
(٤) القواعد الحسان لتفسير القرآن، ص: ١٩١.
(٥) سورة المائدة: الآية ٢.

وقد نبه ﷺ أمته إلى هذه القاعدة، وأرشدهم إلى اعتبارها، إذ علمهم أن يقولوا في التشهد في الصلاة: «السلام علينا وعلى عباد الله الصالحين» ثم قال: «فإنكم إذا قلتم ذلك سلمتم على كل عبد لله صالح من أهل السماء، والأرض»[1]، وفي القرآن كثير جداً من هذا[2].

* وقال في القاعدة التاسعة والثلاثين، وهي:

طريق القرآن في أحوال السياسة الداخلية والخارجية:

«طريقة القرآن في هذا أعلى طريقة وأقرب إلى حصول جميع المصالح الكلية، وإلى دفع المفاسد، ولو لم يكن في القرآن من هذا النوع إلاّ قوله تعالى في سورة آل عمران: ﴿وَشَاوِرْهُمْ فِي ٱلْأَمْرِ﴾[3]، وإخباره عن المؤمنين في سورة الشورى ﴿وَأَمْرُهُمْ شُورَىٰ بَيْنَهُمْ﴾[4]، فالأمر مفرد ومضاف إلى المؤمنين، وفي الآية الأولى قد دخلت عليه أل المفيدة للعموم.

والاستغراق يعني أن جميع أمور المؤمنين وشؤونهم واستجلاب مصالحهم، واستدفاع مضارهم معلق بالشورى والتعاون على الاهتداء إلى الأمر الذي يجرون عليه في حل مشكلاتهم، وتدعيم سلطانهم وتجنيبهم الخلاف المفضي إلى تفكك قواهم، وانحلال عراهم وقد اتفق العقلاء أن الطريق الوحيد للصلاح الديني والدنيوي هو طريق الشورى.

فالمسلمون قد أرشدهم الله أن يهتدوا إلى مصالحهم، وكيفية الوصول إليها بأعمال أفكارهم مجتمعة، فإذا تعينت المصلحة في طريق سلكوه، وإذا تعينت المضرة في طريق تركوه، وإذا اشتبهت مصلحة بمضرة نظروا أيها أقوى وأحسن عاقبة، ثم نظروا بأي شيء تدرك الأسباب، وبأي حال تنال على وجه لا يضر سلكوها، وإذا رأوا مصالحهم تتوقف على الاستعداد بالفنون الحديثة،

---

(١) قطعة من حديث أخرجه الإمام مسلم في باب التشهد في الصلاة، جـ: ٢، ص: ١٣.
(٢) القواعد الحسان، ص: ١٢.
(٣) سورة آل عمران: الآية ١٥٩.
(٤) سورة الشورى: الآية ٣٨.

والاختراعات الباهرة، سعوا لذلك بحسب اقتدارهم ولم يملكهم اليأس والاتكال على غيرهم الملقي إلى التهلكة.

وإذا عرفوا ـ وقد عرفوا ـ أن السعي لاتفاق الكلمة، وتوحيد الأمة هو الطريق الأقوم للقوة المعنوية، جدوا في هذا، واجتهدوا وإذا رأوا المصلحة في المقاومة والمهاجمة أو في المسالمة والمدافعة بحسب الإمكان، سلكوا ما تعينت مصلحته، فيقدمون في موضع الإقدام، ويحجمون في موضع الإحجام.

وبالجملة لا يدعون مصلحة داخلية ولا خارجية دقيقة ولا جليلة إلاّ تشاوروا فيها، وفي طريق تحصيلها وتنميتها، ودفع ما يضادها وينقصها، فهذا النظام العجيب الذي أرشد إليه القرآن الكريم، هو النظام الذي يصلح لكل زمان ومكان، ولكل أمة)[1].

وهكذا يذهب الشيخ في توضيح هذه القاعدة، بالاستشهاد في الآيات القرآنية، مستشهداً بآية الأنفال: ﴿وَأَعِدُّواْ لَهُم مَّا ٱسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ﴾ على وجوب الاستعداد للأعداء بكل ما تستطيعه من قوة عقلية ومعنوية ومادية، مما لا يمكن حصره، حتى أن هذه القاعدة استغرقت قرابة العشر صفحات، مما يدل دلالة واضحة على عمق معرفته بالإسلام وأصالة تفكيره، ومعرفته بأحوال الأمم، وما يصلحها داخلياً أو خارجياً.

* وقال في القاعدة الثانية والأربعين، وهي:

الحقوق لله ولرسوله:

فقال: «واعلم بذلك أن الحقوق ثلاثة: حق لله وحده لا يكون لغيره، وهو عبادته وحده لا شريك له بجميع أنواع العبادات.

وحق خاص لرسوله ﷺ، وهو التعزيز والتوقير والقيام بحقه اللائق، واتباعه والاقتداء به.

وحق مشترك وهو الإيمان بالله ورسوله، وطاعة الله، وطاعة رسوله ومحبة الله، ومحبة رسوله.

---

(١) القواعد الحسان لتفسير القرآن، ص: ١٢٦ ـ ١٢٨.

وقد ذكر الله الحقوق الثلاثة في آيات كثيرة من القرآن.

فأما حقه الخاص، فكل آية فيها الأمر بعبادته وإخلاص العمل له، والترهيب من ضد ذلك، وهذا شيء لا يحصى، وقد جمع الله ذلك في سورة الفتح ﴿لِّتُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ﴾، فهذا مشترك ﴿وَتُعَزِّرُوهُ وَتُوَقِّرُوهُ﴾ فهذا خاص بالرسول ﴿وَتُسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلًا﴾ فهذا حق لله وحده، وقوله: ﴿وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ﴾[1]، في آيات كثيرة، وكذلك ﴿ءَامِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ﴾[2].

وكذلك في قوله في سورة التوبة: ﴿وَاللَّهُ وَرَسُولُهُ أَحَقُّ أَن يُرْضُوهُ﴾[3] وقوله تعالى: ﴿سَيُؤْتِينَا اللَّهُ مِن فَضْلِهِ وَرَسُولُهُ﴾[4] فهذا مشترك ﴿إِنَّا إِلَى اللَّهِ رَاغِبُونَ﴾[4] هذا مختص بالله تعالى.

ولكن ينبغي أن يعرف العبد أن الحق المشترك ليس معناه أن ما لله يثبت لرسوله مثله، ونظيره في كل خصائصة، بل المحبة والإيمان والطاعة لله لا بد أن يصحبها التعبد والتعظيم لله، والخضوع رغبة ورهبة، وأما المتعلق بالرسول من ذلك فإنه حب في الله وطاعة لله، فمن أطاع الرسول فقد أطاع الله بل حق الرسول على أمته من حق الله تعالى عليهم، فيقوم المؤمن بحق رسوله، وطاعته امتثالاً لأمر الله وعبودية له»[5].

وقال في القاعدة السابعة والأربعين، وهي:

السياق الخاص يراد به العام:

وهذه القاعدة من أسرار القرآن وبدائعه، وأكبر دليل على إحكامه وانتظامه العجيب، وأمثله هذه القاعدة كثيرة، منها لما ذكر الله المنافقين وذمهم، استثنى

---

(١) سورة التغابن: الآية ١٢، وآية ٥٤ من النور، وهناك آيات كثيرة ورد فيها ﴿أطيعوا الله والرسول﴾ في النساء وآل عمران والمائدة والأنفال.

(٢) سورة النساء: الآية ١٣٦، سورة الأعراف: الآية ١٥٨، سورة الحديد: الآية ٧، سورة التغابن: الآية ٨.

(٣) سورة التوبة: الآية ٦٢.

(٤) سورة التوبة: الآية ٥٩.

(٥) القواعد الحسان لتفسير القرآن، ص: ١٤٠، ١٤١.

منهم التائبين فقال: ﴿إِلَّا ٱلَّذِينَ تَابُوا۟ وَأَصْلَحُوا۟ وَٱعْتَصَمُوا۟ بِٱللَّهِ وَأَخْلَصُوا۟ دِينَهُمْ لِلَّهِ فَأُو۟لَٰٓئِكَ مَعَ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾[1].

فلما أراد أن يحكم لهم بالأجر لم يقل وسوف يؤتيهم أجراً عظيماً بل قال: ﴿وَسَوْفَ يُؤْتِ ٱللَّهُ ٱلْمُؤْمِنِينَ أَجْرًا عَظِيمًا﴾[2] ليحضهم على المسارعة إلى التوبة، وإخلاص الإيمان، ليشملهم وغيرهم من كلّ مؤمن، ولئلا يظن اختصاص الحكم بهم، ولما قال: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكْفُرُونَ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦ وَيُرِيدُونَ أَن يُفَرِّقُوا۟ بَيْنَ ٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦ ... إلى قوله: ﴿أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْكَٰفِرُونَ حَقًّا ۚ وَأَعْتَدْنَا لِلْكَٰفِرِينَ عَذَابًا مُّهِينًا ﴿١٥١﴾﴾[3] لم يقل وأعتدنا لهم، للحكمة التي ذكرناها، ومثله ﴿قُلِ ٱللَّهُ يُنَجِّيكُم مِّنْهَا﴾[4]، أي هذه الحالة التي وقع السياق لأجلها ﴿وَمِن كُلِّ كَرْبٍ﴾[5].

* وقال في القاعدة السادسة والخمسين، وهي:

تحصيل المصالح على قدر الوسع والطاقة:

فقال: (يرشد القرآن المسلمين إلى إقامة جميع مصالحهم، وأنه إذا لم يكن حصولها من الجميع فليشتغل بكل مصلحة من يقدر على القيام بها، ليوفر وقته عليها، لتقوم مصالحهم، وتكون وجهتهم جميعاً واحدة.

وهذه من القواعد الجليلة، ومن السياسة الشرعية الحكيمة، فإن كثيراً من المصالح العامة الكلية لا يمكن أن يشتغل الناس كلهم بها ولا يمكن تفويتها، فالطريق إلى حصولها ما أرشد الله عباده إليه، قال تعالى: في الجهاد والعلم اللذين هما من أعظم مصالح الدين ﴿وَمَا كَانَ ٱلْمُؤْمِنُونَ لِيَنفِرُوا۟ كَآفَّةً ۚ فَلَوْلَا نَفَرَ مِن كُلِّ فِرْقَةٍ مِّنْهُمْ طَآئِفَةٌ لِّيَتَفَقَّهُوا۟ فِى ٱلدِّينِ وَلِيُنذِرُوا۟ قَوْمَهُمْ إِذَا رَجَعُوٓا۟

---

(١) سورة النساء: الآية ١٤٦.

(٢) سورة النساء: الآية ١٤٦.

(٣) سورة النساء: الآية ١٥٠.

(٤) سورة الأنعام: الآية ٦٤.

(٥) القواعد الحسان، ص: ١٤٧، ١٤٨.

إِلَيْهِمْ﴾[1]، فأمر أن يقوم بالجهاد طائفة كافية، وبالعلم طائفة أخرى، وأن الطائفة القائمة بالجهاد تستدرك ما فاتها من العلم إذا رجعت.

وقال تعالى: ﴿وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ﴾[2].

وقال تعالى: ﴿وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَىٰ﴾[3]، وقال: ﴿فَاتَّقُوا اللَّهَ مَا اسْتَطَعْتُمْ﴾[4]، وقال تعالى: ﴿وَأَمْرُهُمْ شُورَىٰ بَيْنَهُمْ﴾[5] إلى غير ذلك من الآيات الدالة على هذا الأصل الجليل والقاعدة النافعة، وبقيام كل طائفة منهم بمصلحة من المصالح تقوم المصالح كلها، لأن كل فرد مأمور أن يراعي المصالح الكلية، وأن يكون سائراً في جميع أعماله إليها، فلو وفق المسلمون لسلوك هذا الطريق لاستقامت أحوالهم، وصلحت أمورهم، وانجابت عنهم شرور كثيرة)[6].

* وقال في القاعدة التاسعة والستين، وهي:

مقاومة القرآن جميع المفسدين:

(القرآن كفيل بمقاومة جميع المفسدين، ولا يعصم من جميع الشرور إلاّ التمسك بأصوله وفروعه، وتنفيذ شرائعه وأحكامه، ثم يستطرد قائلاً: (فمن أهل الشر والفساد الإباحية والشيوعية الذين هم أخبث جرثومة لإفساد الأديان والملك والدنيا والآخرة والقرآن كفيل بإبطال قولهم بما فيه من العقائد والبراهين، ووجوب التحلي بالأخلاق الجميلة، والتخلي عن الأخلاق الرذيلة وأداء الحقوق المتنوعة بين طبقات الناس، وإيتاء الزكوات، وإنقاذ المضطرين وغير ذلك من الأحكام والشرائع الحكيمة الرشيدة، فكل هذا سد محكم يمنع

---

(١) سورة التوبة: الآية ١٢٢.
(٢) سورة آل عمران: الآية ١٠٤.
(٣) سورة المائدة: الآية ٢.
(٤) سورة التغابن: الآية ١٦.
(٥) سورة الشورى: الآية ٣٨.
(٦) القواعد الحسان، ص: ١٦٩، ١٧٠.

نفوذ هؤلاء المفسدين، ويقي شرهم، ويزهق حجتهم)[1].

خامساً: الرأي في الكتاب:

هذا الكتاب جمع فيه مؤلفه سبعين قاعدة من القواعد التي تعين على فهم كتاب الله سبحانه، جمعها ورتبها من مجموعة كتب، وصاغها بأسلوب سهل بليغ، لهذا يحسن بمن يرغب فهم كتاب الله أو يريد الاشتغال بتفسيره أن يطلع على هذا الكتاب، ويفهم ما فيه، فما حواه من قواعد تفتح لراغب التفسير من الطرق ومنهاج الفهم عن الله ما يغني عن كثير من التفاسير الخالية من مثل هذه البحوث النافعة.

وهو كتاب مفيد في أصول تفسير القرآن، إذ إن غالب القواعد التي أودعها المؤلف فيه تبحث في أصول التفسير فقد حوى كثيراً من الفوائد والقواعد التي قل أن يجدها طالب هذا الفن في كتاب مستقل كهذا الكتاب، لا سيما وهو كتاب صغير الحجم، يستطيع قارئه قراءته في وقت قصير.

---

(١) القواعد الحسان لتفسير القرآن، ص: ١٩٩.

الفصل الثاني

تيسير اللطيف المنان في خلاصة تفسير القرآن

أولاً: التعريف بالكتاب:

هذا الكتاب ألفه الشيخ عبد الرحمن بن سعدي، مختصراً لتفسيره المطول، تكلم فيه على بعض الآيات القرآنية، ويقع في أربع ومائتين من الصفحات من القطع الكبير، وقد انتهى من تأليفه في ثالث شوال من شهور سنة ثمان وستين بعد الثلاثمائة والألف من الهجرة النبوية.

وقد طبع للمرة الأولى بمطبعة الإمام بمصر، على نفقة الشيخ وجماعة من المحسنين، ووزع مجاناً، ولعدم اطلاعي على هذه الطبعة وعدم توفرها، فلا أعرف شيئاً عن سنة الطبع، ثم أعيد طبعه على نفقة مكتبة المعارف بالرياض وذلك عام ١٤٠٠هـ.

اشتمل هذا الكتاب على أكثر من ستين فصلاً، تضمنت هذه الفصول ملخصاً للآيات القرآنية الواردة في العقيدة، والآيات الكونية وآيات في حقوق الله وحقوق الناس، ثم تطرق للآيات الواردة في فروع الشريعة كالزكاة والطهارة بالماء، وصلاة الجمعة، وصلاة المسافر، ثم الصيام وفوائده، ثم الحج والجهاد، والبيوع، وأنواع المعاملات، وفساد الربا، وأحكام المواريث، وفصول في النكاح، وأحكام الطلاق، واختلاف عدة المرأة، والإيلاء، والظهار، واللعان، وآيات الحدود، ثم أتبع ذلك بقصص الأنبياء، فوضع لكل قصة من قصص الأنبياء عنواناً مستقلاً، ثم قصة أصحاب الكهف، وقصة ذي القرنين فسيرة الرسول ﷺ، فغزواته، ثم انتقل إلى تفسير كلمات جاءت في

القرآن لعدة معاني، مثل الأمة والسلطان واللسان، واستوى، والتأويل، والمعية... إلخ.

وهكذا يسير رحمه الله على هذا المنوال، إلى أن ختم الكتاب بتحديد ألفاظ كثر ورودها في القرآن.

وهو كتاب حري بمن أحب أن يفهم كتاب الله، ويطلع على الآيات الواردة في موضوع واحد، قد جمعت في فصل واحد، ومفسرة تفسيراً بأسلوب سهل ممتع، أن يقرأ هذا الكتاب النفيس فهو من التفسير الموضوعي الذي يجمع فيه مؤلفه كثير من الآيات التي تبحث في موضوع واحد.

ثانياً: سبب تأليف هذا الكتاب:

قد أشار المؤلف في مقدمة كتابه إلى السبب الباعث له على تأليفه لهذا الكتاب، فذكر رحمه الله أسباباً عدة نلخصها فيما يلي:

السبب الأول:

أنه كتب كتاباً في تفسير القرآن مبسوطاً مطولاً، يمنع القراء من الاستمرار بقراءته، ويفتر العزم عن نشره (يقصد بذلك تفسيره تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان)، فأحب أن يكتب كتاباً مختصراً.

السبب الثاني:

أنه أشار عليه بعض العارفين الناصحين أن يكتب كتاباً غير مطول، يحتوي على خلاصة ذلك التفسير، ويقتصر فيه على الكلام على بعض الآيات التي يتم اختيارها وانتقاؤها من جميع موضوعات علوم القرآن ومقاصده.

السبب الثالث:

أن الوقوف على تفسير بعض القرآن يعين أعظم نفع على معرفة باقيه، فالله جعله مثاني تثنى فيه العلوم النافعة والمعاني الجليلة الكاملة.

السبب الرابع:

أنه بصنيعه ذلك يكون متيسراً على المشتغلين، معيناً للقارئين لأن القرآن

العظيم ليس كغيره من الكتب في الترتيب والتبويب لأنه بلغ في البلاغة نهايتها، وفي الحسن غايته، وفي الأسلوب البديع والتأثير العجيب ما هو أكبر الأدلة على أنه كلام الله وتنزيل من حكيم حميد.

السبب الخامس:

أننا إذا فهمنا أن القرآن موصوف بأنه هدى ورحمة وشفاء لما في الصدور، وأنه نور، وأنه محكم، وأنه صلاح، ويهدي إلى الإصلاح، وهذه أعلى الأوصاف وأكملها وأتمها وأنفعها للعباد، وأنه أعيدت فيه هذه المعاني الجليلة، ومزجت فيه مزجاً عجيباً غريباً في كماله وحسنه حينئذ نفهم أن طالب العلم إذا وقف على تفسير بعض الآيات تدرب بها وتوصل بها إلى معرفة بقية الآيات.

لهذه الأسباب وغيرها، رأى الشيخ ابن سعدي أن المصلحة تدعو إلى الاقتصار على خلاصة ذلك التفسير.

ثالثاً: منهجه في هذا الكتاب:

سلك الشيخ عبد الرحمن بن سعدي في تأليف هذا الكتاب المنهج التالي:

١ ـ يقوم بجمع بعض الآيات التي وردت في موضوع معين، ينتقيها ويختارها فيعقد لها فصلاً ثم يفسرها بأسلوب سهل ممتع، وإن كانت هذه الآيات في سور متعددة فهو رحمه الله يجمع أطراف الموضوع في فصل مستقل.

٢ ـ بعد تفسير الآيات تفسيراً إجمالياً يستنبط منها ما يفتحه الله عليه من أحكام وفوائد وآداب.

٣ ـ بعد خطبته للكتاب، عقد مقدمة ذكر فيها الأوصاف العامة الجامعة التي وصف الله بها كتابه، استغرقت هذه المقدمة ثلاث صفحات.

٤ ـ بعد أن انتهى من تفسير آيات العقيدة أردفها بفصول لتفسير الآيات الواردة في أحكام الشرع الفروعية المتنوعة في الصلاة والزكاة، مع ما انضم

إليهما من المعاني الأخرى، ثم أتبع ذلك بفصول من قصص الأنبياء، والرسل، الذين ورد لهم ذكر في القرآن، كل قصة في فصل مستقل، يجمع أطراف القصة الواحدة ثم يتكلم عليها، ثم يستنبط منها الفوائد والعظات والعبر والأحكام التي اشتملت عليها القصة.

٥ ـ عقد بعد ذلك فصلاً لقصة خاتم النبيين محمد ﷺ ودعوته، وما لاقى في سبيل ذلك، وغزواته، موردا الآيات الدالة على ذلك.

٦ ـ وأخيراً يورد فوائد منثورة منوعة، وغير مرتبة يستخلصها من الآيات القرآنية، فيورد في بعض الفوائد الألفاظ التي وردت في القرآن لعدة معاني، مثل (الأمة): وردت بمعنى الإمام الجامع لخصال الخير كقوله تعالى: ﴿إِنَّ إِبْرَٰهِيمَ كَانَ أُمَّةً﴾[١]، وبمعنى الطائفة، كقوله تعالى: ﴿وَإِن مِّنْ أُمَّةٍ إِلَّا خَلَا فِيهَا نَذِيرٌ﴾[٢] وبمعنى الملة والدين: ﴿إِنَّ هَٰذِهِۦٓ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَٰحِدَةً﴾[٣] وبمعنى المدة الطويلة: ﴿وَٱدَّكَرَ بَعْدَ أُمَّةٍ﴾[٤].

وهكذا يورد ما يماثل هذا اللفظ من الألفاظ الواردة لعدة معاني.

رابعاً: نماذج من الكتاب:

١ ـ قال رحمه الله في تفسيره لآيات العقيدة عند قوله تعالى من سورة محمد: ﴿فَٱعْلَمْ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ وَٱسْتَغْفِرْ لِذَنۢبِكَ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ مُتَقَلَّبَكُمْ وَمَثْوَىٰكُمْ ﴿١٩﴾﴾[٥].

«العلم لا بد فيه من إقرار القلب ومعرفته بمعنى ما طلب منه علمه، ولا يتم ذلك إلاّ بالعمل بمقتضى ذلك العلم، كل مقام بحسبه وهذا العلم الذي أمر الله به فرض عين على كل إنسان لا يسقط عن أحد كائناً من كان،

---

(١) سورة النحل: الآية ١٢٠.
(٢) سورة فاطر: الآية ٢٤.
(٣) سورة الأنبياء: الآية ٩٢، سورة المؤمنون: الآية ٥٢.
(٤) سورة يوسف: الآية ٤٥.
(٥) سورة محمد: الآية ١٩.

والضرورة إلى هذا العلم والعمل بمقتضاه من تمام التأله لله، فوق كل ضرورة، والعلم بالشيء يتوقف على معرفة الطريق المفضي إلى معرفته، وسلوكها، والطريق إلى العلم بأنه لا إله إلا هو على وجه الإجمال والعموم، أمور:

أحدها: وهو أعظمها وأقواها تدبر أسماء الله وصفاته وأفعاله الدالة على كماله وعظمته وجلاله، فإن معرفتها توجب العلم بأنه لا يستحق الألوهية سواه، وتوجب بذلك الجهد في التأله والتعبد لله الكامل الذي له كل حمد ومجد وجلال وجمال.

الثاني: العلم بأنه المنفرد بالنعم الظاهرة والباطنة الدينية والدنيوية فإن ذلك يوجب تعلق القلب به محبة وإنابة، والتأله له وحده لا شريك له.

الثالث: العلم بأنه الرب المنفرد بالخلق والرزق والتدبير، فبذلك يعلم أنه المنفرد بالألوهية[1].

٢ ـ نموذج ثان من الكتاب:

قال رحمه الله أثناء تفسيره لآيات الجهاد التي وردت في سورة آل عمران والأنفال والحج وغيرها من السور:

(ومن أسباب النصر والصبر والثبات اتفاق القلوب وعدم التفرق والتنازع، فإن ذلك محلل للقوة موجب للفشل، وأما اجتماع الكلمة وقيام الألفة بين المؤمنين واتفاقهم على إقامة دينهم وعلى نصره فهذا أقوى القوى المعنوية التي هي الأصل والقوة المادية، تبع لها، والكمال الجمع بين الأمرين، كما أمر الله بذلك في هذه الآية وهي قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا لَقِيتُمْ فِئَةً فَٱثْبُتُواْ وَٱذْكُرُواْ ٱللَّهَ كَثِيرًا لَّعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿٤٥﴾ وَأَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَلَا تَنَٰزَعُواْ فَتَفْشَلُواْ وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ ۖ وَٱصْبِرُوٓاْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴿٤٦﴾ وَلَا تَكُونُواْ كَٱلَّذِينَ خَرَجُواْ مِن دِيَٰرِهِم بَطَرًا وَرِئَآءَ ٱلنَّاسِ وَيَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ ۚ وَٱللَّهُ بِمَا يَعْمَلُونَ مُحِيطٌ ﴿٤٧﴾﴾[2].

---

(١) تيسير اللطيف المنان في خلاصة تفسير القرآن، ص: ١٥.

(٢) سورة الأنفال: الآيات ٤٥ ـ ٤٧.

وفي قوله تعالى: ﴿وَأَعِدُّواْ لَهُم مَّا ٱسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ وَمِن رِّبَاطِ ٱلْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِۦ عَدُوَّ ٱللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ وَءَاخَرِينَ مِن دُونِهِمْ لَا تَعْلَمُونَهُمُ ٱللَّهُ يَعْلَمُهُمْ﴾[1].

إلى أن يقول: (وللموفقين من الرؤساء وقواد الجيوش في هذه الأمور مقامات معروفة، صار لهم فيها اليد البيضاء على المسلمين فانظر إلى هذه التعاليم الإلهية التي هي النظام الكامل الوحيد في جميع الأزمنة والأمكنة.

واستدل بذلك على أن الإسلام الحقيقي هو الدين الحق الذي إليه يلجأ الخليقة، وبه سعادتها وسلامتها من الشرور، وأن النقص والهبوط بتضييع تعاليم هذا الدين الذي أكمله، وأتم به النعمة على المؤمنين)[2].

٣ ـ نموذج ثالث من الكتاب:

قال بعد انتهائه من تفسير قصة أبينا آدم عليه السلام التي ساقها الله سبحانه وتعالى في عدد من سور القرآن الكريم وعقد عنواناً للفوائد المستنبطة من هذه القصة، قال رحمه الله:

(فمنها أن هذه القصة العظيمة ذكرها الله في كتابه في مواضع كثيرة صريحة لا ريب فيها ولا شك، وهي من أعظم القصص التي اتفقت عليها الرسل، وأنزلت بها الكتب السماوية، واعتقدها جميع أتباع الأنبياء من الأولين والآخرين، حتى نبغت في هذه الأزمان المتأخرة فرقة خبيثة زنادقة، أنكرت جميع ما جاءت به الرسل، وأنكروا وجود الباري، ولم يثبتوا من العلوم إلاّ العلوم الطبيعية التي وصلت إليها معارفهم القاصرة.

فبناء على هذا المذهب الذي هو أبعد المذاهب عن الحقيقة شرعاً وعقلاً، أنكروا آدم وحواء، وما ذكره الله ورسوله عنهما، وزعموا أن هذا الإنسان كان حيواناً أو قرداً أو شبيها بالقرد، حتى ارتقى إلى هذه الحال الموجودة)[3].

---

(١) سورة الأنفال: الآية ٦٠.

(٢)(٣) تيسير اللطيف المنان في خلاصة تفسير القرآن، ص: ١٠٥.

فكأن الشيخ رحمه الله يرد بكلامه هذا على (فرويد) وتلامذته في نظريتهم القائلة أن أصل الإنسان حيوان، وأنه بتتابع السنين ومروره بأطوار مختلفة ارتقى إلى هذه الحال التي يعيش فيها الآن، فرحمه الله رحمة واسعة.

٤ ـ نموذج رابع من الكتاب:

قال رحمه الله: (الفرق بين التبصرة والتذكرة في قوله تعالى من سورة (ق) ﴿تَبْصِرَةً وَذِكْرَىٰ لِكُلِّ عَبْدٍ مُّنِيبٍ ﴿٨﴾﴾[1] أن التبصرة هي العلم بالشيء والتبصر فيه.

والتذكرة هي العمل بالعلم اعتقاداً وعملاً، وتوضيح هذا أن العلم التام النافع يفتقر إلى ثلاثة أمور: التفكر أولاً في آيات الله المتلوة والمشهورة، فإذا تفكر أدرك ما تفكر فيه بحسب فهمه وذكائه، فعرف ما تفكر فيه وفهمه، وهذا هو التبصر، فإذا علمه عمل به، فإن كان اعتقاداً وإيماناً صدقه بقلبه وأقر به واعترف، وإن اقتضى عملاً قلبياً أو قولياً أو بدنيا عمل به، وهذا هو التذكير، وحاصل ذلك هو معرفة الحق واتباعه، ومعرفة الباطل واجتنابه)[2].

خامساً: الرأي في الكتاب:

هذا الكتاب مختصر لتفسير القرآن العظيم، جمع فيه مؤلفه خلاصة التفسير بأسلوب يجمع بين الإيجاز ووضوح المعنى، بين فيه كثيراً من الحكم والأسرار في كثير من آيات الأحكام، أثناء تفسيره لها، فالوقوف على هذا الكتاب وقراءته يعين أعظم عون على معرفة معاني كتاب الله، وما اشتمل عليه من حكم وأسرار.

ومن مميزات هذا الكتاب أن مؤلفه جمع فيه كل موضوع على حده مما يسهل على القاصد لفهم كتاب الله أو الباحث عن أي موضوع في كتاب الله الرجوع لهذا الكتاب، وسوف يجد بغيته في بحث مستقل، فهو لون من التفسير الموضوعي.

---

(١) سورة ق: الآية ٨.

(٢) تيسير اللطيف المنان في خلاصة تفسير القرآن.

لذا يجدر بمن يريد فهم كتاب الله وفهم ما فيه من قصص الأنبياء، قراءة هذا الكتاب، فسيجد فيه أطراف القصة، مجموعة تحت عنوان مستقل، مع خلو الكتاب تماماً من الإسرائيليات التي أدخلت في تفسير كتاب الله، فكانت حاجزاً منعت من الفهم إلى الوصول إلى كتاب الله، فجعلت الآيات مرتبطة بحكايات وخرافات، تبعد عن جو الهداية، وتشغل في أمور غير معقولة ولا مقبولة، مما أدى إلى تسميم الأفكار، وفساد العقول عن طريق تصديق الذي لا يقبله العقل، ولا يقره الشرع، مما حدى بأعداء الإسلام إلى الطعن في الإسلام، وتشكيك المسلمين بدينهم، وصرفهم عن فهم كتاب الله، والعمل به.

فجاء هذا الكتاب خالياً تماماً عن القصص الإسرائيلي، لا سيما وقد ساق جملة من قصص الأنبياء والمرسلين، فكان سياقه لها حسب ورودها في كتاب الله وسنة رسوله ﷺ فجزى الله مؤلفه خير الجزاء.

الفصل الثالث

المواهب الربانية من الآيات القرآنية

أولاً: التعريف بالكتاب:

هذا الكتاب يحتوي على فوائد وفرائد استنبطها الشيخ عبد الرحمن بن سعدي، وجمعها في هذه الرسالة اللطيفة، وهي فوائد نفيسة، قل أن توجد في غير هذا الكتاب، سجلها الشيخ أثناء قراءته لكتاب الله تعالى في شهر رمضان كما سيأتي في سبب تأليفه، ويقع الكتاب في ثمان وسبعين صفحة من القطع المتوسط وقد طبع في شركة المدينة للطباعة والنشر بجدة، ولم يحدد تاريخ الطبع، أعده للطبع ووقف عليه سعيد بن عبد الله الدعجاني، أما تكاليف الطبع فعلى نفقة المحسنين، وقد طبع طبعة جديدة عام ١٤٠٢هـ على نفقة مكتبة المعارف بالرياض، وفرغ المؤلف من تدوين هذه الفوائد في الثامن والعشرين من شهر رمضان المبارك من عام ألف وثلاثمائة وسبعة وأربعين للهجرة.

ثانياً: سبب تأليفه:

ذكر الشيخ سبب تأليفه هذه الفوائد وجمعه لها، وهو أن جنس هذه الفوائد كانت تعرض له كثيراً أثناء قراءته لكتاب الله، فيتهاون فيها ولا يدونها، فيضيع عليه شيء كثير منها، فلما كان أول يوم من شهر رمضان المبارك من عام ألف وثلاثمائة وسبعة وأربعين من هجرة الرسول ﷺ، أوقع الله في قلبه أن يقيد ما يمر عليه من الفوائد والمعاني المتضحة، والتي يعلم أنها لم تقع له قبل ذلك، فعمل على هذا النمط، حتى كان الانتهاء من هذه الرسالة اللطيفة في اليوم الثامن والعشرين من شهر رمضان المبارك من السنة المذكورة، وقد

جمع فيها من الفوائد القرآنية ما لا يوجد مجموعاً في غيرها، فرحمه الله رحمة واسعة.

ثالثاً: منهجه في هذه الرسالة:

١ ـ لقد سلك الشيخ ابن سعدي في هذه الرسالة مسلكاً خاصاً به، فلم يلتفت إلى ترتيب الآيات حسب ورودها في السور، وإنما كان يقيد الفائدة حينما تسنح له، فنراه في أول الرسالة يبدأ بجزء من آية من سورة الصافات، وهي قوله تعالى: ﴿وَتَلَّهُۥ لِلْجَبِينِ﴾[١] ثم يتبعها بآية من سورة البقرة، ثم آية من سورة المؤمنون، ثم آية من المدثر، وهكذا يدون الفوائد دون مراعاة لترتيب الآيات أو السور.

٢ ـ قد يأتي بكلمة، ثم يشرح هذه الكلمة أو الجملة بما يفتح الله عليه مستشهداً بالآيات القرآنية والأحاديث النبوية، مثل قوله: (الإيمان والاحتساب)[٢] يخفف المصائب، ويحمل على الصبر، دليله قوله تعالى: ﴿إِن تَكُونُوا۟ تَأْلَمُونَ فَإِنَّهُمْ يَأْلَمُونَ كَمَا تَأْلَمُونَ ۖ وَتَرْجُونَ مِنَ ٱللَّهِ مَا لَا يَرْجُونَ﴾[٣].

ومثل قوله: (شرع الله) الدين والعبادات الأوامر والنواهي لإقامة[٤] ذكره، ولهذا يذكر أن العبادات ناشئة عن ذكره، كما قال تعالى: ﴿قَدْ أَفْلَحَ مَن تَزَكَّىٰ ﴿١٤﴾ وَذَكَرَ ٱسْمَ رَبِّهِۦ فَصَلَّىٰ ﴿١٥﴾﴾[٥]، وهكذا يسير في شرح الجملة أو الكلمة التي يوردها.

٣ ـ قد يعقد بعض الفصول في هذه الرسالة يستغرق الفصل أسطراً قليلة وقد يستغرق أكثر من صفحة مثل الفصل الذي عقده عن الغيب الذي أثنى الله على المؤمنين به[٦].

---

(١) سورة الصافات: الآية ١٠٣.
(٢) المواهب الربانية في الآيات القرآنية، ص: ٤.
(٣) سورة النساء: الآية ١٠٤.
(٤) المواهب الربانية من الآيات القرآنية، ص: ٤.
(٥) سورة الأعلى: الآيتان ١٤، ١٥.
(٦) المواهب الربانية من الآيات القرآنية، ص: ٦١.

٤ ـ من منهجه أنه يذكر بعض المعاني التي تظهر له خلال قراءته للآية، مع إشارته للمعاني التي أوردها المفسرون في هذه الآية مثل قوله في آية سورة براءة: ﴿يَوْمَ يُحْمَىٰ عَلَيْهَا فِي نَارِ جَهَنَّمَ فَتُكْوَىٰ بِهَا جِبَاهُهُمْ وَجُنُوبُهُمْ وَظُهُورُهُمْ هَٰذَا مَا كَنَزْتُمْ لِأَنفُسِكُمْ﴾[1] حيث قال بعد أن ذكر المعنى الذي أورده المفسرون من اختصاص الكي بالجباه والجنوب والظهور:

(وظهر لي معنى أولى من هذا وهو أن كي هذه المواضع الثلاثة هي أشد على الإنسان من غيرها، وهي متضمنة لجهاته الأربع الأمام والخلف واليمين والشمال، وهذه الوجوه التي يخرج منها الإنسان فلما منعوا الواجب عليهم منعاً تاماً من جميع جهاتهم جوزوا بنقيض مقصودهم... إلخ»[2].

وهناك نماذج أخرى يطلع عليها القارئ لهذه الرسالة.

٥ ـ ومن منهجه في هذه الرسالة بيانه أن القرآن نزل هداية عامة، وأنه يتناول من لم ينزل عليهم من الأمة، وهم موجودون، ومن كان له سبب بنزوله وغيره.

٦ ـ ومن منهجه أنه كثيراً ما يبين أسرار حكمة التشريع، ويذكر التعليلات، ويذكر أحياناً الفرق بين بعض الألفاظ مثل أهل العلم وأهل الذكر، إذ يقول:

(العلم الحقيقي هو ما جاءت به الرسل، ونزلت به الكتب، وما فرق بين الحق والباطل، وما سوى ذلك، وإن كان صحيحاً فلا يستخف صاحبه أن يكون من أهل العلم الذي أمر الله بالرجوع إليهم، وإنما هو من أهل الذكر الذين قال الله فيهم: ﴿فَسْـَٔلُوٓاْ أَهْلَ ٱلذِّكْرِ إِن كُنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾[3].

٧ ـ قد يذكر فائدة يجعلها عنواناً، ثم يورد تحتها آيات من سور شتى، هذه الآيات كلها مندرجة وداخلة في هذه الفائدة، ثم يذكر جملة من الأحاديث

---

(١) سورة براءة: الآية ٣٥.

(٢) المواهب الربانية من الآيات القرآنية، ص: ١٣.

(٣) المرجع السابق، ص: ٤٩.

المبينة لمعاني هذه الآيات، مثل قوله: (فائدة عظيمة، بل هي أعظم الفوائد على الإطلاق: الإيمان هو أعلى الخصال)[1].

٨ ـ ومن منهجه أنه يفترض سؤالاً، يورده، ثم يجيب عليه، وقد تستغرق الإجابة على هذا السؤال صفحة أو صفحات[2].

٩ ـ من منهجه شرح معاني بعض أسماء الله الحسنى، وتوضيح ما اشتملت عليه من معاني، مستشهداً بالآيات القرآنية والأحاديث النبوية[3] مثل (الله) (العليم) (الرحمن) (اللطيف).

رابعاً: نماذج من هذا الكتاب:

أولاً: قال رحمه الله تعالى في قول الله تعالى من سورة الروم:

(﴿وَإِذَا مَسَّ ٱلنَّاسَ ضُرٌّ دَعَوْا۟ رَبَّهُم مُّنِيبِينَ إِلَيْهِ ثُمَّ إِذَآ أَذَاقَهُم مِّنْهُ رَحْمَةً إِذَا فَرِيقٌ مِّنْهُم بِرَبِّهِمْ يُشْرِكُونَ ﴿٣٣﴾﴾[4] الآية، ونحوها من الآيات التي فيها هذا المعنى، فإذا كان هذا ثابتاً في أصل الدين أن الناس أكثرهم إذا مسهم الضر أنابوا إلى الله لعلمهم أنه كاشف الكربات وحده، لا شريك له، وللضرورة التي تضطرهم إليه، ثم إذا زالت الضرورة، عادوا إلى شركهم، فكذلك الأمر ثابت في فروع الدين، وفي سائر الأمور، تجد الناس مستجيبين لداعي الغفلة مقيمين على ما يكرهه الله، غافلين عن ذكر ربهم ودعائه، فإذا مستهم نائبة من نوائب المحن أقبلوا إلى ربهم متضرعين، ولكشف ما بهم، داعين، فأقبلوا وأنابوا، ثم إذا أزال الله شدتهم، وكشف كربتهم، عادوا إلى غفلتهم وغيهم يعمهون ونسوا ما كانوا يدعون إليه من قبل، كأنه ما كان، وهذه الحال من أعظم الانحرافات وأشد البليات التي يبتلى بها العبد، لا يعرف ربه إلاّ في الضرورة، وهذه شعبة من شعب الشرك، ومن كان فيه هذا الأمر ففيه شبه ظاهر من حال المشركين.

---

(١) المواهب الربانية، ص: ٤٩.

(٢) المرجع السابق، ص: ٦١.

(٣) المرجع السابق، ص: ٦٢.

(٤) سورة الروم: الآية ٣٣.

إنما المؤمن الكامل الذي يعرف ربه في السراء والضراء والعسر واليسر، فهذا هو العبد على الحقيقة، وهذا الذي له العاقبة الحسنة والسعادة الدائمة، وهذا الذي يحصل له النجاة من الكروب إذا وقع فيها، قال تعالى بعدما ذكر عن ذا النون، أنه بسبب عبادته في الرخاء عرفه الله في الشدة ﴿فَلَوْلَآ أَنَّهُۥ كَانَ مِنَ ٱلْمُسَبِّحِينَ ﴿١٤٣﴾ لَلَبِثَ فِى بَطْنِهِۦٓ إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ ﴿١٤٤﴾﴾[1] وقال تعالى: ﴿وَنَجَّيْنَٰهُ مِنَ ٱلْغَمِّ ۚ وَكَذَٰلِكَ نُنجِى ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾[2]، وقال النبي ﷺ لابن عباس[3]: «تعرف إلى الله في الرخاء يعرفك في الشدة»[4].

ثانياً: قال في قول الله تعالى من سورة الحشر:

﴿هُوَ ٱلَّذِىٓ أَخْرَجَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ مِن دِيَٰرِهِمْ لِأَوَّلِ ٱلْحَشْرِ ۚ مَا ظَنَنتُمْ أَن يَخْرُجُوا۟ ۖ وَظَنُّوٓا۟ أَنَّهُم مَّانِعَتُهُمْ حُصُونُهُم مِّنَ ٱللَّهِ فَأَتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِنْ حَيْثُ لَمْ يَحْتَسِبُوا۟ ۖ وَقَذَفَ فِى قُلُوبِهِمُ ٱلرُّعْبَ يُخْرِبُونَ بُيُوتَهُم بِأَيْدِيهِمْ وَأَيْدِى ٱلْمُؤْمِنِينَ فَٱعْتَبِرُوا۟ يَٰٓأُو۟لِى ٱلْأَبْصَٰرِ ﴿٢﴾﴾[5].

(ما أضعف اليقين في قلوب كثير من المؤمنين، تجدهم الآن قد استولى عليهم اليأس، وظنوا أن أمر الإفرنج الغربيين الآن سيظهر وسيدوم، وأن أهل الإيمان لا يقام لهم، وأنهم لا بد مغلوبون وأعداؤهم لا بد غالبون.

وسبب هذا نظرهم إلى الأسباب المدركة بالحس، وقصروا النظر عليها، ولم يقع في قلوبهم أن وراء الأسباب المشاهدة أسباباً غيبية أقوى منها، وأموراً إلٰهية لا تعارض ولا تمانع، وآفات تطرأ، وقوات تزول، وضعفاً يزول، وأمور لا تدخل تحت الحساب، فهؤلاء أهل الكتاب ذوو القوة والشوكة قد غرتهم

---

(١) سورة الصافات: الآيتان ١٤٣، ١٤٤.

(٢) سورة الأنبياء: الآية ٨٨.

(٣) قطعة من حديث أخرجه الإمام أحمد في مسنده عن عبد الله بن عباس، جـ: ١، ص: ٣٠٧، والحاكم في مستدركه، كتاب معرفة الصحابة ذكر عبد الله بن عباس، جـ: ٣، ص: ٥٤١، ٥٤٢.

(٤) المواهب الربانية من الآيات القرآنية، ص: ١٧.

(٥) سورة الحشر: الآية ٢.

أنفسهم، وظنوا أن حصونهم مانعتهم، وأنهم يمتنعون فيها، ولم يخطر في قلوب المؤمنين خروجهم منها حتى جاءهم من الله ما لم يكونوا يحتسبون، واستولى عليهم الضعف والخراب من حيث لا يشعرون، وللكافرين أمثالها فالمؤمن حقاً هو الذي ينظر إلى قدر الله وقضائه، وما له من العزة والقدرة، ويعلم أن هذا لا تعارضه الأسباب، وإن عظمت وأن نمو الأسباب ونتاجها إذا لم يعارضها القدر، فإذا جاء القدر اضمحل عنده كل شيء، ولكن الأسباب محل حكمة الله ظاهراً وباطناً، فإذا فعلوا المأمور، ساعدهم المقدور)[1].

ثالثاً: قال رحمه الله أثناء تفسيره لبعض المعاني التي يدل عليها اسم (اللطيف):

(ومن لطف الله بعبده إذا قدر له طاعة جليلة لا تنال إلاّ بأعوان، أو يقدر له أعواناً عليها ومساعدين على حملها، قال موسى عليه السلام: ﴿وَٱجۡعَل لِّي وَزِيرٗا مِّنۡ أَهۡلِي ٢٩ هَٰرُونَ أَخِي ٣٠ ٱشۡدُدۡ بِهِۦٓ أَزۡرِي ٣١ وَأَشۡرِكۡهُ فِيٓ أَمۡرِي ٣٢ كَيۡ نُسَبِّحَكَ كَثِيرٗا ٣٣ وَنَذۡكُرَكَ كَثِيرًا ٣٤﴾[2].

وكذلك امتن على عيسى بقوله: ﴿وَإِذۡ أَوۡحَيۡتُ إِلَى ٱلۡحَوَارِيِّـۧنَ أَنۡ ءَامِنُواْ بِي وَبِرَسُولِي قَالُوٓاْ ءَامَنَّا وَٱشۡهَدۡ بِأَنَّنَا مُسۡلِمُونَ ١١١﴾[3].

وامتن على سيد الخلق بقوله: ﴿هُوَ ٱلَّذِيٓ أَيَّدَكَ بِنَصۡرِهِۦ وَبِٱلۡمُؤۡمِنِينَ﴾[4].

وهذا لطف بعبده خارج عن قدرته... إلخ كلامه رحمه الله)[5].

خامساً: الرأي في الكتاب:

هذه الرسالة جمعها الشيخ من الفوائد والفرائد التي فتح الله عليه بها، واستنبطها من آيات القرآن الكريم ما لا يكاد يجده طالب العلم في كتاب

---

(١) المواهب الربانية من الآيات القرآنية، ص: ٣٩.
(٢) سورة طه: الآيات ٢٩ ـ ٣٤.
(٣) سورة المائدة: الآية ١١١.
(٤) سورة الأنفال: الآية ٦٢.
(٥) المواهب الربانية من الآيات القرآنية، ص: ٧٣.

مجتمع كهذا، إلاّ أن هذه الرسالة ينقصها في نظري من ناحية الترتيب والتنظيم ما يأتي:

أولاً: تحتاج لترتيب السور، حسب ترتيب المصحف، وهذا ما فات المؤلف رحمه الله، حيث بدأ الرسالة بآية من سورة الصافات، بينما الأولى أن يبدأ بفاتحة الكتاب، ثم البقرة، ثم آل عمران... وهكذا حتى نهاية السور، وذلك لكي يمكن للقارئ الرجوع إلى الفوائد المستنبطة من كل سورة على حده.

ثانياً: تحتاج لترتيب الآيات حسب ورودها في السورة، حيث إن مؤلفها رحمه الله لم يراع هذه الناحية.

ثالثاً: ينقص هذه الرسالة وضع فهارس لها، فمؤلفها رحمه الله لم يعمل لها فهارس، والظاهر أنه دونها حسب ما ذكره في ختامها في أواخر شهر رمضان المبارك، ولم يتمكن بعد ذلك من عمل فهارس، وهي ضرورية، لا سيما في هذا العصر المتسم بالسرعة، وذلك لتسهيل مراجعتها وقراءتها على القارئ.

رابعاً: أعتقد أنه لا بد من وضع هذه الفوائد في مجموعات، كل مجموعة تحت عنوان مستقل، مثل مجموعة الفوائد المستنبطة من سورة كذا وذلك ليسهل على القارئ مراجعتها في أوجز وقت.

وبعد هذا كله، فهذه الرسالة حري بطالب العلم والحريص على فهم كتاب الله ومعرفة كيفية استنباط الفوائد والأحكام والآداب من آياته أن يطلع على هذه الرسالة، ويقرأها بتدبر وتفهم.

الفصل الرابع

فوائد مستنبطة من قصة يوسف عليه السلام

أولاً: التعريف بالكتاب:

هذا جزء لطيف ألفه الشيخ عبد الرحمن بن سعدي، وفرغ من تأليفه في شهر صفر من عام ألف وثلاثمائة وخمسة وسبعين للهجرة، وإذا علمنا بأن الشيخ رحمه الله توفي في شهر جمادى الثانية عام ألف وثلاثمائة وستة وسبعين للهجرة، حينئذ نعرف أن هذا الكتاب من أواخر مؤلفاته رحمه الله.

هذا الكتاب يقع في أربعين صفحة من القطع المتوسط، وهو يتضمن فوائد مستنبطة من قصة يوسف عليه السلام، وليس تفسيراً للسورة كما يدل على ذلك عنوانه ومحتوياته، فهو فوائد مستنبطة وليس تفسيراً للآيات، طبع هذا الكتاب لأول مرة عام ١٣٧٥هـ في مطبعة العلم على نفقة المؤلف، ووزع مجاناً، ولم يعد طبعه حتى كتابة هذا البحث، حسب علمي.

ثانياً: سبب تأليفه:

أشار مؤلفه رحمه الله في مقدمة الكتاب إلى سبب تأليفه، وهو (أن الله سبحانه وتعالى قص علينا قصة يوسف مبسوطة، وقال في آخرها ﴿لَقَدْ كَانَ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِّأُولِي الْأَلْبَابِ﴾[1]، والعبرة ما يعتبر به، ويعبر منه إلى معان وأحكام نافعة، وتوجيهات إلى الخيرات وتحذير من الهلكات، وقصص الأنبياء

(١) سورة يوسف: الآية ١١١.

كلها كذلك، ولكن هذه القصة خصها الله تعالى بقوله: ﴿۞ لَقَدْ كَانَ فِي يُوسُفَ وَإِخْوَتِهِۦٓ ءَايَٰتٌ لِّلسَّآئِلِينَ ۝٧﴾[1].

ففيها آيات وعبر منوعة لكل من يسأل ويريد الهدى والرشاد لما فيها من التنقلات من حال إلى حال، ومن محنة إلى محنة، ومن منحة إلى منحة ومنة، ومن ذلة ورق إلى عز وملك، ومن فرقة وشتات إلى اجتماع وإدراك غايات، ومن حزن وترح، إلى سرور وفرح، ومن رخاء إلى جدب، ومن جدب إلى رخاء، ومن ضيق إلى سعة إلى غير ذلك مما اشتملت عليه هذه القصة العظيمة، فتبارك من قصها ووضحها وبينها)[2].

أقول: لعلّ ما ذكره الشيخ في هذه الديباجة عن القصة من أن فيها عبرة لأولي الألباب، وعبرة للسائلين، وفيها التنقل من حالة إلى حالة أخرى، هو السبب الذي دعا الشيخ ليفرد هذه الفوائد التي استنبطها من القصة في جزء مستقل، والعلم عند الله تعالى.

ثالثاً: منهجه في هذا الكتاب:

١ ـ ضمن هذا الكتاب مقدمة وأحد عشر فصلاً، كل فصل يشتمل على فوائد مستنبطة من مجموعة آيات، وتضمنت المقدمة سبب تأليفه لهذا الكتاب.

٢ ـ قسم السورة إلى مجموعات، كل مجموعة في فصل أو فصلين، فالمجموعة الأولى أصول تعبير الرؤيا، واستغرقت هذه المجموعة بقية المقدمة والفصل الأول والفصل الثاني، واستنبط هذا الأصل أي تعبير الرؤيا من:

أ ـ قوله تعالى: ﴿إِذْ قَالَ يُوسُفُ لِأَبِيهِ يَٰٓأَبَتِ إِنِّي رَأَيْتُ أَحَدَ عَشَرَ كَوْكَبًا وَٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ رَأَيْتُهُمْ لِي سَٰجِدِينَ ۝٤ قَالَ يَٰبُنَيَّ لَا تَقْصُصْ رُءْيَاكَ عَلَىٰٓ إِخْوَتِكَ فَيَكِيدُوا۟ لَكَ كَيْدًا ۖ إِنَّ ٱلشَّيْطَٰنَ لِلْإِنسَٰنِ عَدُوٌّ مُّبِينٌ ۝٥﴾[3].

---

(١) سورة يوسف: الآية ٧.

(٢) فوائد مستنبطة من قصة يوسف، ص: ٢.

(٣) سورة يوسف: الآيات ٤، ٥.

ب ـ ومن قوله تعالى حكاية عن يوسف عليه السلام:

﴿يَٰٓأَبَتِ هَٰذَا تَأۡوِيلُ رُءۡيَٰيَ مِن قَبۡلُ قَدۡ جَعَلَهَا رَبِّي حَقّٗا﴾[1].

جـ ـ ومن قوله تعالى: ﴿وَدَخَلَ مَعَهُ ٱلسِّجۡنَ فَتَيَانِۖ قَالَ أَحَدُهُمَآ إِنِّيٓ أَرَىٰنِيٓ أَعۡصِرُ خَمۡرٗاۖ وَقَالَ ٱلۡأٓخَرُ إِنِّيٓ أَرَىٰنِيٓ أَحۡمِلُ فَوۡقَ رَأۡسِي خُبۡزٗا تَأۡكُلُ ٱلطَّيۡرُ مِنۡهُۖ نَبِّئۡنَا بِتَأۡوِيلِهِۦٓۖ إِنَّا نَرَىٰكَ مِنَ ٱلۡمُحۡسِنِينَ ﴿٣٦﴾﴾[2]... إلى آخر الآيات.

د ـ ومن قوله تعالى: ﴿وَقَالَ ٱلۡمَلِكُ إِنِّيٓ أَرَىٰ سَبۡعَ بَقَرَٰتٖ سِمَانٖ يَأۡكُلُهُنَّ سَبۡعٌ عِجَافٞ وَسَبۡعَ سُنۢبُلَٰتٍ خُضۡرٖ وَأُخَرَ يَابِسَٰتٖۖ يَٰٓأَيُّهَا ٱلۡمَلَأُ أَفۡتُونِي فِي رُءۡيَٰيَ إِن كُنتُمۡ لِلرُّءۡيَا تَعۡبُرُونَ ﴿٤٣﴾﴾[3] إلى آخر الآيات.

وقد استنبط من مجموع هذه الآيات فوائد وأحكاماً كثيرة.

٣ ـ ومن منهجه تبيين الأحكام الشرعية التي تدل عليها آيات هذه السورة، فقد استنبط من قوله تعالى: ﴿إِذۡ قَالُواْ لَيُوسُفُ وَأَخُوهُ أَحَبُّ إِلَىٰٓ أَبِينَا مِنَّا وَنَحۡنُ عُصۡبَةٌ إِنَّ أَبَانَا لَفِي ضَلَٰلٖ مُّبِينٍ ﴿٨﴾﴾[4].

وجوب العدل بين الأولاد، وأنه ينبغي للوالد إذا كان يحب أحدهم أكثر من غيره أن يخفي ذلك مهما أمكنه، وأن لا يفضله بما يقتضيه الحب وإيثاره بشيء من الأشياء، فإنه أقرب إلى صلاح الأولاد، وبرهم به، واتفاقهم فيما بينهم.

واستنبط من قوله تعالى: ﴿وَرَٰوَدَتۡهُ ٱلَّتِي هُوَ فِي بَيۡتِهَا عَن نَّفۡسِهِۦ وَغَلَّقَتِ ٱلۡأَبۡوَٰبَ وَقَالَتۡ هَيۡتَ لَكَۚ﴾... إلى قوله تعالى: ﴿وَإِن كَانَ قَمِيصُهُۥ قُدَّ مِن دُبُرٖ فَكَذَبَتۡ وَهُوَ مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ ﴿٢٧﴾﴾[5].

---

(١) سورة يوسف: الآية ١٠٠.
(٢) سورة يوسف: الآية ٣٦.
(٣) سورة يوسف: الآية ٤٢.
(٤) سورة يوسف: الآية ٨.
(٥) سورة يوسف: الآيات ٢٣ ـ ٢٧.

ومن قوله تعالى: ﴿قَالُوا فَمَا جَزَاؤُهُ إِن كُنتُمْ كَاذِبِينَ ﴿٧٤﴾ قَالُوا جَزَاؤُهُ مَن وُجِدَ فِي رَحْلِهِ فَهُوَ جَزَاؤُهُ﴾[1].

استنبط من هذه الآيات العمل بالقرائن القوية، حيث حكم حاكم من أهلها بهذا الحكم الواضح، وكذا وجود الصواع في رحل أخيه وحكمهم عليه بأحكام السرقة لهذه القرينة القوية.

ومن قوله تعالى: ﴿جَعَلَ السِّقَايَةَ فِي رَحْلِ أَخِيهِ ثُمَّ أَذَّنَ مُؤَذِّنٌ أَيَّتُهَا الْعِيرُ إِنَّكُمْ لَسَارِقُونَ﴾... إلى قوله تعالى: ﴿كَذَٰلِكَ كِدْنَا لِيُوسُفَ مَا كَانَ لِيَأْخُذَ أَخَاهُ فِي دِينِ الْمَلِكِ﴾[2].

استنبط من هذه الآيات جواز استعمال الحيل والمكائد التي يتوصل بها إلى حق من الحقوق الواجبة أو المستحبة أو الجائزة، وغير ذلك من الأحكام التي يستنبطها رحمه الله من آيات هذه السورة ويبين مأخذها من الآية.

٤ ـ هذه القصة (قصة يوسف عليه السلام) يسوق المفسرون أثناء تفسير سورة يوسف كثيراً من الإسرائيليات، أما هذه الرسالة وهي مؤلفة عن القصة فإنها تخلو كلياً من الإسرائيليات، بل إن مؤلفها يرد على المفسرين الذين أوردوا في تفاسيرهم إسرائيليات، فلنستمع إليه يقول بعد قوله تعالى: ﴿اقْتُلُوا يُوسُفَ أَوِ اطْرَحُوهُ أَرْضًا يَخْلُ لَكُمْ وَجْهُ أَبِيكُمْ وَتَكُونُوا مِن بَعْدِهِ قَوْمًا صَالِحِينَ ﴿٩﴾﴾[3]، وهذا صريح جداً أن السبب الذي حملهم على ما فعلوا بيوسف من التفريق بينه وبين أبيه هو تميزه بالمحبة خلاف ما ذكره كثير من المفسرين أن يوسف أخبرهم برؤياه فحسدوه، لذلك فإنه مناف للآية الكريمة، وسوء ظن بيوسف، حيث استكتمه أبوه، فقال: ﴿يَا بُنَيَّ لَا تَقْصُصْ رُؤْيَاكَ عَلَىٰ إِخْوَتِكَ فَيَكِيدُوا لَكَ كَيْدًا﴾[4].

---

(١) سورة يوسف: الآيتان ٧٤، ٧٥.
(٢) سورة يوسف: الآيات ٧٠ ـ ٧٦.
(٣) سورة يوسف: الآية ٩.
(٤) سورة يوسف: الآية ٥.

فيوسف أبر وأعقل من أن يخبرهم بها، ولكن كثيراً من الإسرائيليات تروج على كثير من الناس، مع أن أقل تأمل في النصوص الشرعية يدل على بطلانها)[1].

ويقول رحمه الله: (واعلم أن كثيراً من المفسرين ذكروا في تفسير البرهان الذي رآه يوسف حين اعتصم عن الفاحشة إسرائيليات تنافي العقل والدين، وتنافي ما عليه الرسل من الكمال، حيث قال بعضهم تبدى له جبريل في الهواء، أو تبدى له يعقوب عاضا على إبهاميه، أو ما أشبه ذلك من الأمور التي لو حصلت على أفجر الناس لامتنع من فجوره، فكلها باطلة.

وكذلك من الأقوال الباطلة ما قاله بعضهم في قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ هَمَّتْ بِهِۦ وَهَمَّ بِهَا﴾[2] أي هم أن يضربها وهذا تحريف ظاهر، وصاحب هذا القول أراد الفرار من الهم المعروف، خشية أن يكون فيه نقص وتنقيص للأنبياء محذور في ذلك، فإن الهم والهوى ونحوها، إذا قاومه العبد وقدم عليه الخوف والإيمان، فهو كما قال تعالى: ﴿وَلِمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِۦ جَنَّتَانِ ﴿٤٦﴾﴾[3]، وكما ثبت في الحديث الصحيح[4] (من هم بسيئة فلم يعملها كتبها الله حسنة كاملة)[5].

٥ ـ من منهجه إذا ظهر له معنى من المعاني في بعض الآيات، ذكره ورد المعاني غيره التي يذكرها المفسرون حول الآية أو الآيات، مثل ما ذكره عند قوله تعالى حكاية عن يوسف عليه السلام في تعبير رؤيا الملك ﴿قَالَ

---

(١) فوائد مستنبطة من قصة يوسف، ص١٢، ١٣.

(٢) سورة يوسف: الآية ٢٤.

(٣) سورة الرحمن: الآية ٤٦.

(٤) قطعة من حديث أخرجه الإمام مسلم في صحيحه من حديث أبي هريرة رضي الله عنه، في كتاب الإيمان، باب إذا هم العبد بحسنة كتبت وإذا هم بسيئة لم تكتب، جـ: ١، ص: ٨٢، وأخرجه الإمام أحمد في مواضع من مسنده عن عبد الله بن عباس، جـ: ٢، ص: ٢٧، ٢٧٩، ٣١٠، ٣٦١، والترمذي في جامعة تفسير سورة الأنعام، جـ: ٨، ص: ٤٥٠.

(٥) فوائد مستنبطة من قصة يوسف، ص ١٨.

تَزْرَعُونَ سَبْعَ سِنِينَ دَأَبًا فَمَا حَصَدتُّمْ فَذَرُوهُ فِي سُنۢبُلِهِۦٓ إِلَّا قَلِيلًا مِّمَّا تَأْكُلُونَ ﴿٤٧﴾ ثُمَّ يَأْتِي مِنۢ بَعْدِ ذَٰلِكَ سَبْعٌ شِدَادٌ يَأْكُلْنَ مَا قَدَّمْتُمْ لَهُنَّ إِلَّا قَلِيلًا مِّمَّا تُحْصِنُونَ ﴿٤٨﴾ ﴾[1].

أي يحصل للناس فيه غيث مغيث، تعيد الأراضي خصبها، ويزول عنها جدبها، وذلك مأخوذ من تقييد السنين المجدبات بالسبع فدل هذا القيد على أنه يلي هذه السبع ما يزيل شدتها، ويرفع جدبها ومعلوم أن توالي سبع سنين مجدبات لا يبقي في الأرض من آثار الخضر والنوابت والزروع، ونحوها، لا قليل ولا كثير، ولا يرفع هذا الجدب العظيم إلاّ غيث عظيم، وهذا ظاهر جداً، أخذه من رؤيا الملك، ومن العجب أن جميع التفاسير التي وقفت عليها لم يذكروا هذا المعنى مع وضوحه، بل قالوا لعلّ يوسف ﷺ جاءه وحي خاص في هذا العلم الذي فيه يغاث الناس وفيه يعصرون، والأمر لا يحتاج إلى ما ذكروه، بل هو لله الحمد ظاهر من مفهوم العدد، وأيضاً ظاهر من السياق، فإنه جعل هذا التعبير والتفسير توضيحاً لرؤيا الملك)[2].

وقال عند قوله تعالى حكاية عن يوسف عليه السلام: ﴿ٱجْعَلْنِي عَلَىٰ خَزَآئِنِ ٱلْأَرْضِ ۖ إِنِّي حَفِيظٌ عَلِيمٌ ﴾[3].

وليس في هذا طلب للولاية ابتداء كما قاله كثير من أهل العلم بل إنه لما رأى الملك استخلصه ومكنه من الأمور، وأن الأمور كلها تحت طوعه وتدبيره طلب من الملك تولي خزائن الأرض فقط، لأنها أهم، ولأنه يعلم أن ولايته لها أنفع للملك، وللخلق، وهذا من كمال نصحه، وصدق نظره)[4].

٦ ـ ومن منهجه أنه حينما يريد أن يوضح مسألة من المسائل أو معنى من المعاني فإنه يفترض سؤالاً، ويجيب عليه، ممثلاً بالأمثلة.

مثال ذلك، توضيحه لحكمة خفاء مكان يوسف عن يعقوب، وليس بينه

---

(١) سورة يوسف: الآيتان ٤٧، ٤٨.

(٢) فوائد مستنبطة من قصة يوسف، ص: ١٠.

(٣) سورة يوسف: الآية ٥٥.

(٤) فوائد مستنبطة من قصة يوسف، ص: ٣٨.

وبين أبيه إلاّ مسافة قليلة، وكيف خفي موضع يوسف على أبيه فقال رحمه الله: (إذا قيل كيف خفي موضع يوسف على يعقوب، وما بينه وبينه إلاّ مسافة قليلة، مع طول المدة، وقوة الداعي الملح وعلمه أنه على الوجود، وحرصه الشديد على لقياه.

فالجواب ليس ذلك بغريب على قدرة الله، فالأسباب وإن قويت جداً لا خروج لها عن قضاء الله وقدره، فإن الله تعالى أراد أن لا يحصل الاجتماع إلاّ في الوقت الذي أجله، والحالة التي أرادها، لما له في ذلك من الحكم العظيمة، ومتى أراد الله شيئاً في وقت مخصوص، قدر من الأسباب الحسية أو المعنوية ما يمنع حصوله قبل ميقاته، كما يقدر من الأسباب ما يحصل به ما أراد فالأسباب بيد العزيز الحكيم، وليس هذا بأغرب من قضية بني إسرائيل في التيه، وهم أمة عظيمة، والتيه مسافة قصيرة، وهم بين أظهر قرى ومدن كثيرة، والمدة أربعون سنة لم يهتدوا طريقاً إلى مقصدهم، ولم يتيسر لهم من يرشدهم إلى قصدهم، وكذلك أصحاب الكهف مكثوا في كهفهم ثلاثمائة وتسع وسنين، وهم في غار قريب من مدينة عظيمة لم يصل إليهم أحد في هذه المدة الطويلة لأمر يريده الله سبحانه وتعالى)[1].

٧ ـ ومن منهجه أنه عقد الفصل الآخير، وهو الحادي عشر، لإثبات أن القرآن من عند الله، وأنه حق لا ريب فيه، فوصفه الله بثلاث صفات:

الصفة الأولى:

أنه تصديق الذي بين يديه من الكتب المنزلة من السماء، وهذه الصفة استنبطها من قوله تعالى: ﴿وَلَٰكِن تَصْدِيقَ ٱلَّذِى بَيْنَ يَدَيْهِ وَتَفْصِيلَ كُلِّ شَىْءٍ﴾[2].

الصفة الثانية:

أنه تفصيل لكل شيء، وأخذها من قوله تعالى: ﴿وَتَفْصِيلَ كُلِّ شَىْءٍ﴾[3]

---

(١) فوائد مستنبطة من قصة يوسف، ص: ٣٤.

(٢) سورة يوسف: الآية ١١١.

(٣) سورة يوسف: الآية ١١١.

وهذا شامل لجميع ما يحتاجه الخلق في عقائدهم وأخلاقهم وأعمالهم الظاهرة والباطنة، وفي دينهم ودنياهم فقد شرح الله به وفصل التوحيد والرسالة والجزاء، وجميع العقائد الصادقة الصحيحة شرحاً وتفصيلاً عظيماً لا يساويه في ذلك أي كتاب كان.

الصفة الثالثة:

أنه هدى ورحمة لقوم يؤمنون لقوله تعالى: ﴿وَهُدًى وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾[1]، ﴿يَهْدِي بِهِ اللَّهُ مَنِ اتَّبَعَ رِضْوَانَهُ سُبُلَ السَّلَامِ﴾[2].

﴿إِنَّ هَٰذَا الْقُرْآنَ يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ﴾[3]، أي لكل حالة قويمة، وطريقة مستقيمة يهدي لأحسن الأعمال، والأخلاق، ويهدي لمصالح الدين كلها، ومنافع الدنيا التي بها يقوم الدين وتتم السعادة[4].

هذا منهجه في هذه الرسالة التي ألفها عن قصة يوسف، وهناك فوائد وأحكام استنبطها، لا يمكن حصرها.

رابعاً: نماذج من الكتاب:

سبق في الحديث عن منهجه أن أوردت بعض النماذج من الكتاب وتتميماً للفائدة، نورد بعض النماذج المختصرة هنا.

١ ـ قال رحمه الله: (ومن فوائد قصة يوسف الحث على التحرز مما يخشى ضرره لقوله: ﴿يَا بُنَيَّ لَا تَقْصُصْ رُؤْيَاكَ عَلَىٰ إِخْوَتِكَ فَيَكِيدُوا لَكَ كَيْدًا﴾ وما فيها من التأكيد عليهم في حفظه حين أرسله معهم، ثم عند إرسال أخيه بنيامين بعد ذلك أخذ عهودهم ومواثيقهم، فالإنسان مأمور بالاحتراز، فإن نفع ذلك وإلاّ لم يلم العبد نفسه)[5].

٢ ـ وقال رحمه الله تعالى: (وفيها جواز إخبار الإنسان مما يجد، وما

---

(١) سورة يوسف: الآية ١١١.

(٢) سورة المائدة: الآية ١٦.

(٣) سورة الإسراء: الآية ٩.

(٤) فوائد مستنبطة من قصة يوسف عليه السلام.

(٥) المرجع السابق، ص: ١٣.

هو فيه من مرض أو فقر أو غيرهما على غير وجه التسخط لقول إخوة يوسف ﴿مَسَّنَا وَأَهْلَنَا ٱلضُّرُّ﴾ وأقرهم يوسف على ذلك)[1].

وقال رحمه الله: (وفيها أن الإحسان في عبادة الله والإحسان إلى العباد سبب ينال به العلم، وتنال به خيرات الدنيا والآخرة لقوله تعالى: ﴿وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُۥٓ ءَاتَيْنَٰهُ حُكْمًا وَعِلْمًا ۚ وَكَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٢٢﴾﴾[2]، وقوله تعالى: ﴿نُصِيبُ بِرَحْمَتِنَا مَن نَّشَآءُ ۖ وَلَا نُضِيعُ أَجْرَ ٱلْمُحْسِنِينَ﴾ ﴿وَلَأَجْرُ ٱلْءَاخِرَةِ خَيْرٌ لِّلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَكَانُوا۟ يَتَّقُونَ ﴿٥٧﴾﴾[3] فجعل الله الإحسان سبباً لنيل هذه المراتب العالية)[4].

٣ ـ ومنها: (أن العقود تنعقد بما يدل عليها من قول وفعل، لا فرق بين عقود التبرعات وعقود المعاوضات، لأن يوسف ﷺ ملك إخوته بضاعتهم التي اشتروا بها ميرتهم من حيث لا يشعرون ﴿وَلَمَّا فَتَحُوا۟ مَتَٰعَهُمْ وَجَدُوا۟ بِضَٰعَتَهُمْ رُدَّتْ إِلَيْهِمْ﴾[5] الآية، وذلك من دون إيجاب وقبول قولي، لأن الفعل والرضى يدل على ذلك)[6].

٤ ـ ومنها قوله تعالى: (﴿قَالَ مَعَاذَ ٱللَّهِ أَن نَّأْخُذَ إِلَّا مَن وَجَدْنَا مَتَٰعَنَا عِندَهُۥٓ ۖ إِنَّآ إِذًا لَّظَٰلِمُونَ ﴿٧٩﴾﴾[7] يدل على أنه لا تز وازرة وزر أخرى، ويؤخذ منه مسألة دقيقة، وهو أن الإحسان إنما يكون إحساناً إذا لم يتضمن فعل محرم، أو ترك واجب، فإنهم طلبوا من يوسف أن يحسن إليهم بترك هذا الأخ أن يذهب إلى أبيه ويأخذ أحدهم بدله، فامتنع وقال معاذ الله، فالإحسان إذا تضمن ترك العدل كان ظلماً، ولهذا كان تخصيص بعض الأولاد على بعض، وبعض الزوجات على بعض وإن كان إحساناً إلى المخصص والمفضل لا يجوز، لأنه ترك للعدل وكذلك ما أشبه ذلك، والله أعلم)[8].

---

(١) فوائد مستنبطة من قصة يوسف، ص: ٢٥.
(٢) سورة يوسف: الآية ٢٢.
(٣) سورة يوسف: الآيتان ٥٦، ٥٧.
(٤) فوائد مستنبطة من قصة يوسف، ص: ٣٢.
(٥) سورة يوسف: الآية ٦٥.
(٦) فوائد مستنبطة من قصة يوسف، ص: ٣٤.
(٧) سورة يوسف: الآية ٧٩.
(٨) فوائد مستنبطة من قصة يوسف، ص: ٣٦.

٥ ـ وقال رحمه الله: (ومنها أنه ينبغي أن لا يغتر بمجرد صورة القرائن ولما أتى إلى شريح امرأة مع خصمها، أرسلت عينيها بالبكاء، فقال لشريح بعض الحاضرين، ما أظن البائسة إلاَّ مظلومة، فقال شريح ألم تسمع قصة إخوة يوسف إذ أتوا أباهم عشاء يبكون، هل كانوا مظلومين أو ظالمين، فكم حصل بمثل هذه التمويهات والاغترار وقلب الحقائق، لهذا كان الأذكياء يجعلون كل احتمال على بالهم، وينظرون إلى الأمور من جميع جهاتها ونواحيها)[1].

خامساً: الرأي في الكتاب:

هذه الرسالة ألفها الشيخ عبد الرحمن بن سعدي على طريقة كتب الأحكام المستنبطة من القرآن الكريم، إلاّ أنها خاصة باستنباط الفوائد والأحكام من سورة خاصة، هي سورة يوسف عليه السلام.

ومعروف أن كثيراً من قصص القرآن قد أدخل فيه المفسرون في تفسيرهم كثيراً من الإسرائيليات مما كان له الأثر السيء.

وهذه الرسالة تمتاز كما مر سابقاً بخلوها من الإسرائيليات تماماً، لذا يحسن بطالب العلم الذي يرغب معرفة كيف يستنبط الأحكام وأسرارها من الآيات والقصص القرآنية مطالعة هذا الكتاب، فقد اشتمل على كثير من الأحكام والآداب التي تضمنتها هذه القصة، وذلك بأسلوب سهل وبليغ، مع بيان مأخذ الحكم أو الفائدة من الآية.

والملاحظ على هذه الرسالة خلوها من ترقيم الآيات حسب ورودها في السورة، وعدم وضعها بين علامات التنصيص.

كما يلاحظ خلوها من الفهارس التي تعتبر مهمة لأي كتاب أو رسالة مما يسهل على الباحث والقارئ مراجعتها بسهولة، ولعلّ الله أن يقيض لهذه الرسالة، والرسالة التي سبق الحديث عنها قبل، وهي: (المواهب الربانية في الآيات القرآنية) من يقوم بتحقيقهما وتبويبهما ووضع الفهارس اللازمة لهما.

---

(١) المرجع السابق، ص: ٣٨.

الخاتمة

(الشيخ عبد الرحمن بن سعدي مفسراً) دارسة علمية منهجية لحياة علم من أعلام المسلمين في القرن الرابع عشر الهجري، تناولت فيها تفاصيل حياته، ثم مؤلفاته في التفسير، وعلومه، لأبين منهجه وطريقته في التفسير.

والبحث يضم تمهيداً وبابين، تناولت في التمهيد وجاء بثلاثة فصول شخصية الشيخ ابن سعدي وحياته، واستعنت على ذلك بالمصادر التي ذكرته من كتب التراجم المطبوعة، ومن أفواه تلاميذه الذين أخذوا عنه، أمثال الشيخ محمد الصالح العثيمين، والشيخ محمد بن عثمان بن صالح القاضي.

فالفصل الأول من التمهيد كان عن حياته الشخصية، ونشأته، ذكرت فيها نسبه، وزمن ومكان ولادته، وشيئاً عن أسرته، ومذهبه في الفقه، وأنه كان أول أمره على مذهب الإمام أحمد بن حنبل، وما أن تقدمت به الدراسة شوطاً حتى تفتحت أمامه آفاق العلم، فخرج من طور التقليد إلى طور الاجتهاد المقيد، فصار يرجح من الأقوال ما رجحه الدليل وصدقه التعليل، ثم عرضت ما قيل في صفاته وأخلاقه التي اتسمت بطابع الجد والزهد والورع.

أما الفصل الثاني فقد خصصته لشيوخه وتلاميذه، وبينت في هذا الفصل هؤلاء الشيوخ الكثيرين، وتأثير هؤلاء الأعلام فيه، ومن ثم تأثيره بتلاميذه الذين درسوا في حلقاته، وأصبحوا من أبرز العلماء العاملين وممن تولوا مناصب قيادية في الدولة السعودية، كما أوضحت في هذا الفصل تأثره بشيخ الإسلام ابن تيمية وتلميذه ابن القيم، رغم بعد المسافة الزمنية بينه وبينهما.

وأما الفصل الثالث، فكان عن آثاره ومؤلفاته، والتي تمثل حصيلة جهده، وثمرة طلبه للعلم، وأخذه عن علماء أجلاء، فكان أن برز في علوم الشريعة

عامة، وصار من الفقهاء البارزين، فألف في الفقه عدداً ممن الكتب، كما نبغ في التفسير وعلوم القرآن، وألف في ذلك مجموعة من الكتب تطرقت إلى الحديث عنها أثناء هذا البحث.

وجاء الباب الأول بفصليه، عن تفسيره «تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان» ومنهجه فيه، وهو صلب البحث وجوهرته.

فالفصل الأول: التعريف بتفسيره، وفيه مبحثان.

المبحث الأول: اسم تفسيره وطريقته فيه، ومقصوده من التفسير.

والمبحث الثاني: دراسة مقارنة لما رجحه من آراء، وقد تتبعت تفسيره للقرآن آية آية، فأحصيت الآراء التي رجحها، وقارنتها بآراء من سبقه من أئمة التفسير كالطبري والقرطبي وأبي حيان والبغوي وغيرهم فبلغت هذه الآراء التي رجحها ثمانية وعشرين، وقد استغرق هذا المبحث قرابة ربع الرسالة.

أما الفصل الثاني: فقد كان عن منهجه في التفسير، وقد أفضت فيه بما يوضح هذا المنهج، ويكشف عن طريقته، وقد تناولته من جوانب مختلفة دون إطالة، وإن كنت قد فصلت الحديث في بعضها، وضربت الأمثلة فبدأ هذا الفصل بمقدمة عن طريقته في تفسير كتاب الله، وما اتصف به من السهولة والوضوح والإيجاز، وبسطت منهجه في أصول أساسية اعتمدها، هي الكتاب والسنة، وبعده عن الإسرائيليات، وتضمن هذا الفصل مباحث.

المبحث الأول: المنهج العام، ويبحث فيما يتعلق بالقواعد العامة مثل تفسيره للقرآن بالقرآن، أو بالسنة، ومثل الإيمان بصفات الله العلا.

المبحث الثاني: تفسير القرآن بالقرآن، وقد أوردت الشواهد من تفسيره على ذلك.

والمبحث الثالث: تفسير القرآن بالسنة، وأفضت الحديث في ذلك موضحاً بالشواهد.

وجاء المبحث الرابع: في منهجه لتفسير آيات الصفات العلا لله سبحانه وتعالى.

أما المبحث الخامس: فكان عن علوم القرآن في تفسيره، وقد بينت ما احتوى تفسيره من علوم القرآن، كالمكي والمدني في السور، فقد كان يستهل كل سورة بكونها مكية أو مدنية، كما وقفت خلال تفسيره على مبحث أسباب النزول للآيات والسور التي كان يوردها، كما تطرقت للمحكم والمتشابه ورأيه فيه، مع ذكر بعض أقوال العلماء في الإحكام والتشابه، وتعرضت لما كان يذكره من الناسخ والمنسوخ من الآيات، وتعريفه لمعنى النسخ، وقد يذكر أحياناً اختلاف العلماء في نسخ آية أو أحكامها، ويختار ويرجح وقد يذكر الآراء دون ترجيح، وقد يتناول جميع هذه المباحث دون تفصيل، وبمقدار ما يزيل اللبس، ويوضح المعنى.

ثم تطرقت للعام والخاص في تفسيره، وأوردت أمثلة مما ذكره من الخاص والعام، والمخصوص، وأوضحت أن تفسيره بعيداً كل البعد عن البدع، وأنه يخلو من الإسرائيليات تماماً وأنه ينتقدها انتقاداً واضحاً، وكان يقول: إذا جاء الحديث عن بني إسرائيل فلا يجوز أن تجعل أحاديثهم مستنداً لتفسير كتاب الله، لأن كتاب الله يقين مقطوع به، وهذه أقل ما يقال فيها، كما ثبت عن الرسول ﷺ: «حدثوا عن بني إسرائيل ولا حرج»[1]، فهي على تقدير صحتها من المظنون.

وأخيراً ذكرت ما ذكره من الجوانب اللغوية والنحوية في تفسيره، فأشرت إلى أنه في هذا الجانب معتدل، فهو لا يفصل أو يبالغ في تناوله للمسائل النحوية واللغوية، فكانت عنايته بالمسائل النحوية عناية سطحية، فهو يمس المسألة النحوية مساً خفيفاً، ولا يطيل الوقوف عليها، بل يعرضها بإيجاز واختصار.

أما الباب الثاني والأخير، فقد كان مخصصاً للحديث عن كتب أخرى في التفسير وعلومه ألفها الشيخ ابن سعدي، وقد اشتمل هذا الباب على فصول أربعة:

---

(١) سبق تخريج هذا الحديث.

*** الفصل الأول:**

كتاب «القواعد الحسان لتفسير القرآن» وقد عرفت بالكتاب وسبب تأليفه، ومنهجه فيه، وأوردت نماذج منه، ثم أوضحت الرأي في الكتاب.

*** أما الفصل الثاني:**

فقد خصصته لكتاب «تيسير اللطيف المنان في خلاصة تفسير القرآن»، عرفت أولاً بالكتاب، وثانياً أبنت سبب تأليفه، وثالثاً أوضحت منهجه فيه، مع إيراد نماذج من الكتاب، ثم الرأي فيه.

*** والفصل الثالث:**

عن كتاب «المواهب الربانية من الآيات القرآنية»، عرفت أولاً بالكتاب، وثانياً سبب تأليفه، وثالثاً منهج المؤلف فيه، مع ذكر نماذج متعددة من هذا الكتاب، ثم أشرت إلى الرأي في الكتاب، وأنه يحتاج لتحقيق، وذلك لخلوه من فهارس، وعدم ترتيب آياته حسب السور، وهكذا..

*** أما الفصل الرابع:**

فهو عن كتابه «فوائد مستنبطة من قصة يوسف عليه السلام»، بدأت الفصل بتعريف عام للكتاب، ثم سبب تأليفه، ثم منهج الشيخ فيه، وأوردت عدداً من النماذج، وأخيراً أوضحت الرأي في الكتاب.

نتائج البحث

بعد هذه الدارسة المفصلة للشيخ عبد الرحمن بن سعدي ومنهجه في التفسير، توصلت إلى ما يأتي:

أولاً: كشف هذا البحث عن جوانب مهمة من حياة الشيخ عبد الرحمن بن سعدي، فعرف به تعريفاً علمياً دقيقاً، واعتنى بصورة خاصة بإبراز صفاته وأخلاقه، وبيان مذهبه حيث انتهى البحث إلى أنه محدث وفقيه وأصولي ومفسر.

كما أحصى بتتبع واستقراء أسماء كتبه ومؤلفاته في فروع الشريعة المختلفة عقائداً وتفسيراً وحديثاً وفقهاً وأصولاً.

وعرف تعريفاً موجزاً بمضمون تلك المؤلفات، وقدم البحث عرضاً دقيقاً وإحصاءاً علمياً لأسماء شيوخه الذين تلقى عنهم العلوم وتتلمذ عليهم، كما عرض بنفس الطريقة أسماء تلاميذه والذين نهلوا منه العلم وتتلمذوا عليه.

ثانياً: بين هذا البحث منهج تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان الذي يقوم ويعتمد على المأثور من الكتاب والسنة، وبهذا نخلص إلى أن تفسير ابن سعدي اعتمد فيه على المأثور، وأنه يضم إلى جانب ذلك مباحث في أحكام الفقه والعقيدة.

ثالثاً: توصل البحث إلى أن ابن سعدي في تفسيره يعتمد بصورة رئيسية على السنة المطهرة، بحيث يستفيد من ذلك كثيراً في بيان معاني الآيات الكريمة، والملاحظ على الأحاديث التي أوردها في تفسيره أنها أحاديث صحيحة، وإن كان قد حذف أسانيدها، فإن ذلك لا يعد عيباً أو نقصاً في التفسير، لأنه ترك ذلك تجنباً للإطالة.

رابعاً: أظهر البحث خلو تفسير ابن سعدي من الإسرائيليات، وأنه من المتشددين في ذلك، وأنه لا يترك فرصة تمر دون أن ينتقد أولئك الذين أدخلوا الأحاديث الإسرائيلية في تفاسيرهم.

خامساً: أجرى هذا البحث مقارنة بينه وبين من تقدمه من أئمة التفسير، كالطبري والقرطبي وأبي حيان والبغوي وغيرهم، وذلك في الآراء التي رجحها خلال تفسيره، وقد استغرقت هذه المقارنة ربع صفحات هذه الرسالة تقريباً.

وأخيراً.. فهذه رسالتي عن الشيخ عبد الرحمن بن سعدي ومنهجه في التفسير، أرجو من الله تبارك وتعالى أن تنال القبول، وأن ينفع بها إنه سميع الدعاء، وما كان فيها من صواب فمن الله، وما فيها من خطأ فمني ومن الشيطان، والله ورسوله بريئان منه، والحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلّم وبارك على خير خلقه، نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين..

الفهارس العامة

الآيات القرآنية.

الأحاديث النبوية.

الأعلام.

القبائل والجماعات.

الأمكنة والبلدان.

المصادر والمراجع.

فهرس الموضوعات.

فهرس الآيات القرآنية

السورة والآية	رقم الآية في السورة	الصفحة
(سورة الفاتحة)		
﴿مالك يوم الدين﴾	٤	٥٧، ٥٨
﴿إياك نعبد وإياك نستعين﴾	٥	٥٧، ٥٨، ٥٩
﴿اهدنا الصراط المستقيم﴾	٦	٥٨
﴿صراط الذين أنعمت عليهم﴾	٧	١٨٢
(سورة البقرة)		
﴿وأُتوا به متشابهاً﴾	٢٥	٢٧٩
﴿كيف تكفرون بالله وكنتم أمواتاً فأحياكم﴾	٢٨	٣٠٦
﴿هو الذي خلق لكم ما في الأرض جميعاً ثم استوى إلى السماء﴾	٢٩	٢١٧
﴿وإذ قال ربّك للملائكة إني جاعل في الأرض خليفة، قالوا أتجعل فيها من يفسد فيها ويسفك الدماء ونحن نسبح بحمدك ونقدّس لك، قال إني أعلم ما لا تعلمون﴾	٣٠	٢٢٧، ٢٩٥، ٣١٤
﴿فتلقّى آدم من ربّه كلمات فتاب عليه، إنه هو التوّاب الرحيم﴾	٣٧	٨، ١٨٣
﴿يا بني إسرائيل اذكروا نعمتي التي أنعمت عليكم وأوفوا بعهدي أوف بعهدكم﴾	٤٠	١٨٣
﴿ولو أنهم أقاموا التوراة والإنجيل وما أنزل إليهم من ربّهم لأكلوا من فوقهم ومن تحت أرجلهم﴾	٦٦	١٨٩
﴿وإذ قال موسى لقومه إن الله يأمركم أن تذبحوا بقرة، قالوا أتتخذنا هزواً. . .﴾	٦٧، ٧٤	٧٦، ٧٧

السورة والآية	رقم الآية في السورة	الصفحة
﴿أو كلّما عاهدوا عهداً نبذه فريق منهم﴾	١٠٠	٣١٥
﴿ما ننسخ من آية أو ننسها نأت بخير منها أو مثلها﴾	١٠٦	٢٨٧
﴿ألم تعلم أن الله له ملك السمٰوات والأرض﴾	١٠٧	٢٨٨
﴿أم تريدون أن تسألوا رسولكم كما سئل موسى من قبل﴾	١٠٨	١٨٣
﴿وقالوا لن يدخل الجنة إلاّ من كان هوداً أو نصارى﴾	١١١	١٨٨
﴿وإذ جعلنا البيت مثابة للناس وأمنا﴾	١٢٥	٧٨
﴿أأنتم أعلم أم الله﴾	١٤٠	٢٢٩
﴿سيقول السفهاء من الناس ما ولاهم عن قبلتهم التي كانوا عليها﴾	١٤٢	١٨٤، ٢٨٨
﴿قد نرى تقلّب وجهك في السماء فلنولينك قبلة ترضاها﴾	١٤٤	٢٨٩
﴿فاذكروني أذكركم﴾	١٥٢	٢٠٥
﴿ولا تقولوا لمن يقتل في سبيل الله أموات بل أحياء﴾	١٥٤	١٨٤
﴿إن الصفا والمروة من شعائر الله﴾	١٥٨	١٨٥
﴿ومن الناس من يتخذ من دون الله أنداداً يحبونهم كحبّ الله﴾	١٦٥	١٨٥
﴿يا أيها الذين آمنوا كتب عليكم القصاص في القتلى﴾	١٧٨	٨٠، ٢٩٤
﴿كتب عليكم إذا حضر أحدكم الموت إن ترك خيراً الوصية للوالدين والأقربين بالمعروف حقاً على المتقين...﴾ إلى قوله تعالى: ﴿فلا إثم عليه إن الله غفور رحيم﴾	١٨٠ ـ ١٨٢	٨١، ٢٩٠
﴿وإذا سألك عبادي عني فإني قريب أجيب دعوة الداع إذا دعاني﴾	١٨٦	٢٤١
﴿يسألونك عن الأهلة قل هي مواقيت للناس والحج﴾	١٨٩	٨٤
﴿وأتمّوا الحج والعمرة لله﴾	١٩٦	٢٩٥
﴿الحج أشهر معلومات فمن فرض فيهن الحج فلا رفث ولا فسوق ولا جدال في الحج﴾	١٩٧	٨٣
﴿فإذا أفضتم من عرفات فاذكروا الله عند الشعر الحرام﴾	٢٠٠	٢٩٥

السورة والآية	رقم الآية في السورة	الصفحة
﴿هل ينظرون إلاّ أن يأتيهم الله في ظلل من الغمام...﴾ الآية	٢١٠	٢٣٠
﴿أم حسبتم أن تدخلوا الجنّة، ولما يأتكم مثل الذين خلوا من قبلكم مستهم البأساء والضراء...﴾ الآية	٢١٤	١٨٦، ١٩٩
﴿ولا تنكحوا المشركات حتى يؤمن﴾	٢٢١	١٨٩
﴿والمطلّقات يتربصن بأنفسهن ثلاثة قروء﴾	٢٢٨	٢٩٣، ٢٩٤
﴿والوالدات يرضعن أولادهن حولين كاملين لمن أراد أن يتم الرضاعة﴾	٢٣٣	١٨٦
﴿والذين يتوفون منكم ويذرون أزواجاً يتربصن بأنفسهن أربعة أشهر وعشراً﴾	٢٣٤	٨٥، ٢٩٣
﴿والذين يتوفون منكم ويذرون أزواجاً وصيّة لأزواجهم متاعاً إلى الحول غير إخراج﴾	٢٤٠	٨٥
﴿تلك الرسل فضلنا بعضهم على بعض، منهم من كلّم الله﴾	٢٥٣	٢٢٧
﴿يا أيها الذين آمنوا أنفقوا مما رزقناكم...﴾	٢٥٤	١٨٦
﴿وسع كرسيّه السمٰوات والأرض ولا يؤوده حفظهما﴾	٢٥٥	٢٢٣
﴿لا إكراه في الدين قد تبيّن الرشد من الغيّ﴾	٢٥٦	٨٧
﴿يا أيها الذين آمنوا إذا تداينتم بدين إلى أجل مسمى فاكتبوه﴾	٢٨٢	٢٩٦
﴿لا يكلّف الله نفساً إلاّ وسعها﴾	٢٨٦	١٩١
(سورة آل عمران)		
﴿هو الذي أنزل عليك الكتاب منه آيات محكمات...﴾ الآية	٧	٢٨١
﴿وترزق من تشاء بغير حساب﴾	٢٧	١٨٧
﴿قل إن كنتم تحبون الله فاتبعوني يحببكم الله﴾	٣١	٢٠٧
﴿ولتكن منكم أمة يدعون إلى الخير يأمرون بالمعروف﴾	١٠٤	٣٣٣
﴿ليس لك من الأمر شيء أو يتوب عليهم أو يعذبهم فإنهم ظالمون﴾	١٢٨	٢٤١

السورة والآية	رقم الآية في السورة	الصفحة
﴿وشاورهم في الأمر﴾	١٥٩	٣٢٩
﴿أحياء عند ربّهم يرزقون، فرحين بما آتاهم الله من فضله﴾	١٧٠، ١٧١	١٨٥
﴿ولا يحسبن الذين يبخلون بما آتاهم الله من فضله هو خيراً لهم بل هو شر لهم	١٨٠	٢٠٦
(سورة النساء)		
﴿فإن آنستم منهم رشداً فادفعوا إليهم أموالهم. . .﴾	٦	١٩٤
﴿ومن كان فقيراً فليأكل بالمعروف﴾	٦	١١٢
﴿يوصيكم الله في أولادكم للذكر مثل حظ الأنثيين. . .﴾ إلى قوله تعالى: ﴿وصيّة من الله، والله عليم حكيم﴾	١١، ١٢	٢٩٦
﴿وربائبكم اللاتي في حجوركم من نسائكم اللاتي دخلتم بهن﴾	٢٣	٣٢٧
﴿إن تجتنبوا كبائر ما تنهون عنه نكفر عنكم سيئاتكم. . .﴾ الآية	٣١	٢١١
﴿فلا وربك لا يؤمنون حتى يحكموك فيما شجر بينهم. . .﴾ الآية	٦٥	١٨٤
﴿من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين﴾	٦٩	١٨٢، ١٩٠
﴿ولو كان من عند غير الله لوجدوا فيه اختلافاً كثيراً﴾	٨٢	١٨٢
﴿إن تكونوا تألمون فإنهم يألمون كما تألمون وترجون من الله ما لا يرجون﴾	١٠٤	٣٤٤
﴿إنا أنزلنا إليك الكتاب بالحق لتحكم بين الناس بما أراك الله، ولا تكن للخائنين خصيماً﴾	١٠٥	٢٠٣، ٢٤٣
﴿ولولا فضل الله عليك ورحمته لهمّت طائفة منهم أن يضلّوك﴾	١١٣	٢٤٢
﴿لا خير في كثير من نجواهم إلاّ من أمر بصدقة. . .﴾ الآية	١١٤	٢٠٦
﴿لأتخذنّ من عبادك نصيباً مفروضاً﴾	١١٨	١٨٧

السورة والآية	رقم الآية في السورة	الصفحة
﴿آمنوا بالله ورسوله﴾	١٣٦	٣٣١
﴿إلاّ الذين تابوا وأصلحوا واعتصموا بالله وأخلصوا دينهم لله، فأولئك مع المؤمنين وسوف يؤتي الله المؤمنين أجراً عظيماً﴾	١٤٦	٣٣٢
﴿إن الذين يكفرون بالله ورسوله ويريدون أن يفرّقوا بين الله ورسله. . .﴾ إلى قوله تعالى: ﴿أولئك هم الكافرون حقاً، وأعتدنا للكافرين عذاباً مهيناً﴾	١٥٠	٣٣٢
﴿يسألك أهل الكتاب أن تنزل عليهم كتاباً من السماء، فقد سألوا موسى أكبر من ذلك فقالوا أرنا الله جهرة﴾	١٥٣	١٨٣
﴿وإن من أهل الكتاب إلاّ ليؤمنن به قبل موته﴾	١٥٩	٣٠٩
﴿ورسلاً قد قصصناهم عليك من قبل، ورسلاً لم نقصصهم عليك، وكلّم الله موسى تكليما﴾	١٦٤	٢٢٨
(سورة المائدة)		
﴿أحلّت لكم بهيمة الأنعام إلاّ ما يتلى عليكم﴾	١	٩
﴿يا أيها الذين آمنوا لا تحلّوا شعائر الله ولا الشهر الحرام، ولا الهدى ولا القلائد ولا آمين البيت الحرام، يبتغون فضلاً من ربّهم ورضواناً، وإذا حللتم فاصطادوا، ولا يجرمنكم شنئآن قوم أن صدوكم عن المسجد الحرام أن تعتدوا، وتعاونوا على البرّ والتقوى، ولا تعاونوا على الإثم والعدوان﴾	٢	١٨٨، ٢٩١، ٢٩٣، ٣٢٨
﴿حرمت عليكم الميتة والدم ولحم الخنزير. .﴾ الآية	٣	٩
﴿يسألونك ماذا أحلّ لهم، قل أحل لكم الطيّبات، وما علمتم من الجوارح﴾	٤	٢٩٧
﴿والمحصنات من الذين أوتوا الكتاب من قبلكم﴾	٥	١٨٩
﴿يا أيها الذين آمنوا إذا قمتم إلى الصلاة فاغسلوا وجوهكم وأيديكم إلى المرافق، وامسحوا برؤوسكم وأرجلكم إلى الكعبين﴾	٦	٢٩٧

السورة والآية	رقم الآية في السورة	الصفحة
﴿ولقد أخذ الله ميثاق بني إسرائيل وبعثنا منهم اثني عشر نقيباً، وقال الله إني معكم﴾	١٢	١٨٣
﴿يهدي به الله من اتّبع رضوانه سبل السلام﴾	١٦	٢٨٣، ٣٣٣، ٣٥٧
﴿يا أيها الذين آمنوا اتّقوا الله وابتغوا إليه الوسيلة﴾	٣٥	٢٠٧
﴿سماعون للكذب أكّالون للسحت﴾	٤٢	٨٨
﴿لكلّ جعلنا منكم شرعة ومنهاجاً، ولو شاء الله لجعلكم أمة واحدة. . .﴾ الآية	٤٨	١٩٧
﴿وأن احكم بينهم بما أنزل الله ولا تتبع أهواءهم﴾	٤٩	٨٩
﴿يا أيها الذين آمنوا من يرتدّ منكم عن دينه. . .﴾ الآية	٥٤	٢٠٧
﴿أولئك شر مكاناً وأضل عن سواء السبيل﴾	٦٠	٣١٥
﴿يا أيها الرسول بلّغ ما أنزل إليك من ربّك. . .﴾ الآية	٦٧	١٦٤
﴿ليس على الذين آمنوا وعملوا الصالحات جناح فيما طعموا. . .﴾ الآية	٩٣	٢٤٣
﴿يا أيها الذين آمنوا لا تقتلوا الصيد وأنتم حرم﴾	٩٥	٩١
﴿يا أيها الذين آمنوا لا تسألوا عن أشياء إن تبد لكم تسؤكم﴾	١٠١	١٨٣، ٢٠٧
﴿قد سألها قوم من قبلكم ثم أصبحوا بها كافرين﴾	١٠٢	٢٠٧
﴿يا أيها الذين آمنوا شهادة بينكم إذا حضر أحدكم الموت. . .﴾ الآية	١٠٦	٢٤٤
﴿واشهد بأننا مسلمون﴾	١١١	٣٤٨
(سورة الأنعام)		
﴿فاطر السمٰوات والأرض، وهو يطعم ولا يطعم﴾	١٤	١١(هـ)
﴿الذين آتيناهم الكتاب يعرفونه كما يعرفون أبناءهم﴾	٢٠	٣٠٩
﴿والله ربّنا ما كنا مشركين﴾	٢٣	١٣٦
﴿ولو ردوا لعادوا لما نهوا عنه، وإنهم لكاذبون﴾	٢٨	١٤١
﴿ولا تطرد الذين يدعون ربّهم بالغداة والعشي يريدون وجهه. . .﴾ الآية	٥٢	٢٤٥
﴿وكذلك فتنا بعضهم ببعض ليقولوا أهؤلاء من الله عليهم من بيننا﴾	٥٣	٢٤٧

السورة والآية	رقم الآية في السورة	الصفحة
﴿وإذا جاءك الذين يؤمنون بآياتنا فقل سلام عليكم كتب ربّكم على نفسه الرحمة﴾	٥٤	٢٤٧
﴿وعنده مفاتح الغيب لا يعلمها إلاّ هو. . .﴾ الآية	٥٩	١٩٨
﴿وهو القاهر فوق عباده، ويرسل عليكم حفظة قل الله ينجيكم منها﴾	٦١	١٨٩
﴿قل الله ينجيكم منها﴾	٦٤	٣٣٢
﴿فلمّا جنّ عليه الليل رأى كوكباً، قال هذا ربّي. . .﴾ الآيات	٧٦، ٧٩	٩٣
﴿الذين آمنوا ولم يلبسوا إيمانهم بظلم أولئك لهم الأمن وهم مهتدون﴾	٨٢	١٠
﴿ومن ذرّيته داوود وسليمان وأيوب ويوسف وموسى وهارون. . .﴾ الآية	٨٤	٣١٠
﴿وزكريا ويحيى وعيسى والياس كلّ من الصالحين وإسماعيل واليسع ويونس ولوطاً وكلاّ فضلنا على العالمين﴾	٨٥، ٨٦	١٨٩
﴿لا تدركه الأبصار وهو يدرك الأبصار﴾	١٠٣ ١٥٥، ١٥٦، ١٦٤،	٢٢١
﴿ولا تسبّوا الذين يدعون من دون الله فيسبّوا الله عدواً بغير علم﴾	١٠٨	٣٢٧
﴿كذلك زيّنا لكلّ أمة عملهم﴾	١٠٨	١٨٨
﴿وجعلوا لله مما ذرأ من الحرث والأنعام نصيباً. . .﴾ الآية	١٣٦	١٩٣
﴿سيقول الذين أشركوا لو شاء الله ما أشركنا ولا آباؤنا﴾	١٤٨، ١٤٩	٢٣٣
﴿هل ينظرون إلاّ أن تأتيهم الملائكة أو يأتي ربّك. . . الآية﴾	١٥٨	٢١٠، ٢٣٢
(سورة الأعراف)		
﴿فما كان دعواهم إذ جاءهم بأسنا إلاّ أن قالوا إنا كنا ظالمين﴾	٥	١٩٠

السورة والآية	رقم الآية في السورة	الصفحة
﴿فلنسألن الذين أرسل إليهم، ولنسألن المرسلين﴾	٦	١٩٠
﴿فلنقصنّ عليهم بعلم وما كنّا غائبين﴾	٧	١٩٠
﴿قالا ربّنا ظلمنا أنفسنا، وإن لم تغفر لنا وترحمنا لنكوننّ من الخاسرين﴾	٢٣	٨، ١٨٣
﴿فريقاً هدى وفريقاً حقّ عليهم الضلالة. . .﴾ الآية	٣٠	٢٨٣
﴿وتراهم ينظرون إليك وهم لا يبصرون﴾	٣٥	٣١٠
﴿لا نكلّف نفساً إلا وسعها﴾	٤٢	١٩١
﴿وبينهما حجاب، وعلى الأعراف رجال يعرفون كلاً بسيماهم. . .﴾ الآيات	٤٦، ٤٩	٩٦
﴿إن ربّكم الله الذي خلق السمٰوات والأرض في ستّة أيّام. . .﴾ الآية	٥٤	٢١٨
﴿وإلى ثمود أخاهم صالحاً قال يا قوم اعبدوا الله ما لكم من إلهٍ غيره. . .﴾ الآيات	٧٣ ـ ٧٩	١٩١، ٣٠١
﴿لنخرجنك يا شعيب والذين آمنوا معك من قريتنا. . .﴾ الآيتان	٨٨، ٨٩	١٤١
﴿ولو أن أهل القرى آمنوا واتقوا لفتحنا عليهم بركات من السماء والأرض. . .﴾ الآية	٩٦	١٩٩
﴿فأرسلنا عليهم الطوفان والجراد والقمل. . .﴾ الآية	١٣٣	٢٠٠
﴿قال ربّ أرني أنظر إليك، قال لن تراني، ولكن انظر إلى الجبل﴾	١٤٣	٢٢١
(سورة الأنفال)		
﴿وما كانوا أولياءه، إن أولياؤه إلاّ المتّقون﴾	٣٤	٣١١
﴿يا أيها الذين آمنوا إذا لقيتم فئة فاثبتوا. . .﴾ الآيات	٤٥ ـ ٤٧	٣٣٩
﴿وأعدّوا لهم ما استطعتم من قوّة﴾	٦٠	٢١٠، ٣٣٠، ٣٤٠
﴿هو الذي أيّدك بنصره وبالمؤمنين﴾	٦٢	٣٤٨
﴿يا أيها النبيّ حرّض المؤمنين على القتال. . .﴾ الآية	٦٥	٢٨٩
﴿الآن خفّف الله عنكم وعلم أن فيكم ضعفاً. . .﴾ الآية	٦٦	٢٩٠
﴿يا أيها النبيّ قل لمن في أيديكم من الأسرى﴾	٧٠	٢٤٨

السورة والآية	رقم الآية في السورة	الصفحة
(سورة التوبة)		
﴿فسيحوا في الأرض أربعة أشهر﴾	٢	٢٢٥
﴿فإذا انسلخ الأشهر الحرم فاقتلوا المشركين حيث وجدتموهم﴾	٥	٢٩١
﴿وإن أحد من المشركين استجارك فأجره حتى يسمع كلام الله﴾	٦	٢٢٨
﴿الذين آمنوا وهاجروا وجاهدوا في سبيل الله أعظم درجة عند الله﴾	٢٠	١٩٢
﴿يا أيها الذين آمنوا إنما المشركون نجس فلا يقربوا المسجد الحرام بعد عامهم هذا﴾	٢٨	١٨٨، ٢٩٣
﴿يوم يحمى عليها في نار جهنم فتكوى بها جباههم. . .﴾ الآية	٣٥	٣٤٥
﴿فلا تظلموا فيهن أنفسكم﴾	٣٦	٢٩١، ٣١١
﴿سيؤتينا الله من فضله ورسوله، إنا إلى الله راغبون﴾	٥٩	٣٣١
﴿والله ورسوله أحقّ أن يرضوه﴾	٦٢	٣٣١
﴿ومنهم من عاهد الله لئن آتانا من فضله لنصدّقنّ ولنكوننّ من الصالحين، فلمّا آتاهم من فضله بخلوا به وتولّوا وهم معرضون، فأعقبهم نفاقاً في قلوبهم إلى يوم يلقونه بما أخلفوا الله ما وعدوه وبما كانوا يكذبون﴾	٧٥، ٧٧	٢٤٨، ٢٤٩
﴿خذ من أموالهم صدقة تطهرهم وتزكّيهم بها﴾	١٠٣	٢٥١
﴿وما كان المؤمنون لينفروا كافة، فلولا نفر من كلّ فرقة منهم طائفة ليتفقهوا في الدين﴾	١٢٢	٣٣٢
(سورة يونس)		
﴿إنّ ربّكم الله الذي خلق السمٰوات والأرض في ستّة أيام ثم استوى على العرش، يدبّر الأمر ما من شفيع إلاّ من بعد إذنه﴾	٣	٢١٩
﴿ويقولون لولا أنزل عليه آية من ربّه﴾	٢٠	١٩٢

السورة والآية	رقم الآية في السورة	الصفحة
﴿للذين أحسنوا الحسنى وزيادة. . .﴾ الآية	٢٦	٢٢٢
﴿هل من شركائكم من يبدأ الخلق ثم يعيده﴾	٣٤	٣٠٧
﴿أفأنت تسمع الصمّ ولو كانوا لا يعقلون﴾	٤٢	٣٠٧
﴿وما يتبع الذين يدعون من دون الله شركاء إن يتبعون إلاّ الظن﴾	٦٦	١٣٦، ١٣٧
﴿إلاّ قوم يونس لمّا آمنوا كشفنا عنهم عذاب الخزي في الحياة الدنيا﴾	٩٨	١٤١
(سورة هود)		
﴿كتاب أحكمت آياته ثمّ فصّلت من لدن حكيم خبير﴾	١	٢٨٢
﴿أم يقولون افتراه قل إن افتريته فعلي إجرامي وأنا بريء مما تجرمون﴾	٣٥	٣١١
﴿ولقد جاءت رسلنا إبراهيم بالبشرى قالوا سلاماً قال سلام﴾	٦٩	٣١٤
﴿فبشرناها بإسحاق ومن وراء إسحاق يعقوب﴾	٧١	١٢٢، ١٢٧
﴿وإلى مدين أخاهم شعيباً. . .﴾ إلى قوله تعالى: ﴿كما بعدت ثمود﴾	٨٤ ـ ٩٥	٢٩٨
﴿واستغفروا ربّكم ثمّ توبوا إليه، إن ربي رحيم ودود﴾	٩٠	٣١٤
﴿وأقم الصلاة طرفي النهار وزلفا من الليل. . .﴾ الآية	١١٤	٢١٠
(سورة يوسف)		
﴿نحن نقصّ عليك أحسن القصص﴾	٢	٢٩٨
﴿إذ قال يوسف لأبيه يا أبت إني رأيت أحد عشر كوكباً والشمس والقمر رأيتهم لي ساجدين. . .﴾ إلى قوله: ﴿إن ربك حكيم عليم﴾	٤ ـ ٦	٣٠٢، ٣٥١، ٣٥٣، ٣٥٧
﴿لقد كان في يوسف وإخوته آيات للسائلين﴾	٨	٢٩٨، ٣٥١
﴿إذ قالوا ليوسف وأخوه أحبّ إلى أبينا منا. . .﴾ الآية	٨	٣٥٢
﴿اقتلوا يوسف أو اطرحوه أرضاً يخل لكم وجه أبيكم﴾	٩	٣٥٣
﴿ولمّا بلغ أشدّه آتيناه حكماً وعلماً، وكذلك نجزي المحسنين﴾	٢٢	٣٥٨

السورة والآية	رقم الآية في السورة	الصفحة
﴿وراودته التي هو في بيتها عن نفسه. . .﴾ إلى قوله تعالى: ﴿وإن كان قميصه قدّ من دبر فكذبت وهو من الصّادقين﴾	٢٣ ـ ٢٧	٣٥٢، ٣٥٤
﴿ودخل معه السجن فتيان. . .﴾ إلى قوله تعالى: ﴿وقال الآخر إني أراني أحمل فوق رأسي خبزاً﴾	٣٦ ـ ٤١	٣٥٢
﴿وقال الملك إني أرى سبع بقرات سمان. . .﴾ إلى قوله تعالى: ﴿ثم يأتي من بعد ذلك عام فيه يغاث الناس وفيه يعصرون﴾	٤٢ ـ ٤٩	٣٣٨، ٣٥٢، ٣٥٥
﴿ذلك ليعلم أني لم أخنه بالغيب، وأن الله لا يهدي كيد الخائنين﴾	٥٢	٣١٢
﴿قال اجعلني على خزائن الأرض، إني حفيظ عليم﴾	٥٥	٣٥٥
﴿نصيب برحمتنا من نشاء ولا نضيع أجر المحسنين. . .﴾ إلى قوله تعالى: ﴿وكانوا يتّقون﴾	٥٦، ٥٧	٣٥٨
﴿ولمّا فتحوا متاعهم وجدوا بضاعتهم ردت إليهم﴾	٦٥	٣٥٨
﴿جعل السقاية في رحل أخيه، ثم أذن مؤذن أيّتها العير إنكم لسارقون. . .﴾ إلى قوله تعالى: ﴿كذلك كدنا ليوسف. . .﴾ الآية	٧٠ ـ ٧٦	٣٥٣
﴿معاذ الله أن نأخذ إلاّ من وجدنا متاعنا عنده﴾	٧٩	٣٥٨
﴿مسّنا وأهلنا الضرّ وجئنا ببضاعة مزجاة﴾	٨٨	٣٥٩
﴿يا أبت هذا تأويل رؤياي من قبل قد جعلها ربّي حقّاً﴾	١٠٠	٣٥٢
﴿لقد كان في قصصهم عبرة لأولي الألباب ما كان حديثاً يفترى ولكن تصديق الذي بين يديه﴾	١١١	٢٩٨، ٣٥٠
﴿ولكن تصديق الذي بين يديه وتفصيل كلّ شيء وهدى ورحمة لقوم يؤمنون﴾	١١١	٣٥٦، ٣٥٧
(سورة الرعد)		
﴿الله الذي رفع السمٰوات بغير عمد ترونها ثم استوى على العرش. . .﴾ الآية	٢	٢١٩

السورة والآية	رقم الآية في السورة	الصفحة
﴿وجعلوا لله شركاء، قل سمّوهم، أم تنبئونه بما لا يعلم في الأرض. . .﴾ الآية	٣٣	١٨٥
﴿وإن ما نرينك بعض الذي نعدهم أو نتوفينك فإنما عليك البلاغ وعلينا الحساب﴾	٤٠	٩٩
﴿أو لم يروا أنا نأتي الأرض ننقصها من أطرافها. . .﴾ الآية	٤١	٩٨
(سورة إبراهيم)		
﴿ويأتيه الموت من كلّ مكان وما هو بمّيت﴾	١٧	١٩٢
(سورة الحجر)		
﴿ولقد آتيناك سبعاً من المثاني والقرآن العظيم﴾	٨٧	٩٩
(سورة النحل)		
﴿وقال الذين أشركوا لو شاء الله ما عبدنا من دونه من شيء نحن ولا آباؤنا﴾	٣٥	٢٣٣، ٢٣٥
﴿فمنهم من هدى الله ومنهم من حقّت عليه الضلالة، فسيروا في الأرض﴾	٣٦	٢٢٧
﴿ولأجر الآخرة أكبر لو كانوا يعلمون﴾	٤١	١٩٢
﴿فاسألوا أهل الذكر إن كنتم لا تعلمون﴾	٤٣	١٨٤، ٣٤٥
﴿وأنزلنا إليك الذكر لتبيّن للناس ما نزل إليهم. . .﴾ الآية	٤٤	١٠، ٢٠٣
﴿يخافون ربّهم من فوقهم ويفعلون ما يؤمرون﴾	٥٠	٢٢٤
﴿ويجعلون لما لا يعلمون نصيباً مما رزقناهم. . .﴾ الآية	٥٦	١٩٣
﴿وما أنزلنا عليك الكتاب إلاّ لتبيّن لهم الذي اختلفوا فيه. . .﴾ الآية	٦٤	٢٠٣
﴿وإن لكم في الأنعام لعبرة، نسقيكم ممّا في بطونه من بين فرث ودم لبناً خالصاً. . .﴾ الآية	٦٦	١٩٧
﴿ومن ثمرات النخيل والأعناب تتّخذون منه سكراً ورزقاً حسناً. . .﴾ الآية	٦٧	١٠١

السورة والآية	رقم الآية في السورة	الصفحة
﴿والله خلقكم ثم يتوفّاكم، ومنكم من يردّ إلى أرذل العمر...﴾ الآية	٧٠	١٩٣
﴿وجعل لكم من جلود الأنعام بيوتاً تستخفونها يوم ظعنكم...﴾ الآية	٨٠	١٩٧
﴿وجعل لكم سرابيل تقيكم الحرّ وسرابيل تقيكم بأسكم...﴾ الآية	٨١	١٠٧
﴿إنه ليس له سلطان على الذين آمنوا...﴾ إلى قوله تعالى: ﴿والذين هم به مشركون﴾	٩٩، ١٠٠	١٨٧
﴿إن إبراهيم كان أمه قانتا لله حنيفاً﴾	١٢٠	٣٣٨
﴿لنريه من آياتنا إنه هو السميع البصير﴾	١	١٦٣
﴿إن هذا القرآن يهدي للتي هي أقوم﴾	٩	٧، ٣٥٧
﴿ولا تزر وازرة وزر أخرى﴾	١٥	٣١٢
﴿ولا تقربوا مال اليتيم إلاّ بالتي هي أحسن حتى يبلغ أشدّه﴾	٣٤	١٩٤
﴿قل ادعوا الذين زعمتم من دونه فلا يملكون كشف الضرّ عنكم...﴾ الآية	٥٦	١٠٤، ١٠٥
﴿لن نؤمن لك حتى تفجر لنا من الأرض ينبوعاً﴾	٩٠	١٩٢
(سورة الكهف)		
﴿واصبر نفسك مع الذين يدعون ربهم بالغداة والعشي﴾	٢٨	٢٤٧
﴿ويقولون يا ويلتنا مال هذا الكتاب لا يغادر صغيرة...﴾ الآية	٤٩	١٩٦
﴿أفحسب الذين كفروا أن يتّخذوا عبادي من دوني أولياء﴾	١٠٢	١٠٣
﴿قل هل ننبئكم بالأخسرين أعمالاً، الذين ضلّ سعيهم في الحياة الدنيا...﴾ الآية	١٠٣، ١٠٤	١٨٨
(سورة مريم)		
﴿قال ربّ إنّي وهن العظم منّي واشتعل الرأس شيباً و...﴾ إلى قوله تعالى: ﴿واجعله رب رضيّا﴾	٤ ـ ٦	٤٢، ١٩٦

السورة والآية	رقم الآية في السورة	الصفحة
﴿فلمّا اعتزلهم وما يعبدون من دون الله وهبنا له إسحاق﴾	٤٩	١٣٢
﴿واذكر في الكتاب موسى إنه كان مخلصاً. . . .﴾ إلى قوله تعالى: ﴿وقرّبناه نجيّاً﴾	٥١، ٥٢	٢٢٨
﴿واذكر في الكتاب إسماعيل إنه كان صادق الوعد. . .﴾ الآية	٥٤	١٢٧
﴿جنات عدن التي وعد الرحمٰن عباده بالغيب. . .﴾ الآية	٦١	١٠٥
﴿إن الذين آمنوا وعملوا الصالحات سيجعل لهم الرحمٰن ودّاً﴾	٩٦	٢١١
(سورة طه)		
﴿الرحمن على العرش استوى﴾	٥	٢١٨، ٢٢٠
﴿إنني أنا الله لا إله إلاّ أنا﴾	١٤	٢٣٠
﴿واجعل لي وزيراً من أهلي، هارون أخي. . .﴾ إلى قوله تعالى: ﴿ونذكرك كثيراً﴾	٢٩ ٣٤	٣٤٨
﴿فقولا له قولاً ليّناً لعلّه يتذكّر أو يخشى﴾	٤٤	١٩٤
﴿ولأصلبنكم في جذوع النخل﴾	٧١	٢٢٦
(سورة الأنبياء)		
﴿اقترب للناس حسابهم وهم في غفلة معرضون﴾	١	٢١٢
﴿فاسئلوا أهل الذكر إن كنتم لا تعلمون﴾	٧	١٨٤، ٣٤٥
﴿أفلا يرون أنا نأتي الأرض ننقصها من أطرافها. . .﴾ الآية	٤٤	٩٩
﴿ونضع الموازين القسط ليوم القيامة. . .﴾ الآية	٤٧	١٩٥
﴿الذين يخشون ربّهم بالغيب وهم من الساعة مشفقون﴾	٤٩	٣١٨
﴿قالوا أنت فعلت هذا بآلهتنا يا إبراهيم﴾	٦٢	٣٠٨
﴿وسخّرنا مع داوود الجبال يسبحن والطير﴾	٧٩	٢٣٠
﴿وعلمناه صنعة لبوس لكم لتحصنكم من بأسكم. . .﴾ الآية	٨٠	١٠٧
﴿وإسماعيل وإدريس وذا الكفل كلّ من الصابرين﴾	٨٥	١٢٧

السورة والآية	رقم الآية في السورة	الصفحة
﴿ونجّيناه من الغمّ وكذلك ننجي المؤمنين﴾	٨٨	٣٤٧
﴿وزكريّا إذ نادى ربّه ربّ لا تذرني فرداً وأنت خير الوارثين﴾	٨٩	١٩٦
﴿وإن هذه أمّتكم أمة واحدة﴾	٩٢	٣٣٨
﴿يوم نطوي السماء كطي السجّل للكتب﴾	١٠٤	٢٠١
(سورة الحج)		
﴿هل يذهبن كيده ما يغيظ﴾	١٥	٣٠٨
﴿فاجتنبوا الرجس من الأوثان واجتنبوا قول الزور﴾	٣٠	٣١٦
﴿ومن يعظم شعائر الله فإنها من تقوى القلوب﴾	٣٢	١٨٥
﴿لكلّ أمة جعلنا منسكاً هم ناسكوه﴾	٣٤	١٩٦
﴿الذين إذا ذكر الله وجلت قلوبهم، والصابرن على ما أصابهم. . .﴾ الآية	٣٥	٣١٦
﴿فينسخ الله ما يلقي الشيطان، ثم يحكم الله آياته﴾	٥٢	٢٨٥
﴿وما جعل عليكم في الدين من حرج﴾	٧٨	١٩١
(سورة المؤمنون)		
﴿وقد خلقنا فوقكم سبع طرائق وما كنّا عن الخلق غافلين﴾	١٧	١٩٠
﴿وإن لكم في الأنعام لعبرة، نسقيكم مما في بطونها. . .﴾ الآية	٢١	١٩٧
﴿وإن هذه أمّتكم أمة واحدة﴾	٥٢	٣٣٨
﴿مستكبرين به سامراً تهجرون﴾	٦٧	٣١٢
﴿ولو رحمناهم وكشفنا ما بهم من ضر. . .﴾ الآية	٧٥	١٤١
﴿ومن يدع مع الله إله آخر لا برهان له به﴾	١١٧	٣٢٦
(سورة النور)		
﴿الزاني لا ينكح إلاّ زانية أو مشركة، والزّانية لا ينكحها إلاّ زان. . .﴾ الآية	٣	٢١٢
﴿ولولا فضل الله عليكم ورحمته وأن الله تواب حكيم﴾	١٠	٣١٦

السورة والآية	رقم الآية في السورة	الصفحة
﴿لا يأتل أولوا الفضل منكم والسعة أن يؤتوا أولي القربى...﴾ الآية	٢٢	٢٦٥
﴿يا أيها الذين آمنوا لا تدخلوا بيوتاً غير بيوتكم حتى تستأنسوا...﴾ الآية	٢٧	٢١٢
﴿قل للمؤمنين يغضّوا من أبصارهم﴾	٣٠	٣١٦
﴿ولا يضربن بأرجلهن ليعلم ما يخفين من زينتهن﴾	٣١	٣٢٨
﴿إنّما كان قول المؤمنين إذا دعوا إلى الله ورسوله أن يقولوا سمعنا وأطعنا﴾	٥١	١٨٤
﴿ليس على الأعمى حرج ولا على الأعرج حرج ولا على المريض حرج...﴾ الآية	٦١	١١٠
﴿أو ما ملكتم مفاتحه...﴾	٦١	١١١
(سورة الفرقان)		
﴿واتّخذوا من دونه آلهة لا يخلقون شيئاً وهم يخلقون...﴾ الآية	٣	١٩٥، ٣٠٧
﴿لولا أنزل إليه ملك فيكون معه نذيراً﴾	٧	١٩٢
﴿ويوم تشقّق السماء بالغمام ونزّل الملائكة تنزيلاً﴾	٢٥	٢٠١، ٢٣٣
﴿ويوم يعضّ الظالم على يديه...﴾ إلى قوله تعالى: ﴿وكان الشيطان للإنسان خذولاً﴾	٢٧ ـ ٢٩	٢٠٠
(سورة الشعراء)		
﴿فكذبوه فأهلكناهم، إن في ذلك لآية، وما كان أكثرهم مؤمنين﴾	١٣٩	١٩٨
﴿لها شرب ولكم شرب يوم معلوم﴾	١٥٥	١٩١
(سورة النمل)		
﴿وتفقّد الطير، فقال ما لي لا أرى الهدهد أم كان من الغائبين﴾	٢٠	٣٠٣
﴿قل لا يعلم من في السمٰوات والأرض الغيب إلاّ الله... الآية﴾	٦٥	١٦٤، ١٩٨

السورة والآية	رقم الآية في السورة	الصفحة
(سورة القصص)		
﴿ولمّا بلغ أشدّه واستوى﴾	١٤	٢١٨
﴿الذين آتيناهم الكتاب من قبله هم به يؤمنون. . .﴾ إلى قوله تعالى: ﴿ومما رزقناهم ينفقون﴾	٥٢ ـ ٥٤	١٧٠ ـ ١٧٢
﴿ويوم يناديهم فيقول ماذا أجبتم المرسلين﴾	٦٥	١٩٠
(سورة العنكبوت)		
﴿ألم، أحسب الناس أن يتركوا أن يقولوا آمّنا وهم لا يفتنون. . .﴾ الآيات	١ ـ ٣	١٨٦
﴿وإبراهيم إذ قال لقومه اعبدوا الله واتقوه. . .﴾ الآية	١٦	٣١٥
(سورة الروم)		
﴿وإذا مسّ الناس ضرّ دعوا ربّهم منيبين إليه. . .﴾ الآية	٣٣	٣٤٦
﴿الله الذي خلقكم من ضعف، ثم جعل من بعد ضعف قوّة وشيبا. . .﴾ الآية	٥٤	١٩٣
(سورة لقمان)		
﴿يا بني لا تشرك بالله إنّ الشرك لظلم عظيم﴾	١٣	١٠
﴿إنّ الله عنده علم الساعة، وينزّل الغيث. . .﴾ الآية	٣٤	١٩٨
﴿ما خلقكم ولا بعثكم إلاّ كنفس واحدة﴾	٦٨	٤٥
(سورة السجدة)		
﴿الله الذي خلق السمٰوات والأرض وما بينهما في ستّة أيام ثم استوى على العرش﴾	٤	٢٢٠
﴿فلا تعلم نفس ما أخفي لهم من قرّة أعين. . .﴾ الآية	١٧	١٠٦، ٢١٤
﴿ويقولون متى هذا الفتح إن كنتم صادقين. . .﴾ إلى قوله تعالى: ﴿فانتظر إنهم منتظرون﴾	٢٨ ـ ٣٠	١٤٨
(سورة الأحزاب)		
﴿ولمّا رأى المؤمنون الأحزاب قالوا هذا ما وعدنا الله ورسوله. . .﴾ الآية	٢٢	١٩٩

السورة والآية	رقم الآية في السورة	الصفحة
﴿فلا تخضعن بالقول فيطمع الذي في قلبه مرض﴾	٣٢	٣٢٨
﴿إن المسلمين والمسلمات. . .﴾ إلى آخر الآية	٣٥	٣٢٥
﴿وما كان لمؤمن ولا مؤمنة إذا قضى الله ورسوله أمراً. . .﴾ الآية	٣٦	١٨٤
﴿يا أيها الذين آمنوا إذا نكحتم المؤمنات ثمّ طلقتموهن. . .﴾ الآية	٤٩	٢٩٣، ٢٩٩
﴿وما كان لكم أن تؤذوا رسول الله، ولا أن تنكحوا أزواجه من بعده. . .﴾ الآية	٥٣	٢٦٢
﴿وقالوا ربّنا إنّا أطعنا سادتنا وكبرائنا فأضلّونا السبيل﴾	٦٧	١٩٩
(سورة سبأ)		
﴿وألنا له الحديد﴾	١٠	١٠٨
﴿ولقد صدق عليهم إبليس ظنّه فاتبعوه إلاّ فريقاً من المؤمنين. . .﴾ إلى قوله تعالى: ﴿وربّك على كلّ شيء حفيظ﴾	٢٠، ٢١	١١٦، ١٨٧
﴿قل ادعوا الذين زعمتم من دون الله لا يملكون مثقال ذرّة. . .﴾ الآيتان	٢٢، ٢٣	١١٦
﴿حتى إذا فزع عن قلوبهم قالوا ماذا قال ربّكم. . .﴾ الآية	٢٣	١١٣، ٣١٣
﴿وما أموالكم ولا أولادكم بالتي تقرّبكم عندنا زلفى. . .﴾ الآية	٣٧	١٨٧
﴿ويوم يحشرهم جميعاً، ثم يقول للملائكة أهؤلاء إيّاكم كانوا يعبدون. . .﴾ الآيتين	٣٩، ٤٠	١٠٤
(سورة فاطر)		
﴿ويوم القيامة يكفرون بشرككم﴾	١٤	١٣٦، ١٣٧
﴿ولا تزر وازرة وزر أخرى﴾	١٨	٣١٢
﴿وإن من أمّة إلاّ خلا فيها نذير﴾	٢٤	٣٣٨
﴿لا يقضى عليهم فيموتوا ولا يخفّف عنهم من عذابها. . .﴾ الآية	٣٦	١٩٢

السورة والآية	رقم الآية في السورة	الصفحة
(سورة يس)		
﴿وآية لهم أنا حملنا ذرّيتهم في الفلك المشحون، وخلقنا لهم من مثله ما يركبون﴾	٤١، ٤٢	١١٧
﴿واتخذوا من دون الله آلهة لعلّهم ينصرون. . .﴾ إلى قوله تعالى: ﴿وهم لهم جند محضرون﴾	٧٤، ٧٥	١٩٥
﴿قال من يحيى العظام وهي رميم﴾	٧٨	٣٠٨
(سورة الصافات)		
﴿ولقد نادانا نوح فلنعم المجيبون﴾	٧٥	٢٠٠
﴿وإذ قال لأبيه وقومه ماذا تعبدون﴾	٨٥	٣٠٨
﴿وقال إني ذاهب إلى ربّي سيهدين. . . كذلك نجزي المحسنين﴾	٩٩، ١٠٠	١٢٨
﴿فبشّرناه بغلام حليم. . .﴾ إلى قوله تعالى: ﴿ومن ذريتهما محسن وظالم لنفسه مبين﴾	١٠١ـ١١٣ ١٢٢، ١٢٦، ١٢٧،	٣٤٤
﴿فلولا أنه كان من المسبّحين، للبث في بطنه إلى يوم يبعثون﴾	١٤٣، ١٤٤	٣٤٧
(سورة ص)		
﴿قل ما أسألكم عليه من أجر، وما أنا من المتكلّفين﴾	٨٦	١٤٠
(سورة الزمر)		
﴿الله نزّل أحسن الحديث كتاباً متشابهاً﴾	٢٣	٢٨٢
﴿أو تقول لو أن الله هداني لكنت من المتقين﴾	٥٧	٣١٧
﴿والأرض جميعاً قبضته يوم القيامة، والسمٰوات مطوّيات بيمينه﴾	٦٧	٢٠١
(سورة غافر)		
﴿ألم تر إلى الذين يجادلون في آيات الله أنى يصرفون. . .﴾ الآيات	٦٩ ـ ٧٤	١٣٥
﴿فلمّا رأوا بأسنا قالوا آمنّا بالله وحده. . .﴾ الآيتان	٨٤، ٨٥	٢٠٩

السورة والآية	رقم الآية في السورة	الصفحة
(سورة فصّلت)		
﴿وقالوا لجلودهم لم شهدتم علينا، قالوا أنطقنا الله... الآية﴾	٢١	٢٣٠
﴿لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه...﴾ الآية	٤٢	٧
﴿سنريهم آياتنا في الآفاق وفي أنفسهم...﴾ الآية	٥٣	٤٥
(سورة الشورى)		
﴿وأمرهم شورى بينهم﴾	٣٨	٣٢٩، ٣٣٣
﴿وما كان لبشر أن يكلّمه الله إلاّ وحياً أو من وراء حجاب...﴾ الآية	٥١	١٥٦، ١٦٤
﴿وإنك لتهدي إلى صراط مستقيم، صراط الله...﴾ الآية	٥٢	٢٠٤
(سورة الزخرف)		
﴿وما نريهم من آية إلاّ هي أكبر من أختها﴾	٤٨	٢٠٠
﴿وتبارك الذي له ملك السمٰوات والأرض وما بينهما...﴾ الآية	٨٥	٣١٧
﴿ولا يملك الذين يدعون من دونه الشفاعة إلاّ من شهد بالحق﴾	٨٦	١٠٤، ١٠٥
(سورة الدخان)		
﴿فارتقب يوم تأتي السماء بدخان مبين...﴾ إلى قوله تعالى: ﴿يوم نبطش البطشة الكبرى إنا منتقمون﴾	١٠ ـ ١٦	١٣٨، ١٣٩، ١٤٢
(سورة الأحقاف)		
﴿ومن أضلّ ممن يدعو من دون الله من لا يستجيب له إلى يوم القيامة وهم عن دعائهم غافلون...﴾ إلى قوله تعالى: ﴿وكانوا بعبادتهم كافرين﴾	٥، ٦	١٣٦، ١٣٧
﴿وحمله وفصاله ثلاثون شهراً﴾	١٥	١٨٦
(سورة محمّد)		
﴿فاعلم أنه لا إله إلاّ الله، واستغفر لذنبك...﴾ الآية	١٩	٣٣٨

السورة والآية	رقم الآية في السورة	الصفحة
(سورة الفتح)		
﴿لتؤمنوا بالله ورسوله وتعزّروه وتوقّروه. . .﴾ الآية	٩	٣٣١
(سورة ق)		
﴿تبصرة وذكرى لكلّ عبد منيب﴾	٩	٣٤١
﴿عن اليمين وعن الشمال قعيد، ما يلفظ من قول إلاّ لديه رقيب عتيد﴾	١٧، ١٨	١٨٩
(سورة الذرايات)		
﴿إنّ المتّقين في جنّات وعيون. . .﴾ إلى قوله تعالى: ﴿محسنين﴾	١٥، ١٦	١٤٨
﴿هل أتاك حديث ضيف إبراهيم المكرمين﴾	٢٤	٣٠٠
(سورة النجم)		
﴿وما ينطق عن الهوى، إن هو إلاّ وحي يوحى﴾	٣، ٤	٣٢٢
﴿علّمه شديد القوى، ذو مرّة فاستوى. . .﴾ الآيات	٥ـ١٨	١٥٠، ١٥٢، ١٦١، ١٦٨
﴿إن هي إلاّ أسماء سمّيتموها أنتم وآباؤكم. . .﴾ الآية	٢٣	١٨٥
(سورة الرحمٰن)		
﴿ولمن خاف مقام ربّه جنتان﴾	٤٦	٣٥٤
(سورة الحديد)		
﴿هو الذي خلق السمٰوات والأرض في ستّة أيّام ثم استوى على العرش. . .﴾ الآية	٤	٢٢١
﴿فالذين آمنوا منكم وأنفقوا لهم أجر كبير﴾	٧	١٧٣
﴿ألم نكن معكم، قالوا بلى، ولكنّكم فتنتم أنفسكم. . .﴾ الآية	١٤	١٨٨
﴿والشهداء عند ربّهم لهم أجرهم ونورهم. . .﴾ الآية	١٩	٢١٥
﴿يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وآمنوا برسوله. . .﴾ الآية	٢٨	١٦٩، ١٧١، ١٧٢
(سورة المجادلة)		
﴿أحصاه الله ونسوه﴾	٥	١٩٠

السورة والآية	رقم الآية في السورة	الصفحة
﴿يا أيها الذين آمنوا إذا ناجيتم الرسول فقدّموا بين يدي نجواكم صدقة﴾	١٢	٢٨٦
﴿أأشفقتم أن تقدموا بين يدي نجواكم صدقة. . .﴾ الآية	١٣	٢٨٦
(سورة الحشر)		
﴿هو الذي أخرج الذين كفروا من أهل الكتاب من ديارهم لأوّل الحشر. . .﴾ الآية	٢	٣٤٧
﴿وما آتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا﴾	٧	٣٠٢
(سورة الممتحنة)		
﴿يا أيها الذين آمنوا لا تتّخذوا عدوّي وعدوّكم أولياء. . .﴾ الآية	١	٢٦٦، ٢٦٧
(سورة الصفّ)		
﴿فلمّا زاغوا أزاغ الله قلوبهم﴾	٥	٢٨٣
(سورة الجمعة)		
﴿يا أيها الذين آمنوا إذا نودى للصلاة من يوم الجمعة فاسعوا إلى ذكر﴾	٩	٣٢٨
(سورة التغابن)		
﴿فاتّقوا الله ما استطعتم﴾	١٦	١٩١، ٣٣١، ٣٣٣
(سورة الطلاق)		
﴿ومن يتّق الله يجعل له مخرجاً. . .﴾ إلى قوله: ﴿ومن يتوكّل على الله فهو حسبه﴾	٢، ٣	١٨٧
﴿وأولات الأحمال أجلهن أن يضعن حملهن﴾	٤	٢٩٣
﴿لا يكلّف الله نفساً إلاّ ما آتاها﴾	٧	١٩١
(سورة الملك)		
﴿ألا يعلم من خلق وهو اللطيف الخبير﴾	١٤	٢١٨
﴿أأمنتم من في السماء﴾	١٦	٢٢٤، ٢٢٦

السورة والآية	رقم الآية في السورة	الصفحة
(سورة ن)		
﴿أن كان ذا مال وبنين، إذا تتلى عليه آياتنا قال أساطير الأولين﴾	١٤، ١٥	٢٩٤
﴿يوم يكشف عن ساق ويدعون إلى السجود فلا يستطيعون﴾	٤٢	٢٣٦
(سورة الحاقة)		
﴿الحاقّة، ما الحاقّة، وما أدراك ما الحاقّة﴾	١ ـ ٣	٩
﴿وأما عاد فأهلكوا بريح صرصر عاتية. . .﴾ إلى قوله تعالى: ﴿كأنهم أعجاز نخل خاوية﴾	٦، ٧	١٧٣، ١٩٨
﴿فهل ترى لهم من باقية﴾	٨	٣٠٨
﴿إنّا لما طغى الماء حملناكم في الجارية﴾	١١	١٧٥
﴿فإذا نفخ في الصور نفخة واحدة. . .﴾ إلى قوله تعالى: ﴿فيومئذ وقعت الواقعة﴾	١٣ ـ ١٥	٩
﴿ثمّ في سلسلة ذرعها سبعون ذراعاً فاسلكوه﴾	٣٢	٢٠١
(سورة المعارج)		
﴿إن الإنسان خلق هلوعاً، إذا مسّه الشرّ جزوعاً، وإذا مسّه الخير منوعاً﴾	١٩ ـ ٢١	٩
(سورة نوح)		
﴿وقال نوح ربّ لا تذر على الأرض من الكافرين ديّاراً. . .﴾ الآيتان	٢٦، ٢٧	٢٠٠
(سورة الجن)		
﴿فزادوهم رهقاً﴾	٦	٣١٣
(سورة المزّمل)		
﴿وما تقدّموا لأنفسكم من خير تجدوه عند الله﴾	٢٠	١٨٧
(سورة المدثر)		
﴿ذرني ومن خلقت وحيداً، وجعلت له مالاً ممدوداً. . .﴾ الآيات	١١ ـ ٣٠	٢٦٨

السورة والآية	رقم الآية في السورة	الصفحة
﴿وما يذكرون إلاّ أن يشاء الله، هو أهل التقوى وأهل المغفرة﴾	٥٦	٢٣٥
(سورة القيامة)		
﴿وجوه يومئذ ناضرة، إلى ربّها ناظرة﴾	٢٢، ٢٣	٢٢٢
(سورة الإنسان)		
﴿إنّا أعتدنا للكافرين سلاسل وأغلالاً وسعيراً﴾	٤	٢٠١
(سورة المرسلات)		
﴿لأي يوم أجّلت﴾	١٢	٣٠٩
(سورة النازعات)		
﴿فقل هل لك إلى أن تزكّى، وأهديك إلى ربّك فتخشى﴾	١٨، ١٩	١٩٤
(سورة عبس)		
﴿عبس وتولّى، أن جاءه الأعمى...﴾ إلى قوله تعالى: ﴿فأنت عنه تلّهى﴾	١ ـ ١٠	٢٦٩
(سورة التكوير)		
﴿وإذا السماء كشطت﴾	١١	٢٠١
﴿ولقد رآه بالأفق المبين﴾	٢٢	١٦٤
﴿وما تشاؤون إلاّ أن يشاء الله ربّ العالمين﴾	٢٩	٢٣٦
(سورة الانفطار)		
﴿وإنّ عليكم لحافظين، كراماً كاتبين، يعلمون ما تفعلون﴾	١٠، ١٢	١٨٩
(سورة المطففّين)		
﴿كلاّ إنّهم عن ربّهم يومئذ لمحجوبون﴾	١٥	٢٢٣
(سورة البروج)		
﴿ذو العرش المجيد﴾	١٥	٣١٧

السورة والآية	رقم الآية في السورة	الصفحة
(سورة الأعلى)		
﴿سبّح اسم ربّك الأعلى﴾	١	٢٢٤
﴿قد أفلح من تزكّى، وذكر اسم ربّه فصلّى﴾	١٤، ١٥	٣٤٤
(سورة الغاشية)		
﴿وجوه يومئذ خاشعة، عاملة ناصبة، تصلى ناراً حامية، تسقى من عين آنية﴾	٢ ـ ٥	١٧٧
(سورة الفجر)		
﴿وجاء ربّك والملك صفّا صفّا﴾	٢٢	٢٣٢
(سورة والشمس وضحاها)		
﴿والسماء وما بناها﴾	٥	٣١٨
(سورة الليل)		
﴿فأما من أعطى واتّقى، وصدّق بالحسنى. . .﴾ الآيات	٥ ـ ١٩	٢٧١
(سورة العلق)		
﴿اقرأ باسم ربّك الذي خلق﴾	١	٢٣٩
﴿علّم الإنسان ما لم يعلم﴾	٥	٤٥
﴿كلاّ لئن لم ينته. . .﴾ إلى قوله تعالى: ﴿واسجد واقترب﴾	١٥ ـ ١٩	٢٧٢
(سورة الزلزلة)		
﴿فمن يعمل مثقال ذرّة خيراً يره، ومن يعمل مثقال ذرّة شرّاً يره﴾	٧، ٨	١٩٥
(سورة العاديات)		
﴿وإنه على ذلك لشهيد﴾	٧	٣١٣
(سورة القارعة)		
﴿القارعة، ما القارعة، وما أدراك ما القارعة، يوم يكون الناس كالفراش المبثوث﴾	١ ـ ٤	٩

السورة والآية	رقم الآية في السورة	الصفحة
(سورة الصمد)		
﴿قل هو الله أحد، الله الصمد﴾	١، ٢	٢٢٥

فهرس الأحاديث النبوية

الحديث	رقم الصفحة
(حرف الهمزة)	
«إذا أتيتم الغائط فلا تستقبلوا القبلة...» الحديث	٤٤
«السلام عليكم أأدخل»	٢١٤
«أشرف علينا رسول الله ﷺ من غرفة ونحن نتذاكر الساعة» فقال رسول الله ﷺ: «لا تقوم الساعة...»	١٤٣
«الصلوات الخمس والجمعة إلى الجمعة ورمضان إلى رمضان مكفّرات لما بينهن...» الحديث	٢١٠
«ألا أيها الناس فإنما أنا بشر يوشك أن يأتي رسول ربي»	٨
«ألا إني أوتيت الكتاب ومثله معه»	١٠، ٢٠٣
«اللهم أعني عليهم بسنين كسني يوسف»	١٣٩، ١٤٢
«ألا إن القوة الرمي»	٢١٠
«أنت ومالك لأبيك»	١١٠
«إن أطيب ما أكلتم من كسبكم، وإن أولادكم من كسبكم»	١١٠
«إن البخيل يمثل له ماله يوم القيامة شجاعاً أقرع...» الحديث	٢٠٦
«إن بكل تسبيحة صدقة...» الحديث	٢٠٧
«إن الله إذا أحب عبداً نادى جبريل إني أحب فلاناً...» الحديث	٢١١
«إنما جعل الاستئذان من أجل البصر»	٢١٤
«أعددت لعبادي الصالحين ما لا عين رأت...» الحديث	٢١٥
«إن في الجنة مائة درجة، بين كل درجتين كما بين السماء والأرض أعدها الله للمجاهدين في سبيله»	٢١٥
«أين الله؟ قالت في السماء»	٢٢٥

الحديث	رقم الصفحة
«أنت الأول فليس قبلك شيء، وأنت الآخر فليس بعدك شيء»	٢٢٦
«أقريب ربّنا فنناجيه، أم بعيد فنناديه»	٢٤٨
«أمر رسول الله ﷺ منادياً ينادي ألا إن الخمر قد حرمت»	٢٤٤
«إن الله قد بعث محمداً ﷺ، وأنزل عليه الكتاب...» الحديث	٢٨٦
(حرف الباء)	
«بعثت أنا والساعة كهاتين...» الحديث	٢١٢
«بلّغوا عني ولو آية، وحدّثوا عن بني إسرائيل ولا حرج...» الحديث	٧٧، ٣٠٥، ٣٠٦، ٣٦٢
(حرف التاء)	
«تعرف إلى الله في الرخاء يعرفك في الشدة»	٣٤٧
(حرف الثاء)	
«ثلاثة يؤتون أجرهم مرتين...» الحديث	١٧٠
(حرف الخاء)	
«خذوا عني مناسككم»	٢٩٥
(حرف الدال)	
«دخلنا المسجد يعني مسجد الكوفة عند أبواب كنده فإذا رجل يقص على أصحابه»	١٤٠
(حرف الراء)	
«رأيت ربي في أحسن صورة...» الحديث	١٥٩
«رأيت ربي تبارك وتعالى»	١٦٢
(حرف القاف)	
قال مسروق وكنت متّكئاً فجلست، فقلت ألم يقل الله: «ولقد رآه نزلة أخرى» الحديث	١٥٧
«قليل تؤدي شكره، خير من كثير لا تطيقه»	٢٥٣، ٢٥٨
«قولوا في التشهد في الصلاة السلام علينا وعلى عباد الله الصالحين...» الحديث	٣٢٩

الحديث	رقم الصفحة

(حرف الكاف)

«كان فيما أنزل من القرآن عشر رضعات معلومات» ٢٨٦
«كيف تقضي إذا عرض لك قضاء» ٢٠٣
«كيف يفلح قوم شجوا نبيهم وكسروا رباعيته...» الحديث ٢٤٢

(حرف اللام)

«لا يشكر الله من لا يشكر الناس» ٥
«لما نزلت الذين آمنوا ولم يلبسوا إيمانهم بظلم...» الحديث ١٠
«لا تصدقوا أهل الكتاب ولا تكذبوهم» ٧٧، ٣٠٥
«لا تقوم الساعة حتى تطلع الشمس من مغربها...» الحديث ٢١٠
«لا يزني الزاني حين يزني وهو مؤمن...» الحديث ٢١٣
«لولا أن يقول الناس زاد عمر بن الخطاب في كتاب الله تعالى...» الحديث ٢٨٧
«لا يقتل الوالد بالولد» ٢٩٤

(حرف الميم)

«من هم بسيئة فلم يعملها كتبها الله حسنة» ٣٥٤
«ما نهيتكم عنه فاجتنبوه...» الحديث ٢٠٨
«من أصيب بقتل أو خبل فإنه يختار إحدى ثلاث» ٨٠

(حرف الواو)

«ولا ورع كالكف» ٢٩
«ومن ذكرني في نفسه ذكرته في نفسي...» الحديث ٢٠٥
«وما تقرّب إلي عبدي بشيء أحب إلي مما افترضته عليه...» الحديث ٢٠٨
«وما يدريك، لعلّ الله اطلع على أهل بدر فقال اعملوا ما شئتم...» الحديث ٢٥٤، ٢٦٧

(حرف الهاء)

«هل رأيت ربك قال نور أني أراه» ١٦٤
«هم آخر من يفصل بينهم من العباد» ٩٧

(حرف الياء)

يا رسول الله.. هل رأيت ربك؟ فقال: «لا، إنما رأيت جبريل منهبطاً» ١٦٤، ١٥٧

الحديث	رقم الصفحة
يا رسول الله.. هل رأيت ربك؟ قال: «لم أره بعيني ورأيته بفؤادي مرتين»	١٥٨
«يا رسول الله.. ادع الله أن يرزقني مالاً...» الحديث	٢٤٩
«يكشف ربنا عن ساقه فيسجد له كل مؤمن ومؤمنة»	٢٣٧

فهرس الأعلام

(حرف الهمزة)

آدم (عليه السلام): ٨، ١١٦، ١٨٣، ٢٢٩، ٣٤٠

إبراهيم (عليه السلام): ٧٨، ٧٩، ٨٠، ٩٤، ٩٥، ١٢٢، ١٢٥، ١٢٦، ١٢٧، ١٢٨، ١٣٢، ١٣٣، ١٥٤، ١٥٦، ١٥٩، ٢٠١، ٣٠٠، ٣٠٤، ٣٠٨، ٣١٠، ٣١٤، ٣١٥

إبراهيم بن حمد جاسر: ٤٩، ٥١

إبراهيم بن خالد أبو ثور: ٩٣

إبراهيم بن السري بن سهل الزجاج: ١٣٤

إبراهيم بن محمد العمودي: ٦٧

إبراهيم النخعي: ٧٩، ٨٤، ١١٤، ١٥٢

أُبي بن كعب: ٢٨٧

الأثرم: ٢٦٣

ابن الأثير: ٢٦٠

أحمد بن حنبل: ٥، ٨، ٤٣، ٥٢، ٦٣، ٨٤، ٩٢، ١٢٤، ١٣٣، ١٣٤، ١٥٤، ١٩٥، ١٦٢، ٢٨٠، ٣٦٠، ٣٤٧، ٣٥٤

أحمد بن شعيب النسائي: ٨٥، ٨٦، ٩٢، ١٢٣، ١٢٤، ١٣٠، ١٥٢، ١٥٤، ١٦٠، ٢٤٢، ٢٤٩، ٢٥٠، ٢٦٠، ٢٦٣

أحمد صقر: ٢٧٧

أحمد عطا: ٢٧٧

أحمد بن عبد الله بن مسلم بن قتيبة: ٢٧٧

أحمد بن فارس بن زكريا الرازي: ٢٧٨، ٢٧٩

أحمد فيضي: ٢٢

أحمد بن كامل: ٢٦٣

أحمد بن محمد بن إسماعيل النحاس: ١٢١، ١٣٣، ٢٨٥

أحمد محمد شاكر: ٥، ٨٤، ٢٠٤، ٢٥٢

أحمد بن محمد بن عمر شهاب الدين (الخفاجي): ١٠٦، ١٣٥، ١٤٦، ١٤٧

أحمد بن محمد الفيومي: ٢٧٨، ٢٧٩

إدريس (عليه السلام): ١٢٧

إسحاق (عليه السلام): ١٢٢، ١٢٣، ١٢٤، ١٢٧، ١٢٨، ١٣٠، ١٣١، ١٣٣، ١٣٤، ١٣٥

ابن إسحاق (محمد بن إسحاق بن يسار المطلبي): ٢٥٣، ٢٥٩، ٢٦٢، ٢٦٤

إسحاق بن راهويه: ٨٤، ٢٧٧
أبو إسحاق الزجاج: ١٣٤، ١٤٣
إسحاق بن منصور: ٨٥
أسد بن موسى: ٢٥٠
إسماعيل (عليه السلام): ٧٨، ٧٩، ١٢٢، ١٢٣، ١٢٤، ١٢٥، ١٢٦، ١٢٧، ١٢٨، ١٢٩، ١٣٠، ١٣٣، ١٣٤، ١٣٥، ١٨٩
إسماعيل بن أبي خالد: ٩٧
الأعمش: ١٣٠، ٢٦٣
أبو الأعلى المودودي: ٥٩
الأقرع بن حابس التميمي: ٢٤٧، ٢٤٨
الألوسي: ٥٣، ١٠٤، ١٠٩، ١١١، ١٢٠، ١٢٩، ١٣٣، ١٣٥، ١٤٣، ١٤٦، ١٤٩، ١٦٢، ١٦٧، ١٧١، ٢٥٥، ٢٨٠
إلياس (عليه السلام): ١٨٩
إليسع (عليه السلام): ١٨٩
أبو أمامة الباهلي (صدي بن عجلان): ١٧٠، ٢٥٠، ٢٥١، ٢٥٢، ٢٥٣، ٢٥٤، ٢٥٥، ٢٥٦، ٢٥٧، ٢٥٨، ٢٦٠، ٢٦٣
ابن أم مكتوم: ٢٧٠
أمية بن زيد: ٢٥٥
أنس بن مالك: ٨٢، ١٥٢، ١٥٣، ١٥٦، ١٦٠، ٢١٢، ٢٤١، ٢٤٢، ٢٤٣
أيوب (عليه السلام): ٣١٠
أبو أيوب الأنصاري: ٤٤

(حرف الباء)

الباوردي: ٢٥٩
البخاري (محمد بن إسماعيل): ١٠، ٥٠، ٦٧، ٧٧، ٨٥، ٨٦، ٩٠، ٩٧، ١٠٢، ١٢٣، ١٢٤، ١٢٥، ١٣٠، ١٣٩، ١٤٠، ١٤١، ١٤٢، ١٥٢، ١٥٣، ١٥٤، ١٥٥، ١٥٧، ١٥٨، ١٦١، ١٦٧، ١٦٩، ١٧٠، ١٧٨، ٢٠٥، ٢٠٦، ٢٠٧، ٢٠٨، ٢٠٩، ٢١٢، ٢١٣، ٢١٤، ٢٣٧، ٢٣٩، ٢٤١، ٢٤٢، ٢٤٤، ٢٤٥، ٢٥٠، ٢٥٢، ٢٥٥، ٢٦٠، ٢٦٤، ٢٦٥، ٢٦٦، ٢٦٩، ٢٧٣، ٢٨٦، ٣٠٦
بدر الدين: ٥٣
أبو بكر الجصاص: ٩٢
أبو بكر الصديق: ٢٤٩، ٢٥١، ٢٥٩، ٢٦١، ٢٦٩، ٢٧٩، ٢٨٢
أبو بكر بن أبي الدنيا: ٢٦٣
أبو بكر بن العربي: ٢٥٣، ٢٨٥
بلال: ٢٤٦، ٢٧٢
بنيامين بن يعقوب (عليه السلام): ٣٥٧
البيضاوي (عبد الرحمن بن عمر بن محمد): ١٠٦، ١١٩، ١٢٠، ١٢١، ١٢٩، ١٣٥، ١٣٧، ٢٥٥، ٢٧٨
البيهقي: ٢٩، ١٥٣، ٢٥١، ٢٥٢، ٢٥٣، ٢٥٦، ٢٥٨

(حرف التاء)

الترمذي: ٥، ١٠، ٨٥، ٩٢، ١١٠، ١١٥، ١٢٣، ١٢٤، ١٣٠، ١٥٢، ١٥٤، ١٥٥، ١٥٩، ١٦٢، ١٦٧، ٢١٤، ٢١٦، ٢٤٢، ٢٤٣، ٢٤٤، ٢٤٥، ٢٥٠، ٢٦٤، ٢٧٠، ٢٧٢، ٢٩٤، ٣٥٤

تميم الداري: ٢٤٤، ٢٤٥
ابن تيمية: ١١، ٥٤، ٥٥، ٦١، ٦٢، ٨٦، ١٦٢، ٢٠٤، ٢٢٤، ٢٢٧، ٢٢٩، ٢٣٠، ٢٤٠، ٢٧٧، ٣٦٠

(حرف الثاء)

ثابت بن أسلم البناني: ٢٤٢
الثعالبي (ابن عطية): ١٢٩، ١٤٩، ١٥٠، ١٦٦
ثعلب: ١٣٤
ثعلبة: ٢٤٩، ٢٥٠، ٢٥١، ٢٥٣، ٢٥٤، ٢٥٥، ٢٥٦، ٢٥٧، ٢٦٥
ثعلبة بن حاطب الأنصاري: ٢٥٠، ٢٥١، ٢٥٢، ٢٥٣، ٢٥٤، ٢٥٥، ٢٥٩، ٢٦٠، ٢٦١، ٢٦٢، ٢٦٤
ثعلبة بن أبي حاطب: ٢٥٩، ٢٦٠، ٢٦٤
الثوري (سفيان): ٨٤، ١٤٥، ٢٦١

(حرف الجيم)

جابر بن زيد: ٨٢
جابر بن عبد الله: ٧٩، ٨٤، ١١٠، ١٣٠
جابر بن يزيد بن الحارث الجعفي: ٩٢
جابر بن يزيد بن رفاعة العجلي الموصلي: ١٢٥
جبريل (عليه السلام): ١٥٠، ١٥١، ١٥٢، ١٥٣، ١٥٧، ١٦١، ١٦٢، ١٦٣، ١٦٤، ١٦٥، ١٦٦، ١٦٧، ٢١١، ٢١٢، ٢٣٦، ٢٣٨، ٢٤٧، ٣٥٤
جد بن قيس: ٢٥٥
ابن جدعان: ١٢٣
جرير بن عبد الحميد بن قرط: ٩٧
جعفر بن أبي طالب: ٩٦، ١٧١
ابن جرير (محمد بن جرير الطبري): ١١، ١٢، ٧٩، ٨٠، ٨٢، ٨٣، ٨٧، ٨٨، ٩٠، ٩٢، ٩٤، ٩٧، ٩٨، ٩٩، ١٠٠، ١٠١، ١٠٣، ١٠٧، ١٠٨، ١١٢، ١١٤، ١١٥، ١٢٤، ١٢٥، ١٢٦، ١٢٧، ١٣١، ١٣٢، ١٣٣، ١٤٢، ١٤٣، ١٤٤، ١٤٥، ١٤٩، ١٥٠، ١٥٢، ١٥٣، ١٥٤، ١٥٥، ١٥٦، ١٥٨، ١٥٩، ١٦٠، ١٦٥، ١٦٩، ١٧٠، ١٧١، ١٧٤، ١٧٥، ١٧٦، ١٧٩، ٢٤١، ٢٤٣، ٢٤٤، ٢٤٦، ٢٤٧، ٢٤٨، ٢٥٢، ٢٥٣، ٢٥٧، ٢٥٨، ٢٦١، ٢٦٢، ٢٦٣، ٢٦٤، ٢٦٨، ٢٦٩، ٢٧٠، ٢٧١، ٢٧٢، ٢٧٣، ٣٦١
الجعبري: ٢٣٩
جلال الدين المحلي: ١١٨، ١١٩، ١٤٣، ١٤٩، ١٧٥
ابن الجوزي (عبد الرحمن بن علي بن محمد البكري): ٩٦، ٩٨، ١٠٠، ١٠٩، ١٢٣، ١٣٧، ١٦٦، ١٧٦، ٢٥٤، ٢٥٧
أبو جهل بن هشام: ٢٦٩، ٢٧٠، ٢٧٢، ٢٧٣، ٢٧٦

(حرف الحاء)

ابن أبي حاتم: ١٤٦، ٢٤١، ٢٤٧، ٢٥٢، ٢٥٣، ٢٥٧

أبي حاتم السجستاني: ٢٧٧
ابن الحاجب: ٢٨٥
حاطب بن أبي بلتعة: ٢٥٢، ٢٥٣، ٢٥٥، ٢٦٦، ٢٦٧، ٢٦٨
الحاكم: ٨، ١٧٨، ٢٤٣، ٢٤٦، ٢٦٣، ٢٧٠، ٢٧٢، ٢٨٧
ابن حبان: ٢٤٥، ٢٦٣، ٣٤٧
ابن حجر: ٨٢، ١٥٤، ١٥٥، ١٥٧، ١٦١، ١٦٨، ٢٣٩، ٢٥٦، ٢٥٨، ٢٥٩، ٢٦١
حذيفة بن أسيد الغفاري: ١٤٣
حذيفة بن اليمان: ٩٧، ١٤٤، ٢٦٤
الحسن بن أبي الحسن البصري: ٨٠، ٨٢، ٩٩، ١٠١، ١٠٨، ١١٥، ١١٧، ١٢٤، ١٢٥، ١٤٤، ١٥٤، ١٦٠، ١٦٢، ١٦٥، ١٧٩، ٢٥٢، ٢٥٥
الحسن بن الحسن بن عطية أبو عبد الله العوفي: ١٧٩، ٢٦٣
الحسن بن دينار البصري: ١٣١
أبو الحسن الأشعري: ١٥٦
الحسن بن عطية بن سعد العوفي: ٢٦٣
الحسن بن أبي طالب بن محمد الخلال: ١٥٤
الحسن بن محمد الأصفهاني الراغب: ٢٧٨، ٢٧٩
حسن آل مهنا: ١٨، ٥٤
الحسين بن مسعود البغوي: ١٠٧، ١٠٩، ١١٠، ١١٨، ١١٩، ١٣٠، ١٤٣، ١٤٩، ١٦٠، ١٧٠، ١٧٦، ٢٢٤، ٣٦١
حفص بن غياث: ٢٦٣
الحكم بن أبان: ١٥٤
حماد بن سلمة: ٢٤٢
حمد الصغير: ٦٧
حمد بن عتيق: ٥١
حمد بن عثمان الخويطر: ٦٩
حمد بن عبد الله القاضي: ٣٥
حمد بن علي الصالحي: ٦٨
حمد بن محمد البسام: ٦٦
حمد بن ناصر بن سعدي: ١٧، ٢٥، ٣٥، ٣٩
حميد: ٢٤٢
أبو حنيفة (النعمان بن ثابت): ٨٤
أبو حيان: ٧٩، ١٠٦، ١٠٨، ١١١، ١١٦، ١١٧، ١٢٠، ١٢٩، ١٤٦، ١٦٢، ١٦٦، ١٧١، ١٧٧، ٣٦١

(حرف الخاء)

الخازن (علي بن محمد بن إبراهيم): ٩٤، ٩٥، ٩٦، ١٠٩، ١١٠، ١١٨، ١٢٠، ١٣٠، ١٤٩، ١٧٠، ١٧٦، ٢٢٤
خباب: ٢٤٦، ٢٤٧
ابن خزيمة: ١٥٥، ١٥٧، ١٦٦
الخضر (عليه السلام): ٢٩٨
الخطيب الشربيني: ١٠٦، ١٠٩، ١١٨، ١١٩، ١٢٩، ١٣٦، ١٥٨
الخطيب: ١١١، ١٧٥، ٢٦١، ٢٦٣، ٢٧٧
ابن خلكان: ٢٧٨

(حرف الدال)

الدجال: ١٤٣

ابن درستويه: ٢٧٧
الدارقطني: ٩٧، ٢٦٣
داود (عليه السلام): ١٠٧، ١٠٨، ١٠٩، ١١٠، ٢٢٨، ٢٣٠، ٣٠٠، ٣١٠
داود بن أبي هند القشيري: ١٢٥، ١٥٧
أبو داود (سليمان بن الأشعث): ١٠، ٨٠، ٨١، ٨٦، ٩٢، ١١٠، ١٢٣، ١٢٤، ١٣٠، ١٥٢، ١٥٤، ١٥٥، ٢٠٣، ٢٠٤، ٢١٠، ٢١٣، ٢١٤، ٢٢٥، ٢٤٢، ٢٥٠، ٢٦٣، ٢٦٤، ٢٨٥
داود بن علي الظاهري: ٩٣
الداوودي: ٨٦، ٩٢، ٩٣، ٩٤، ١١٨، ١١٩، ١٢٩، ١٣٤، ١٤٩، ٢٧٦، ٢٧٧، ٢٨٥

(حرف الذال)

ذا الكفل (عليه السلام): ١٢٧
أبو ذر الغفاري: ٢٩، ١٥٥، ١٥٨، ١٦٠، ١٦١، ١٦٢، ١٦٤، ١٦٦، ١٦٨
الذهبي: ٨٢

(حرف الراء)

ربعي بن حراش: ١٤٤
الربيع بن أنس: ٧٩، ٨٠، ١٢٤، ١٥٤، ١٥٨، ١٦٠، ١٦٢، ١٦٥
الرازي: ١٠٩، ٢٨٠
رفيع بن مهران الرياحي: ١٤٢
روح بن عبادة: ٨٥، ٢٦٣
رواد بن الجراح: ١٤٥

(حرف الزاي)

الأزدي: ٨٢
الزبير بن العوام: ٢٦٦
ابن أبي زائدة: ٢٤٥
زامل بن عبد الله السليم: ١٨
زر بن حبيش: ١٦٣
أبو زرعة الرازي: ٢٦١
أبو زرعة بن عمرو بن جرير بن عبد الله البجلي: ٩٧
زخور عازار: ١٨
الزرقاني: ٢٧٧، ٢٨٠
الزركشي: ٢٧٤، ٢٧٧، ٢٨٤
الزركلي: ١٣٥
زكريا (عليه السلام): ١٨٩.
الزمخشري: ١٠٩، ١١٩، ١٢٠، ١٧٤، ٢٥٣
الزهري (محمد بن مسلم بن شهاب): ١٣٠
ابن زيد: ١٧٤، ١٧٩، ٢٦٨
زيد بن أرقم: ٨
زيد بن أسلم: ١٣٠، ١٧٧، ١٧٨
زيد بن علي بن أبي طالب: ١٤٥

(حرف السين)

السائب: ٢٥٥
سالم بن عبد الله بن عمر بن الخطاب: ٩٢
سامي باشا الفاروقي: ٢٣، ٢٤
السدي: ٨٠، ١٠٨، ١٥٨، ١٥٩، ١٧٩
سراقة بن مالك: ٢٩٤
سعد بن أبي وقاص: ٢٤٦

سعد بن محمد بن الحسن بن عطية العوفي: ٢٦٣
سعود بن عبد العزيز: ٣٦
ابن سعد: ١٤٦
أبو السعود: ١٠٦، ١٠٩، ١١١، ١٢٠، ١٢١، ١٢٩، ١٣٨، ٢٥٥
أبو سعيد الخدري: ٥، ١٤٤، ٢٣٧
سعيد بن جبير: ٩٣، ٩٧، ١٠٠، ١٠١، ١١٤، ١٢٤، ١٣٠، ١٣٣، ١٣٤، ١٥٠، ١٦٨، ١٧١، ١٧٧، ١٧٨، ٢٥٩
سعيد بن داود: ٩٧
سعيد بن عبد الله الدعجاني: ٣٤٣
سعيد بن المسيب: ١٢٣
أبو سفيان: ١٤٢
ابن السكن: ٢٥٩
سلمة بن الفضل الأبرش: ٢٦٤
سليمان بن إبراهيم البسام: ٦٥
أبو سلمة بن عبد الرحمن بن عوف الزهري المدني: ١٥٥
سليمان آل عثيمين: ١٦
سليمان بن داود (عليه السلام): ٣٠٠، ٣٠٣، ٣٠٤، ٣١٠
سليمان بن صالح بن حمد البسام: ٦٦
سليمان الجمل: ١١٨، ١١٩، ١٣٦، ١٤٩، ١٥٠، ١٧٥
سليمان بن عبد الرحمن الدامغ: ٣٩، ٦٧
سليمان بن علي بن مقبل: ٥١، ٥٢، ٥٤
سليمان بن قرم: ٢٦٣
سليمان بن محمد الشبل: ٦٧
سليمان بن ناصر بن السعدي: ١٧
أبو سليمان الدمشقي: ١٠٥، ١٣٦
سماك بن حرب: ١٥٨
سهل بن الحارث: ٢٥٥
سهل بن حنيف: ٢٨٧
سهل بن سعد: ٢١٢، ٢١٤
السهيلي: ١٣٤، ٢٥٣، ٢٦٢
سيد قطب: ١٠٩، ١٤٦، ١٦٧، ٢٥٧
ابن سيرين (محمد بن سيرين الأنصاري): ١٠٠، ١٠١، ٢٤٠
السيوطي: ١٠٩، ١٣٤، ٢٥٨، ٢٦١، ٢٦٢، ٢٧٤، ٢٧٧، ٢٧٨، ٢٧٩، ٢٨٠، ٢٨١

(حرف الشين)

شبل بن عباد المكي: ٨٦
ابن شاهين: ٢٥٩، ٢٦٢
شريح: ٣٥٩
شريك بن عبد الله بن أبي نمر: ١٥٢، ١٥٣
شعبة: ١٥٦
شعيب (عليه السلام): ١٤١، ٢٩٧، ٢٩٨
شعيب الأرناؤوط: ١٢٩، ١٦٢
الشعبي (عامر بن شراحيل): ٧٩، ٨٢، ٩٠، ٩٧، ١٠٢، ١١٤، ١١٥، ١٢٣، ١٢٤، ١٣٠، ١٥٧
الشافعي (محمد بن إدريس): ٨٣، ٨٤، ٢٠٤، ٢٧٦

الشوكاني (محمد بن علي): ١٢٠، ١٢١، ١٤٣، ١٤٦، ١٤٧، ١٤٩، ٢٥٥

(حرف الصاد)

ابن صاعد: ٢٦٣
أبو صالح: ١٣٠، ١٥٨، ١٥٩
صالح (عليه السلام): ١٩١، ٣٠١
صالح بن حسن آل مهنا: ٢٣
صالح بن درهم الباهلي (أبو الأزهر): ٨٦
صالح بن عثمان القاضي: ٤٠، ٥٠
صالح بن عبد العزيز العثيمين: ٣٠، ٣٨
صالح بن عبد الله الزغيبي: ٦٧
صالح بن محمد الزغيبي: ٦٧
صدقي باشا: ٢٢، ٢٣
صديق بن حسن خان: ٥٢، ٩٦، ١٠٩، ١٣٤، ١٤٣، ١٤٧، ١٥٠، ١٥٨، ٢٥٦
صعب بن عبد الله التويجري: ٥٠
الصلت بن حكيم: ٢٤١
صهيب: ٢٤٦، ٢٤٧

(حرف الضاد)

الضحاك بن مزاحم الهلالي: ٩٧، ٩٩، ١٠١، ١٠٢، ١١٢، ١٤٢، ١٤٩، ١٦٩، ١٧٤، ١٧٩، ٢٨١

(حرف الطاء)

الطبراني: ٥٢، ١٧٢، ٢٤٥، ٢٤٩، ٢٥١، ٢٥٢، ٢٥٣، ٢٥٦، ٢٦١
أبو طلحة: ٢٤٤
طلحة بن عبيد الله بن عثمان بن عمر: ٢٦٢
طلحة بن عبيد الله بن مسافع: ٢٦٢
طاووس بن كيسان: ٨٢، ٨٤، ٩٢، ٩٣
الطيبي: ٢٨٠

(حرف العين)

أبي العالية: ١٤٢، ١٥٨، ١٥٩، ١٦٠
عاكف باشا: ١٨
عامر بن عبد الله بن الزبير: ٢٧١، ٢٧٢
عامر بن فهيرة: ٢٧٢
عامر بن واثلة بن عبد الله بن عمرو بن جحش الليثي: ١٢٣
العباس بن عبد المطلب: ٩٦، ١٢٦، ١٣٠، ١٣١، ٢٤٨، ٢٧٠
عبادة بن الصامت: ٢١٦
عباد بن منصور الناجي: ١٥٣
عبد الجبار بن أحمد الهمذاني: ٢٧٦
عبد الحميد أحمد حنفي: ١٦٨
عبد الحميد المارديني: ٦٤
عبد الرحمن بن أحمد بن عطية العنسي: ١٠٤، ١٠٥
عبد الرحمن آل عقيل: ٦٧
عبد الرحمن بن حسن: ٥٤
عبد الرحمن بن حمد الفوزان: ٢٩، ٣٠
عبد الرحمن بن زيد بن أسلم العدوي: ١١٥، ١١٦
عبد الرحمن بن سابط: ١٢٣
عبد الرحمن الطاهر بن محمد السورتي: ١١٥
عبد الرحمن بن عسيلة أبو عبد الله الصنابحي: ١٢٦
عبد الرحمن بن عبد العزيز بن زامل: ٦٨

عبد الرحمن بن علي بن عودان: ٢٦
عبد الرحمن بن فيصل آل سعود: ١٨، ١٩، ٢٠
عبد الرحمن بن قاسم: ٢٣٠، ٢٧٧
عبد الرحمن بن محمد آل إسماعيل: ٦٧
عبد الرحمن بن محمد المقوشي: ٦٨
عبد الرحمن بن ناصر بن سعدي: ١٢ - ١٦، ٢٤ - ٣٥، ٣٧، ٣٩، ٤٠، ٤١، ٤٣، ٤٧ - ٥٠، ٥٣ - ٥٦، ٥٩، ٦٠، ٦٢، ٦٨، ٧٣، ٧٤، ٧٥، ٨٠، ٨٣، ٨٤، ٨٥، ٨٨، ٩٥، ٩٦، ٩٨، ١٠٠، ١٠١، ١٠٢، ١٠٥ - ١٠٨، ١١١، ١١٢، ١١٤، ١١٦، ١٢١، ١٢٢، ١٢٣، ١٣٦، ١٣٧، ١٣٩، ١٤٦، ١٤٧، ١٥١، ١٥٢، ١٧٣، ١٧٤، ١٧٨، ١٨٢، ٢٠١، ٢٠٤، ٢٠٥، ٢٠٧، ٢١٦، ٢١٧، ٢١٨، ٢٢٤، ٢٣٢، ٢٣٧، ٢٣٨، ٢٤٠، ٢٤١، ٢٤٣، ٢٤٥، ٢٤٦، ٢٤٨، ٢٤٩، ٢٦٥، ٢٦٦، ٢٦٧، ٢٦٩، ٢٧٠ - ٢٧٦، ٢٨١، ٢٨٢، ٢٨٤، ٢٨٧، ٢٨٨، ٢٩٠ - ٢٩٥، ٣٠٠، ٣٠١، ٣٠٥، ٣٠٦، ٣١٤، ٣١٦، ٣١٨، ٣٢١، ٣٣٥، ٣٣٧، ٣٤٣، ٣٤٤، ٣٥٠، ٣٥٩، ٣٦٠، ٣٦٢، ٣٦٤، ٣٦٥
عبد الرحمن بن هرمز الأعرج: ١٤٦
عبيدة بن عمرو السلماني أبو عمرو الكوفي: ٢٤٠
عبيد بن عمير: ١٣٠، ١٣٢
عبد الرزاق الأعظمي: ٥٣
عبد الرزاق البيطار: ٥٣
عبد الرزاق عفيفي: ٦٣
عبد اللطيف بن إبراهيم آل الشيخ: ٦٣
عبد اللطيف بن عبد الرحمن بن حسن: ٥١، ٥٢، ٥٤
عبد المطلب: ١٢٦
عبد العزيز بن إبراهيم الغرير: ٦٩
عبد العزيز بن زامل بن عبد الله السليم: ١٨، ٢١
عبد العزيز بن سبيل: ٦٨
عبد العزيز بن عبد الرحمن بن سعود (موحد الجزيرة): ١٩، ٢٠، ٢١، ٢٢، ٢٤، ٥٣
عبد العزيز بن علي المساعد: ٦٧
عبد العزيز بن متعب بن رشيد: ١٩، ٢٠، ٢٣
عبد العزيز بن محمد البسام: ٣٧، ٦٦
عبد العزيز بن محمد السلمان: ٦٦
عبد العزيز بن محمد بن مانع: ٥١
عبد القادر الأرناؤوط: ١٢٩، ١٦٢
عبد الكريم بن مالك الجزري: ٢٧٣
عبد المحسن الخريدلي: ٦٦
عبد الملك بن حبيب الأزدي (أبو عمران الجوني): ١٧٨
عبد الملك بن قريب الأصمعي: ١٢٤
عبد الملك بن مروان: ١٢٤، ١٢٦
عبد الملك بن يعلى الليثي: ٨٢
عبد المهيمن أبو السمح: ٦٣
عبد الوهاب أفندي: ٥٣

عبد الله بن أحمد بن حنبل: ١٣٣
عبد الله بن أبي ابن سلول: ٢٦٥
عبد الله بن أبي مليكة: ١٤٤
عبد الله بن أبي نجيح: ٨٦، ١١٥
عبد الله بن بكر: ٢٦٣
عبد الله بن جلعود: ٥١
عبد الله بن جلوي: ٢١
عبد الله بن حسن آل بريكان: ٦٦
عبد الله بن حبيب بن ربيعة أبو عبد الرحمن السلمي: ١١٤
عبد الله الخضيري: ٦٨
عبد الله بن سلام: ١٢٣
عبد الله بن سليمان الحمدان: ٢٦
عبد الله بن شقيق: ١٣١
عبد الله بن صالح العثيمين: ٣٧
عبد الله بن عائض: ٥٠
عبدالله بن عباس: ١١، ٧٩، ٨٣، ٨٤، ٩٢، ٩٤، ٩٧ - ١٠٢، ١٠٤، ١٠٨، ١١٢، ١١٤، ١٢٣، ١٢٥، ١٣٠، ١٣١، ١٣٤، ١٤٤، ١٤٥، ١٤٦، ١٥٠، ١٥٤ - ١٦٢، ١٦٨، ١٦٩، ١٧٢، ١٧٤، ١٧٥، ١٧٧، ١٧٨، ١٧٩، ٢١٣، ٢٤٥، ٢٤٨، ٢٥٢، ٢٥٣، ٢٥٥، ٢٦٠، ٢٦٣، ٢٦٨، ٢٦٩، ٢٧٠، ٢٧٣، ٢٨٠، ٢٨٦، ٢٩٤، ٣٠٦، ٣٤٧، ٣٥٤
عبد الله بن عبد المطلب: ١٢٧
عبد الله بن عبد الرحمن أبا بطين: ٥١، ٥٤
عبد الله بن عبد الرحمن بن سعدي: ٣٥، ٦٨
عبد الله بن عبد الرحمن بن صالح البسام: ١٥، ٦٨
عبد الله بن عبد الرحمن بن محمد البسام: ٦٦
عبد الله بن عبد العزيز الشبيلي: ٦٨
عبد الله بن عبد العزيز العقيل: ٦٦
عبد الله بن عبد العزيز المطوع: ٦٧
عبد الله بن عمر بن الخطاب: ٨٢، ١٠٠، ١٠١، ١١٤، ١٢٣، ١٢٥، ١٣٠، ١٤٣، ١٥٦
عبد الله بن عمرو بن العاص: ٧٧، ٨٣، ٣٠٦
عبيد الله بن عمرو الرقي: ٢٧٣
عبد الله العمر العمري: ٦٩
عبد الله الفيصل: ٥١
ابن عبد القوي: ٦٥
عبد الله بن القاسم التميمي البصري: ١١٤
أبو عبد الله القرطبي (أحمد بن عمر بن إبراهيم): ٩٣، ٩٦، ١٠٩، ١٢٠، ١٢٣، ١٣٠، ١٣٣، ١٣٤، ١٣٧، ١٤٥، ١٤٩، ١٥٠، ١٥٤، ١٥٥، ١٥٦، ١٥٨، ١٦٨، ١٧٠، ١٧٦، ٢٥٤، ٢٥٦، ٢٧٥، ٢٧٦، ٣٦١
عبد الله بن علي القصيمي: ٣٢، ٣٣، ٤٧، ٦١
عبد الله بن محمد العوهلي: ٦٦
عبد الله بن محمد الصبيحان: ٦٨
عبد الله بن محمد المطرودي: ٦٧
عبد الله بن محمد الهروي: ١٦٧

عبد الله بن مسعود: ١٠، ١١، ٩٧، ١٠٠، ١٠١، ١١٤، ١١٥، ١٣٢، ١٣٩، ١٤٠، ١٤٢، ١٤٣، ١٤٧، ١٥٥، ١٦٢، ١٦٣، ٢٤٦
عبد الله بن مسلم بن قتيبة: ١١٠، ٢٧٧
عبد الله بن مسلمة بن قعنب: ٢٤٢
عبد الله بن معمر: ٨٢
عتبة بن أبي حكيم: ١٦٩
عتبة بن ربيعة: ٢٧٠
عثمان بن أبي حاضر: ١٣١
عثمان بن سعيد الدارمي: ١٦٢
عثمان بن صالح القاضي: ٢٥، ٤٤
عثمان بن عفان: ١٣٠، ٢٤٩، ٢٥١، ٢٥٩، ٢٦١
عجلان بن محمد: ١٩، ٢٠
عدنان زرزور: ٢٠٤، ٢٧٦
عدي بن بداء: ٢٤٤، ٢٤٥
ابن عربي: ٢٣٠
عروة بن الزبير بن العوام: ١٥٤
عزير (عليه السلام): ١٠٤
عطاء بن أبي رباح: ٧٩، ٨٠، ٨٤، ٩٢، ١٢٣، ١٢٥، ١٣٠، ١٦٠، ١٧٧
عطية العوفي: ١٤٣، ١٧٩، ٢٦٠
عقبة بن عامر: ٢١٠
عكرمة بن عبد الله (مولى ابن عباس): ٨٠، ١١٤، ١٣٠، ١٣٥، ١٥٤، ١٥٦، ١٥٨، ١٦٠
علقمة بن وقاص الليثي: ١٢٤
علي آل محمد: ١٦، ٥١، ٥٤
علي بن أبي طالب (رضي الله عنه): ٨، ٨٢، ٩٦، ١٢٣، ١٣٠، ١٤٥، ١٧٥، ١٧٦، ٢٦١، ٢٦٦
علي بن أبي طلحة: ٩٤
علي باشا السعدون: ٥٣
علي بن ثاني حاكم قطر: ٥٣
علي بن حزم الظاهري أبو محمد: ٢٥٨، ٢٥٩
علي بن زيد بن جدعان: ١٣١
علي بن سليمان الأخفش: ١٢١
علي بن عبد الله السليم: ١٨
علي بن عبد الله البسام: ٥٣
علي بن عبد الله بن المغيرة الجوهري: ١٣٤
علي بن محمد بن زامل آل سليم: ٦٦
علي بن محمد السناسي: ٥١
علي بن المديني: ٢٣٩
علي نعمان الألوسي: ٥٣
علي بن ناصر أبو وادي: ٥٢، ٢٠٥
علي بن يزيد بن أبي زياد الألهاني: ٢٥٠، ٢٥٣، ٢٥٩، ٢٦٠
عمار: ٢٤٦، ٢٤٧
عمارة بن القعقاع بن شبرمة: ٩٧
عمرو بن جرير أبو سعيد البجلي: ٩٧
عمر بن الخطاب: ١١، ٨٢، ١٢٦، ١٣٠، ١٧٨، ٢٤٩، ٢٥١، ٢٥٣، ٢٥٤، ٢٥٩، ٢٦١، ٢٦٤، ٢٦٧، ٢٦٩، ٢٨٦، ٢٨٧، ٢٩٤
عمرو بن خالد بن فروخ التميمي: ٢٧٣
أبو عمر بن عبد البر: ٨٦، ٢٥٩
عمرو بن شعيب: ٩٠

عمر بن عبد العزيز: ١٢٤، ١٢٦
عمرو بن عبيد بن باب التميمي: ٢٦٤
أبو عمرو بن العلاء (زبان أبو العريان): ١٢٤
عيسى بن عبيد بن مالك الكندي: ١٥٤
عيسى ابن مريم (عليه السلام): ١٠٤، ١٤٣، ١٤٤، ١٦٩، ١٧٠، ١٨٩، ٣٠٩، ٣٤٨
عيينة بن حصن الفزاري: ٢٤٧، ٢٤٨

(حرف الغين)

غندر: ٨٢

(حرف الفاء)

ابن فتحون: ٢٦١
الفخر الرازي: ١٠٦، ١٠٧، ١١١، ١٣٧، ١٧٠، ٢٥٣
فرعون: ٢٩٩
فرويد: ٣٤١
فليح بن سليمان: ٢٦٣
فهيد السبهان: ١٩، ٢١
فهد بن عبد العزيز آل سعود: ٥٣
فيصل بن عبد العزيز آل سعود: ٣٦

(حرف القاف)

قاسم بن ثاني: ٢٥
القاسم بن أبي بزة: ١٣١
القاسم بن سلام البغدادي أبو عبيد: ٢٨٥
القاسم بن عبد الرحمن الدمشقي: ٢٥٠، ٢٥٣، ٢٥٩، ٢٦٠
القاسم بن محمد بن أبي بكر الصديق: ٩٢
القاضي عياض: ١٣٤، ١٦٨
قتادة بن دعامة السدوسي: ٧٩، ٨٠، ٩٠، ٩٢، ٩٧، ١٠٥، ١٠٨، ١١٢، ١١٣، ١١٤، ١٣٠، ١٥٦، ١٥٨، ١٦٢، ١٦٥، ١٧٤، ١٧٩، ٢٥٤، ٢٥٩، ٢٧٢، ٢٨٠
أبو قحافة: ٢٧٢
قرناس بن عبد الرحمن: ٥٤
القفطي: ٢٨٥
ابن القيم: ٥٤، ٥٥، ٥٦، ٥٧، ٥٨، ٥٩، ٦١، ٧٥، ١٢٩، ١٦٢، ١٦٧، ٣٦٠

(حرف الكاف)

ابن أبي كبشة (لقب للرسول من الكفار): ٢٦٩
ابن كثير: ٨١، ٨٥، ٨٦، ٩٤، ٩٥، ٩٧، ١٠٧، ١٠٩، ١١٥، ١١٨، ١٢٣، ١٢٨، ١٣١، ١٣٦، ١٤٥، ١٤٦، ١٤٩، ١٥٠، ١٥٣، ١٥٨، ١٥٩، ١٦٠، ١٦٢، ١٦٣، ١٦٥، ١٦٦، ١٧٨، ٢١٨، ٢٢٤، ٢٤١، ٢٤٧، ٢٥٢، ٢٦١، ٢٧٢، ٢٨٤، ٣٠٦
كعب بن مانع الحميري (كعب الأحبار): ١٣٠، ١٣٢، ١٥٥
كعب بن مالك: ٢٦١
ابن الكلبي: ٢٥٩، ٢٦٠
كلدة بن حنبل الجمحي: ٢١٤
الكيا الهراس الطبري: ٢٥٢

(حرف اللام)

لاحق بن حميد: ٨٢
لقمان (عليه السلام): ١٠

لوط (عليه السلام): ١٣٢، ١٨٩، ٣١٠، ٣١٤
الليث بن سعد: ٨٤

(حرف الميم)

مالك بن أنس: ٨٤، ٢٨٧
الماوردي: ٢٨٠
المبرد: ١٣٤
مبارك بن صباح: ٢٠، ٢١
ابن ماجه: ١٠، ٨٥، ٨٦، ١٠٤، ١١٠، ١١٥، ١٢٣، ١٢٤، ١٣٠، ١٣١، ١٤٥، ١٥٢، ٢٥٠، ٢٦٤، ٢٧٤، ٢٨٧، ٢٩٤
متعب بن عبد العزيز بن رشيد: ٢٣
المثنى بن إبراهيم: ٢٥٢
مجالد بن سعيد الهمذاني: ١٠٢
مجاهد بن جبر المكي: ٧٩، ٨٠، ٨٤، ٨٥، ٨٦، ٩٢، ١٠٠، ١٠١، ١٠٢، ١١٢، ١١٥، ١١٧، ١٢٣، ١٢٥، ١٣٠، ١٤٢، ١٦٠، ١٦٢، ١٦٥، ٢٤٦
محمد بن إبراهيم آل الشيخ: ٧٣
محمد بن أحمد بن أبي بكر القرطبي: ٩٢
محمد بن أحمد بن جزي الكلبي: ١٤٩، ١٦٦، ١٧٥
محمد بن أحمد السنباطي: ٥٦، ٥٩
محمد بن أحمد المرزوقي: ٦٧
محمد أفندي نصيف: ٤٧، ٦١
محمد الأمين الشنقيطي: ٢٨، ٥٣، ٥٤، ١٢٨، ١٣٠، ١٦١، ١٧٢
محمد جمال الدين القاسمي: ٥٣، ١٤٧، ١٧٢، ٢٥٦
محمد حامد الفقي: ٣٢
محمد بن حميد بن حيان الرازي: ٢٦٤
محمد بن رشيد: ١٧، ١٨، ١٩، ٢٠، ٢١، ٢٢
محمد رشيد رضا: ٥٩، ٢٥٦
محمد زهري النجار: ٧٦
محمد بن سعد بن محمد بن عطية العوفي: ٢٦٣
محمد بن سعود: ٦٦
محمد بن سليمان بن عبد العزيز البسام: ٦٦
محمد بن السائب بن بشر الكلبي: ١٢٤
محمد بن شعيب بن شابور: ٢٥٢
محمد بن شهاب الزهري: ١٥٥
محمد بن صالح أبا الخليل: ٥٤
محمد بن صالح الخزيم: ٦٨
محمد بن صالح العثيمين: ٦٥، ٣٦٠
محمد بن صالح العقيلي: ٦٧
محمد الصباح: ١٩
محمد بن طلحة بن مصرف: ٢٦٣
محمد عبد الرحمن عثمان: ١٥٥
محمد بن عبد الرحمن بن حنطي: ٦٨
محمد بن عبد الرحمن العبدلي: ٦٧
محمد بن عبد العزيز بن مانع: ٥٢
محمد بن عبد العزيز المطوع: ٦٥
محمد بن عبد الكريم الشبل: ٥٠
محمد بن عبد الله آل سليم: ٥١، ٥٢، ٥٤
محمد بن عبد الله (ابن العربي): ٢٨٥
محمد عبد الله دراز: ٥٩
محمد بن عبد الله المانع: ٤٠، ٦٧
محمد عبده: ٥٩

محمد بن عبد الله ﷺ: ٥، ٧، ٨، ١٠، ٢٩، ٣٢، ٤٤، ٤٦، ٧٣، ٧٥، ٧٧، ٨٠، ٨٥، ٨٨، ٨٩ ـ ٩١، ٩٧، ٩٩، ١٠٠، ١١٥، ١٢٤، ١٢٦، ١٣٠، ١٣٣، ١٣٤، ١٣٨، ١٣٩، ١٤٠، ١٤٢، ١٤٣، ١٤٤، ١٤٧، ١٥٠ ـ ١٦٤، ١٦٦ ـ ١٧٣، ١٩٢، ٢٠٣ ـ ٢١٥، ٢٢٣، ٢٢٥، ٢٢٦، ٢٢٩، ٢٣١، ٢٣٧، ٢٣٨، ٢٤١ ـ ٢٥١، ٢٥٣ ـ ٢٦٢، ٢٦٤ ـ ٢٦٧، ٢٦٩، ٢٧٠، ٢٧٣، ٢٨٦، ٢٨٩، ٢٩١، ٢٩٤، ٢٩٥، ٣٠٠، ٣٠٢ ـ ٣٠٦، ٣٠٩ ـ ٣١٢، ٣٣٠، ٣٣٥، ٣٣٨، ٣٤٢، ٣٤٣، ٣٤٧، ٣٦٢، ٣٦٥
محمد بن عبد الوهاب: ٦١
محمد بن عثمان بن صالح القاضي: ٢٨، ٣٤، ٣٩، ٣٦٠
محمد علوي بن وهيب: ١٦
محمد علي صبيح: ١٢٠، ١٧٠
محمد بن عمر بن سليم: ٥١، ٥٢
محمد بن عوجان: ٥٣
محمد بن غالب التمتام: ٢٦٣
محمد بن فيصل: ١٨
محمد بن القاسم بن محمد الأنباري: ٢٨٥
محمد بن كعب القرظي: ١٢٤، ١٢٥، ١٢٦، ١٥٦
محمد محمود شبكة: ٥
محمد بن منصور آل زامل: ٦٦
محمد بن ناصر الحناكي: ٦٧
محمود حمزة بن نصر الكرماني: ٢٧٧
محمود شلتوت: ٥٩
محمود محمد حجازي: ١٠٦
ابن المديني: ٢٤٢
ابن مردويه: ١٥٧، ٢٥٣، ٢٦٠
مسروق بن الأجدع: ٨٢، ١١٤، ١٣٠، ١٣٢، ١٤٠، ١٥٧، ١٦٤
مسلم بن الحجاج: ٨، ١٠، ٨٥، ١١٣، ١٢٥، ١٣٠، ١٣١، ١٤٠، ١٤١، ١٤٣، ١٥٢ ـ ١٥٨، ١٦٠، ١٦١، ١٦٣، ١٦٤، ١٦٧، ١٦٨، ١٧٠، ٢٠٥، ٢٠٦، ٢٠٨ ـ ٢١٥، ٢٢٥، ٢٢٦، ٢٣٧، ٢٤٢، ٢٤٣، ٢٤٤، ٢٦١، ٢٦٨، ٢٧٢، ٢٧٦، ٢٨٦، ٣٥٤
مسلم بن عمران البطين: ١٥٠
مسطح بن أثاثة: ٢٦٥
مسكين بن بكير: ٢٥٩
مصطفى المراغي: ١٠٩
ابن مطرف الكناني: ٢٧٧
معاذ بن جبل: ١٦٢، ٢٠٣، ٢١٦
معان بن رفاعة السلامي: ٢٥٠، ٢٥٧، ٢٥٩، ٢٦٠
معاوية بن أبي سفيان: ١٢٦
معاوية بن الحكم السلمي: ٢٢٥
معتب بن قشير: ٢٥٥، ٢٦٤
معتب بن عوف بن الحمراء: ٢٥٩
ابن معروف الخياط: ٢٥٢
معمر بن المثنى (معمر بن راشد البصري): ١٠٢، ١٥٥، ١٥٦، ٢١٥، ٢١٧
ابن معين: ٢٤٢، ٢٦٤

مقاتل: ٨٠، ١٣٠، ١٧٩
المقداد بن الأسود: ٢٦٦
المقدام بن معدي كرب: ١٠، ٢٠٣
مكحول الشامي أبو عبد الله: ١٣١
مكي بن أبي طالب: ٢٨٥
الملك المؤيد إسماعيل: ٢٧٨
موسى (عليه السلام): ٧٦، ١٠٠، ١٣٢، ١٥٤، ١٥٩، ١٦٩، ١٨٣، ٢١٢، ٢٢١، ٢٢٢، ٢٢٨، ٢٢٩، ٢٩٨، ٢٩٩، ٣١٠، ٣٤٨
أبو موسى الأشعري: ١٧٠، ٢٦٢
مناع القطان: ٢٩٢
المناوي: ٢٥٨

(حرف النون)

النجاشي: ١٧١، ١٧٢
ابن أبي نجيح: ٦٠
النسفي: ١٠٩، ١١١، ١٢٩، ١٣٧، ١٥٠، ١٧٠
ناصر بن عبد الله آل سعدي: ١٥، ١٧
نذير حسن: ٥٢
نوح (عليه السلام): ١١٨، ١١٩، ١٢٠، ١٢١، ١٧٥، ١٧٦، ٢٠٠، ٣١٠، ٣١١
النووي: ١٥٣، ١٥٤، ١٥٥، ١٥٦، ١٥٧، ١٦٠، ١٦٣، ١٦٤، ٢٦١

(حرف الواو)

الواحدي: ٢١، ٢٣٩، ٢٤٠، ٢٥٦
الواقدي: ٢٦٠
الوليد بن مسلم القرشي: ٢٦٥
الوليد بن المغيرة: ٢٦٨، ٢٦٩، ٢٩٤

(حرف الهاء)

هارون (عليه السلام): ٣١٠، ٣٤٨
أبو هريرة: ٥، ٧٧، ١٢٣، ١٣٠، ١٤٥، ١٤٦، ١٥٥، ١٥٨، ١٦٢، ١٦٣، ٢٠٥، ٢٠٨، ٢١١، ٢١٢، ٢١٣، ٢١٥، ٢١٦، ٣٥٤
هشام بن عروة: ٢٧٠
هشام بن عمار: ٢٦٢
هود (عليه السلام): ١٩٨، ٢٠٢، ٣١٠، ٣١٤
الهيثمي: ١٧٢

(حرف الياء)

ياقوت الحموي: ٢٧٧
يحيى (عليه السلام): ١٨٩
يحيى بن زياد (أبو زكريا) الفراء: ١١١، ١٤٣
يحيى بن معين: ٢٦٣
يحيى بن قاسم الأثري: ٥٣
أبو يزيد القراطيسي (يوسف بن يزيد): ٢٤٩
يزيد بن هارون: ٢٦٣
يعقوب (عليه السلام): ٤٢، ١٢٢، ١٢٣، ١٢٦، ١٢٧، ١٣٢، ١٣٤، ٣٠١، ٣٥٥، ٣٥٦
يعقوب بن شيبة: ٨٥
يوسف (عليه السلام): ١٠، ١٣٢، ١٣٩، ١٤٠، ١٤٢، ٢٩٨، ٣٠٢، ٣١٠، ٣١٢، ٣٥٠ ـ ٣٥٩، ٣٦٢
يوسف بن مهران: ١٢٣، ١٢٤
يونس (عليه السلام): ١٤١، ١٨٩، ٣٠٧

فهرس أعلام النساء

حواء: ٢٢٩، ٣٤٠
خيرة مولاة أم سلمة: ٨٢
سارة زوجة إبراهيم (عليه السلام): ١٣٢، ٣٠٠
عائشة أم المؤمنين: ١٥٤، ١٥٦، ١٥٧، ١٦١، ١٦٢، ١٦٤، ١٦٦، ١٦٧، ٢٦٢، ٢٧٠، ٢٧٦
هاجر زوجة إبراهيم (عليه السلام): ١٣٣

فهرس القبائل والجماعات

(حرف الهمزة)

كندة: ١٤٠

الأتراك؛ ١٩، ٢٠، ٢٢

الأشاعرة: ٢٣١

بنو إسرائيل: ٧٧، ١٨٣، ٢٩٩، ٣٠٥، ٣٥٦، ٣٦٢

بنو أمية: ٢٤٩، ٢٧٣

بنو أمية بن زيد: ٢٥٥، ٢٦٢

الأنصار: ٢٥١، ٢٥٣

الأوس: ٢٦٠

(حرف الباء)

بادية شمر: ١٧، ٢١

بادية العجمان: ١٨

آل بسام: ٤٩

(حرف التاء)

بنو تميم: ١٥، ١٦

(حرف الثاء)

ثمود: ١٩١، ٢٩٨، ٣٠١

(حرف الجيم)

الجبرية: ٢٣٦

الجهمية: ٢٢٦، ٢٢٨، ٢٣٠، ٢٣١، ٢٣٢

الجيش التركي: ٢٤

(حرف الحاء)

الحنابلة: ٤٤

الحنفية: ٩٢، ٢٦٠

عرب حرب: ١٧

(حرف الخاء)

الخوارج: ١٠٢، ١٥٥

(حرف الدال)

الدولة العثمانية: ١٩، ٢٣

(حرف الراء)

آل رشيد: ١٧

(حرف الزاي)

آل زاخر: ١٦

(حرف السين)

سبيع: ٢٠

آل سعود: ١٩

آل سليم: ٢١، ٢٥

السهول: ٢٠

بني سهم: ٢٤٥

بني سليم: ٢٥١

(حرف الشين)

قبائل شعر: ٢١

(حرف العين)
عاد: ١٧٣، ١٧٤، ١٧٥، ١٧٦
بني عبد الله: ١٧
آل عثيمين: ١٦
العجمان: ١٨، ٢٠
العساكر التركية: ٢١
بني عمرو: ١٥، ١٦
بني عمرو بن عوف: ٢٦٤

(حرف القاف)
قحطان: ٢٠
القدرية: ٢٣٦
قريش: ١٣٨، ١٤٠، ١٤١، ١٤٢، ١٤٧، ٢٤٥، ٢٤٦، ٢٦٧، ٢٦٩
بني قصي: ٢٦٩

(حرف الميم)
آل مرة: ٢٠
مضر: ١٤٠
المعتزلة: ٢٢٨، ٢٣٠، ٢٣١، ٢٧٦
المعطلة: ٢٣٢
آل مقبل: ١٦
المهاجرون: ٢٦٧
آل مهنا: ٢١، ٢٣

(حرف النون)
النبط: ١٠٢
النصارى: ٢٨٩، ٣٠١

(حرف الواو)
الوهبة: ١٦

(حرف الياء)
يأجوج ومأجوج: ١٤٣
آل يعقوب: ١٩٦
يهود بني النضير: ٢٦٥
اليهود: ١٢٤، ١٢٦، ٢٨٨، ٢٨٩، ٣٠١

فهرس الأماكن والبلدان

(حرف الهمزة)

أحـــــد: ١٧١، ١٧٢، ٢٤١، ٢٤٢، ٢٥٥، ٢٥٩، ٢٦٠

الأحساء: ١٨، ١٩، ٢٠

الأزهر: ٥٣، ٧٦، ١٢٠

أشيقر: ١٦

الأفلاج: ٢٠، ٥١

أم أخمار: ٣٩

(حرف الباء)

بدر: ١٤٠، ٢٤٨، ٢٥٤، ٢٥٥، ٢٦٥، ٢٥٩، ٢٦٠، ٢٦٧، ٢٦٨

البدائع: ٦٥

بريدة: ١٩، ٢١، ٢٢، ٢٣، ٤٩، ٥١، ٥٢، ٥٤

البصرة: ٢٠، ٢٢، ٥٢

بـــغـــداد: ٢٠، ٥٢، ٩٢، ٩٤، ١٣٣، ١٣٤، ٢٦٣، ٢٧٧

البكيرية: ٢١، ٢٢، ٢٣، ٦٥، ٦٨

بهوبال: ٥١

بيت المقدس: ١٣٤، ٢٨٨، ٢٨٩

بيروت: ٣٦، ٥٣، ١٠٩، ١٤٦، ١٧٨، ٢٥٢

(حرف التاء)

تبوك: ٢٥٦، ٢٦٠، ٢٦١

تيماء: ٦٧

(حرف الجيم)

جامع الدهشة: ٢٧٨

جامع الضبط بعنيزة: ٢٦، ٦٧

الجبيل: ١٧

الجحفة: ١٧

جدة: ٥٠، ٢٤٣

الجزيرة العربية: ١٧، ١٤٣، ٢٥٩

جلاجل: ٢١

جيزان: ٦٧

(حرف الحاء)

حائل: ١٥، ١٨، ٢١، ٢٣

الحجاز: ٤٧، ٦١

الحرم: ٣٨، ٦٦، ٢٩٣، ٢٩٦، ٣١٣

الحرمين الشريفين: ٥٠

حريملاء: ١٨

الحفر: ١٩، ٢٠

حلب: ٩٤

حماة: ٢٧٨

حنين: ٢٩٢

(حرف الخاء)

الخبر: ١٧

خراسان: ١٢٤، ١٤٥
الخرج: ٢٠، ٦٥
خم: ٨

(حرف الدال)

درب الجوف: ٨٢
الدرعية: ٦٨
الدمام: ١٧
دمشق: ٥٣، ٦٤، ٧٥، ٩٤، ٩٨
الدلم: ٢٠
دلهي: ٥٢

(حرف الذال)

ذي الحليفة: ٢٦٦

(حرف الراء)

الرس: ٢٢، ٥٤، ٦٧
روضة خاخ: ٢٦٦
روضة مهنا: ٢٣
الرياض: ١٨، ١٩، ٢٠، ٢٢، ٣٦، ٥١، ٥٢، ٥٤، ٦١، ٦٢، ٦٣، ٦٦، ٦٧، ٦٨، ٧٦، ٩٧، ٣٢٣، ٣٣٥، ٣٤٣، ٢٦٤، ٢٧٦، ٢٧٨
الري: ٩٧، ٢٦٤، ٢٧٦، ٢٧٨

(حرف الزاي)

الزبير: ٢٢، ٤٩، ٥٤
زمزم: ١٢٦

(حرف السين)

سدير: ٢٠

(حرف الشين)

الشام: ٥٠، ١٢٦، ١٣٠، ١٣٢، ١٣٥، ٢٥٣، ٢٥٥
شقراء: ١٦، ٥٤
الشنانة: ٢٢
الشيحية: ٢٢

(حرف الصاد)

الصريف: ١٩
صور: ١٦٩

(حرف الطاء)

الطائف: ٢٩١، ٢٩٢

(حرف العين)

عدن: ١٤٣، ١٤٤
العراق: ١٩، ٢١، ٢٢، ٢٤، ٤٩، ٥٠، ٥٣، ٢٦٤
عرفة: ٧٨، ٧٩، ٢٩٦
عفيف: ٦٨
عمواس: ٢٦١
عنيزة: ١٥، ١٦، ١٧، ١٨، ٢١، ٢٢، ٢٣، ٢٦، ٣٦، ٣٧، ٤٩، ٥٠، ٥١ ـ ٥٤، ٦٥ ـ ٦٨
عين النجا بالأحساء: ١٨

(حرف الغين)

غرناطة: ١٤٩

(حرف الفاء)

فاس: ٢٨٥
الفيوم: ٢٧٨

(حرف القاف)

القاهرة: ٢٠، ٦٢، ٦٣، ٧٥، ٧٦، ١٠٩
قصر ابن عقيل: ٢٢

قصيباء: ٢١
القصيم: ١٧، ١٨، ٢١، ٢٢، ٢٣، ٢٤، ٥١، ٥٤، ٦٦
قطر: ١٩، ٢٠، ٥٣
قفار: ١٥
القويعية: ٦٧

(حرف الكاف)

الكعبة: ١٢٥، ٢٧٣، ٢٨٨، ٢٨٩
الكوفة: ١٢٤، ١٢٥، ١٤٠
الكويت: ١٩، ٢٠، ٣٥، ٤٩، ٥٠
كندة: ١٤٠

(حرف اللام)

لبنان: ١٤٢

(حرف الميم)

المبرز: ١٨
المجمعة: ٦٥
المحمل: ٢٠
مدين: ٢٩٨، ٢٩٩
المدينة: ٨، ٢٣، ٢٤، ٥٣، ٦٨، ٩٢، ١٦٢، ٢٤٢، ٢٤٤، ٢٦٥، ٢٦٦، ٢٧٤، ٢٨٩
المدرسة الرحمانية (العزيزية الابتدائية) بعنيزة: ٦٥، ٦٧
المذنب: ٦٨
مزدلفة: ٧٨، ٧٩، ٢٩٦
المسجد الحرام: ٥٣، ٦٨، ٧٩، ١٨٨، ٢٩٧، ٣١١
المسجد النبوي الشريف: ٦٧
المستجدة: ١٥
مسجد الجديدة: ٥٢
مسجد الضرار: ٢٥٩، ٢٦٢
مسجد المسوكف بعنيزة: ١٦
مصر: ٥٠، ٥٣، ٦٢، ١٠٩، ١١٩، ٢٧٣، ٢٨٥، ٢٩٩
المعهد العلمي بعنيزة: ٦٦، ٦٧
معهد المدينة: ٦٨
المقاطعة الشمالية: ١٥
المكتبة الخيرية الصالحية بعنيزة: ٢٦، ٦٨
مكة المكرمة: ٨، ٥٠، ٦٦، ٦٧، ١١١، ١٣٠، ١٣٥، ١٤٢، ١٤٦، ٢٤٢، ٢٤٥، ٢٦٦، ٢٦٧، ٢٧١، ٢٧٤، ٢٨٩
المليداء: ١٧

(حرف النون)

نجد: ١٥، ١٩، ٢٠، ٢٢، ٣٤، ٣٧، ٤٩، ٥٥، ٦٦

(حرف الواو)

وادي الدواسر: ٢٠
الوشم: ٢٠

(حرف الهاء)

همذان: ٢٧٨
الهند: ٣٥، ٥٢

(حرف الياء)

يبرين: ٢٠
اليمامة: ٢٧٣
اليمن: ٨٣، ١٣٠، ٢٠٣

فهرس المصادر والمراجع

أولاً: القرآن وعلومه:

* القرآن الكريم.
* **المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم**، تأليف: محمد فؤاد عبد الباقي، ط دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت لبنان.
* **الإتقان في علوم القرآن (للسيوطي)**، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، مطبعة المشهد الحسيني، بمصر، عام ١٣٨٧هـ.
* **أحكام القرآن (للجصاص)**، تصوير دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان.
* **أحكام القرآن (لأبي بكر محمد بن عبد الله المعروف بابن العربي)**، تحقيق: علي محمد البجاوي. ط الحلبي بمصر، عام ١٣٧٨هـ.
* **أحكام القرآن (للكيا الهراسي)**، تحقيق: موسى محمد علي عيد والدكتور عزت علي عطية، ط دار الكتب الحديثة بمصر، عام ١٣٧٤ هـ.
* **إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم (المعروف بتفسير أبي السعود)**. ط دار إحياء التراث العربي، بيروت، لبنان.
* **أسباب النزول للواحدي**، ط الحلبي بمصر، عام ١٣٧٩هـ.
* **أضواء البيان في إضاح القرآن بالقرآن**، تأليف: محمد الأمين الشنقيطي، ط المدني بمصر، عام ١٣٩٢هـ.
* **إعراب القرآن للنحاس**، تحقيق: الدكتور زهير غازي زاهد، مطبعة العاني، بغداد، عام ١٩٧٩م.
* **الإكليل في استنباط الأحكام من التنزيل (للسيوطي)**، تحقيق: سيف الدين عبد القادر الكاتب، ط دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، عام ١٤٠١هـ.
* **أنوار التنزيل وأسرار التأويل (المعروف بتفسير البيضاوي)**، تحقيق: الشيخ محمد محيسن، ط دار العهد الجديد بمصر، عام ١٣٨٠هـ.

* **البحر المحيط (أبي حيان)**، ط دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، عام ١٣٩٨هـ.
* **البرهان في علوم القرآن (للزركشي)** تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، مطبعة الحلبي، عام ١٣٧٧هـ، الطبعة الأولى.
* **التسهيل لعلوم التنزيل**، تأليف: محمد بن أحمد بن جزي الكلبي، ط مصطفى محمد بمصر عام ١٣٥٠هـ، الطبعة الأولى.
* **تفسير الحافظ بن كثير**، ط دار الأندلس للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان عام ١٣٨٥هـ.
* **تفسير الجلالين (جلال الدين المحلي وجلال الدين السيوطي)**، ط دار إحياء التراث العربي، بيروت، لبنان.
* **تفسير القرآن الحكيم (الشهير بتفسير المنار)**، تأليف: الشيخ محمد رشيد رضا، ط دار المنار بمصر، الطبعة الثانية، عام ١٣٦٩هـ.
* **تفسير القرآن الكريم (للشيخ محمود شلتوت)**، ط دار الشروق، بيروت، لبنان، عام ١٤٠١هـ.
* **التفسير القيم (لابن القيم)**، جمع: محمد أمين أويس الندوي، ط دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، عام ١٣٩٨هـ.
* **تفسير مجاهد**، تحقيق: عبد الرحمن الطاهر بن محمد السورتي، مطابع الدوحة الحديثة، الطبعة الأولى، عام ١٣٩٦هـ.
* **تفسير المراغي**، مطبعة الحلبي، الطبعة الثالثة، عام ١٣٨٦هـ.
* **التفسير الواضح**، تأليف: محمود محمد حجازي، الطبعة الرابعة، مطبعة الاستقلال الكبرى، القاهرة، عام ١٣٨٨هـ.
* **تيسير الكريم الرحمن في تفيسر كلام المنان**، تأليف: الشيخ عبد الرحمن بن ناصر السعدي، المطبعة السلفية بمصر، عام ١٣٧٧هـ، الطبعة الثانية.
* **تيسير اللطيف المنان في خلاصة تفسير القرآن**، تأليف: الشيخ عبد الرحمن بن ناصر السعدي، ط مكتبة المعارف بالرياض، عام ١٤٠٠هـ.
* **جامع البيان عن تأويل آي القرآن**، تأليف: محمد بن جرير الطبري، ط الحلبي بمصر، عام ١٣٧٣هـ.
* **الجامع لأحكام القرآن (للقرطبي)**، مصر عن طبعة دار الكتب المصرية.
* **الجواهر الحسان في تفسير القرآن (للثعالبي)**، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، بيروت، لبنان، تصوير.

* **الدر المنثور في التفسير بالمأثور (للسيوطي)**، تصوير دار المعرفة للطباعة والنشر، بيروت، لبنان.
* **روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني**، تأليف: محمود شكري الألوسي، تصوير دار إحياء التراث العربي، بيروت، لبنان.
* **السراج المنير في الإعانة على معرفة بعض معاني كلام ربنا الحكيم الخبير (المعروف بتفسير الشربيني)**، دار المعرفة للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت.
* **عمدة التفسير عن الحافظ ابن كثير**، اختصار وتحقيق: أحمد محمد شاكر، ط دار المعارف بمصر، عام ١٣٧٧هـ.
* **عناية القاضي وكفاية الراضي (المعروف بحاشية الشهاب على تفسير البيضاوي)** ط دار صادر بيروت، لبنان.
* **فتح البيان في مقاصد القرآن**، للعلامة المحقق صديق حسن خان، مطبعة العاصمة، شارع الفلكي، القاهرة، عام ١٣٦٥هـ.
* **فتح القدير الجامع بين فَنَّي الرواية والدراية من علم التفسير (المعروف بتفسير الشوكاني)**، تأليف: محمد بن علي الشوكاني، ط الحلبي بمصر، عام ١٣٥٠هـ.
* **الفتوحات الإلهية بتوضيح تفسير الجلالين للدقائق الخفية (المعروف بحاشية الجمل على الجلالين)**، تأليف: الشيخ سليمان الجمل، ط دار إحياء التراث العربي، بيروت، لبنان.
* **فوائد مستنبطة من قصة يوسف** تأليف: الشيخ عبد الرحمن بن سعدي، مطبعة العلم، عام ١٣٧٥هـ.
* **في ظلال القرآن**، تأليف: سيد قطب، الطبعة الثالثة، عن دار إحياء التراث العربي، بيروت، لبنان.
* **القواعد الحسان لتفسير القرآن**، تأليف: الشيخ عبد الرحمن بن ناصر السعدي، طبع على نفقة مكتبة المعارف، الرياض، عام ١٤٠٠هـ.
* **الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل**، لأبي القاسم جار الله محمد بن عمر الزمخشري، ط الحلبي بمصر، عام ١٣٦٧هـ.
* **لباب التأويل في معاني التنزيل (المعروف بتفسير الخازن)**، تأليف: علي بن محمد بن إبراهيم البغدادي المعروف بالخازن، ط المكتبة التجارية الكبرى بمصر.
* **لباب النقول في أسباب النزول (للسيوطي)**، ط دار إحياء العلوم، بيروت، لبنان، عام ١٩٧٩م.

* **محاسن التأويل (المعروف بتفسير القاسمي)**، تأليف العلامة: محمد جمال الدين القاسمي، ط دار الفكر بيروت، لبنان، عام ١٣٩٨هـ.
* **مدارك التنزيل وحقائق التأويل (المعروف بتفسير النسفي)**، ط دار الكتاب العربي، بيروت، لبنان.
* **معالم التنزيل (المعروف بتفسير البغوي)**، تأليف أبي محمد الحسين الفراء البغوي، ط المكتبة التجارية الكبرى بمصر.
* **مفاتيح الغيب أو التفسير الكبير (المعروف بتفسير الفخر الرازي)**، ط دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان عم ١٤٠١هـ.
* **المفردات في غريب القرآن**، للراغب الأصفهاني، تحقيق: محمد سيد كيلاني. ط دار المعرفة للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان.
* **مقدمة في أصول التفسير**، لشيخ الإسلام ابن تيمية، تحقيق: عدنان زرزور، ط دار القرآن الكريم في الكويت، ومؤسسة الرسالة ببيروت، لبنان، عام ١٣٩٢هـ.
* **مناهل العرفان في علوم القرآن**، لعبد العظيم الزرقاني، ط عيسى الحلبي وشركاه، الطبعة الثالثة عام ١٣٧٢هـ.
* **منهج ابن القيم في التفسير**، تأليف: أحمد السنباطي، ط المطابع الأميرية بمصر، عام١٣٩٣هـ.
* **المواهب الربانية من الآيات القرآنية**، تأليف: الشيخ عبد الرحمن بن ناصر السعدي، ط على نفقة مكتبة المعارف بالرياض، عام ١٤٠٢هـ.
* **النبأ العظيم**، للدكتور: عبد الله دراز، ط دار القلم بالكويت عام ١٣٩٠هـ.

ثانياً: كتب الحديث:

* **بهجة قلوب الأبرار وقرّة عيون الأخبار بشرح جوامع الأخبار**، تأليف: عبد الرحمن بن سعدي، مطبعة السنة المحمدية بمصر، عام ١٣٧٢هـ.
* **جامع الترمذي مع شرحه تحفة الأحوذي**، مراجعة وتصحيح: عبد الرحمن محمد عثمان، مطبعة الفجالة بمصر، عام ١٣٨٤هـ.
* **سنن أبي داوود سليمان بن الأشعث**، الطبعة الأولى عام ١٣٤٨هـ، المطبعة التازية بمصر، لصاحبها عبد الواحد محمد التازي.
* **سنن ابن ماجه**، تحقيق: وترقيم محمد فؤاد عبد الباقي، ط دار الفكر للطباعة والنشر والتجليد، بيروت، لبنان.
* **شرح صحيح الإمام مسلم (للنووي)**، ط الحلبي بمصر، عام ١٣٤٩هـ.

* **صحيح البخاري (لأبي عبد الله محمد بن إسماعيل البخاري)**، ط المكتبة الإسلامية محمد أوزدمير، إستانبول تركيا، عام ١٩٨١م.
* **صحيح الإمام مسلم بن الحجاج القشيري**، ط صبيح وأولاده بمصر.
* **فتح الباري يشرح صحيح البخاري (للحافظ بن حجر العسقلاني)**، تحقيق: الشيخ عبد العزيز بن عبد الله بن باز، ورقم كتبه وأحاديثه محمد فؤاد عبد الباقي، وأشرف على طبعه محب الدين الخطيب، المطبعة السلفية بمصر، عام ١٣٨٠هـ.
* **فيض القدير شرح الجامع الصغير (للمناوي)**، ظ دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، عام ١٣٩١هـ.
* **مجمع الزوائد ومنبع الفوائد (للهيثمي)**، ط دار الكتب العربي، بيروت، لبنان، عام ١٤٠٢هـ.
* **مختصر صحيح الإمام مسلم (للحافظ المنذري)**، تحقيق: محمد ناصر الدين الألباني، الطبعة الأولى بإشراف الدار الكويتية للطباعة والنشر والتوزيع، عام ١٣٨٨هـ.
* **المستدرك على الصحيحين (للحاكم)**، ط دار المعرفة، بيروت، توزيع مكتبة المعارف بالرياض.
* **مسند الإمام أحمد بن حنبل**، تحقيق: أحمد محمد شاكر، ط دار المعارف بمصر، عام ١٣٧٥هـ.
* **المعجم الكبير (للطبراني)**، تحقيق: الدكتور حمدي عبد المجيد السلفي، ط الدار العربية للطباعة، بغداد، عام ١٣٩٨هـ.
* **المعجم المفهرس لألفاظ الحديث لمجموعة من المستشرقين، مع مشاركة محمد فؤاد عبد الباقي**، مطبعة بريل في ميدنة ليدن، سنة ١٩٥٥م.
* **موطأ الإمام مالك**، تحقيق وترقيم: محمد فؤاد عبد الباقي، ط عيسى الحلبي وشركاه بمصر، عام ١٣٧١هـ.

ثالثاً: كتب التراجم والسير والأنساب والمعاجم:

* **الاستيعاب في أسماء الأصحاب (لابن عبد البر)**، مطبعة مصطفى محمد بمصر، عام ١٣٥٨هـ.
* **أسد الغابة في معرفة الصحابة (لابن الأثير)**، ط المكتبة الإسلامية لصاحبها الحاج رياض الشيخ. الإصابة في تمييز الصحابة (لابن حجر)، مطبعة مصطفى محمد بمصر، عام ١٣٥٨هـ
* **الأعلام**، لخير الدين الزركلي، ط دار العلم للملايين، بيروت، عام ١٩٨٤م، الطبعة السادسة.

* **الأنساب (للسمعاني)**، تحقيق: عبد الرحمن بن يحيى المعلمي، الطبعة الثانية، عام ١٤٠٠هـ، نشر محمد أمين دميج، بيروت، لبنان
* **البدر الطالع بمحاسن من بعد القرن السابع**، تأليف: محمد بن علي الشوكاني، ط دار المعرفة، بيروت، لبنان.
* **بغية الوعاة في طبقات النحاة (للسيوطي)**، تحقيق: أبو الفضل إبراهيم، ط الثانية، مطابع دار الفكر، عام ١٣٩٩هـ.
* **تاريخ بغداد (للحافظ أبي بكر أحمد بن علي الخطيب البغدادي)**، ط دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، عام ١٤٠٢هـ، تصحيح الدكتور قيصر فرخ.
* **تاريخ ملوك آل سعود**، تأليف الأمير: سعود بن هذلول، مطابع الرياض عام ١٣٨٠هـ، ط أولى.
* **تقريب التهذيب (للحافظ ابن حجر)**، تحقيق: عبد اللطيف عبد الوهاب، ط دار الكتاب العربي بمصر، عام ١٣٨٠هـ
* **تهذيب التهذيب (للحافظ ابن حجر)**، ط دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، عام ١٤٠٤هـ.
* **الجرح والتعديل (للإمام الحافظ شيخ الإسلام الرازي)**، طبعة أوفست بمطبعة دائرة المعارف العثمانية بحيدر أباد الدكن الهند، عام ١٣٧٢هـ.
* **الخصائص الكبرى (للسيوطي)**، تصوير دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، عن طبعة حيدر أباد الدكن، عام ١٣٢٠هـ.
* **دلائل النبوة للبيهقي**، توثيق وتعليق: الدكتور عبد المعطي قلعجي، ط دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، عام ١٤٠٥هـ.
* **روضة الناظرين عن مآثر علماء نجد وحوادث السنين**، تأليف: محمد بن عثمان بن صالح القاضي، ط الحلبي بمصر، عام ١٤٠٣هـ، الطبعة الثانية.
* **سيرة العلامة الشيخ عبد الرحمن بن ناصر السعدي**، بقلم: أحد تلاميذه، مطبعة السنة المحمدية بمصر، عام ١٣٧٦هـ.
* **شذرات الذهب في أخبار من ذهب (لابن العماد الحنبلي)**، ط المكتب التجاري للطباعة والتوزيع والنشر، بيروت، لبنان.
* **الشفاء بتعريف حقوق المصطفى (للقاضي عياض)**، ط أحمد عبد الحميد حنفي بمصر.
* **صقر الجزيرة**، تأليف أحمد عبد الغفور عطار، مطابع الحرية، بيروت، عام ١٣٩٢هـ.

* **طبقات الحنابلة مع ذيله (للقاضي أبي الحسن محمد بن أبي يعلى)**، تصوير: دار المعرفة للطباعة والنشر، بيروت، لبنان، مصورة عن طبعة أنصار السنة المحمدية بمصر، عام ١٣٧٢هـ
* **الطبقات الكبرى (لابن سعد)**، تحقيق: إحسان عباس، ط دار بيروت للطباعة والنشر عام ١٣٩٨هـ.
* **طبقات المفسرين (للداوودي)**، تحقيق: لجنة من العلماء، ط دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، عام ١٤٠٣هـ.
* **علماء نجد خلال ستة قرون**، تأليف: عبد الله بن عبد الرحمن بن صالح البسام، مطبعة ومكتبة النهضة الحديثة بمكة المكرمة عام ١٣٩٨هـ.
* **كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون**، لحاجي خليفة، ط دار الفكر، بيروت، لبنان عام ١٤٠٢هـ.
* **معجم البلدان (لياقوت الحموي)**: ط دار صادر للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان عام ١٣٧٥هـ. ميزان الاعتدال في نقد الرجال (للذهبي)، تحقيق: علي محمد البجاوي، ط دار المعرفة، بيروت، عام ١٣٨٢هـ.
* **نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب (للتلمساني)**، تحقيق الدكتور: إحسان عباس، ط دار صادر للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، عام ١٣٨٨هـ.
* **وفيات الأعيان (لابن خلكان)**، تحقيق الدكتور: إحسان عباس، ط دار صادر للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، عام ١٩٦٨م.

رابعاً: كتب الفقه وأصوله والتوحيد:

* **الأدلّة القواطع والبراهين في إبطال أصول الملحدين**، تأليف: الشيخ عبد الرحمن بن ناصر السعدي، طبعته دار المعارف بالرياض، عام ١٤٠٠هـ
* **تنزيه الدين وحملته ورجاله مما افتراه القصيمي في إغلاله**، تأليف: الشيخ عبد الرحمن بن ناصر السعدي، ط دار إحياء الكتب العربية بمصر، عام ١٣٦٦هـ.
* **الحاوي للفتاوي (للسيوطي)**، ط دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، عام ١٤٠٢هـ.
* **الرسالة في أصول الفقه (لمحمد بن إدريس الشافعي المطلبي)**، تحقيق: أحمد محمد شاكر، ط مكتبة دار التراث بمصر، عام ١٣٩٩هـ.
* **زاد المعاد في هدى خير العباد (لابن القيم)**، تحقيق: شعيب الأرناؤوط وعبد القادر الأرناؤوط، نشر مؤسسة الرسالة، بيروت، لبنان، ومكتبة المنار الإسلامية بالكويت، عام ١٣٩٩هـ.

* **طريق الوصول إلى العلم المأمول بمعرفة القواعد والضوابط من الأصول**، تأليف: الشيخ عبد الرحمن بن ناصر السعدي، طبعته مطبعة الإمام بمصر، عام ١٣٧٢هـ على نفقة عبد الله بن محمد العوهلي.
* **الفتاوى السعدية**، للشيخ: عبد الرحمن بن ناصر السعدي ط دار الحياة دمشق عام ١٣٨٨هـ.
* **مجموع تأليف الشيخ عبد الرحمن بن ناصر السعدي**، طبعته مطابع الدجوي على نفقة المؤسسة السعيدية بالرياض.
* **مجموع الفتاوى (لشيخ الإسلام ابن تيمية)**، جمع الشيخ عبد الرحمن بن محمد بن قاسم وابنه محمد، ط مطابع الرياض، الطبعة الأولى عام ١٣٧٦هـ على نفقة جلالة الملك سعود بن عبد العزيز رحمه الله.
* **المحلّى (لابن حزم الظاهري)**، طبعته مطبعة الإمام بمصر، تصحيح: محمد خليل الهراس.
* **المختارات الجلية**، تأليف: عبد الرحمن بن ناصر بن سعدي، طبعته مطابع الدجوى على نفقة المؤسسة السعيدية بالرياض.
* **مختصر التحرير شرح الكوكب المنير**، تأليف: محمد الفتوحي، طبعته مطبعة أنصار السنة المحمدية بمصر، عام ١٣٧٢هـ.

خامساً: كتب اللغة:

* **المصباح المنير في غريب الشرح الكبير**، تأليف: أحمد بن محمد بن علي الفيومي، ط دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، عام ١٣٩٨هـ
* **القاموس المحيط (للفيروز أبادى)**، الطبعة الثانية، مطبعة مصطفى الحلبي وأولاده بمصر، عام ١٣٧١هـ.
* **معجم مقاييس اللغة (لأبي الحسين أحمد بن فارس بن زكريا)**، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، ط دار الكتب العلمية إسماعيليان بخفي، إيران قم خيابان ارم، عام ١٣٨٩هـ.

فهرس الموضوعات

الموضوع	الصفحة
شكر وتقدير	٥
مقدمة بين يدي البحث	٧
الطرق التي سلكها الصحابة في تفسير كتاب الله:	
الطريق الأول: تفسير القرآن بالقرآن	٨
الطريق الثاني: تفسير القرآن بالسنّة	١٠
الطريق الثالث: الاجتهاد وحسن الاستنباط	١١
الطريق الرابع: اللغة العربية التي نزل بها القرآن	١١
الأسباب الداعية لاختياري هذا البحث	١٢
خطة البحث	١٣
تمهيد: ويشتمل على حياة الشيخ، وفيه ثلاثة فصول:	
الفصل الأول: حياته الشخصية:	١٥
اسمه، نسبه، كنيته مولده، عائلته، ترجمة موجزة لوالده، أمه، إخوته	١٥
الحالة السياسية لهذه الفترة	١٧
نشأته	٢٤
توليه المناصب	٢٦
أعماله الخيرية	٢٦
أخلاقه ومناقبه (رحمه الله)	٢٧
زهده	٢٧
ورعه	٢٩
تواضعه	٣١
جرأته في الحق	٣٢
حدّة ذكائه وحفظه	٣٢

الموضوع	الصفحة

سموّ أخلاقه ولين جانبه ٣٣
حسن منطقه ٣٤
ثروته ومورد رزقه ٣٥
مرضه ووفاته ٣٥
الفصل الثاني: حياته العلمية: ٣٩
حفظه للقرآن الكريم، بداية تلقّيه العلم ٣٩
أوّل جلوسه للتدريس ٤٠
طريقته في التعليم ٤١
نظرته للعلم ٤١
نظرته إلى العلماء ٤٢
مذهبه في الفقه ٤٣
ردّه على مخالفيه ٤٧
مصادر علمه ٤٨
شيوخه ٤٩
تأثره بشيخ الإسلام ابن تيمية وابن القيم ٥٥
نموذج من تفسير ابن القيم لفاتحة الكتاب ٥٧
الفصل الثالث: مؤلفاته وآثاره: ٦٠
مؤلفاته في علوم القرآن ٦٠
مؤلفاته في الأصول (العقيدة) ٦٠
مؤلفاته في الفقه وأصوله ٦٢
مؤلفاته في الحديث، الخطب والفتاوى ٦٤
تلاميذه ٦٥

الباب الأول: تفسيره ومنهجه فيه ٧١
ويشتمل على فصلين

الفصل الأول: تفسيره. وفيه مبحثان: ٧١
المبحث الأول: التعريف بتفسيره ٧٣
طريقة الشيخ في تفسيره ٧٤
المبحث الثاني: دراسة مقارنة لما رجحه من آراء ٧٨

الموضوع	الصفحة

الفصل الثاني: منهج الشيخ عبد الرحمن بن سعدي في التفسير. وفيه مباحث: .. ١٨٠
مقدمة ١٨٠
المبحث الأول: المنهج العام ١٨١
المبحث الثاني: تفسيره للقرآن بالقرآن مع إيراد أمثلة على ذلك ١٨٢
المبحث الثالث: تفسيره القرآن بالسنّة ٢٠٣
مقدمة ٢٠٣
نماذج لبعض الأحاديث التي أوردها تفسيراً لبعض الآيات ٢٠٥
المبحث الرابع: منهجه في تفسير آيات الصفات ٢١٧
مقدمة ٢١٧
الصفة الأولى: صفة الاستواء، والأمثلة على ذلك ٢١٧
الصفة الثانية: رؤية الله سبحانه وتعالى والأمثلة ٢٢١
الصفة الثالثة: صفة العلو لله سبحانه وتعالى والأمثلة ٢٢٣
الصفة الرابعة: صفة الكلام لله سبحانه وتعالى والأمثلة ٢٢٧
الصفة الخامسة: المجيء لله سبحانه وتعالى والأمثلة ٢٣٠
الصفة السادسة: صفة المشيئة والقدر والأمثلة ٢٣٣
الصفة السابعة: صفة الساق لله سبحانه وتعالى والأمثلة ٢٣٦
المبحث الخامس: مباحث علوم القرآن في تفسيره ٢٣٨
مقدمة ٢٣٨
أولاً: أسباب النزول، والأمثلة على ذلك من تفسيره ٢٣٩
ثانياً: المكي والمدني ٢٧٤
تعريف المكي والمدني، أوّل ما نزل من السور ٢٧٤
ملحوظتان هامتان على الشيخ ابن سعدي في هذا المبحث ٢٧٥
ثالثاً: المحكم والمتشابه ٢٧٦
بعض العلماء الذين ألفوا في هذا النوع ٢٧٦
تعريف المحكم والمتشابه لغة واصطلاحاً ٢٧٨
تحديد العلماء للمحكم والمتشابه ٢٧٩
رأي الشيخ عبد الرحمن بن سعدي في المحكم والمتشابه ٢٨١
رأي الشيخ ابن كثير في المحكم والمتشابه ٢٨٤
رابعاً: الناسخ والمنسوخ ٢٨٤

الموضوع	الصفحة

بعض العلماء الذين ألفوا في هذا النوع ٢٨٤
النسخ لغة واصطلاحاً، أقسام النسخ في القرآن ٢٨٥
إيراد بعض الأمثلة على الآيات القرآنية المنسوخة التي أشار إليها ابن
سعدي في تفسيره ٢٨٨
خامساً: العام والخاص ٢٩٢
تعريفهما، والأمثلة عليهما ٢٩٢
استنباطه بعض الأحكام الشرعية والفوائد أثناء تفسير للآيات، والأمثلة
على ذلك ٢٩٥
سادساً: موقف الشيخ ابن سعدي من الإسرائيليات ٣٠١
تعريف الإسرائيليات ٣٠١
سابعاً: الجوانب اللغوية والنحوية في تفسير ابن سعدي ٣٠٦
اتجاهه إلى معنى الحرف ٣٠٦
بحثه في الضمائر ٣٠٩

الباب الثاني: كتب أخرى في التفسير
للشيخ عبد الرحمن بن سعدي ٣١٩

مقدمة ٣٢١
الفصل الأول: القواعد الحسان لتفسير القرآن ٣٢٣
التعريف بالكتاب، سبب تأليفه ٣٢٣
منهجه فيه ٣٢٤
نماذج من الكتاب ٣٢٨
الرأي في الكتاب ٣٣٤
الفصل الثاني: تيسير اللطيف المنان في خلاصة تفسير القرآن ٣٣٥
التعريف بالكتاب ٣٣٥
سبب تأليف هذا الكتاب ٣٣٦
منهجه في هذا الكتاب ٣٣٧
نماذج من الكتاب ٣٣٨
الرأي في الكتاب ٣٤١
الفصل الثالث: المواهب الربّانية من الآيات القرآنية ٣٤٣

الموضوع	الصفحة

التعريف بالكتاب، سبب تأليفه ٣٤٣
منهجه فيه ٣٤٤
نماذج من الكتاب ٣٤٦
الرأي في الكتاب ٣٤٨
الفصل الرابع: فوائد مستنبطة من قصة يوسف (عليه السلام) ٣٥٠
التعريف بالكتاب، سبب تأليفه ٣٥٠
منهجه في هذا الكتاب ٣٥١
نماذج من الكتاب ٣٥٧
الرأي في الكتاب ٣٥٩
الخاتمة ٣٦٠
نتائج البحث ٣٦٤
الفهارس العامة: ٣٦٧
الآيات القرآنيّة ٣٦٩
الأحاديث النبوية ٣٩٥
الأعلام ٣٩٩
القبائل والجماعات ٤١٤
الأمكنة والبلدان ٤١٦
المصادر والمراجع ٤١٩
فهرس الموضوعات ٤٢٧

تمّت بحمد الله